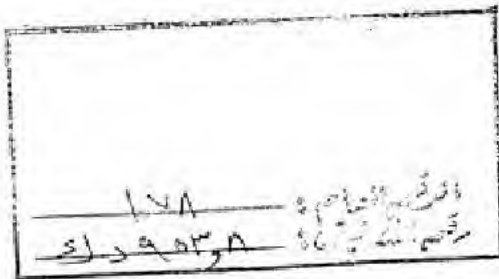


الكويت

وَجَارَاتُهَا

لـ هـ . ر . ب . ديكسون

الجزء الأول



منشورات
للطباعة والنشر

حقوق الطبع محفوظة

١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

الطبعة الأولى

١٩٦٤ م

الطبعة الثانية

١٩٩٠ م



(المؤلف الكولونيل هارولد ديكسون وزوجته فيوليت)
(في القصر الملكي بالرياض)

مقدمة الطبعة الثانية

وُلِدَ هارولد ديكسون في بيروت عام ١٨٨١ م) ، ودرس في مدارس دمشق - حيث كان والده قنصلاً لبريطانيا فيها - ، ثم سافر إلى (أوكسفورد) للتحقُّق بالكلية العسكرية ، وعند تخرُّجه منها أحسَّ بأنَّه يستطيع أن يؤدي دوره خارج حدود بلاده ؛ فخدمَ للإمبراطورية البريطانية التي دأبَّ أفراد أسرته على تقديم الولاء لها ؛ فالتحقَ بالقوات العسكرية البريطانية التي كانت تسيطر على بلاد الهند ، واستقرَّ خمس سنوات هناك ، ثم هاجرَ إلى العراق فترةً من الزمن ، واستقرَّ أخيراً وبالتحديد عام (١٩٢٩ م) في الكويت مع زوجته (فيوليت) . وكانت له صِلةٌ مع أغلب رؤساء عشائر المنطقة ، وحكامها .

ونظراً للمهام التي أُتيحتَ به ، وبسبب رغبته الشخصية ، وميوله النفسية فقد سجَّل ملاحظاته فيما يتعلَّق بالأوضاع السياسية للمنطقة بشكلٍ دقيق ، كما كتبَ كتاباً خاصاً عن قبائل البدو يُعدُّ أثراً متميزاً بين ما كُتِبَ في هذا المجال ، وسَمَّاه (عرب البادية) The Arab of desert وطُبِعَ - بالانكليزية - مرات عديدة .

أمَّا كتابُهُ «الكويت وجاراتها» فَيُعدُّ من أهمِّ ، وأغنى ما كُتِبَ عن تاريخ هذه البلدة ، وما جاورها من مناطق سواءً في العراق ، أو السعودية ، أو عمان ، - فقد حفظَ في طياته حوادثاً لم تُدوَّن في أيِّ مصدرٍ من المصادر

الأخرى ، والسبب أن مؤلفه كان واحداً من صنّاع تاريخ هذه المنطقة ،
والمخططين لمستقبلها .

وفعلاً ، فإن الحدود المصطنعة التي قُسمت بين العراق ،
والكويت ، والسعودية كانت من مخترعه ، وتنفيذه .

إن هذا الكتاب هو تاريخ حيّ يشرح - في جانب منه - تلك الخديعة
التي وقع فيها حكام هذه الدول - يومذاك - ، بسبب السذاجة البدوية التي
عششت في عقولهم ، وخبراتهم ؛ الأمر الذي يُمكن القاريء أن يتبين
بوضوح دور الحكام (الأبناء) في عملية الحفاظ على هذا المخطط ، وعدم
استطاعتهم الإفلات منه .

إن هارولد ديكسون ، وزوجته فيوليت سجّلا في هذا الكتاب مواضيع
لم يُسجلها أي مؤرخ آخر - فالكتاب مضافاً إلى أنه في الصميم من أحداث
السياسة الساخنة في تلك المنطقة ؛ فإنه في صميم الأحداث التاريخية ،
والاجتماعية أيضاً .

ومهما قيل في الكتاب من ثناء فإنه يبقى المُعبر الوحيد عن جدّته ،
وانفراده بحقائق أصبحت تاريخاً يُضاف إلى تاريخ هذه المنطقة .

إن قراءة أحداث هذه المذكرات - بامعان - سترشد القاريء العربي
إلى أمور في غاية الأهمية ، ولا شك أنها ستعيد بناء تفكيره العقلي من
جديد .

القِسْمُ الْأَوَّلُ

الفصل الأول

امارة عربية

« نجد البحرية »

في منطقة الخليج العربي البعيدة ، وعلى شكل إسفين عميق غرز بين جنوب العراق والاحساء المقاطعة الشمالية الشرقية من المملكة العربية السعودية ، تقع امارة الكويت العربية الصغيرة المعترزة . ومع انها دولة مستقلة فهي تتمتع بالحماية البريطانية .

وبسميها محبوها « نجد البحرية » . وليس ذلك نعتاً سيئاً لمدينة وولاية أوجدها حاكم وشعب زحوا من أواسط الجزيرة العربية في أوائل القرن الثامن عشر ، وهي الآن تحتل منزلة رفيعة بين الدول العربية في ظل حاكمها المستنير الشيخ عبدالله السالم الصباح الذي ارتقى الى الامارة في كانون الثاني سنة ١٩٥٠ ، محتفظاً بمعاهدات صداقة وتحالف وثيقة مع بريطانيا ، وهو احتياط ضروري ، نظراً لأن تلك الدولة الصغيرة تملك أفضل الموانئ من الناحية الاستراتيجية على الشاطئ العربي من الخليج العربي . ثم ، البست تجساور دولتين قويتين إلى الشمال والجنوب ، فضلاً عن شعب عتيق مغتصب عبر الخليج يحلم دائماً باقامة امبراطورية عظيمة يكون الخليج العربي « بحرهما الوسط » الخاص بهما ؟ ان ميناء الكويت المرموق الذي يبلغ عمقه عشرين ميلاً وعرضه عشرة

أميال ، وترويتها النفطية الهائلة المدفونة تحت الأرض على بعد اثني عشر ميلاً من البحر ، هما اليوم قبلة الانظار ونقطة الخطر في نفس الوقت . وكل واحد يتبنى مغازلة و حسناء طروادة الجديدة ؛ وقد جرت محاولات كثيرة في السابق ، ومحاولات كثيرة لا تزال تجري ، بعضها على طريقة انسان الكهوف ، وبعضها على طريقة اكثر ذكاء وليست أقل خطراً هي طريقة تقديم الهدايا ، ومن الطبيعي ان يغار كل طامع من منافسيه . وهذا ما ساعد السيدة الحسناء الى درجة لا يستهان بها ، في ان تحافظ على بكارها فترة طويلة من الزمن ، وستفقد كلاً ما على المخلصون ، من عشاق اكثر وفاحة والحاحاً .

تتحدث عائلة آل الصباح الارستقراطية النبيلة من بني عتوب - وهم من البدو - ربنو عتوب من الدمام من قبيلة عمارات من عرب عتيبة الذين ينحدرون من أصل نبيل ويقطنون اليوم اجزاء من المملكة العربية السعودية والعراق وسورية .

ابلفني صاحب السمو الشيخ عبدالله السالم في معرض حديثي معه في شهر تشرين الأول من السنة التي اوتقى فيها الى الامارة ، انه حوالي سنة ١٧١٠ م ، دفع جفاف متواصل يخيف بآل الصباح الذين كانوا يتمتعون بالسيطرة على قبيلة عتيبة العظيمة كلها ، إلى الغزو من داخل نجد بحثاً عن مكان أيسر للعيش . ومعهم نزع آل خليفة وهم فخذ آخر من عمارات .

وقد توجه النازحون في البداية جنوباً الى وادي دويسر . ولكنهم وجدوا الاحوال هناك أسوأ مما هي عليه في نجد ، فعادوا وتقدموا الى زباره في شبه جزيرة قطر على شاطئ الخليج الفارسي ، تصحبهم عدة عائلات نبيلة صغيرة ، من قبيلة عمارات ، منهم آل زايد المعروفين اليوم بآل غانم ، وآل صالح وآل شبلان . وحين ان الاحوال في زباره ليست أفضل ، فترحل الجميع مع قطعانهم وماشيهم ببطء الى أن وصلوا بالنتيجة إلى مرتفع بعيد حيث وجدوا وافرأ من المياه العذبة على عمق أقدام معدودة من السطح . وهذا هو المكان الذي تقع فيه مدينة الكويت حالياً .

وقد اشتق اسم بني عتوب ، كما يقول سموه ، من التعبير الذي اطلق يوم
النزوح وهو « عُبُوا الى الشمال » . وليس عتوب اسماً لأي سبط حقيقي من
أسباط عمارات المتفرعة من عنبره .

وخشي آل الصباح وآل خليفة الذين نصبوا خيامهم في خليج الكويت ،
ان يعترض الاتراك ، الذين كانوا يدعون ملكية المكان وكانت لهم قوة كبيرة في
البصرة ، على وجودهم هناك ويطردهم الى حيث اتوا أو يفرضوا الضرائب
عليهم .

وقرروا في مجلس عقده أهل الرأي بينهم ارسال مبعوث الى الباشا التركي
في البصرة لكي يشرح له انهم مستوطنون فقراء نزحوا من نجد البعيدة الى
الكويت طلباً للرزق ، وليست في نيتهم اذية أحد . والرجل الذي اختير
للقيام بهذه المهمة يدعى صباح . وكان متقدماً في السن وله من دنياه الخبرة
والحظ ، فنجح في مهمته .

واستطرد سموه قائلاً ، ان آل نصار وهم العشيرة الحاكمة في بني كعب
القبيلة العربية الارستقراطية التي تقطن عربستان في جنوب ايران ، شنوا حرباً
على عبدالله ، ابن صباح ، وان الخوف من تكرار الغزوات حمل آل خليفة على
العودة جنوباً الى زبارة ، ومن هناك انتقلوا الى البحرين التي غزوها وحكموها
منذ ذلك الحين .

وحسب الروايات المحلية - التي يسقط سموه قسماً منها - ان سبب هجوم
آل نصار على الكويت هو ان شيخ بني كعب في ذلك الوقت أخذ يتودد الى
مريم الابنة الجميلة للشيخ عبدالله الصباح ، فلما صدته أرسل اسطولاً لغزو
الكويت .

وقبل ان يعود آل خليفة الى زبارة استحثوا نسيبهم وحليفهم عبدالله ان
يضحي بمريم ليشتري بذلك سكوت بني كعب عنه . ولكن عبدالله اجابهم
بعباد : ماذا ؟ أعطي ابنتي الى هؤلاء الكلاب من بني كعب لأنفقد نفسي ؟
أبدأ .. ان احداً من آل الصباح ، طالما هو سي ، لا يزوج ابنته الى غريب نسب

موضع شك .

وهناك قصة أخرى أيضاً لا يستحسنها سمو الشيخ عبدالله السالم وهي انه عندما اشتد خطر غزو بني كعب ، وبعد أن تراجع آل خليفة الى الجنوب ، جمع عبدالله شيوخ عائلته جميعهم وامتحلفهم على عتبة بيته أن ينفقوا بشبات دفاعاً عن ابنه وعن شرف آل الصباح ، ففعلوا ولذلك سموا ببني عتبة أو بني عتوب .

ويقال انه عندما اقترب اسطول العبدو اخذت مريم الجميلة تطوف على مراكز الدفاع عن المدينة وتشجع البدو في خيامهم ، وهي ممتطية فرساً ومسلحة بقدارة وبسيف ورمح .

ومستذكر في مكان آخر من هذا الكتاب كيف ان ابن عم مريم ، سالم بن محمد الصباح ، ومعه جماعة من الشجعان تسللوا الى الأسطول المنتشر في عرض البحر الى الجنوب من جزيرة ^{١٠}ببيان ، في هدوء الليل متخفين بشكل صيادي الأسماك ، وقتلوا الحراس الى آخر رجل ، وكنفوا بقية الملاحين على الصواري ، وحملوا الغنائم الى الكويت وقدموها إلى مريم .

وغني عن القول انه بعد هذا النصر الأولي الذي ألهته مريم بحماسها المتوقد ، جعل سالم ينظم أهل الكويت ، رغم نصيحة الشيخ عبدالله ، ليشنوا هجوماً بزوارقهم الصغيرة على أسطول بني كعب ، فقتلوا الى البحر واستبكبوا مع سفن بني كعب واضطروها الى فرار عجز . وأسرعت في انزال هذه الهزيمة الشنعاء ببني كعب عاصفة شديدة شنت شمل الأسطول ودمرت نصفه .

ومنذ ذلك الوقت حتى اليوم ، لم يسمح لأُميرة من آل الصباح أن تتزوج رجلاً من خارج عائلتها ، حتى وإن كان من البيت السعودي العظيم ، أو من شرفاء مكة ، أو من شيوخ آل السعدون النبلاء الذين يتوارثون المشيخة على المنفق العظيم في العراق .

ولا تزال عبارات النخوة في الكويت الى اليوم : انا اخو مريم ، و اولاد سالم .

واللكويت علم خاص بها أحمر اللون كتب في وسطه أفقياً بأحرف عربية
بيضاء « الكويت » وكتبت على طرفه القريب من العارية عمودياً عبارة
« لا إله إلا الله محمد رسول الله » ..

الحاكم الحالي

ولد صاحب السمو الشيخ عبدالله السالم الصباح سنة ١٨٩٥ ، وهو أقوى
شخصيات عائلة آل الصباح وبرزها ، انه واسع الثقافة ، ويتحدث بطلاقة ،
ويتمتع بدرجة كبيرة من الذكاء والالمام بالشؤون العالمية عامة ، وباهتمام خاص
بالأوضاع السياسية المختلفة التي تنشأ دائماً في أوروبا والشرق الأوسط .
ومع اعتيابه الشديد بالملك الراحل عبدالعزيز ابن سعود ، لكنه لم تنطل عليه
أبداً مناورات المعامل السعودية الباردة .

ان أحداً من شيوخ القبائل لا يصل الى مركزه لأن والده كان شيخاً قبله .
وبكلمات أخرى : ان المشيخة لا تنتقل من الأب الى الابن . وهذا أيضاً ينطبق
على الحكام . فعندما توفي الشيخ سالم ابن مبارك الصباح في ٢٧ شباط سنة ١٩٣١ ،
خلفه ابن أخيه الشيخ أحمد الجابر الصباح . وبدأ الشيخ عبدالله السالم الصباح ابن
الشيخ سالم خلفاً يعاون ويتعاون مع ابن عمه ، ويستجمع كثيراً من السلطة في
يديه برضى الشيخ أحمد وفضل طبيعته الكريمة السمحة .

وتوفي الشيخ أحمد الكبير ، كما يسمى اليوم ، بمرض القلب في ٢٩ كانون الثاني
سنة ١٩٥٠ ، فعزّن عليه الجميع . وخلفه على العرش ابن عمه الشيخ عبدالله السالم
الذي تشير كل الدلائل إلى انه مبدئي خطي سلفه . وبالفعل فقد اتخذ سلسلة
اجراءات حكيمية في حقل الخدمة العامة ، فشق الطرقات ، وبني المدارس ،
وشيد المباني العامة والمستشفيات والمحاكم . وأهم من كل ذلك انشأ مصنعاً ضخماً
لتكرير مياه البحر يستطيع ، عند انتهائه في سنة ١٩٥٥ ، ان يمد الكويت
بمخالي اربعة ملايين غالون من مياه الشرب يومياً . وشكل أيضاً لجنة لتخطيط
المدينة وانماؤها ، وأعطاه موافقته على الخطة التي رسمتها لتحسين المدينة . والمقال

الذي كتبه مارغريت كلارك والمنشور في مكان آخر من هذا الكتاب ، فيه الكثير من المعلومات عن التقدم الذي أحرزته الكويت بفضل استغلال ثرواتها النفطية .

وفي ٥ حزيران سنة ١٩٥٢ ، يوم عيد ميلاد جلالة الملكة ، أمبغ على سمو الشيخ عبدالله السالم الصباح لقب K. G. M. G. الرفيع ، اعترافاً بخدماته الجليلة كحاكم .

حدود الدولة

كانت هذه الحدود في الماضي مصدرأ لكثير من النزاع وسفك الدماء . ومنروي قصتها كاملة في فصول أخرى . ويكفي هنا ان نذكر ان الحدود المعترف بها بين الكويت وجاراتها العراق والمملكة العربية السعودية ، هي كما تبدر على الخريطة المنشورة في نهاية هذا الكتاب . وحسب التعابير الرسمية كما يأتي :

من النقطة التي تتصل فيها البلدان الثلاثة ، وهي ملتقى وادي العوجة بالوادي الواسع الطويل المعروف بالباطن في الغرب ، تتجه الحدود العراقية - الكويتية شمالاً على طول الباطن الى نقطة جنوب خط العرض في صفوان تماماً ، حيث تنعطف وتتجه شرقاً مارة جنوب آبار صفوان ، وجبل صنم ، وام قصر ، الى ان تصل الى الشاطئ ، حيث يلتقي الرافدان خور زبير الى الشمال وخور عبدالله الى الجنوب الشرقي .

وتبدأ حدود الكويت - نجد من نفس النقطة الغربية ، أي من ملتقى وادي العوجة بالباطن . ومن هناك تتجه في خط مستقيم ، قاركة آبار الرفعة لتجد (المملكة السعودية) الى اتصال خط العرض ٢٩ بقوس الدائرة الذي ينتهي في قل قرين جنوباً ، وتصل الى الشاطئ جنوب المرفع المعروف باسم رأس الفليعة . والى الجنوب من هذا الخط المنحني تقع المنطقة المعروفة بمنطقة الكويت المجاورة . وتحدها من الغرب سلسلة مرتفعات تسمى الشق ، ويحدها البحر من الشرق ، ومن الجنوب خط متفرع من الشق ماراً بعين العبد الى نقطة

على الساحل شمال رأس المشاب . وتترك في المنطقة المحايدة كل من الكويت
 وشيخ (المملكة السعودية) ، ولكل منهما حقوق متساوية فيها .
 وتشمل دولة الكويت أيضاً جزر ^(١) وربا ، و بيليت ، و مكبان ، و فيلكه ،
 و عوج ، و كبر ، و قارو ، و مقطع ، و ام المرادم وغيرها من الجزر الصغيرة
 المجاورة .
 وتبلغ مساحة دولة الكويت ستة الاف ميل مربع أي أقل من مساحة ويلز
 بحوالي ١٤٠٠ ميل مربع .

(١) ورث
(٢) مكبان
(٣) عوج
(٤) الفيل
(٥) مكبان الزور
(٦) الفيل

الجغرافية الطبيعية

تتألف الكويت في الغالب من سطح رملي صلب الى الشمال من خط يتجه من
 الكويت الى الرقة عبر الجبراء ، وتنحدر الى ارض رملية جنوب هذا الخط . اما
 الى الغرب من الشق ، فإن الأرض في كل مكان حتى تبلغ الباطن ، رملية صلبة
 ومستوية .

إن أفضل العرفج في المنطقة - وهو نبات صحراوي تنفدى عليه الجمال -
 ينبت بمحاذاة شاطئ البحر الى مسافة ٤٠ ميلاً ، وينبت النسي ^(١) - نبات
 صحراوي آخر - الى الغرب من هذا المكان . والوادي الوحيد الواضح المعالم هو
 الشق الذي يقع قسم منه داخل حدود الكويت . وعلى الحدود الغربية يقع وادي ^(٢)
 الباطن . والمرتفعات الوحيدة التي تستحق الذكر هي : جبل الزور ، وصلة له
 على الجهة الشمالية من خليج الكويت ، وعدة قلال معزولة في الجنوب لها بعض
 الأهمية كعلامات حدود ، منها مشرف وسرا في منطقة قرعه ، و برقان و روارا
 و قرين في اقليم عدان ، و شطف و جبل قوارس في منطقة الكويت المحايدة . وإلى
 الجنوب من المنطقة المحايدة وراء الحدود المعترف بها ، تجدر ملاحظة ظليعات
المعجل رهضة بعل و وريه .

ولا توجد في أي مكان في الكويت مياه جارية او ينابيع ترتفع مياهها الى
 سطح الأرض ، ولا في أي مكان في المناطق المجاورة باستثناء عين العبد الواقعة في

أقليم مقطع في المنطقة المعابدة ، والتي تحتوي على كبريتيات الهيدروجين وتنفذ في
بمعدل ألف غالون في الدقيقة .

خليج الكويت

يبدأ ميناء الكويت من الزاوية الشمالية الغربية للخليج الفارسي ، ويمتد من
الشرق إلى الغرب مسافة عشرين ميلاً . وهو من حيث الشكل أشبه شيء بهلال
ظهره إلى الشمال وأحد طرفيه يتجه إلى الجنوب الغربي .

والخليج نفسه عبارة عن ثلم في الشاطئ العربي يفتحي في الشمال بالفضة
الغربية خور صبيه الذي تقع فيه جزيرة فيلكه . ويبلغ عرض مدخله ، بين
رأس العرض وفضة خور صبيه الغربية ، أربعة أميال ، وهو مفتوح إلى الجهة
الجنوبية الغربية .

وفي الشاطئ الجنوبي لخليج الكويت توجد ثلاثة أنحاديدها منها واحد في
أقصى الشرق بين رأس العرض ورأس العجوزة ، ضحل جداً بحيث أن دخول
المراكب إليه محظور . ويعرف القسم الشرقي منه ببندر الشعب ، والقسم الغربي
ببندر القار . وهذا الاسم ربما كان تحريفاً لبندر الغاز . والأخدود الوسط يسكن
رأس العجوزة ورأس عشيح ، يضم مدينة الكويت من الناحية الشرقية ، ويضم
جزيرة صدقية مقطعة بالرمال والوحول من الوسط تعرف بمسكان أو الجزيرة ،
وجزيرة قرين من طرف مسكان الجنوبي ، وجزيرة أم النمل الغربية من رأس عشيح ،
ويشكل الأخدود الذي في أقصى الغرب والمسماة دوحه كاطعة والواقع بين
رأس عشيح ورأس كاطعة ، القسم الداخلي للخليج كله . وتقع عند أقدام قرية
الجهراء .

إن الأرض المحيطة بالخليج راطة باستثناء الناحية الشمالية حيث يتراوح
ارتفاع تلال زور المحاذية للشاطئ بين ١٥٠ و ٤٠٠ قدم . وهناك رقعة موحلة
من الأرض تمتد إلى مسافة طويلة عبر الشاطئ من ناحية الخليج الشمالية ، مما يجعل
الاتصال بين البحر والبحر من تلك الناحية صعباً عندما تكون مياه البحر في

انخفاض . والمياه في معظم أنحاء الخليج ذات أعماق مناسبة لارساء السفن . ويبلغ عمق الماء عند رأس العرض ١٤ قاعاً ، ويقترأوح بين ست وعشر قامات عند رأس العجوزة ، وينخفض الى ست قامات عند مدخل دوحه كاطمة . وهناك ضفة صخرية يبلغ عمق الماء فيها قامتين فقط تدعى فشت الحديدية وتبعد ميلين ونصف الميل الى الشمال من المدينة . ويدعى مرسى السفن الكبيرة المعدد بالعوامات ، بندر طويته . ويقع هذا المرسى داخل فشت الحديدية ويبعد ميلاً ونصف الى الشمال من المدينة .

وعندما تهب الرياح الشمالية يرفع البحر ارتفاعاً ملحوظاً في القسم الجنوبي من الخليج ، ولكن هذا الارتفاع على كل حال لا يشكل خطراً على سفينة كبيرة .

وتوجد منسارة في رأس العرض تعمل اضواءها الكشافه طوال الليل . وهناك ضوءان ابيضان دائمان في رأس العجوزة وضوء أحمر على سطح القسم الأمامي من مبنى الوكالة البريطانية الذي ساهم كاتب هذا الكتاب في اكتماله سنة ١٩٣٥ .

مدينة الكويت

إن كلمة كويت هي فصغير للكلمة كوت ومعناها الحصن الصغير . وقد أطلق المستوطنون الأوائل من آل الصباح وآل خليفة هذا الاسم على "المعقل" الذي بنوه وسط الحيام التي نصبرها عند قدومهم الى المكان . وفي الكتب والسجلات الانكليزية القديمة يشار الى انكويت عموماً باسم " غراين " وهو مأخوذ بنون شك من جزيرة قبرين التي تبعد مائة قصيرة عن المدينة الى الغرب .

وتبعد مدينة الكويت عن البصرة ٨٠ ميلاً جنوباً وعدة أميال شرقاً ، وتبعد حوالي ٢٨٠ ميلاً عن البحرين . وهي تنحصر الى الشمال الغربي وتقع على الشاطئ الجنوبي لخليج الكويت ، في مكان هو ثلث الطريق بين مدخل الخليج

ثم في رأس العرض ونهايته في الجهراء .

وتتقد مدينة الكويت على الشاطئ ، حالياً ، مسافة ثلاثة أميال ونصف الميل تقريباً . وقد انتعت في السنوات القليلة الماضية اتساعاً ملحوظاً باتجاه رأس العجوزة حيث شيد أحد قصور سمو الشيخ . وهذا القصر شيدته المرحوم جابر بن مبارك الصباح واسماه قصر الدسمان . ويستخدمه الحاكم الحالي كمجلس وكدار للاستراحة .

ويبلغ العمق الأقصى للمدينة حوالي ميل وربيع إلى مكان بالقرب من وسطها حيث تمت الفساحية الطويلة المسماة مرقاب وامتدت من هناك باتجاه الجنوب الغربي .

والى غرب قصر الدسمان بقليل تقع الوكالة السياسية البريطانية الجديدة ومنزلان كبيران يملك أحدهما الحج أحمد كبير عائلة آل غانم ، والآخر يملكه الشيخ عبدالله الجابر الصباح مدير التعليم في الكويت وحفيد الشيخ عبدالله حاكم الكويت من سنة ١٨٦٦ الى سنة ١٨٩٣ .

وعلى بعد ربع ميل تقريباً من مبنى الوكالة غرباً ، تقع المساكن الخاصة بالمرضات ، ووراء هذه المساكن يقع المستشفى الجاهلي الفخيم المجهز بأحدث أدوات الجراحة وعبادات طب الأسنان والعيون وغرف الأشعة وجناح الأطفال وغيرها .

وعلى بعد ميل تقريباً من المستشفى الى الجنوب الغربي تقع الوكالة السياسية القديمة التي يشغلها حالياً الكاتب وعائلته .

وراء مبنى الوكالة القديمة وعلى بعد نصف ميل تقريباً ، يقع قصر سموه في المدينة ومبنى الجمارك الواسع الحديث ومحطة شرطة الجمارك . وهنا تبدأ مداخل البزار الرئيسي وشارع الأعمدة الحديث الذي تقع عند نهايته من الجنوب والى الغرب من حي المرقاب السوق المكشوفة المعروفة بالصفاة .

وعلى مسافة قصيرة من مبنى الجمارك الى جهة البحر يصل المرء الى مكاتب شركة غراي ومكنزي المحدودة التي تقع وراءها المدرسة التي افتتحت حديثاً

وتعرف باسم مدرسة الأحمدية .
وفي الطرف الغربي من المدينة تقع مستشفيات ومساكن الإرسالية الأميركية-
العربية .

ان موقع المدينة على العموم ذو سطح مستو رملي ولكن الناحية الجنوبية
الغربية منها تقع على أرض مرتفعة نوعاً فيها مسالك منحدره باتجاه الشاطئ .
اما شوارعها التي كانت في الأصل غير منتظمة وكثيرة المنعطقات ، تحولت الآن
(سنة ١٩٥٤) إلى شوارع حديثة عريضة مستقيمة .

والى جانب البزار الرئيسي وشارع الأعمدة ، فإن الشارع الأهم هو شارع
الدسمان الذي يسير من قصر الشيخ في المدينة ومبنى الجمارك فيشكل مع البحر
زاوية قائمة ، وهو يتجه من الصفاة الى الناحية الشمالية الشرقية من المدينة .

ان معظم المنازل في الكويت تنألف من طابق واحد ولكنها تبدو عالية
نظراً للجدران العالية المبنية كحواجز على مدار السطوح . وهذه المنازل عموماً
تبني حول باحة مركزية واسعة ، وأفضل هذه المنازل هو المبنى من الحجر المغلف
بالخشب وله أبواب على شكل قناطر . وتظهر هذه القناطر أيضاً في الطبقات
العليا . أما نظام الصيانة فهو بدائي . ولكنه بإشراف اللجنة الجديدة المكلفة
بتحسين المدينة وتطويرها فقد طرأت عليه تحسينات جلي .

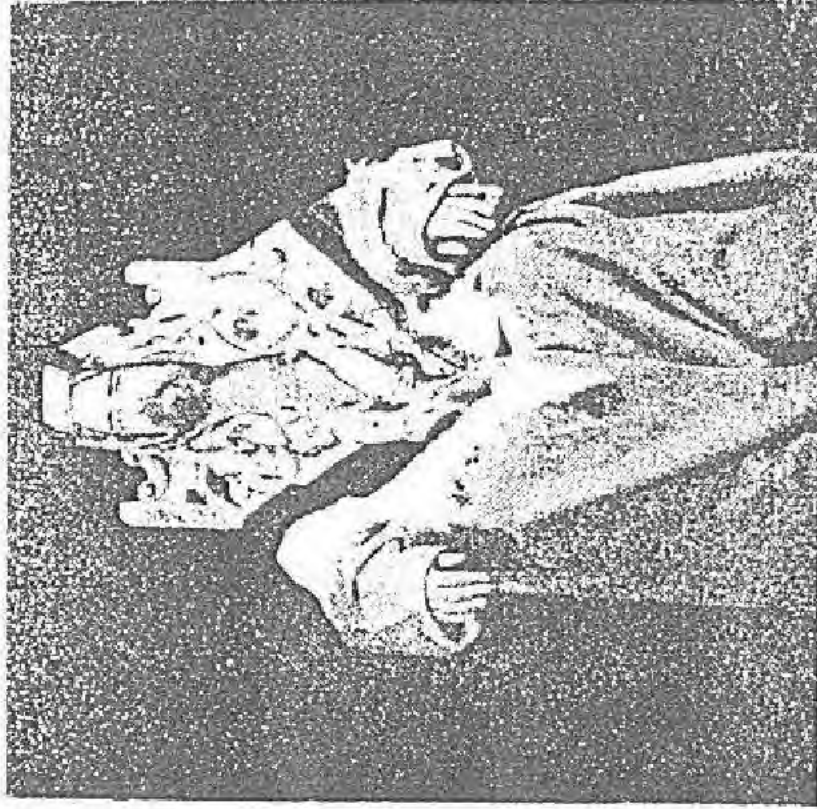
وفي المدينة أكثر من اربعين مسجداً منها تسعة جوامع يصلي فيها الناس
الجمعة ، وكلها بدون استثناء لها مآذن . ومن هذه المساجد : مسجد السوق وهو
المسجد الرئيسي ويقع في الجهة الغربية من البزار الرئيسي ، ومسجد العدساني
الذي يقع غرب مسجد السوق ، ومسجد هلال ومسجد فضاله في حي المرقاب ،
ومسجد النصف الذي يقع قليلاً الى شرق الوكالة القديمة ، ومسجد الشيخ الذي
يدعى مسجد آل خليفة وهو ذو مئذنة جميلة رائعة ويقع على البحر قرب القصر ،
ومسجد السيد ياسين ومسجد البدار ومسجد السامر في القسم الغربي من المدينة .
وهناك مسجد عائش هو مسجد الملا صالح الواقع على الطريق بين الصفاة
ودروازة الجهراء ، سيحول الى جامع قريباً .



صاحب السمو الشيخ عبدالله السالم الصباح
حاكم الكويت



الشيخ عبدالله الأحمد الصباح
الابن الأكبر لحاكم الكويت الراحل



صاحب السمو الشيخ صباح بن حمد آل خليفة
حاكم البحرين

كانت مدينة الكويت في الأصل مدينة مسورة . ويقال انه كانت لها سنة ١٨٧٤ سبع بوابات من جية البر . ولكن رقعة المدينة تزايدت أكثر من أربع مرات منذ ذلك الوقت ، وقيلون ثم الأشخاص الذين يعرفون معالم البوابات القديمة اليوم .

وظلت الكويت مدينة مكشوفة غير محصنة عدة سنوات . ولكنه في سنة ١٩٢٠ مباشرة بعد هزيمة الكويت في معركة حمض ، بنى المرحوم الشيخ سالم الصباح حاكم الكويت في ذلك الوقت سورا حول المدينة ليمنع هجمات الاخوان وهم فئة متعصبة من واسط الجزيرة العربية . ويبلغ طول هذا السور أكثر من أربعة أميال ، ويمتد من رأس العجوزة حوالي ميلين ونصف الى الجنوب الغربي ثم ينحدر ميلا من الغرب الى الجنوب ثم من الغرب شمالا الى البحر ، ويمتد ربع ميل تقريبا الى ما بعد الارمالية الاميركية .

واليوم توجد في المدينة أربع بوابات هي : دروزة دسمان ، ودروزة البريمي المسماة اليوم دروزة الشعب التي تقود الى حولي ودمنة التي تبدل اسمها سنة ١٩٥٣ الى سالمية ، ودروزة نايف على الطريق الرئيسية الى الرياض ، ودروزة الجهراء التي تقود الى الجهراء .

وبالإضافة الى هذه البوابات الأربع المحمية بالابراج ، توجد قلعة على بعد كل ٢٠٠ ياردة وعلى طول السور . وتنتصب خارج السور بين دروزة نايف ودروزة الجهراء خيام كثيرة للبدو . وهناك حركة خروج ودخول مستمرة للجبال والفوافل عبر دروزة نايف . وتعرف هذه المنطقة بمنطقة شامية .

والى جنوب المدينة خارج السور تماما يقع المطار الذي ينتظر ان تدخل عليه تحسينات كثيرة مع الوقت .

وعلى بعد حوالي ربع ميل الى الجنوب الغربي من دروزة الجهراء تقوم المقبرة المسيحية التي قدم أرضها للحكومة البريطانية عام ١٩١٣ المرحوم الشيخ مبارك الصباح جد الحاكم الحالي . وفي سنة ١٩٣٦ شيدت مقبرة جديدة مصونة داخل المدينة على حساب الحكومة البريطانية . وقد وهب الأرض الشيخ أحمد الجابر

النصباح الحاكم السابق وابن عم الحاكم الحالي .

ويظل الكلام عن مدينة الكويت ناقصاً إذا لم نذكر البناء الفخم الحديث قرب دروزة نايف والذي تشغله دائرة الأمن العام ، وكلية الصبيان التي كلفت مليون جنيه ، والكلية الصناعية ، ومستشفى الأمراض الصدرية ، وهذه المباني تقع على بعد ثلاثة أميال غربي المدينة . هذا فضلاً عن محطة الكرنيتينا الحديثة ، ومحطة البرق والهاتف ، وعشرات المدارس للبنين والبنات بإشراف الشيخ الشبيط عبدالله الجابر الصباح ومعاونيه السيد عبد العزيز حسين والسيد مقدادي وهو من أهالي بغداد . ويجب أن لا نغفل المستشفى العام الجديد الذي سيثيد قريباً بين كلية الصبيان ومستشفى الأمراض الصدرية ويتسع لسبعماية وخمسين سريراً . وكذلك مصنع تكرير المياه الذي اشترى اليه آنفياً ، ومحطة التوليد الجديدة في صفه .

جبهة البحر والملاحة

يبلغ طول الواجهة البحرية للمدينة ثلاثة أميال ونصف . وتكون أكثر انشغالاً في أواسط شهر آب . وقد كتبت الملاحظات الآتية في مثل هذه الفترة من سنة ١٩٤٤ :

لا تزال الكويت اليوم مكاناً من العالم القديم بالغ الأهمية لأي شخص يرغب في دراسة مختلف فنون الملاحة في الخليج الفارسي . وأكبر السفن هناك المسماة يوم ، ويملك تجار المدينة أكثر من ١٣٠ واحدة منها . وتقوم هذه السفن كل سنة برحلتين أو أكثر إلى الهند وفي بعض الأحيان إلى زنجبار ونهر رفيجي . ولم تقص بعد عدة شهور على رحلاتها التي قامت بها في السنة الماضية ، فهي تعد الآن للقيام برحلات جديدة طويلة .

وعلى طول السيف (الميناء) تجدد رابطة السفن على المصاطب (دثته) أمام جميع البيوت تقريباً . وفي هواء الصباح المنعش ، يتعاقدون مع البحارة ويدفعون لهم النقود .

والاشرعة التي اخرجت من مخابثها تبدو وكأنها وحوش بحرية وهي تتأرجح على الطريق محمولة على اكتاف خمسة عشر أو ستة عشر بحاراً . وقبل ان توضع هذه الاشرعة في امكنتها على ظهر السفينة ، تنشر لادخال اية تصليحات لازمة عليها .

ويظل السيف مكاناً مشغولاً كل يوم إلى أن تطلع هذه السفن الى البصرة في اوائل كانون الأول لتحمل التمور إلى الهند .

وهناك أنواع أصغر من الزوارق تدعى سمبوق وشوبع . وقد عمادت هذه الزوارق من الضفافة التي كانت تصطاد عليها اللؤلؤ ، باكرأ بسبب حلول شهر رمضان . وهي الآن تنف على الشاطئ او داخل ارضفة الميناء الصديقي المنخفضة ، على استعداد للعودة الى الصيد بعد العيد .

لم تبق زوارق كثيرة هذه السنة نظراً لصعوبة الحصول على الاخشاب اللازمة من الهند بسبب الحرب . ولكنه في الأحوال المعاصرة يشاهد المرء ستة زوارق على المشاغل كل صيف . وإلى غرب المدينة خارج السور تجد بريطانيين وعرباً يعملون في بناء زوارق غربية من خشب يستورد خصيصاً من أمريكا . ويشرف على هذا العمل اشهر بائي زوارق في الكويت وهو الحاج أحمد الأطرم .

الحاج أحمد وأولاده بارعون في بناء نماذج صغيرة من كل أنواع الزوارق الشراعية . وكثيرون من رجال الاسطول الملكي البريطاني وغيرهم من الزائرين حملوا معهم نماذج للبحل وباتل وديم وغيرها من زوارق صيد اللؤلؤ ، تذكراً لزيارتهم . ومنذ حوالي تسعة اعوام حمل اميرال بريطاني معه واحداً من هذه النماذج الكاملة واهداه الى متحف العلوم في سوث كسينغتون .

أما موسم زوارق اللعب للأطفال فيأتي فيما بعد عندما يكون الميناء خالياً من جواراً باستثناء بعض سفن الصيد القديمة . وفي هذا الوقت يجد الصغار أشياء كثيرة يتمتعون بها . وهناك موانئ آمنة تسمى النقرة وهي أماكن ملائمة للصغار لكي يتعلموا فنون الملاحة . فعندما يصبح الفتى قادراً على السباحة يعطى زورقاً صغيراً مصنوعاً من صفيحة بترول يسير فيه بالميناء أو يرفع عليه شراعاً

صغيراً عندما تهب نسمة خفيفة ، وفيما بعد يعطى « حوري » حقيقي .
والحوري عبارة عن زورق صغير مصنوع من جذع بحرف ويحمل على ظهر
زوارق اكبر . وهو خفيف وسهل التداول يستخدمه الرجال الذين يراقبون
الحشور (شباك من البردي تنصب للأسماك) ويندفعون للاستطلاع في الشباك
المنصوبة في المياه المنخفضة . اما الذين يصطادون السمك بالقرب من الشاطئ
يستخدمون زورقاً بدائياً يسمى « وايرجيه » وهو مصنوع من الجريد (ألياف
من سعف النخل) المشبك بعضه ببعض بالعسو وهو حبل مصنوع من ألياف
سعف النخل الأنف الذكر .

« والوايرجيه » حاد الطرفين ويمكن إبحاره بأي من الاتجاهين وله مجذافان
وشراع خفيف بعض الأحيان يعلق على عمود صغير يغرر طرفه السفلي في ثقب
في وسط الزورق . وعندما تصطاد الأسماك تُلقي في قعر الزورق حيث تعيش
في الماء الذي يشرب اليه إلى ان يعود الصياد إلى الشاطئ ، مائلاً ملته بها .

المناخ والسكان

يشبه مناخ الكويت مناخ الموانئ الأخرى على الخليج الفارسي ومناخ معظم
أنحاء العراق . ففي الشتاء شديد البرودة وخاصة عندما تهب الرياح الشمالية . وقد
وصلت درجة الحرارة في كانون الثاني سنة ١٩١١ إلى ٣٤ درجة فهرنهايت أي
حوالي ٤ درجات مئوية تحت الصفر . وفي الصيف يلطف نسيم البحر حرارة
الشمس وتبرد الصحراء بسرعة في الليل . اما معدل درجات الحرارة القصوى
والدنيا فـ ١١٤ درجة فهرنهايت و ٣٥ درجة فهرنهايت أي ٤٤ درجة مئوية
ودرجتان مئويتان ، بينما لا يزيد معدل تساقط الأمطار عن خمس بوصات .

وكان عدد سكان مدينة الكويت سنة ١٩٥٣ ما يزيد عن ١٦٠ ألف نسمة .
وقد ارتفع هذا العدد في نهاية ١٩٥٣ إلى ٢٥٠ ألف نسمة بسبب تدفق الأيدي
العاملة الأجنبية . والأغلبية العظمى من السكان الدائمين من العرب من قبائل
عتوب ، وعوازم ، ورشايدة ، ربنى خالد ، ودوبسر ، وعجمان ، وعنيزة ،

① زورق
② مشبك

وظاسفر . الى بجانب الحسوية ، اي من عرب الاحساء والبحارنة من البحرين .
 اما الجالية الإيرانية التي تزيد عددها بصورة مذهلة في السنوات القليلة الماضية ،
 فيبلغ عدد أفرادها حوالي ٣٠ الف نسمة . ومن هؤلاء عدد قليل من التجار أما
 الغالبية العظمى فهي من العمال . وبإستثناء الإيرانيين والبحارنة وبعض الحسوية
 الذين هم من الشيعة ، فإن مسلمي الكويت كلهم تقريباً من السنة . ويخرج من سكان
 الكويت الى مكة سنوياً حوالي ٦٠٠ حاج فقط يسافرون الى الأماكن المقدسة
 بطريق البر عادة .

أما العائلات الرئيسية في الكويت بحسب عدد الذكور فيها فهي كما يلي :

| العائلة | عدد الرجال تقريباً |
|--|--------------------|
| قناعات | ٢٥٠٠ |
| آل خالد | ٢٠٠ |
| آل زايد (آل غانم) | ١٥٠ |
| آل سيف (بما فيهم ابن رومي وآل شملان) | ١٥٠ |
| آل بدر | ٥٠ |
| آل جليل | ٥٠ |
| آل صالح | ٥٠ |
| آل صقر | ٣٠ |

وقد اعطاني التفاصيل المدونة اعلاه عبد اللطيف رئيس عائلة آل جليل
 والشيخ عبدالله الجابر .

وتشتق كلمة زايد من زيادة ومعناها الكثرة للدلالة على ان اعداد العائلة
 كانوا يملكون اعداداً من الاغنام والجمال أكثر من غيرهم من العرب . ويرجع
 أصل جميع العائلات التي تشكل جماعة آل زايد في الكويت الى غنيمة . وكما
 ذكرنا سابقاً فقد قدموا الى الكويت من قطر مع آل الصباح وآل خليفة منذ
 قرنين ونصف من الزمان .

ويعرف آل زايد اليوم بآل غانم ومنهم الأشخاص التالية اسماؤهم :

شاهين بن محمد الغانم .

أحمد بن محمد الغانم (رئيس العائلة اليوم) .

ابراهيم بن محمد الغانم .

خليفة بن شاهين الغانم .

محمد الشنيان الغانم .

يوسف بن ابراهيم الغانم .

ابراهيم بن محمد الجبار الغانم .

عبد الوهاب بن خليفة الشاهين الغانم .

ويتصل بهم بصلات قرى كل من :

خالد الغانم الزايد .

عبد الوهاب بن عيسى قطامي الزايد .

عبد الوهاب بن عبد العزيز الزايد .

وكان حاكم الكويت السابق المرحوم الشيخ أحمد الجابر الصباح متزوجاً من

حسنة^(١) ابنة ابراهيم بن محمد الجبار الغانم وله منها عدة أولاد أشهرهم : عبدالله

الأحمد الجابر الصباح ، ومحمد الأحمد الجابر الصباح ، ومنيره وهي اليوم زوجة

الشيخ عبدالله الجابر الصباح .

(١) حسنة

الامكانيات العسكرية

يحتفظ حاكم الكويت بحرس خاص قوامه خمسون رجلاً وبقوة نظامية يدير

عددتها على الألف . وقد قام بتدريب هذه القوة ضباط بريطانيون وفلسطينيون

ومهمة هذه القوة المجهزة ببنادق من عيار ٣٠٣ . حماية شخص الحاكم وحراسة

المدينة وحماية منشآت شركة النفط في الاحمدي . هذا بالإضافة الى ١٨٠ حارساً

تحتفظ بهم شركة النفط الانكلو - اميركية .

وفي حالة الحرب يمكن تجنيد حوالي ٢٠٠٠ رجل آخر والحاقهم بالقوة

النظامية . ويستطيع الشيخ ان يجمع هذا العدد من الرجال من قبائل البدو الخاصة لنفوذ . ويمكن أيضاً تجنيد ٣٠٠٠ رجل من السكان المستوطنين . ففي أيام معركة جبهة في تشرين الأول سنة ١٩٣٠ دفع جميع رجال مدينة الكويت القادرين جدياً الى الخدمة العسكرية . ولعدة اسابيع بعد المعركة كان على كل فاجر في المدينة ان يقدم عدداً معيناً من الرجال لحماية سور المدينة في الليل .

وفي حالة طوارئ يملك الشيخ عناداً حربياً يتألف من ٤٥٠٠ مدس موزر وبندقية بريطانية مع وافر من الذخيرة . وفي سنة ١٩٣٣ اضاف الشيخ أحمد الجابر الى قواته المسلحة عشر سيارات مصفحة حديثة مثبتة في كل منها بندقية حديثة جيدة . وعزز الدفاع سنة ١٩٥٣ باضافة ١٤ دبابة خفيفة ، وبإضافة اربع طائرات اوستر خفيفة في كانون الثاني سنة ١٩٥٤ .

ويملك الشيخ عبدالله انسالماً أيضاً ١٢ شاحنة شيفروليه صغيرة كل واحدة منها بمجهزة ببندقية من طراز ه لويس ، مثبتة على ركيزة مثلثة القوائم ، وشاحنة شيفروليه كبيرة على ظهرها مدفع رشاش من طراز « فيكترز » مثبت بالطريقة ذاتها . واذا دعت الحاجة لنقل قوات بسرعة الى أية نقطة مهددة ، فإنه يستطيع بإشارة ان يحصل على ٢٠٠ شاحنة مختلفة الاحجام من المدينة .

المواصلات

ان السير في الكويت ليس سهلاً مع ان سطح الارض خال من العوائق الطبيعية . وعندما يخرج المرء من المدينة بأي اتجاه فإنه لن يجد ولو كمية قليلة من المؤن ، وعليه ان يحمل معه زاده من الماء والطعام (باستثناء خمس قري رئيسية هي : الجهراء وفنطاس وأبو خليفه وفحيحيل وشعيبة) . وبالنسبة لعلف الحيوانات فإن الأمر سهل وبإمكان المواشي من كل نوع ان تجد لنفسها ما تتغذى به . اما الماء فهو نادر في كل مكان وخاصة الى الشمال والشمال الغربي من الجهراء . واختيار الطريق ووجهة السير يقررها موقع الآبار وحالتها .

وبدخول السيارات الى البلاد خططت طريق ممتدة بين الكويت والرياض
تسلك الاتجاه التالي : الكويت ، متقش ، خبيرة ، الدويش ، الجانب الغربي
من الشق ، جارية (أو قاربه) ، عليا ، تربي ، كنهرا (الجانب الشرقي من
رمال دهانة مقابل رماح) ، رماح ، ممر بويب ، بيمان ، الرياض . وقرب كنهرا
وفي وسط رمال دهانة تلتقي هذه الطريق بطريق الهفوف عاصمة الاحساء
المقاطعة الشرقية من المملكة العربية السعودية .

الغربي
الدهناء

وبالنسبة للعمليات العسكرية ، فان جميع البلاد صالحة لسير الشاحنات
السريعة وسيارات التجول ، باستثناء منطقة الكبد الرملية الواقعة جنوب غربي
مدينة الكويت . ويتم إنشاء خمس طرق رئيسية معبدة بالإسفلت بموجب
خطط التنمية الجديدة . هذه الطرق هي : الكويت - صفوان ، الجبراء -
رقيع ، الكويت - متقش ، الكويت - قرى القصور (وهذه طريق بحاذة
الشاطئ) ، الكويت - أرق على الحدود الجنوبية للمنطقة المحاذية .

الشرقي

النباتات والحيوانات

النباتات في الكويت نادرة الوجود وفي الشتاء يختفي أثرها ، والأشجار
الوحيدة الموجودة هي النخيل والسدرة (أو البير) والأثل وحتى هذه لا يجدها
الماء إلا في جوار القرى .
والأعشاب الموجودة خاصة في المناطق الشمالية والشرقية والجنوبية والتي
تتغذى عليها الجمال فهي : العرفج وهو عشب ذو طعم مائل الى الملوحة يعرف
عموماً باسم حمض ، والعوسج وهو نبات شوكي ذو أوراق صغيرة وثمار حمراء
تشبه الثوت .

ويكثر الحنظل ، وهو من فصيلة الحمض ، في الصحراء الغربية . وتنمو
أعشاب تعرف محلياً باسم غام وثندا جنوب خليج الكويت وفوق مساحة واسعة
جنوب المدينة رأساً . وينمو العشب المسمى نسي بكثرة الى غرب الشق .
ويأخذ البدو جمالهم كل عشرة أيام أو خمسة عشر يوماً الى الأماكن التي يكثر

الشمسي

فيها الحمض لترعى مدة اسبوع تقريبا. ويقول البدو ان الملوحة في هذه الأعشاب مفيدة للجمال وتحفظها بضعة جيدة .

وفيما يلي قائمة بأسماء أنواع الحمض المختلفة في شرقي الجزيرة العربية : (٤) عقروم ، ضميران ، جغراف ، عادة ، حدتش (حنظل) ، هرم ، رمض ، شران ، شينان ، سويد .

الجمال لا تاكل الحنظل ولكن الأغنام تحبه وتسمن عليه . ومن الغريب انه يؤثر على الأغنام بحيث انها لا تحتاج الماء حتى في اشد الأيام قيظا . ويعرف الرعاة هذه الحقيقة ولذلك يسوقون اغنامهم الى حيث يوجد هذا العشب عندما يتأخر هطول الأمطار او عندما يتعذر عليهم إيجاد الماء .

وتجدر الإشارة هنا الى ان آل مرة وهم قبيلة ارمستراطية في جنوب المملكة السعودية يستخدمون كلمة تهاج لوصف الأماكن التي تنمو فيها عدة أنواع من الحمض مع بعضها .

ونتركز الزراعة في الكويت في جوار جهرة ومنطرق إلى ذلك عندما نتحدث عن جهرة في الفصل القادم .

الطيور نادرة في الكويت إلا في مواسم الهجرة . ففي الشتاء تكثر الحبارى والقطا . وفي اوائل الخريف وأواخر الربيع بالامكان ان تصبح الكويت مركزاً ملائماً لدراسة هجرة الطيور التي تنتقل من المناطق الاستوائية الى روسيا وشمال آسيا الصغرى . ويبدو ان الكويت تقع على خط هجرة هذه الطيور . ومن الحيوانات البرية في الكويت الأرنب والذئب وثلاثة أنواع من الغزال هي : العدمي والعفري والريم .

فالعدمي ، بخلاف العفري ، ليست له بقع بيضاء تحت العين . ولون رأسه بني ميسال الى الحمرة وجسده بني فاتح . وله ، كالعفري ، بقعة سوداء تعرف بالحرقة فوق الأنف . والعفري هو اصغر الغزلان واكثرها انتشاراً في شمال شرق الجزيرة العربية . ويمكن تمييزه بالبقعة السوداء فوق الأنف وبالحواشي البيضاء على الوجنتين من العين نزولاً . وله ايضاً شمائل من الشعر الأسود تحت

الركبتين الأماميتين .

ويمكن تمييز الریم بالخط الأبيض على جانبي الخط البني في الوسط . ويشبه بذلك العفري . ولكن الخط الأبيض في الریم أعرض منه في العفري بمرتين ويمتد الى ما وراء العين . وحولالي العين وتحتها توجد عدة علامات سوداء وبنية قاتمة . وللریم ، كالعفري والمدمي ، بقعة سوداء في وسط الرأس فوق الأنف . ولون جسده بني فاتح جداً ويبدو عن بعد كأنه أبيض .

ويذكر بعض المطلعين وجود الفهد في الجزيرة العربية ولكن واحداً منها قتل صدفة في ١٥ آذار سنة ١٩٥٠ على بعد ٧٠ ميلاً غربي بدة وهي محطة لضخ البترول تابعة لخط التابلاين الممتد من أبيق الى البحر المتوسط . حدث ذلك عندما كان ثوني فالنتاين وهو مهندس يعمل مع التابلاين متوجهاً الى عمله في سيارته الفورد فهجم الفهد على السيارة فقتلته .

ولقد تسنى لي رؤية جلد ذلك الفهد ويبلغ طوله ستة أقدام وأربع بوصات وكان في حالة سليمة . وهو أبيض اللون وفيه بقع سوداء في كل مكان باستثناء أسفل البطن . أما أقدامه ومخالبه فهي أقرب الى أقدام كلب كبير منها الى أقدام ومخالب القط أو السنور ، وله سالفان بارزان . وقد أكد متحف التاريخ الطبيعي في بريطانيا عندما أرسلت لهم الصورة والأوصاف ان الحيوان هو فهد . وتوجد كثير من الأفاعي في منطقة الكويت الساحلية الجنوبية . ولكن معظم هذه الأفاعي غير سامة .

وقد وصف لي صديقي صالح المري مرافق الشيخ عبدالله المبارك الصباح مدير الأمن العام وقائد قوات الكويت المسلحة ، يوم ٨ ايار سنة ١٩٤٨ ، الأفعى الرهيبة المسماة حام وهي كوبرا سوداء يعرفها أهل الأحساء باسم عبي . وقال ان طولها يبلغ خمسة أقدام وتزحف ببطء وهي سامة جداً وعندما يقتلها البدر يطلقون عليها النار من بعيد . وقال صالح ان تلك الأفعى تسير غالباً في الليل وتحدث صوتاً كصوت جدي صغير . وإذا اقترب منها أحد تهاجمه . وحدثني صالح ايضاً انه شاهد أثر سير هذه الأفعى قرب أم قصر .

أما النوع المنتشر من الأفاعي فهو الحنش . وهنالك عدة أنواع أخرى تعرف
جميعها باسم داب .

وبسبب الجراد الكويت كل سنة تقريبا بأسراب مختلفة الحجم حسب كمية
هطول الأمطار . فكلما كان هطول الأمطار شديداً في الشتاء كانت الجراد
كثيرة في الربيع . وكما كتبت في أيار سنة ١٩٥٤ : انهم معنا وزيارتهم غير
منتجة .

إن أعظم ما كتب في وصف غزو الجراد هو ما ورد في الإصحاح الأول
والثاني من سفر يوشيا في التوراة وبه أنه الفصل الأول من هذا الكتاب :
أمة قوية غزت أرضي . لا عد لها ولا حصص . انسابها كآنياب الأسد .
تركت كرومي خراباً وترعت قشور شجرة التين في بستانني ، طرحتها جانباً
عارية أغصانها بيضاء كصفرة الموت . أثقلت الحقل وتركته حزيناً يسكن القمح
الذي ضاع . لقد جف الحمر الجديد وفسد الزيت . . . كيف ترمي الوحوش ، هكذا
تفعل كقطعان لأنها فقدت المرعى . . والأغنام بائسة محرومة .

يوم مظلم قاتم . . يوم غائم شديد الظلمة . . وعندما طلع الصباح على الجبال :
شعب عظيم قوي كالنار يلتهم كل شيء وراءه يباس ولن يفوقه شيء . . مظهرهم
كمظهر الحبل وكخيالة يسرون . . يقفزون كأصوات العربات المنحدرة من قمم
الجبال . . يترافضون كالجسارة . . يتسلقون الجدران كرجال الخروب . .
يسرون كل واحد منهم في طريقه ولا يترقبون صفوفهم . . سيصولون ويحسولون
في المدينة . . يتسلقون الجدران والمنازل . . يدخلون من النوافذ كالقصوص . .
ستزلزل الأرض أمامهم وترطم السماء . . الشمس والقمر يحتجبان وأشعة النجوم
ستنهزم .

الفصل الثاني

المناطق والقُرى حول الكويت وشرق الجزيرة العربية

العدان

① العدان منطقة محاطة بمنطقة القرعة من الشمال والكبد من الغرب والفصل من الجنوب . وتبدأ من نقطة تبعد ١٦ ميلاً إلى الجنوب من مدينة الكويت وراء ملح الواقعة في منطقة القرعة مباشرة . وتمتد منطقة العدان ٣٥ ميلاً جنوباً نحو تلة قرين التي تشكل حدودها وحدود مقاطعة الكويت ، مع منطقة الفصل .
وتقع على زاويتي عدان الشمالية الغربية والجنوبية الغربية تلة المعبدنيات وآبار صبيحية على التوالي . ويظهر ان عرض المنطقة من البحر إلى الداخل يتراوح بين عشرة أميال وعشرين ميلاً . ومقابل البحر تمتد عدان إلى الشمال أكثر من مذوى وتضم القرى التالية : فناطيس ، قنطاس ، أبو حليفة ، فحيجيل ، وشعيبة . وهذه القرى مجتمعة تعرف باسم الفصور . وإلى الجهة الشرقية من عدان توجد سلسلة مرتفعة تشرف على البحر اسمها ظهر العدان حيث تقع مدينة النفط الجديدة الأحمدية . وهناك توجد الحزازات التي يضخ إليها النفط من آبار مذوى وبرقان قبل ان ينحدر ، يفعل الجاذبية ، في الأنابيب إلى ميناء الأحمدية .
وفي عدان توجد الانقاض الوحيدة ذات القيمة الأثرية في الكويت . وهذه الآثار عبارة عن نواويس وجدت في تلة تعرف بأم خزنه وتبعد ستة أميال إلى

الشرق من ثلة وارا .

والقبور الموجودة هناك تنحى من الشرق الى الغرب ولذلك فهي ليست قبوراً اسلامية قطعاً . وتشغل هذه القبور مساحة مرتفعة من الأرض تقدر بحوالي ١٠٠ قدم مربعة . والنواويس مصنوعة من الجص وطول الواحد منها خمسة أقدام وعرضه قدم واحد وثلاثي بوصات ويبلغ عمقه قدمين وسنائة جوانبه حراي أربع بوصات . وقد دفنت هذه النواويس في الأرض على عمق أربعة أقدام ووضعت فوقها أعداد كبيرة من الحجارة المختلفة الاشكال يبلغ حجم الواحد منها قدمين مكعبين . ولا توجد أية نقوش على هذه النواويس ولكنه عثر على قطعة نقود ثمانية قرب المكان يبدو انها فارسية مكوكة في بغداد ويعود تاريخها الى القرن السابع عشر أو الثامن عشر بعد الميلاد .

ويمكن معرفة مدى وطبيعة منطقة عدان من معرفة القرى والآبار والمعالم الطبيعية التالية :

أبو حليفا : وهي قرية ساحلية تقع على بعد ١٨ ميلاً جنوب الجنوب الغربي لمدينة الكويت . وتتألف من ١٦٠ بيتاً ويسكنها عرب من أصول متفرقة . وفي القرية حوالي ألف شجرة نخيل مثمرة وثلاثين بئراً فيها مياه صالحة منها سبع آبار تستخدم للري . ويزرع فيها الشعير والبطيخ وبعض الخضار . ويظهر فيها عدد من أشجار السدر . وهي قرية من قرى القبور يؤمها أهل المدينة في فصول معينة من السنة . ويسيطر عليها مدينة الكويت قريباً طريق مرفق حديث . وفي ٢١ أيار سنة ١٩٣٧ اكتشف البعد لآبار الذي كانت تعمل لشركة نفط الكويت ، فوجدوا لرأس مهم من العوان طوله بوصة ونصف ، في مكان يبعد ثلاثة أميال الى الجنوب الغربي من قرية أبو حليفا .

عريفجان : وهي آبار ذات مياه جيدة تبعد خمسة أميال الى الغرب من قلعة العابد على الشاطئ .

عرفجيه : وهي آبار ذات مياه مالحة الطعم يبلغ عمقها اثني عشر قدماً وتبعد ثمانية أميال الى الشمال الشرقي من صبيحية .

برقان : وهي سلسلة تلال ارتفاعها مئة قدم وتضم فجوة تحتوي على ترسيات القار . وتبعد هذه التلال عن مدينة الكويت ٢٨ ميلاً الى الجنوب وتبعد ١٣ ميلاً عن الساحل . وتقع تلال برقان وسط حقول النفط الرئيسية التابعة لشركة نفط الكويت . والتقيب عن النفط هناك مستمر لذلك قامت عدد الآبار يختلف من فترة لفترة . وفي الوقت الذي كتب فيه هذا الكتاب كانت هناك ١٥٦ بئراً بما في ذلك آبار مقوى ، وكانت هناك ثلاث أخرى يجري العمل بها . وفي سنة ١٩٣٥ اكتشف الكاتب في تلال برقان عدة أدوات صوانية من نوع رأس السهم وأدوات الحفر . وقد أرسلت هذه الأدوات الى متحف لندن حيث حكم عليها الخبراء بأنها من العصر الحجري المتأخر .

دشت : وهي عبارة عن سهل رملي مجذوب ومستنقع يمتد جنوباً عدة أميال على طول الشاطئ من قلعة العابد وتصل الى بعد ثلاثة أميال في الداخل . وهنا وهناك في دشت توجد مجموعات من الطرقة وهي شجيرات صغيرة لها أزهار وردية اللون . وعلى بعد خمسة أميال من قلعة العابد وثلاثة أرباع الميل من الشاطئ يوجد كتيب من الرمل الأبيض يعرف باسم بنية الدشت .

دسمه : وهي آبار مياهها مالحة تقع على بعد تسعة أميال الى الغرب من شعيبه .

فحيحيل : وهي إحدى قرى القصور على البحر . وتبعد ٢٤ ميلاً ونصف الميل الى جنوب الجنوب الشرقي عن مدينة الكويت . وتضم فحيحيل اربعمائة بيت وفيها ٢٠ بئراً من المياه الصالحة على عمق ١٨ قدماً . وفي القرية حوالي ٢٠٠ شجرة نخيل . ويزرع فيها بعض القمح والشعير والبطيخ الذي يورق من الآبار . ويملك سكان القرية الذين ينتمون الى قبائل عربية متعددة عدة قطعان من النعم والماعز . وقد بدأت القرية تزدهر لأن أهلها الى المدينة يقصدونها للاستحمام في فصول معينة من السنة ولأنها قريبة من ميناء الأحدي .

فتطاس : وهي قرية أخرى من قرى القصور على البحر وتبعد ١٦ ميلاً الى جنوب الجنوب الشرقي من مدينة الكويت . وفيها ١٧٠ بيتاً سكانها من العرب

الذين ينتمون الى قبائل مختلفة كما في الكويت وفحيحيل . وفي القرية حوالي ٣٠ بئراً بعضها ذو مياه مالحة وبعضها الآخر ذو مياه عذبة على عمق ٢٠ قدماً . ويبلغ اتساع فوهة البئر ٢٠ قدماً من كل جانب مما يجعل من الممكن ان تعمل لسحب الماء منها ثلاث فرق من الحير في وقت واحد .

والزراعة في قنطاس اغنى منها في جهره مع ان الارض المزروعة في قنطاس اقل مساحة . ويزرع أهالي القرية الشعير والعدس والبطيخ والفجل والبصل . وتوجد فيها ٦٠ شجرة نخيل وبعض أشجار السدر والعشور ، ويُنْتَظَر ان تزدهر هذه القرية ايضاً عند اكتمال الطريق المرفق الذي يصل القصور بمدينة الكويت . فشاطيس : وهي قرية أخرى من قرى القصور على البحر وتبعد ثمانية أميال الى الجنوب من رأس المعرض . وفيها ست أو سبع آبار على عمق ١٢ قدماً .

حنيظل : وهي مجموعة آبار على الشاطئ تبعد ميلين إلى الشمال عن قنطاس . وعدد هذه الآبار كبير ولكن اثنتين منها فقط تحتوي على الماء على عمق ١٨ قدماً .

جعيديان : وهي أرض منخفضة طولها ميل وعرضها ميل وتبعد ميلاً واحداً عن بركان الى الشمال ، تملكها قبيلة العوازم . فيها عدة آبار ماء حولها بعض اشجار النخيل والسدر . وقد عثرت شركة نفط العراق اول ما عثرت على النفط بالقرب من شجرة سدر منفردة بجوار آبار جعيديان . وكان ذلك سنة ١٩٣٧ بعد محاولات بائسة للعشور على النفط في بحراً شمال خليج الكويت .

لقيط : وهي آبار مياهها جيدة لكنها قليلة الملوحة ، عمقها ٢٠ قدماً وتقع على بعد ٢٥ ميلاً الى جنوب شرق مدينة الكويت على الطريق بين بركان وقرين . منيفة : وهي تسع آبار مياهها صالحة للشرب عمقها ٢١ قدماً . وتقع هذه الآبار على الساحل بين قنطاس وحنيظل .

مزارع : وهي أرض مزروعة تمتد بضعة أميال وفيها آبار قليلة العمق ، وتقع على بعد ثلاثة أميال إلى شمال غرب لقيط .

ميناء الأحمدي : وهو المرفأ الكبير الذي تستخدمه شركة نفط الكويت

لتصدير النفط الخام . وهناك تقوم مدينة حديثة واسعة ومذهبة النشاط . ان
أرصفت النقل والتجهيزات الموجودة في ميناء الأحمدى تعتبر أحسن وأحدث ما
في العالم . وتقوم هناك أيضاً منارة عظيمة يبلغ مداها ٢٠ ميلاً . ويستطيع
الميناء ان يتسع لتحميل ١٤ ناقلة في وقت واحد ، كما ان هنالك ثلاثة أنابيب
غواصة الى الشمال من الرصيف الرئيسي . ويصدر الميناء حالياً ٨٠٠ ألف برميل
يومياً وينتظر أن يصل هذا الرقم إلى المليون قريباً . ان ميناء الأحمدى يتزايد
في الحجم والأهمية كل شهر فيما تستمر التنمية الحثيثة .

مشاش حبيشان : وهي آبار خمس فيها مياه جارية على عمق ١٨ قدماً وتقع
غرب المزارع مباشرة .

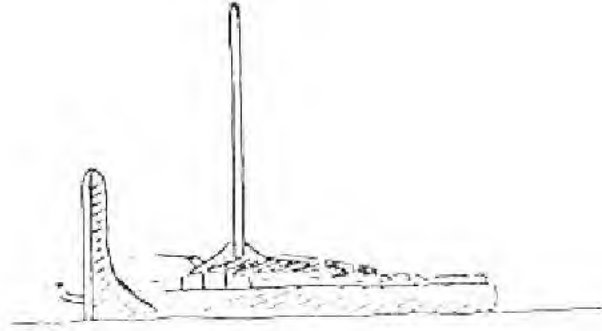
معينيات : وهي مجموعة من ثلاث تلال واضحة تحتوي على الكبريت الذي
تدوح منه رائحة قوية . وهناك مركز الحقل الجديد للنفط الذي تملكه شركة
نفط الكويت . وتقع معينيات على بعد أربعة أميال إلى الغرب من مقوى في
منطقة قرعة .

قلعة العبيد : وهي مرتفع صخري عال منبسط السطح على الساحل يحتضن
خليجاً صغيراً يتخذ صيادو اللؤلؤ ملجأ لهم في الطقس العاصف . يقع هذا
المرتفع على بعد خمسة أميال إلى الغرب من رأس القليعة وعلى بعد عشرة أميال
إلى الجنوب الشرقي من شعيبه . وليس في هذا المكان ماء . ويقال ان جماعة من
العبيد الفارين استولت عليه ودافعت عنه منذ سنوات خلت .

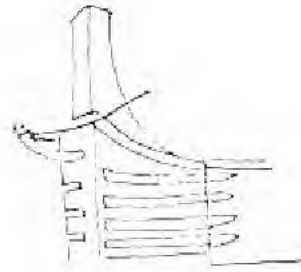
رأس القليعة : وهو رأس بارز داخل في البحر ليس فيه ماء ويقع على بعد
١٥ ميلاً إلى الجنوب الشرقي من شعيبه .

صفوي : وهي عبارة عن مئة بشر منتشرة بجوار لقيط من الجهة الشمالية -
الشرقية . وهذه الآبار فيها مياه صالحة على عمق ١٨ قدماً ولكنه ليست حارفا
زراعة .

شعيبه : وهي آخر قرية ساحلية الى أقصى الجنوب في منطقة عدان وهي
ايضاً من قرى القصور . وتقع هذه القرية على بعد ٢٧ ميلاً الى جنوب الجنوب الغربي من



بدن من مسقط



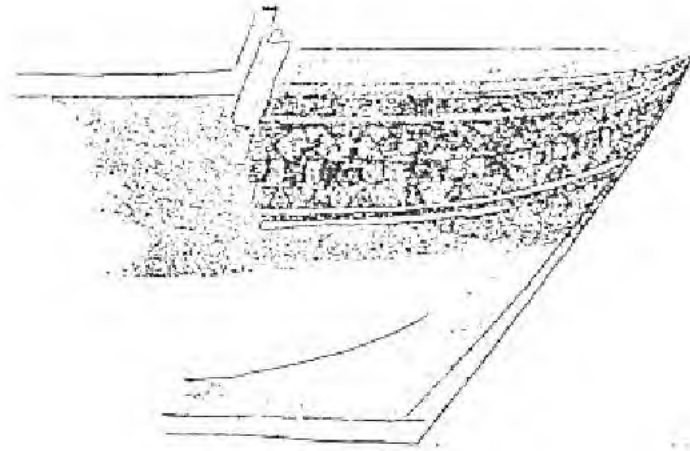
مؤخرة البدن



بقرة من الساحل الجنوبي



زورق من جيزان ، اليمن



مؤخرة الزورق المزخرفة

مدينة الكوييت وفيها ١٠٠ منزل يسكنها اصحابها بصورة دائمة ، وعدد من المنازل الصغيرة تدعى « حوت » تسكن من وقت الى آخر ، وفيها أيضاً انقاض قلعة كانت في يوم من الأيام المضيف المفضل لدى الشيخ جابر ابن مبارك الصباح . وفي القرية عشر آبار تحتوي على مياه صالحة للشرب على عمق ١٥ قدماً ، وهناك أيضاً حوالي ١٥٠ شجرة نخيل وبعض اشجار السدر وقليل من زراعة الشعير والخطار . ويملك سكان القرية مراكباً او مركبين . ان قرية شعبية آخذة في التوسع والازدهار وهي تقع مباشرة الى جنوب المدينة الحديثة على ميناء الأحدي .

طويل : وهي مجموعة من اثني عشرة بئراً مياهها عذبة وعمقها حوالي ٤٠ قدماً وتقع على بعد ستة اميال الى الغرب من وعرا .

أم الهبان : وهي غافي آبار عمقها ١٨ قدماً وفيها مياه صالحة للشرب . تبعد أم الهبان ثلاثة اميال الى الجنوب من شعبية وتقع بجانب ميناء عبدالله وهو المحطة التي تستخدمها لشحن النفط شركة النفط الأميركية المستقلة .

أم قصبه : وهي مجموعة آبار صغيرة مياهها مالحة تقع بالقرب من الساحل على بعد خمسة اميال الى الجنوب من شعبية .

أم صفق : وهي آبار ذات ميناء صالحة على عمق ١٨ قدماً . تقع على بعد ميلين من لقيط الى الشمال الشرقي . ويشتهر هذا المكان بزراعة البطيخ .

عقيله : وهي آبار قرب الساحل تبعد عدة اميال عن شعبية جنوباً وتسمى ايضاً ام العومج نظراً لكثرة ما ينبت حولها من العومج .

وعرا : وهي قبة عالية من الحجر الأسود . يبلغ ارتفاعها ٢٠٠ قدم تشبه برجاً مخروطي الشكل . وتقع وعرا على بعد سبعة اميال الى الشمال الغربي من برفان .

البحرين

البحرين اسم يطلق على مجموعة الجزر الواقعة في الخليج بين ساحل الاحساء

في المملكة العربية السعودية من جهة الغرب ، وبين شبه جزيرة قطر من جهة الشرق . وأكبر هذه الجزر الجزيرة التي كانت تدعى سابقاً آقال ^⑤ والمساء اليوم البحرين . ويبلغ طول هذه الجزيرة ٢٧ ميلاً وعرضها عشرة أميال وفيها العاصمة مملكة التي تمتد ثلاثة أميال على طول شاطئ الجزيرة الشمالي . ومعظم سكّان الجزيرة ، عرب وإيرانيون ، هم من الشيعة . والصناعة الرئيسية فيها صيد اللؤلؤ وقد اكتشف النفط هناك سنة ١٩٣٢ .

والبحرين مقاطعة مستقلة تحكمها عائلته آل خليفة ، وترتبط مع بريطانيا بمعاهدات وثيقة . وتعمل الحكومة البريطانية في البحرين بوكيل سياسي يعمل تحت إشراف المقيم السياسي في الخليج الفارسي الذي كان يتخذ مقره الدائم في بوشير ^⑥ على الشاطئ الشرقي في الخليج ولكنه اليوم في البحرين التي تعتبر محطة البحرية الرئيسية للأسطول الملكي البريطاني في الخليج الفارسي . وتتخذ شركة الخطوط الجوية البريطانية عبر البحار من البحرين محطة رئيسية للتعويض لأنها تقع في طريق خطها المباشر إلى الهند وأستراليا والشرق الأقصى . ويقع المطار في جزيرة محرق الواقعة شرق مملكة مباشرة وتتصل بها بطريق مرتفع .

وفي سهل صحراوي في القسم الشمالي من الجزيرة الرئيسية توجد مرتفعات فيها آلاف من القبور قديمة العهد ولا يعرف أصلها بالضبط ولكنها تعتبر أكبر مقبرة في العالم . وربما كانت هنالك قبور أخرى . ويعتقد أن قبر فوسر كورنوال أنها تعود إلى الألف الثاني قبل المسيح ، وأن ديلمون القديمة ذات الكتابة المسبارية لم تكن في الواقع إلا البحرين اليوم .

الباطن

الباطن هو القسم الأخير المنخفض من وادي رماح ^⑦ العظيم الذي تقع الأجزاء الوسطى وأعلى منه في المملكة العربية السعودية . وتقول بعض المراجع أن الاسم أطلق على الوادي كـ من قسيم ^⑧ نزولا . ولكن الناس درجوا على تسميته القسم الواقع في حزام دهانه ^⑨ الرمي باسم وادي المستوي ، وسوا القسم الأسفل

① أول
② بوشير
③ الزم
④ القم
⑤ المساء

الباطن .

ويشكل القول ، إذن ، أنه يبدأ من على مسافة ٧٠ ميلاً جنوب غربي حفر الباطن ، ويستمر من ربيع ^(١) في نفس الاتجاه نحو مئة وثلاثة أميال إلى سلسلة مرتفعات الرتل التي تسعد ٣٧ ميلاً عن البصرة ، حيث ينتهي .
والباحث على العموم ذو الخفاش ملحوظ ويختلف عرضه من أربعة أميال كما في حفر إلى ميلين كما في ربيع ^(٢) . وعند نهايته في رتل يصبح عرضاً جدياً وقليل العجى . ويبلغ عرض قعر الوادي في حفر حوالي ثلاثة أميال ولكن أقل من ذلك بكثير في أماكن أخرى إذ يصبح على بعد مسافة قليلة من ربيع ^(٣) أقل من نصف ميل . ولا يوجد في الوادي أي أثر لفعل المياه ، ولكن قعر الوادي مغطى بطبقة من الترسبات الطينية الداكنة اللون يبدو أنها انخرقت تدريجياً من الأماكن المرتفعة على جهتي الوادي . وتلتصق على هذه الطبقة مجموعات من الاعشاب والشجيرات تشكل ملجأ للغزلان والطيور . وتقر طرق السيارات من البصرة والكويت إلى قسم في بطن البطين ^(٤) . ويمتد طريق الكويت بالوادي في ربيع .

ضليعة المعيجل

وهذه سلسلة من التلال الواطئة في منطقة تختلف على ملكيتها . وتقع بين الكويت وبين دوحة بلبول في الأحساء . وهذه المنطقة هي الآن في المملكة العربية السعودية ولكن الكويت تدعي ملكيتها . وتنتج هذه السلسلة من الشرق إلى الغرب بين آبار حمض في منطقة السدي وآبار الصفا في ^(٥) . ويبلغ طول السلسلة ٣٠ ميلاً وتضم ضليعة الكبريت أو أبرق الكبريت كما تعرف عمومياً . ويظهر أن مناطق ديبه ^(٦) وسمن والشق تلتقي عند نهاية السلسلة من الغرب . وإلى الجنوب منها توجد الأماكن التالية :

جارية عليا : وهي آبار عذبة الماء عمقها ١٢ قدماً وتبعد ٢٠ ميلاً إلى الشمال الشرقي من وبرة . وفي سنة ١٩٢٠ بنيت هناك قرية وقد بناها سلف تراحيب ابن شقير الدوبش من الدوشان وهم العائلة الحاكمة في مشير ^(٧) . ويستخدمها تراحيب

(رقى)

فقيم

ناظم

عده

لصمان

للكبريت

مربع لعل

طير

اليوم كمقر دائم له .

وفي القرية اليوم مسجد ومدرسة ولها أمير يسكن في قلعة كبيرة فيها حمامية
قوامها ٢٠٠ رجل وفيها محطة اذاعة .

جارية سفلى : وهي آبار ذات مياه عذبة على عمق ٢٠ قدماً وتبعد ١٥ ميلاً
عن جارية عليا الى الجنوب الشرقي . وهناك مقر سعود ابن حبيب الققم شيخ
السببه من عائلة مشير .

قصوان : وهذا أيضاً يوجد مياه عذبة في آبار على عمق ١٨ قدماً . وتبعد
قصوان عن جارية سفلى حوالي ١٥ ميلاً شرقاً جنوباً وحوالي نفس المسافة الى
الشمال من الجارية على رأس وادي المياه في الاحساء .

الديبديبه

الديبديبه منطقة واسعة تقع بين الشرق والشمال في الشمال والباطن
في الشمال الغربي وتتميز من الجنوب قرب سلسلة المنارة ، وتبعد قليلاً الى الشمال
ابعد من خط العرض الذي تقع عليه مدينة الكويت ، ويبعد طرفها الشمالي
حوالي ٣٥ ميلاً عن حوره غرباً . ويبلغ طولها الإجمالي نحو ١٠٠ ميل وعرضها
٥٠ ميلاً . ويقع على الجهة الغربية من الباطن بإضافة ديبديه الكويت إقليم ديبديه
الغربي .

والأعشاب الرائدة في هذه المنطقة هي الحمض ولكن هنالك بعض أعشاب
الندى والعوسج . وهناك نبات يدعى ربح يسمى بكثرة في ديبديه وعلى الأخص
على أطراف الباطن . وهذا النبات لا يوجد في أي مكان آخر في الكويت .
ويحصل هذا النبات ثيراً كالفنجانين يشبه طعمها طعم الحلو ويحببه الهدير وله
كذلك أثمار جميلة .

جزيرة فيلكه

ويطلقها البحارة الانكاز « فيلثه » كما يفعل السكان المحليون . ويبلغ طول

الجزيرة سبعة أميال وأقصى عرض لها ثلاثة أميال ، وتقع على الجهة الشمالية من مدخل خليج الكويت . والجهة الغربية منها وهي الأقرب إلى مدينة الكويت تبعد حوالي عشرة أميال إلى شرق الشمال الشرقي من رأس العوض ، بينما تبعد طرفها الشمالي حوالي سبعة أميال إلى الجنوب الشرقي من مصب خور صبية .

والجزيرة من حيث الشكل كأمفين رأسه إلى الجنوب الشرقي وقاعدته إلى الشمال الغربي . وهي منخفضة إجمالاً ولكن أعلى نقطة فيها مرتفع علوه ٣٠ قدماً يقوم في أقصى الجهة الغربية من الجزيرة على أرض رملية مريحة فيها أماكن صخرية ، تدعى ضروب وتعد من مدخل خور صبية باتجاه الجنوب الشرقي .

وهناك جزيرتان صغيرتان بجانب فيلكه هما : ^⑤ شوحه وهي جزيرة رملية تبعد ثلاثة أميال عن الطرف الجنوبي الشرقي لفيلكه حيث تنتهي ضروب ، وجزيرة ^⑥ مسخان الرملية الواطئة التي تبعد ميلين عن فيلكه باتجاه خور صبية . وتختلف التقديرات حول سكان جزيرة فيلكه ولكنه يبدو أن عددهم لا يتجاوز ١٥٠٠ شخص . والمدينة أو القرية الرئيسية فيها تدعى زور وتقع على الشاطئ الشمالي الغربي للجزيرة بمواجهة مسخان .

والمكان الآخر المأهول في الجزيرة هو قرية على الشاطئ الشمالي وتبعد عن زور ثلاثة أميال إلى الشمال الشرقي . ويملك الشيخ محمد الجابر الصباح منزلاً هناك يحل فيه أفراد عائلته وقتاً قصيراً . وكان والد الشيخ محمد الجابر حاكماً للجزيرة أما اليوم فيحكمها أمير يعينه ويدفع له راتبه شيخ الكويت .

إن حوالي ثلث الأراضي المزروعة في الجزيرة معفي من الضرائب أما أصحاب الأراضي الباقية فيدفعون الزكاة إلى شيخ الكويت بمعدل عشر الإنتاج الإجمالي . وإلى جانب ذلك يأخذ سموه كل تبن الجزيرة بما في ذلك تبن الأراضي المعفية باستثناء كمية صغيرة يسمح للسكان الاحتفاظ بها كمعلف لماشيئهم .

ولا يسمح لتجار الكويت الأثرياء ولا للأجانب بالإقامة في فيلكه على أساس أنهم قد يظلمون السكان الأصليين .

إن أغلبية أهالي زور يعملون في صيد الأسماك وعدد ضئيل منهم يعمل في

وهذه
مكان

صيد اللؤلؤ . وينتسب هؤلاء السكان الى اصول مختلفة ويقال ان معظمهم اتوا من جزيرة خرق بالقرب من الشاطئ الإيراني ، وان بعضهم اتوا من الفساو قرب مصب شط العرب ، ومن مقاطعة هندية في إيران ، وحتى من عمان . وهم قوم مهذبن وأحوالهم لا بأس ولكنهم خياليون يأخذون بالخرافات . وكانت احوالهم في الماضي مزرية بائسة ولكن الأمور اليوم في عهد سمو الشيخ عبدالله السالم تبدلت نحو الأفضل . فقد تم مؤخراً إنشاء مدرسة ومسجد ومستشفى في زور وانتشئت بلدية نشيطة .

وتوجد مياه صالحة كثيرة في أنحاء مختلفة من الجزيرة وعلى عمق ستة اقدام فقط . وهذه المياه افضل من مياه الآبار في ضواحي مدينة الكويت ، ويقال انها أقل ملوحة قرب الشاطئ منها في الداخل . وموارد جزيرة فيلكه هي صيد الاممك والزراعة على نطاق متواضع . وتملك زور ٥٠ أو ٦٠ زورقاً للصيد هي على العموم أصغر من تلك الموجودة في مدينة الكويت ، و ٢٠ أو ٣٠ من الحواري وهي زوارق صغيرة تحمل على ظهر زوارق اكبر .

وبعد ان يقطع البحارة ما كلهم ، يقسم الصيد إلى حصص متساوية تذهب إحداها إلى شيخ الجزيرة والآخرى إلى صاحب الزورق وواحدة إلى القبطان ثم واحدة لكل من البحارة .

وعندما يكون منسوب المياه جيداً تكون المحاصيل من القمح والشعير ناجحة . ويقال انه يزرع في الجزيرة سنوياً حوالي عشرة آلاف رطل من القمح ، وان المحصول الاجمالي من الحبوب يبلغ ٥٠ طناً . وبعد ان تؤخذ الضرائب يقسم الباقي بين الزارع من جهة وصاحب البذار ومواشي الفلاحة والعلف من جهة أخرى . يبدأ الزارع في تسخين الأول ويبدأ الحصاد في نيسان . ويزرع أهالي الجزيرة ايضاً البطيخ والعدس وخضار عادية كالبصل والجزر والفجل .

وفي زيارة قامت بها زوجتي للجزيرة سنة ١٩٤٦ وجدت ان هناك أشجار نخيل قتيه في زور وقريثيه وكلها مثمرة . ووجدت كذلك أشجار التين والكينا

والبحير والسدور والحنة . وهناك أنواع من السدر لا توجد نواة في ثمرتها . ولكن أشجار النخيل اليوم وأغلبها نحو الجهة الجنوبية الغربية من الجزيرة ، ليست بحالة جيدة .

أما الأضفار في فيلكه فتشبه تلك التي تنمو في برشير بيران . وهناك من أربعا أنواع على الأقل ليس لها وجود في البر . وهناك أيضاً عدة شجيرات من الورود الجوزية . والطحالب البيضاء الكبيرة المسماة ربيدي تنمو بكثافات كبيرة حيث يوجد الشبات الصحراوي المسماة رقرق الذي ينمو في بعض الأماكن على بعد ١٠ أو ١٥ ياردة من البحر .

وليس في الجزيرة أقصاع أو مغالب أو ذئاب والسكان لا يقتنون الكلاب . وتكثر في فيلكه بحراشها القديمة ويقومونها ومزارعها . ومن القرى المهذمة صبيحية التي تقع على الشاطئ الجنوبي الشرقي على بعد حوالي ميلين ونصف الميل من طرف الجزيرة الجنوبي . وعلى بعد ميل ونصف إلى الشمال الشرقي من زور يوجد مكان مسمى بدعي سعيد . وبعد من هذا المكان ميل واحد يوجد مكان مماثل يدعى دشت .

وينتشر حول زور ٦٠ أو ٧٠ قدماً من قبور الأولياء الذين يشكلون جزءاً كبيراً من قوات الجزيرة وتقاليدهما . فهي مضافة ميل جنوبي زور يوجد قبر أحمد وسعيد . ويضع قبر سعد إلى غرب قبر سعيد . وكما اقرب المراء من جزيرة فيلكه إلى زورق قادماً من الكويت قبيل له القهران بقورة ضامرة مبرزة .

ورقال إلى هذين القبرين بنياً تليداً لذكرى اخوين واختها قتلوا في ذلك المكان . ويقصد هما الحجاج من اليعن وأحمد من أفغانستان وبلوختان . وهناك قبر آخر يقصده الحجاج وهو قبر محمد البدوي الذي يعطى بهذا التقدير فقط لأن أصبعه قاومت انزعاج الحاقم منها بعد نكاته .

وأخيراً ، وعلى بعد ثلاثمائة أربع الميل إلى الشمال الشرقي من زور ، هناك مزار يدعى مقام الحضر . ويختلف العلماء المسلمون حول ما إذا كان الحضر نبياً

أم لا ، حتى ان بعضهم يشكرو وجوده أصلاً . ويقول بعض المعلقين ان الحضر ما هو إلا النبي الياس الذي يعتقد انه كان حياً زمن ابراهيم ورافق موسى ولا يزال حياً متى شرب ماء الحياة .

ومن الروايات المحلية التي تروى في الجزيرة أن الحضر انتقل من صخرة في المكان الذي تقع عليه اليوم الإرسالية الأميركية ، إلى مكان المزار في خطوة واحدة . ويقال إن آثار قدمه والمكان الذي غرز فيه عصاه لا يزالان مطبوعين في الصخر على الشاطئ قرب المقام .

وقد وجدت زوجتي على الصخر هناك فعلاً آثار أقدام جبل ، وثلاثة آثار لأقدام لرجل حديثة وواحدة لرجل منتمل ، وعدة آثار لأقدام أطفال . وإلى جانب ذلك وجدت أربعة آثار تبدو كأنها لحيوانات مما قبل التاريخ . ثلاثة منها يبلغ طول الواحدة ١٢ بوصة ويبلغ طول الرابعة ١٦ بوصة . وهنالك أيضاً آثار أقدام بشرية كبيرة يبلغ طول الواحدة منها ١٨ بوصة ولكنها لم تكن واضحة .

ويعتقد زوجتي ان هذه الصخور كانت جزءاً من أرض طينية مستوية في وقت من الأوقات طبعت عليها آثار أقدام الإنسان والحيوان وتحجرت مع العصور واحتفظت بشكلها .

وفي مقبرة قرب مقام الحضر توجد قبور ضخمة تبلغ المسافة فيها بين الأعمدة الموضوعة على الرأس وتلك التي على القدم حوالي خمس ياردات ونصف . ولا يزال بعض الشيعة من سكان الجزيرة يعتقدون بالقصة الواهية القائلة أن الحضر ينتقل من مقبرة قرب البصرة إلى مكة كل يوم أربعاء ويقضي يوم الخميس في جزيرة فيلكه ويعود يوم الجمعة في نفس الطريق . ولذلك فالمرأة التي تريد أطفالاً يجب أن تحضر إلى مقام الحضر في اليوم المناسب فتتحقق أميتها . وغالباً ما تذهب فرق من النساء في تزهة من الكويت إلى فيلكه لهذا الغرض . وينتظب حكام الكويت جيابهم تجاه هذه الأساطير ويعملون حريصاً لإيقاف هذه التزهات .

والغلبية سكان الجزيرة يؤمنون بوجود شيطان شرير يدعى بوديا الذي يقال
انه يحوب البحر حول الجزيرة وخاصة بينها وبين مسحان يستخرج من لامي
ضم الى الاعماق ويغرقهم .

ويؤمن آخرون بشاهو الذي يصفونه بأنه يشبه امرأة لها اقدام حمار وتشبه
سيفانها الساقين الامميتين للبقرة وشعرها كشمس الجمل . ويقول هؤلاء ان شاهو
موجود في مدينة الكويت أيضاً .

وهذا لك قصة ، تزيدها آثار حصن في قرية وديوت حجير جيدة في وسط
الجزيرة ، وهي ان البرتغاليين استولوا فيلكتة في وقت من الاوقات وأخذوا
يتاجرون من هناك مع برنكويت . ويقال ان طاعونا من الجردان أرسله عليهم
الاولياء طردهم من دشت في البداية ثم من اواسط الجزيرة حيث تراجعوا .

الحفر الباطن

وهو مكث مهم للتوقف فيه مجموعة من الآبار في قسم الباطن من وادي
الرماح . والحفر جزء من المملكة العربية السعودية ويقع على بعد حوالي مئة
وستين ميلاً الى الغرب من الجنوب الغربي من مدينة الكويت . ويبلغ عدد الآبار
فيه حوالي الاربعين ولكن في الوقت الحاضر ١١ منها فقط فيها مياه . وهذه
الآبار منتشرة في بعض الباطن وتتراوح أبعادها عن بعضها البعض بين مئة ياردة
وربع ميل وهي لذلك تشكل مهاداً دائرياً قطره ثلاثة أميال . وتقع كل بئر
وسط مرتفع يبلغ شأوه عشرة أقدام هي الانزبة التي اريخت عند حفر البئر
(وذلك يشبه آثار الرمال في الجهة الجنوبية الغربية من الدهانه قرب الرياض) .
وقد بنى جدار حجري حول الآبار ويبلغ عرض قوذه كل واحدة منها ستة
أقدام . ويبلغ معدل ضخها الى المياه ١٥٠ قدماً ولكنها اذا تركت وشأنها هدة
من الزمن يرتفع مستوى الماء حوالي ٣٠ قدماً . ومياه هذه الآبار حارة نوعاً
قوي الصباح عندما يكون الجو قارس البرد يمكن لمرء ان يشاهد البخار يتصاعد
من الآبار .

ويعود تاريخ آبار الحفر الى زمن قديم جداً وربما كانت تقع على خط التجارة الرئيسي بين مدينة جيرا القديمة (عقر اليوم) وفلسطين . وليست لدى البدو الفخاطين هناك فكرة عن تاريخ الآبار أو حافريها ولكنهم يقولون انها تعود الى أيام الجاهلية قبل الاسلام .

وفي هذه الأيام تدعى عائلة بريح من قبيلة مشير ملكية الآبار مع ان قبائل أخرى تستخدمها في بعض الأحيان . ولو ان عمقها أكثر ملاءمة لكانت تقصد أكثر مما هي اليوم .

والحفر من المراحل المعترف بها في الطريق بين الكويت والبصرة وبين قسم وخا أمير وفيها حمامية من ثلاثة رجل وقلعة كبيرة حمراء اللون بنيت عام ١٩٣٦ . وفيها اليوم أيضاً مدرسة ومسجد ومحطة لاسلكي .

وفي الحفر يلتقي تجويفان بالباطن واحدهما من الشمال والآخر من الجنوب . ويدعى الأول فليج الشمالية ويسير نحو سلسلة آبار تنجيه شمالاً الى طوال الظافر^(٥) وأول هذه الآبار يدعى الدليمية . أما التجويف الثاني فيدعى فليج الجنوبية وهو أيضاً يسير نحو سلسلة آبار تنجيه الى الجنوب الغربي وتدعى طوال المشير^(٦) . وأول هذه الآبار يدعى صفا في مهن . واليوم تمر أنابيب التابلاين جنوب الحفر تماماً ، ومحطة الضخ رقم ٣ تبعد فقط ١٥ ميلاً الى الجنوب الشرقي عن الحفر في قلب منطقة قيسر^(٧) .

(٨) الهزائم

وهي جزء من المنطقة المحايطة بضمها البحر من الشرق ومنطقة الصلو من الشمال ومنطقة الشق من الغرب وبشكل جدول المقطع يحدها الجنوبي ويفصلها عن سهل لبيبه .

ويبعد وسط منطقة الهزائم حوالي ٦٠ ميلاً جنوباً غرباً عن مدينة الكويت . والهزائم عبارة عن سهل كبير بدون أشجار ولكنه لا يخلو من الأعشاب التي تنفذ عليها الجمال . وترتبه جامعة قائمة اللون وخالية من الصخور . وفي طرفه

١. الحرم

٢. كربه

٣. مظهر

٤. القصير

٥. الظافر

٦. المشير

٧. الصلو

٨. القيصونه

٩. الحرم

١٠. الصلو

الجنوبي قرب جدول مفلطح توجد أرض سبخة وهي عبارة عن مستنقع كثير الملوحة .

وتضم الهزائم الأماكن التالية :
أقربيات : وهي آبار على مرأى من البحر قرب حدود الهزائم الشمالية ،
يبلغ عمقها ١٣ قدماً وتختلف نوعية الماء فيها باختلاف كمية هطول الأمطار .
أطارش : وهي آبار صالحة الماء عمقها ١٢ قدماً تقع إلى غرب و قليلاً إلى شمال أصيلة .

ضلة الأشعري : وهي آبار فيها مياه جيدة على عمق تسعة أقدام وتبعد مسافة قصيرة إلى الجنوب عن رافعية .

مراغة : وهي قبة مخروطية الشكل وآبار تقع عند منتصف حدود الهزائم الغربية على بعد ٢ أو ٢٥ ميلاً غرباً شمالاً من مصب جدول المقطع و ١٠ أو ١٥ ميلاً إلى الجنوب الشرقي من وفرة . ويبلغ عمق الآبار تسعة أقدام ولكن مياهها ليست جيدة .

قحج : وهي آبار فيها مياه ذات نوعية سيئة على عمق ١٢ قدماً . وهي قريبة من شاطئ البحر وتبعد ميلين فقط عن أقربيات جنوباً .

رافعية : وهي آبار فيها مياه لا بأس بها على عمق ١٢ قدماً وتبعد حوالي عشرة أميال غرب الجنوب الغربي من مصب جدول المقطع .

وعقوة : وهي آبار ذات مياه صالحة على عمق ستة أميال وتبعد عدة أميال إلى شمال الشمال الغربي من رافعية .

روحية : وهي قبة مرتفعة تبعد خمسة أميال إلى الغرب من وفرة .

شظف : وهي آبار فيها مياه لا بأس بها على عمق ١٢ قدماً وتبعد سبعة أميال إلى جنوب الجنوب الشرقي من وفرة وتبعد نفس المسافة إلى الغرب من مراغة . ويجاورها يقع قل مرفق مخروطي الشكل .

طيب اسم : وهي آبار تقع على مسافة قليلة إلى الداخل من قحج ومياهها بين العذوبة والملوحة .

أصيلة : وهي آبار مياهها جيدة على عمق ١٢ قدماً وتبعد حوالي أربعة أميال إلى الغرب مع انحراف قليل إلى الشمال من رافعيه .
وفره : وهي مكان معروف تضرب فيه قبيلة آل عوازم خيامها وتبعد أكثر من ٦٠ ميلاً إلى الجنوب من مدينة الكويت . وفيها آبار عديدة عمقها ١٢ قدماً ومياهها من نوعية وسط .
والذين يشكلون أم جنيب وهي منطقة صغيرة إلى غرب الهزائم ، يلجئون بها قلة روحية وآبار شظف وورقه .

جبراء

تكتب وتلقظ عادة جباره وهي قرية راحة كويتية تقع على أقدم خليج الكويت على بعد ميلين إلى الداخل وترتفع أربعين قدماً فوق سطح البحر وتبعد عن مدينة الكويت ٢٠ ميلاً . وهي المركز الزراعي الرئيسي في الكويت وأكثر الأماكن استوائية بنظر البدو . هواؤها جاف ومناخها صحي ومياه الشرب فيها ممتازة من الجهة الغربية .

تقع القرية في سهل رملي مكشوف تنتشر فيه الأعشاب يبعد ثلاثة أميال ونصف إلى الجنوب الشرقي من الفجوة المعروفة بمر مطلق في قلال الزور والتي تسير فيها السيارات وفواقل الجمال في الطريق المباشر من الكويت إلى البصرة . وإلى جهة الغرب والجنوب الغربي ترتفع التضاريس تدريجياً عن القرية . وعلى بعد ميل إلى الشمال منها يقع سهل يدعى مريقبه يحيط فيه البدو في الصيف ويضم آبار ماء عمقها ١٢ قدماً .

وتقع جبراء داخل مدى نيران المدفعية في قلال زور ولكنه بسبب ضخامة المياه على شواطئ خليج الكويت ، يتعذر مساندتها بفتح النار من البحر .
ويملك شيخ الكويت هناك مسكناً يدعى قصر الأحمر وسمي كذلك لأن جدرانها حمراء اللون . ويبعد القصر أكثر من نصف ميل عن القرية إلى جهة الجنوب الشرقي خارج المنطقة الزراعية وتفصله عن أقرب بستان من بساتين

القرية طريق فقط . وبلغ طوله ٨٠ ياردة وعرضه ٨٠ وفيه أبراج على الزوايا الأربع وفوق المدخل الرئيسي الذي يواجه الشمال الغربي . وتبلغ محاكة جدرانها من الأعلى قدمين وارتفاعها ١٥ قدماً ترتفع الأبراج فوقها مسافة ثمانية أقدام .

وجدران القصر وأبراجه مليئة بالثقوب خصيصاً لإطلاق النار . ولكن تلك الثقوب صغيرة وغير منتظمة بحيث أن مندى إطلاق النار منها قصير محدود . ولا توجد في القلعة بئر ذات مياه صالحة للشرب مما أدى إلى وقوع كارثة أثناء انتقال سنة ١٩٢٠ . وفي تلك الاثناء كان حول القصر سور عال يصل إلى الطريق مما ساعد الأعداء على التواري وراءه وكان لهم بمثابة غطاء منع عنهم الرصاص . وقد دمر هذا السور منذ ذلك الوقت .

وفي القصر أسطبلات تكفي لايواء مئة حصان وهي تستخدم اليوم للاعتناء بالخيول الأصيلة التي يملكها سمو الحاكم .

وبعد معركة عام ١٩٣٠ أخلت القرية من السكان تماماً لعدة أسابيع وعندما عاد السكان إليها بنى حولها سور جديد وهدمت بعض المنازل التي تقع وراء السور حفاظاً على شكل القرية . وهي اليوم تبدو مستطيلة الشكل تقريباً طولها حوالي مائة ياردة وعرضها خمسية . ويتجه الجانبان الطويلان منها إلى الجنوب الغربي والشمال الشرقي .

وقبل مائة كان الشيخ سالم ابن مبارك الصباح ينوي بناء قلعة صغيرة بين الجبراء ورأس الخليج وذلك لحماية مكان الانزال في الخليج فيما لو تعرضت الجبراء لحصار آخر مما يسهل قدوم الامدادات من الكويت عن طريق البحر . وقد صدف النظر عن هذه الفكرة اليوم نظراً لاستتباب السلام بين الكويت والمملكة العربية السعودية .

وأغلبية السكان الدائمين في الجبراء هم مزارعون نجديون يزرعون الأرض التي يملكها سمو الشيخ ونجار الكويت وأقارب عائلة النقيب في البصرة . ومنازل القرية التي يبلغ عددها حوالي ١٩٠ منزلاً مبنية من الطين وتضم حوالي ألف نسمة . وتكثر غنم البدو خارج جدران القرية في الصيف وتشاهد بعض الخيات

بحوارها في الشتاء .

إن المحاصيل الجبراء من البيض والدواجن محدودة ولكن فيينا كثير من الغنم والماعز وفيها عدد من الأبقار يكفي لسد حاجات السكان من الحليب . ووسائل النقل المحلية فيها تتألف من حوالي مئة حمار ولكنه بالامكان استئجار الجمال من البدو . وفي ذكرها آنفاً فإن جبره بالأساس مركز زراعي وكل أراضي الشيخ المزروعة قريباً تنحصر هناك .

وليس هناك مقياس ثابت لقسمة المحاصيل بين صاحب الأرض والمزارعين . والمحاصيل الرئيسية هي القمح والشعير والعدس . وتنتج الجبراء من الشعير ضعفي ما تنتجه من القمح ويبلغ ذلك الانتاج في سنة إقبال أكثر من ٥٠٠ طن . ويزرع القمح ، الذي يدعى حنطة أو حب ، في أوائل ايلول ويحصد مع الشعير في أوائل آذار . ويقطع جزء من الزرع وهو أخضر ، كما في الهند ، ليقدم علفاً للمواشي ويدعى قمصيل . وأحياناً يقطع الشعير مرتين لهذا الغرض قبل ان ينضج ، ولكن القمح نادراً ما يعامل بهذه الطريقة إلا في سني الإقبال . والجث الذي يزرع هناك ذو نوعية ممتازة ويزرع في نفس الأرض لأربع سنوات متتالية تترك الأرض بعدها بوراً لمدة سنة واحدة .

ومن المحاصيل الأخرى في الجبراء البطيخ الأصفر والبطيخ الأحمر ويدعى رقي . وهذه المحاصيل تزرع مرة في السنة وتنضج في أواخر تشرين الأول ويستمر مرحيتها شهراً كاملاً . والكميات التي تزرع قليلة بحيث أنها لا تكفي لتصديرها إلى مدينة الكويت . ولكن القرع يبدأ في ككون الأول ويستمر مدة ثلاثة أشهر وهو يصدر إلى الكويت . وتنضج الباقيل في شباط ولا يزرع منها إلا ما يكفي لسد حاجات القرية . ويبدأ موسم البصل في نهاية كانون الأول ويستمر حتى الربيع . ويبدأ الفجل ، ويدعى وريد ، في وقت مبكر من السنة ويستمر إلى ما بعد موسم البصل . ويزرع البقل من جديد كل سنة ويعطي ١٦ موسماً في الفصل الواحد . وهناك مواسم قصيرة الأمد للأجلبه والرشاد . أما الباذنجان الذي يدعى في الهند برنجال وفي الجزيرة العربية بيتنجان ، والبناميه ،

والبندورة ، فتأتي في وقت مبكر من السنة . ولا تدوم طويلاً ولكنها تصدر الى مدينة الكويت .

وتوجد في جهره حوالي ٢٠٠٠ شجرة نخيل تعطي سنوياً حوالي ٢٥٠٠ طن من الثمر يؤكل معظمها وهو رطب . ويعتبر بستان السيد خلف وهو أحد أقارب عائلة النقيب في البصرة ، انجح بساتين النخيل في القرية . وفيما عدا ذلك لا توجد أشجار أخرى باستثناء بعض شجيرات البير .

ويصدر الى الكويت سنوياً من جهره حوالي ٣٠ طناً من الحبوب فقط . ويمكن توسيع نطاق الزراعة في القرية الى حد كبير فيما لو استثمرت فيها رساميل كافية .

وكل المحاصيل التي ذكرناها تعيش على الري وتزرع في مساكن ضمن جدران وأطنة من الطين . وكان ارتفاع هذه الجدران في السابق يبلغ ثمانية أو تسعة أقدام ولكنها خفضت بعد حركة جهره عام ١٩٣٠ كجزء من مخطط الدفاع عن المكان .

وهناك بديل اقتصادي لهذه الجدران وهو ما يسمى خدد وهو عبارة عن خندق عمقه قدمان وعرضه قدمان وعلى جانبيه حافة رملية يبلغ ارتفاعها قدم واحد . وتقع غالبية البساتين في الجهة الجنوبية الشرقية من القرية بينها وبين قصر الأحمر . ويعتمد قسم ضئيل من زراعة القمح والشعير على مياه المنظر ولكن ذلك لا يقارن بالمساحات التي تروى بمياه الآبار .

ويبلغ عدد آبار الري ١٩ بئراً معدل عمقها ٣٠ قدماً . وترفع مياهها ، وهي مالحة قليلاً ، بواسطة قلوب جلدية تجرها الحمير ، وبواسطة مضخات ميكانيكية . وتدعى رافعة الماء عرجية والفناة التي يجري فيها الماء تدعى ساقية . وأحياناً تجمع المياه في برك مرتفعة لكي يسهل جريانها الى الأراضي المزروعة . وهناك أيضاً ما يدعى شرب وهي عبارة عن قطعة أرض صغيرة تجمع فيها مياه الري قبل إطلاقها الى مستوى أكثر انحداراً .

وتدعى المزروعات التي تزرع في وقت متأخر مسيف . أما أنواع الأراضي

الزراعية الرئيسية فهي : حرا وهي أرض ذات تربة خصبة ، ودمج او الأراضي الواقعة على حافة خبرا وهي مياه الأمطار المتجمعة ، وحزام وهي أرض صحيرية ، وريخة وهي مستنقعات كثيرة الملوحة وغير منتجة .

ان اكثر الأدوات الزراعية شيوعاً هي محراث بدائي يدعى اقدان ، ومحرقة حديدية قصيرة اليد تدعى سجين وتستخدم في شق الأقبية وفتحها واغلاقها ، والمسحاة التي تستخدم لتسوية الأرض . والمخيل عبارة عن هراوة يلقى عليها الراعي رداءه المسمى بيشت ليحفظ تجمع اغنامه وينمها من التفرق . وتستخدم أيضاً كخيل في المناطق المزروعة لابعاد الطيور .

ولشيخ الكويت وكميل يتم بلساتيه ويكون بمثابة أمير او ممثل خاص اذا لم يكن أحد من شيوخ العائلة مقيماً هناك . ويعتبر الشيخ في الجبراء مهماً وذوقاً في أراضيهم ليس فقط لواردها الزراعية ، ولكن للنفوذ الكبير الذي يتمتع به مالكها والسيطرة التي تعطيه اياها على عدد كبير من البدو يخيمون بجواره في الصيف . وهي فضلاً عن ذلك تسيطر على طريق البصرة .

وهناك أماكن تحمل اسماء ولكنها ليست تتبع أيّاً من التقسيمات المعترف بها في الكويت وهذه الاماكن هي :

ممر اطراف : وهو عبارة عن مرتفعات متباعدة قليلاً وكان ما بينها مجاري ماء جافة عميقة . ويبعد هذا المكان حوالي عشرة أميال الى غرب الجنوب الغربي من الجبراء ويشكل الطرف الغربي لتلال زور .

فريدم : وهي قلة طويلة مدزولة ومنفردة تبعد ١٢ ميلاً الى غرب الجنوب الغربي من جبراء .

خبرة البعل : وهي بركة طبيعية تبعد أربعة أميال عن جبراء الى جهة الجنوب الغربي ، وتتلقى المياه التي تنحدر من الصحراء باتجاه الجبراء . وفي المواسم المناسبة تزرع فيها بعض المحاصيل المتفرقة من القمح والشعير .

حد السعادة : وهي سلسلة عالية من المرتفعات تمتد من الشمال الى الجنوب وتبدو بيضاء اللون عن بعد وتقع الى جنوب طريق الجبراء - رقيع على بعد ٢٥



جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود
ملك المملكة العربية السعودية الراحل



جلالة الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود
الملك الحالي للمملكة العربية السعودية

ميلاً تقريباً عن الجبراء . ومن الجبراء الى حد السعادة انشأ في ارتفاع .
وفي نقطة على الخط الممتد بين جبهة ورقيع تبعد ٣٠ ميلاً عن الجبراء غرباً تقع
تلال كاسية بيضاء تدعى « قهولة » أو « قهيلة » .

روحيه : وهي قمة يبلغ ارتفاعها ١٠٠ قدم وتبعد عشرة أميال الى جنوب
الجنوب الغربي من الجبراء .

ثيلة الجويسري : وهي مركز تجمع مياه معروف تبعد ستة أميال شمال غربي
ممر أطراف : وتتحول في أيام الشتاء الى بركة كبيرة .

أم التوييح : وهي سهل مرتفع على شكل سلسلة طويلة منحنية بين اطراف
وقريده ويتجه الى الجنوب الشرقي ثم الى الشرق من فريده ، وتوجد في هذا
السهل واحدة أو اثنتان من الجباري أي البرك الصغيرة في الشتاء ويقايا مساكن .
أم روس : وهي قمة ذات ثلاثة رؤوس تشكل علامة فارقة على بعد ١٥
ميلاً الى جنوب الجنوب الغربي من الجبراء .

الكبد

مكان يبعد حوالي ٣٠ ميلاً الى الجنوب الغربي من مدينة الكويت بين منطقة
قرعة في الشرق ومنطقة الشق في الغرب . وتتألف تلال الكبد من حزام من
الاراضي المرتفعة تمتد من الشرق الى الغرب على مسافة عشرة أميال .
والى جنوب الكبد مباشرة تقع سلسلة مرتفعات موازية تدعى كبيده توجد
الى شرقها آبار تدعى جاهلية وعبدية . وهذه الآبار تملك شركة نفط الكويت
بالمياه اليوم . وإلى الشرق من هذه الآبار يقع رجم الجهتان وهي مكان مميز للبدو .
وعلى بعد ٢٠ ميلاً الى الجنوب من رجم الجهتان تقع فوارس في منطقة الكويت
الحديثة وهي عبارة عن سول صغير تنتشر فيه التلال الصخرية الصغيرة وهو اليوم
مركز شركة النفط الأميركية المستقلة ، وهناك خمسة تلال صغيرة في طرف
كبيده الغربي تدعى منافش وهي بيضاء بلون الثلج وقريبة من طريق السيارات
بين الكويت والرياح تقع الى الجهة الجنوبية الغربية من حدود دولة الكويت .

كازمة

إن أقصى الحدود في خليج الكويت إلى الغرب من رأس عشرين يعرف بدوحة كازمة . والنقطة التي تمتد إليه من جهته الشمالية تعرف برأس الكازمة . ويخف عمق الماء فيه تدريجياً من مدخله الذي يبلغ عرضه أربعة أميال وعمقه ست فامات في وسط القنال ، إلى رأسه الذي يبعد تسعة أميال غرباً جنوباً عن رأس عشرين رميلين عن قرية جوره . وهناك مرسى بمنجى من الرياح الشمالية يتسع لعدد كبير من السفن التي يبلغ عمق غاطسها ٢٤ قدماً . ولا توجد مياه عميقة على الشاطئ لذلك فإن حمولة السفن تفرغ بواسطة الرافعات أو على رصيف طويل يبنى إلى داخل البحر .

ورأس الكازمة عبارة عن مستنقع منخفض يتد نحو نصف ميل جنوباً إلى داخل الحدود ويبعد ثلاثة أميال عن رأسه . وهو لا يرتفع عن سطح البحر ولكنه تحميه نفقة رملية طبيعية من جهة مياه البحر المرتفعة . وخلال الحرب العالمية الأولى كانت تزور مرسى كازمة مستشفيات عائمة تنقل جرحى الحرب من سفن صغيرة تستطيع عبور شط العرب . وكانت هذه المستشفيات العائمة تنقل الجرحى بدورها إلى الهند . وكانت سفن أخرى تزور ميناء الكويت محملة بمرضى في دور النقاهة .

ومما يجدر ذكره أن المخطط النهائية لخط سكة حديد برلين - بغداد - البصرة التي أثار كثيراً من اللفظ قبيل الحرب الأولى ، كانت متبنية في رأس كازمة . لأن الألمان كانوا يدركون في ذلك الوقت أن البصرة كميناء لن تكون ذات فائدة نظراً للتكاليف المتواصلة الناتجة عن استعمار جرف الأتربة من شط العرب . ولهذا تحولت أعين الألمان والأتراك إلى خليج الكويت الميناء الطبيعي للعراق . وهذا ما حدا بالأتراك سنة ١٩١٢ إلى الضغط على شيخ الكويت في ذلك الوقت الشيخ مبارك الصباح لجعله على القبول .

وبما أن التاريخ يعيد نفسه أحياناً فإنه قد يأتي يوم يحاول فيه العراق من جديد ، كما فعل الأتراك ، ضم الكويت إليه لجعله محطة لسكة حديد تصل البحر

بالداخل. وباقصان خط بغداد - الموصل بشبكة طروروس، وبانشاء الجسر المقترح عبر البومبور، فان ذلك قد يحدث بأسرع مما نتصور. وهنالك دلائل على ان بعض الاشخاص يشكرون بهذا الأمر ومنهم السيد جون وارد مدير ميناء البصرة. وقد عرفت شركة فقط الكويت امنية كاطمة فسانزلت معداتها الثقيلة هناك سنة ١٩٣٦ م. وعندما حدثت اول بشر للمنط في بحره الى الجهة الشمالية من خليج الكويت.

الليبية

وهي سهل خصبه أشباب يقع في المنطقة الساحلية الى جنوب المنطقة الحايمة مباشرة. ويحدها من الشمال جدول مقطع ولذلك يمكن اعتبارها جزءاً من منطقة السند. ويحدها من الجنوب جبل حمودة الذي يقع جزء منه في المنطقة الحايمة والجزء الآخر في المملكة العربية السعودية. وفي الوسط تقع تلة مرتفعة بيضاء مخروطية الشكل تعرف باسم جبل طيار.

المنطع

وهو جدول مياهه مائلة غير صالحة للشرب يقع في القسم الجنوبي من المنطقة الحايمة، ويشكل الحدود بين منطقة الخزام في الشمال وسهل ليبيا في الجنوب. ويتبع هذا الجدول من نبع يدعى عين العبد على بعد ١٥ ميلاً من الشاطئ ويصب في البحر شمال رأس الحفج^(١) المباشرة. ويبلغ عرض مجرى الماء فيه بين ١٠ و ١٢ قدماً ويبلغ عمقه قدماً واحداً. وعندما تكون مياهه مرتفعة تستطيع زوارق صغيرة ان تسير فيه مسافة قصيرة. ويسمى مدخله. ويسمى الجدول احياناً منطع وهي جمع منطع.

لقد زرت عين العبد سنة ١٩٣٤ وفي السنة التالية وفي سنة ١٩٤٣. فوجدت ان الماء يتدفق منها في الدقيقة الواحدة. وهي عبارة عن انخفاض على شكل فتحة يبلغ قطره ٥٠ قدماً. ان رائحة مياه عين العبد كريهة نظراً لكثرة الكبريت فيها ولكنها نقية وقليلة التعفن. ويقول البدو انه

من الخطر النزول إلى وسط العين لأن رمالها تتحرك بسرعة . وهناك خرافة تقول ان رأس زنجي (عبد) يظهر وسط العين بعد مدة ومدة . وربما كانت مراد ذلك إلى كتلة الوحول السوداء التي تقذفها الماء من وقت إلى وقت في مركز النبع . وقد شاهدت بنفسي هذه الظاهرة . ويعتقد البعض ان الأرواح تسكن المكان ولذلك يتجنبونه ويقول ان زنجياً نصفه بشر ونصفه جن يعيش في النبع وأنه يشاهد مستقياً في الشمس أحياناً على ضفاف النبع . وهذا الزنجي يهاجم كل مسافر منفرد بشجراً أن يقترب من عين العبد .

ومقطع هر اسم جزيرة أيضاً تابعة لدولة الكويت بالقرب من شاطئ السدي وتبعد ميلاً ونصف الميل إلى الجنوب من حد الشعاب . ويبلغ طولها ميلين من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي وفيها صخور يتراوح ارتفاعها بين ٣٠ و ٥٠ قدماً وذلك في طرفها الشرقي . ولا توجد بين الجزيرة والبر قناة صالحة للملاحة وعندما يرتفع المد في الربيع تغمرها المياه إلى حد بعيد .

قرعة

وهي أرض ومطبة بحدية تحدها من الشمال خليج الكويت ومن الشرق البحر ومرتفع رأس العوض ومن الجنوب منطقة عذان ومن الغرب الكبد . وتقع قرعة إلى جانب مدينة الكويت الأسكن التالية :

بمساحة : وهي أرض صغيرة على الساحل وتبعد مسافة ميلين ونصف الميل إلى الجنوب الغربي من رأس العوض .

شدادية : وهي آبار تبعد تسعة أميال إلى الجنوب الغربي فالجنوب من مدينة الكويت على طريق الرياض الرئيسية . ومياه هذه الآبار ليست صالحة ويقول بعض المظالمين أنها لا تقع في منطقة قرعة .

شمسة : وهي قرية كبيرة لحيطة العرازم تقع على قاعسة شبه جزيرة رأس العوض في ضفة ومطبة وأطلة تبعد ٣٠٠ ياردة فقط عن البحر وتماية أميال إلى جنوب الجنوب الشرقي من مدينة الكويت . وفيها مسجد و ٢٠٠ منزل ومدرسة

وبعض المنازل الجميلة للشيوخ . وفيها أيضاً عدة آبار بعضها فقط فيه ماء ولكنها قليلة الملوحة . ونظراً لأنها تنفع بناح طيب فإن عدداً من شيوخ وأعيان مدينة الكويت أخذوا يبنون ضاحية جديدة بين دونه ومشارة رأس العريض . وقد استبدل اسم دونه باسم سائبة سنة ١٩٥٣ .

حوالي : وهي قرية كبيرة على بعد أربعة أميال إلى الجنوب الشرقي من مدينة الكويت . فيها مدرسة ومسجدان وحوالي ٥٠٠ منزل وشبكة تلفون . وسكانها اليوم ينتمون إلى القبائل العربية المختلفة التي تقطن مدينة الكويت ، وكثيرهم يعملون في زراعة الخضار كالبطيخ والفجل والبصل التي تباع في أسواق الكويت . وهناك عدة آبار تستخدم مياهها في ري المزارع والبساتين . وإلى جنوب القرية يقع قصر بيان الذي كان المقر الريفي لحاكم الكويت السابق . والقصر الذي أصبح اليوم إقفاً يضم مجلساً وإطناً ومسجداً ومباني مستقلة للضيوف وجناح للخدم ، ويقع على ظهر تلة صغيرة تشرف على القرية . ويملك الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح ابن الحاكم الراحل فيلاً في حوالي ، وكذلك كبار تجار الكويت الذين ينتقلون إلى هناك في الربيع . وبسبب توسع مدينة الكويت فإنها قد اتصلت قريباً بحوالي التي ستصبح إحدى ضواحيها .

ملح : وهي ١٥ بشراً على بعد ١٥ ميلاً إلى الجنوب من مدينة الكويت وثمانية أميال إلى غرب قرية أبر جديده على الساحل . ويبلغ عمق هذه الآبار القريبة من حقل النفط في مقوى ٣٠ قدماً ومياهها مالحة إلى الملوحة ولكنها صالحة للشرب . وكانت أراضي ملح تزرع في السابق وفيها بقايا حصن قديم .

مقوى : مكان يبعد ميلين عن ملح شمالاً فيه الحقل الأصغر من حقل النفط التابع لشركة نفط الكويت (٣٣ بشراً) وفيه أيضاً المستشفى الرئيسي ومركز التدريب . وهناك أيضاً عدة آبار واحد منها فقط يحتوي على مياه صالحة .

مشرف : وهي قلعة قديمة حولت إلى قصر حديث يقع فيه الشيخ عبد الله المبارك الصباح قائد جيش الكويت . ويبعد المشرف ميلين عن قصر السرا جنوباً .

قصر السرا : وهو المقر الربيعي للشيخ عبدالله الجابر الصباح مدير التعليم العام . ويبعد القصر ثمانية أميال الى جنوب الجنوب الشرقي من مدينة الكويت .
قليصيه : وهي ستة آبار على بعد عشرة أميال الى الجنوب الشرقي من مدينة الكويت وعلى بعد ميلين ونصف الميل عن الساحل . وفيها مياه جيدة على عمق ٢٧ قدماً لكنها لا تخرج حولها زراعة .

رأس كيفان : وهي مجموعة آبار في الجهة الجنوبية من رأس العرض وحولها عدد من أكواخ الصيادين .

رميشيه : وهي قرية صغيرة مأهولة تبعد ستة أميال الى الجنوب الشرقي من مدينة الكويت .

سالميه : (راجع دمنه) .

شعب : وهو قصر أبيض كبير على الشاطئ ، يقوم في مكان هو نصف المسافة بين رأس العجوزة ورأس العرض . وهناك يقيم صاحب السمو الشيخ عبدالله السالم الصباح حاكم الكويت .

صليبىخات : وهي تلال رملية بيضاء مرتفعة تبعد ستة أميال الى الجنوب الغربي من مدينة الكويت على الطريق الى جهره . ويجاورها تقع محطة الكرنفينا الجديدة التي اقيمت سنة ١٩٥٢ واستخدمت مؤقتاً سنة ١٩٥٣ كمستشفى للأمراض الصدرية خاص بالنساء . وهناك أيضاً تقوم حالياً ضاحية حديثة للاوروبيين .

صليبيه : وهي أربع آبار عميقة للماء على بعد ميلين الى الجنوب من شداديه ، حفرتها شركة نفط الكويت لسد حاجات مدينة الكويت وحاجات البدو واغنامهم وجمالهم . ومياه هذه الآبار مالحة قليلاً ولكنها تصبح صالحة للشرب والاستعمال عندما تخلط بخمسين بالمئة من المياه المقطرة .

عديليه : وهي أرض عريضة منخفضة قليلة العمق فيها ستة آبار على بعد ثلاثة أميال من مدينة الكويت جنوباً ، وعندما تهطل فيها أمطار الخريف تنجح فيها زراعة الشمع جداً .

ورأس العجوزة ورأس العرش أيضاً من الأقسام الساحلية لمنطقة قرعه .

قصر مشرف

وهو في الأصل حصن يبعد ثمانية أميال جنوب جنوب شرق الكويت ويحمي السالك الجزيرة إلى المدينة . وقد بناه الشيخ مبارك الصباح سنة ١٩٠٠ وكان يقيم فيه أحياناً . وفي السنوات القليلة الماضية أدخل ابنه عبدالله تحسينات عليه وأعاد بناء بعض أجزائه بدون حساب للتفقات لذلك فهو اليوم من أعظم القصور في الجزيرة العربية فيه غرف استقبال ضخمة وقاعات طعام تستطيع استيعاب ٣٠٠ رجل في جلسة واحدة . وقد أضيف إليه مؤخراً مسجد رائع وبنيت عدة غرف نوم للقصور مجهزة بأحدث وسائل الراحة .

يرتد قصر جزنياً مياه صالحة ووافرة من آبار يتراوح عمقها بين ٦٠ و ٧٠ قدماً . وعلى مرتفعات الظهر التي تبعد ١٢ ميلاً إلى الجنوب وقليلاً إلى الشرق من قصر المشرف مقابل ^(١) فنتاس ، توجد آبار قبيلة العتول التي سميت كذلك نسبة إلى عائلة من قبيلة عجمان ومياه هذه الآبار أيضاً جيدة . ويذهب الشيخ عبدالله المبارك الصباح معظم أيام السنة في قصر المشرف .

قرين

وهي اسم جزيرة صغيرة في خليج الكويت واسم قلة كبيرة معزولة في البر ، في الوقت ذاته .

وتدعى الجزيرة أيضاً جزيرة الشويخ وهي تبعد عن الشاطئ ميلاً ونصف الميل في نقطة تبعد أربعة أميال عن مدينة الكويت غرباً . وفي طرفها الغربي مرتفع بني اللون يبلغ شؤه ٣٧ قدماً . وإلى الجنوب الشرقي من الجزيرة بينها وبين شاطئ الكويت حوض يدعى بندر الشويخ تفصده الزوارق لتحتوي فيه من كل الرياح . ويبلغ عمق الماء في هذا الحوض ثلاث أو أربع قامات .

ويتصل بندر الشويخ بالخليج الكبير بمضيق طويل ضيق لا يزيد عمق الماء في مسافة منه تبلغ ٤٠٠ ياردة ، عن ١٢ أيار ١٣ قدماً عندما تنخفض الماء في الربيع . ويبدو ان هذا المائق هو من الصخور التي لا يمكن ازالته بسهولة . ولكي يتاح للسفن الكبيرة المرور في القناة يجري حالياً جرف الرمال منها (هذا الكلام سنة ١٩٥٣) وربما اتخذ الاسم الانكليزي القديم للكويت « غراين » من اسم هذه الجزيرة .

أما قبة قرين فتقع في أقصى جنوب دولة الكويت على حدود المنطقة المحيطة وتبعد عن مدينة الكويت ما يزيد عن ٤٠ ميلاً جنوباً وحوالي ١٤ ميلاً عن شاطئ البحر . وهذا الاسم يشمل عدداً من الآبار ومنخفضاً يعرف بخور القرين يقع الى جنوب شرق التل بينه وبين البحر .

وتسمى في هذا المنخفض الذي يمتد ستة أميال في كل اتجاه اعشاب وشجيرات كثيرة . ومع انه يدعى خور أي مدخل بحري ، لكنه يبدو انه ليس له اتصال بالبحر . وتتجمع فيه مياه الامطار في فصل الشتاء وتشكل مستنقعا صالحاً قرب آبار قرين . ونقول بعض المصادر المطلعة ان قبة قرين فقط وليست الآبار هي التي تقع ضمن اراضي دولة الكويت .

القصور

وهذا الاسم يطلق على مجموعة من القرى هي : أبو حليفه ، وفحيجيل ، ونطاس ، وفناطيس ، وشعيه . وقد سبق الكلام عنها في معرض الحديث عن منطقة العدان .

الرقيع

① الرقيعي

وهو الاسم الذي يطلق على مجموعة من الآبار في الضفة الشرقية من الباطن في مكان يبعد عن مدينة الكويت مسافة ١٠٥ أميال في خط مستقيم الى الغرب

فالجنوب الغربي ، وهذه الآبار أعلى تسبياً من قعر الباطن وهي لا تمتلئ بالمياه دائماً إلا إذا كثرت الأمطار فتستمر مياهها طوال الصيف .

والآبار الفعلية تقع بين الصخور وتتصل بممرات جوفية ولكن تسرب المياه فيها بطيء ، ولذلك يعتمد وجود كميات كبيرة من الماء في كل الآبار في وقت واحد .

والرقيع تابعة للملكة العربية السعودية وفيها مركز سعودي للشرطة .

١٧ السلو

وهي منطقة على الساحل في الزاوية الشمالية الشرقية من المنطقة المحايدة بين منطقتي العدان والهزاع ، وتحدها من الشمال قرين ورأس القليعة ومن الجنوب قلة الشظف ورأس الحفجي .

الشق

وهو واد طويل قليل العمق يمتد مشة ميل من الشمال الى الجنوب ويبلغ معدل عرضه عشرة أميال . وتقع الأربعون ميلاً الشمالية منه داخل حدود دولة الكويت . وينتهي هذا الوادي من الشمال على بعد ٢٠ ميلاً الى الشمال الشرقي من جهره ، ومن الجنوب بخوار وريعه . وتحده من الشرق منطقتا الكبد وعدان في الكويت ، ومن الجنوب السلو والهزاع والسدي ، ومن الغرب منطقتا دبده وقرعه . وتغرب منه السن من جهة زاويته الجنوبية الغربية .

وليس في الشق سكان ثابتون ولكنه ينتج معظم الأعشاب والأخشاب التي تستعمل للوقد وتباع في مدينة الكويت . وفي جهته الشمالية يفصل بين الأماكن التي ينمو فيها الخوض الى الغرب والأماكن التي ينمو فيها العرفج إلى الشرق .

ويضم الوادي حيث يلتقي بطريق الكويت - رقيع على بعد ٤٠ ميلاً الى الغرب فالجنوب الغربي من مدينة الكويت ، تجمعاً للماء في مواسم هطول المطر

يدعى خبرة الفرق . ويضم كذلك تجمعا آخر للماء على طريق الرياض وعلى بعد ٥٤ ميلا الى الجنوب الغربي من مدينة الكويت يدعى خبرة الدويش او خبرة جليم . وتقع خبرة الشرق داخل أراضي الكويت اما خبرة الدويش فتقع خارجها .

(٦)

الشقاق

وهي منطقة تقع بين الباطن والكويت شمال غربي الجبراء . والى جنوبها مباشرة تقع منطقة كبيرة تدعى الدبدبه . وقد اطلق عليها هذا الاسم نظراً لوجود عدة انشاقات او انخفاضات فيها يمتد بعضها باتجاه الشمال الشرقي كشقة أم رويسات ، وشقة الجليب ، وشقة الثويجيه التي تقع معظمها داخل حدود الكويت . ويمتد بعضها الآخر باتجاه الجنوب الغربي كشقة السقيح ، بينما تمتد شقة الواسيه شمالاً الى الباطن . والشقاق ارض مجدية اعشابها قليلة وليس عليها سكان دائمون .

(٧)

السدنى

وهو سهل قسيح يضم المنطقة المتنازع عليها بين الكويت والمملكة العربية السعودية والتي سبق ذكرها . ويقع هذا السهل الى اقصى الجنوب على البحر وتحدّه من الشمال منطقة الحزام في المنطقة الحاصلة حيث يشقه جدول المقطع ويصل غرباً الى الطرف الشرقي من ضليعة المعيجل وتلة النويرية . ويضم في جهته الشمالية سهل الليبيه . ويبلغ طول السدنى من شمال الشمال الغربي الى جنوب الجنوب الشرقي حوالي ٦٠ ميلاً . اما ارضه فرملية سوداء مستوية . ولا توجد فيه اشجار ولكنه تنبت فيه اعشاب تنفذ عليها الجمال كالرمض ^(٨) والحنظل والعرفج والتم . وفيما يلي بعض تقاسيمه الداخلية الرئيسية : عرفجيه : وهي آبار عمقها ١٠ قدماً تبعد ثمانية أميال عن جبل عموده غرباً ،

الشقاق

(٦) البدره

(٧) الرمث

ومياهها صالحة للشرب .

أرقى : وهي آبار عمقها ١٢ قدماً مياهها خطيرة وغير صالحة للشرب . وتبعد عن هذه الآبار ١٢ ميلاً إلى الشمال فالشمال الغربي من تخاديد ٤ و ١٨ ميلاً إلى الجنوب فالجنوب الشرقي من تلة وآبار مراغش في منطقة الهزائم ، وحوالي ٢٠ ميلاً عن البحر . وتقع على الحدود الجنوبية للمنطقة المحايدة .

بعل : وهي هضبة يبلغ طول قطرها ستة أميال وتقع في الزاوية الجنوبية الغربية من المنطقة . وغالباً ما يأتى البدو إلى هذه الهضبة قادمين من النقيير التي تبعد عنها ستة أميال ونصف الميل إلى جهة الشمال الشرقي .

حمض : وهي آبار قليل مياهها إلى الملوحة وعمقها ١٢ قدماً وتبعد ٢٥ ميلاً إلى الشمال الغربي من تلة النعميريه . وقد شهد هذا المكان هزيمة دعيح ابن سليمان ابن صباح الفاضل في أيام حكم الشيخ سالم .

انقيير أو نقيير : وهي آبار مياهها صالحة للشرب تبعد ستة أميال جنوباً عن نقييره وستة أميال إلى الشمال الشرقي من بعل .

نقييره : وهي آبار فيها مياه عذبة على عمق ١٢ قدماً وتبعد سبعة أميال ونصف الميل إلى الجنوب الشرقي فالجنوب من حمض .

شفاي : وهي آبار مياه بعضها صالح للشرب ومياه البعض الآخر غير صالحة . ويبلغ عمق هذه الآبار ستة أقدام فقط وهي تبعد عدة أميال عن عرقجيه غرباً . تخاديد : وهي آبار فيها مياه عذبة على عمق ١٢ قدماً وتبعد ١٢ ميلاً إلى الجنوب الشرقي من أرقى .

وأهم التقاسيم الساحلية لمنطقة السدي هي من الشمال إلى الجنوب : رأس الخفجي ، حد المشعاب أو رأس المشعاب ، جزيرة المقطع ، دوحة الخريس ، رأس التاجيب ، ودوحة بلبول ، وجبل منيفه .

(٤)

السمن

وهي منطقة كبيرة جداً في المملكة العربية السعودية يقع القسم الشمالي في

المنطقة التي تدعى الكويت ملكيتها . وتقع منطقة السمن بين صحراء الدهانه في الغرب وبين الدبدبه والشق وتلال أبو ظهير وتلال الطف في الاحساء في الشرق . وتمتد منطقة السمن من خط العرض الذي يقع عليه حفر الباطن في الشمال الى طريق الرياض الهفوف جنوباً وربما أبعد من ذلك . ويبلغ طولها من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي ٢٤٠ ميلاً إلى الأقال .

وتشطرها الى نصفين طريق الكويت الرياض ويبلغ عرضها عند هذه النقطة ٩٠ ميلاً . ويتقلص هذا العرض جنوباً إلى ٣٠ ميلاً وذلك في المكان الذي تلتقي فيه بطريق الرياض الهفوف .

وعندما يدخل المرء إلى منطقة السمن من ناحية الكويت على طريق الرياض يجدها في البداية منطقة تختلط فيها المرتفعات الصخرية بالكثبان الرملية المستوية القمة تتعرج بينها وديان قليلة السقي تنبت فيها في فصل الربيع اراهير بريسة واعشاب وشجيرات صحراوية .

وكما توغل المرء في المنطقة وجد ان هذه التلال تتداخل اكثر فأكثر الى أن تخرج إلى ارض مكشوفة . ووديان المنطقة عريضة مستوية البطن وتتحج من الشمال إلى الجنوب . أما التلال فهي راطنة واكثر انتظاماً من الوديان تلتف حول قواعدها في اغلب الأحيان احزمة قرميديية اللون . وعندما تكون التلال مخروطية الشكل يطفئ اللون القرميدي على قممها .

ويلي ذلك ارض قاحلة تنبعها تشكيلة أخرى من الوديان ولكنها النطف من سابقاتها . وعندما يقترب المرء الى مسافة ٢٠ ميلاً من حدود السمن الغربية يجد ارضاً مشققة تنمو فيها خصل من الأعشاب والشجيرات البرية وتفتتح تدريجياً على سهول متموجة تكثر فيها الأحجار الرملية . وتنتهي فجأة عند حدود الدهانه الرملية الحمراء .

وتبرز في السمن من طريق الرياض الهفوف شرقاً صخور عالية واقفة كالفصيل يتراوح ارتفاعها بين ٥٠ و ١٠٠ قدم . وبمحاذاة ذلك في القسم الأوسط تمتد سهول قاحلة الى الأفق تلتثر فيها الحصى والأحجار الصغيرة وليست فيها اية

وقود أو أعشاب تتغذى عليها الجمال .
وعندما تهطل الأمطار بكثرة يتحول القسم الأكبر من السمن إلى مراعي
جيدة أفضل من تلك الموجودة في الدهانة ، يكثر فيها الحبيض الذي يقال ان
الأنراك ادخلوه إلى الأحساء .

وفي الربيع تنمو بعض الأزهار البرية ، وتوجد كذلك بعض شجيرات السدر
التي تهتم بها قبيلة منبج^(١) التي تشكل غالبية العرب الذين يقطنون السمن ، وفي
الناحية الجنوبية يقطن بعض قبيلة عجمان بالاشتراك مع مشير ، ويوزور المنطقة
أحياناً عرب من بني خمالد وقحطان وسبيع . وأشهر الآبار في المنطقة هي :
الوبره ، والحيه ، وقرعه ، والصفاء والجاريين جارية العليا وجارية السفلى .

المراعي
الوبره
الحيه
الصفاء
الجاريين
جارية
السفلى

أم الخلائف^(٢)

وهي أرض صغيرة الرقعة تقع بين منطقة ياه في الشرق وبين منطقة الشقاق
في الغرب ، في الزاوية الشمالية الغربية من أراضي دولة الكويت المعترف بها .
ويبلغ طول قطرها ثمانية أميال وتبعد ٥٠ ميلاً إلى الشمال الغربي من الجبراء .

أم جنيب

وهو تعبير عام يطلق على المناطق التالية مجتمعة :
قرعه ، الكبد ، العبدان ، السلو ، الهزائم وكلها في المنطقة المخايمة ، والجزء
الشمالي من السدي في جنوب المنطقة المتنازع عليها بين السعودية والكويت .
ويحد أم جنيب من الشرق البحر ومن الشمال خليج الكويت ومن الجنوب
ضليعة المعيجيل . وهذا هو المعنى المتعارف عليه عموماً للكلمة . ولكن بعضهم
يقول ان أم جنيب هي منطقة صغيرة منفصلة أعلى من الهزائم والليبيه وتضم تلة
روحيه وآبار شطف ووقره .

الوبره

وهي مكان معروف في السمن يخيم فيه البدو لوفرة مائه . وتبعد عن مدينة

الكويت ١٤٠ ميلاً إلى الجنوب الغربي كما يطير الغراب . وهي محط رئيسي للقبائل عندما تنتقل من الساحل إلى الداخل .

وتوجد فيها أكثر من ١٠٠ بئر تقع كلها في مساحة لا تتعدى ٤٠٠ ياردة مربعة ، ولكن عدداً قليلاً من هذه الآبار يصلح للاستعمال . وهذه الآبار غائرة في أرض ذات صحور رملية على عمق يتراوح بين ٢٤ و ٢٨ قدماً ، وهي قديمة العهد ويرى المرء على بابها شقوف تكونت بفعل احتكاك الحبال التي يستخدمها البدو لإدلاء الماء مع الحفا في الصخرية . ومياه هذه الآبار تميل إلى الملوحة وهي أقل جودة عن المياه الموجودة في جاريه ^⑤ عليا ^⑥ و الحبه ^⑦ إلى الشرق وإلى غرب الجنوب الغربي على التوالي ، والتي يقصدها اليوم المسافرون من الكويت إلى الرياض مفضلينها على وبره .

⑤ عربي
⑥ اللبابة

وريه

وهي هضبة صغيرة بين السد و السمن وتمتد مسافة ٢٨ ميلاً من البره باتجاه الشمال الغربي . وسطح وريه غير منتظم إذ أن أرضها مشققة تنتثر فيها الحصى وتنتشر فيها مرتفعات من التراب والحجار الرملية . وفي جهتها الغربية توجد ثلاثة أو أربعة مرتفعات تدعى مرباط .

ياه (أو : لياه)

تقع هذه المنطقة الصغيرة على بعد ١٨ ميلاً إلى الشمال فسالى الشمال الشرقي من جبره وهي تشكل الطرف الشرقي من السلسلة الواطئة المعروفة بـ جبل اللياه التي تمتد من ياه غرباً ثم تنعطف إلى الجنوب الغربي نحو الزاوية الجنوبية الغربية من دولة الكويت . ويبلغ الطول الإجمالي لجبل اللياه حوالي ٣٥ ميلاً . أما الأماكن الأخرى في شرق الجزيرة العربية التي سخصها بالذكر في فصول أخرى من هذا الكتاب فهي :

⑦ اللبابة

الهفوف

هي أرض إبراهيم وعاصمة المقاطعة الشرقية من المملكة العربية السعودية . وقد زرتها عدة مرات وجمعت روايات غريبة غير مدونة من البدو في جوارها ، روايات يبدو أنها كانت بلغريق وفيلبي وتشيزمان الذين زاروا المكاتب مرات عديدة .

وكل المغامرات المتسلسلة هناك تتصل ، بطريقة أو بأخرى ، بالمصيف الغريب ، التلة ذات الرأس المنطح على شكل اكروبوليس المعروفة بحبل قاره والتي تقع وسط الواحة الغنية المحيطة بمدينة الهفوف والتي يبلغ طولها ١٥ ميلاً . وعندما كنت أسير حول سفح هذه التلة الرملية المدهشة ذات اللون الأحمر الفاتح ، تذكرت صوراً شاهدتها لصحراء أريزونا الأميركية . لأن كل ما حول جبل قارا من وديان منحدرة وفجوات وخاصة تلك السلسلة من الأعمدة الضخمة الرائعة ، صنعتها قرون من الرياح الصحراوية الحارة وكأنها عمل جبارة عظمى عليهم الزمن . أما شمس الغياب هناك فأنها منظر في منتهى الروعة ، خلاب بحبس الأنفاس .

وفي الجهة الجنوبية من الجبل وعلى أقدام سلسلة من الأعمدة الجبارة والشقوق الضيقة ، يقع كهف إبراهيم . وقد حاولت استكشاف الكهف مرتين ولكنني عدت خائباً . وقد شاهدت جزءاً يسيراً من جوفه الكبير الذي يقول البدو ان الشخص الذي يدخله يفقد فيه حتماً ، ما لم يربط نفسه بحبل أو خيط على المدخل ويضع علامات على الطريق التي يسلكها لكي يضمن عودته سالماً .

والانطباع الذي يتركه كهف إبراهيم في ذهن الانسان هو عدد لا يحصى من الفجوات والكهوف الداخلية الضخمة يشبه الواحد منها كندراتية كبيرة ، والمغاور الصغيرة ، وعدد كبير من التشعبات الجانبية المتفرعة من الممر الرئيسي تشكل شبكة مدهشة وغنية في جوف الأرض .

وهذا الكهف العظيم شديد البرودة مكيف بالهواء طبيعياً ، بحيث أن الحاكم الحالي في الاحساء الأمير سعود بن عبد الله الجلوي السعود حول إحدى مغاوره

القريبة من المدخل الى مجلس له ولطعمه . فبعد عمل الصباح في المدينة في حرارة الصيف الشديدة يعود اليه ليستريح ولا يخرج منه إلا بعد الغروب للصلاة .
واذا أظهرت اهتماماً بالمكان فإن أهل الاحساء وخاصة سكان الواحة منهم يتبارون لاطلاعه على رواية يقولون انهم تناقلوها عبر العصور عن شعراهم ورواتهم وهي أنه منذ قرون طويلة أقام ابراهيم خليل الله في تلك الواحة . ويعود تاريخ الرواية إلى زمان طويل قبل ان يأتي ذكر ابراهيم في التوراة بأنه نشأ في اور الكلدانيين على الفرات الأسفل في بلاد ما بين النهرين (العراق اليوم) .

وتقول الرواية ان ابراهيم عاش حياة الرعاة مع قبيلته وكان شيخاً عظيماً يملك آلاف الأغنام والجمال . ومع قدوم الصيف وحرارته اللاهبة اعتاد ابراهيم أن يسوق قطعانه وقطعان أقربائه عند الظهر الى الكهف الكبير في جبل قارء ويبقى هناك إلى ان يحل المساء بجوه البارد فيخرج قطعانه ويسير بها الى الحيام في الجوار وهي ترعى على الطريق .

وحدث بعد سنوات من العيش الرخيد ان دب الخلاف بين ابراهيم وبين ابن عمه وهو رجل حاد الطبع . ويبدو ان الخلاف وقع على الماء، فما كان من ابن عم ابراهيم إلا ان ضرب اثنتين من أغنام ابن عمه على رأسها بهراوة ضخمة وهي تشرب ثم ذبحها . وقلت هذا الحادث حوادث أخرى فصار من جراء ذلك شقاق في القبيلة . فاقترح ابراهيم ان يرسل احدهما عن الواحة على ان يتم ذلك بالقرعة . وخسر ابراهيم فجمع حاجياته وشعبه والاعداد الكبيرة من الأغنام والجمال التي يملكها ، واتجه بهم الى الشمال . وهناك في اور الكلدانيين بدأت قصته كما وردت في العهد القديم

ويقول البدء اليوم : انها يد الله رعته وسارت به الى خيره .. لأن الله كان ينجي ابراهيم ولنسله قدراً عظيماً .. وقضى الله بذلك .
انها رواية رائعة كما يرويها أهل الحفوف بتفاصيلها بأسلوب أخاذ .. ومن يقول إن هذه الرواية تخلو من بعض الحقيقة ؟

الدهانه وواحة جبرين

على بعد ١٥٠ ميلاً الى الجنوب الغربي من الهفوف ومثلها الى الجنوب الشرقي من الرياض ، تقع واحة جبرين الغامضة .

وقد اعطاني مصدر موثوق ومشهور وهو قوم بارجر المقيم في الظهران قرب القطيف حيث يوجد المقر الرئيسي لشركة النفط العربية الاميركية (ارامكو) ، بعض الحقائق الهامة فيما يتعلق بحزام الدهانه الرملي المحيط بشجدة الداخلية :

١ - ان رمال الدهانه في الشرق والشمال من نجد الداخلية تتحرك تدريجياً الى الجنوب نحو منطقة الرمال الصحراوية الواسعة التي تعرف أحياناً بالرملة أو الربع الخالي . وقد ثبت بما لا يقبل الشك أن هذه الحركة ليست من الجنوب الى الشمال كما كانت تفترض بعض المصادر في الماضي .

٢ - ويوجد في واحة جبرين كثير من المرتفعات الاصطناعية من النوع الموجود في البحرين والظهران وأماكن أخرى . وقد عثر على معالم طريق قديمة اقترح انها كانت تصل جبرين مع ليلى ووادي الدواسر الى غربها ، ويستدل من ذلك ان طريقاً تجارية هامة كانت في قديم الزمان تنطلق من حضرموت (بلاد التوابل) عبر اليمن حيث تنقسم الطريق الى فرعين واحد يقود الى « جبرا » (عقير اليوم) على الخليج الفارسي عبر ليلى وجبرين والهفوف ، والفرع الآخر يتجه شمالاً الى مصر بحذاء البحر الأحمر .

٣ - ان الأحواض والبرك الصغيرة في جبرين ليست كما يقترح تشيزمان بأنها ضحلة تغذيها بالمياه ينابيع طبيعية ، ولكنها في الحقيقة برك اصطناعية اقامها القدماء الذين ارادوا الحصول على الماء للري أو لأشياء أخرى فحفرروا مساحة كبيرة للحصول على مياه جوفية . وربما كانت هذه المياه تتصل تحت الأرض بمياه الخرج ، لأنه في قعر كل بركة ثقب عميقة جفرت في الصخور الصلبة الى عمق ١٥٠ قدماً او أكثر الى حيث تتصل بمياه دائمة .

ويقول قوم بارجر ان جيولوجيي ارامكو ومهندسيها اثبتوا ذلك عندما ضخوا مياه احدي هذه البرك في جبرين حتى جفت واعادوا حفر الثقوب العميقة

التي قد البركة بالماء . أما جوانب هذه الثقوب التي يبلغ قطرها قدمين ونصف فقد حفرت بطريقة مذهلة تشير الى وجود حضارة ذكية .

٤ - ويظن بأرجح أن حضارة قديمة أتت من مأرب في اليمن وأوجدت مستعمرات في نجران أولاً ثم في ليلى وبعدها في جهرين والمخفر وفج وواحة القطيف . ويذكر أنه عثر على عدة قنوات قديمة عديمة النفع الآن تتجدد من بركة لا تزال قائمة في ليلى ، مما يدل على أن المكان كانت فيه في يوم من الأيام زراعة مزدهرة .

ويتحدث بأرجح أيضاً عن قلعتين متهدمتين الى شمال وجنوب صرار في وسط الأحساء مباشرة ، وعن مدافن فوقها أتربة مرقعة حول صرار نفسها . واحدى هاتين القلعتين تقوم على رأس تلة وفيها أثر مليئة الآن ، حفرت على عمق ٣٠٠ قدم للوصول الى المياه . كل ذلك يدل دلال قاطعة على وجود حضارة قديمة .

وخطني أن أهفوف ليست إلا « جراً » القديمة وليس جبل قاراً إلا أحياء للاسم القديم . واضن أيضاً أن ميناء عقير الحديث قد يكون هو الميناء القديم بالنسبة « لجراً » كما هو ميناء بيربرس بالنسبة الى اثينا .

وقد قسام لوم بأرجح بصحبة المرحوم شتاينيك كبير الجيولوجيين في شركة أرامكو بعدة رحلات مذهلة بالسيارة الى قلب الربع الخالي وإلى أقصى أطراف وادي دواسر . ولم يكشف النقاب بعد عن وقائع هذه الرحلات ولا عن مجموعات الصور المذهلة والخرائط التي أخذت هناك .

الفصل الثالث

قبائل وعائلات الجزيرة العربية

البدو والحضر

العرب قسمان : بدو وحضر .
فالبدو هم قوم رحل يعيشون في الصحراء ويقطنون الخيام السوداء المتنوعة
من شعر الماعز أو صوف الغنم . والحضر هم سكان المدن والقرى ويعيشون في
منازل ثابتة من الحجر أو الطين ويسمى الفرد من أهل البادية بدوي ، ويسمى
ساكن المدينة حضري .
وبين أهل البادية وأهل المدن جماعة تدعى عربدار وهم نصف رحل يقيمون
في جوار المدن في الصيف ويتنقلون عندما يحل فصل الشتاء . وينطبق هذا
الاسم - عربدار - بصورة خاصة على دولة الكويت .
إن أهل البادية الحقيقيين لا يقطنون سوى الجبال . أما الرعاة في الصحراء
فيسمون شويبة أو شواوي في العراق . وفي الكويت والعربية السعودية فيسمون
حقرى ، وهم في معظمهم يرعون الأغنام في المتنق الكبير يجذب العراق .
والقبائل الأخرى كمثيرة والعوازم فلمهم جماعة خاصة من الرعاة .
وهناك أيضاً العشائر الذين يهتمون بالزراعة على ضفاف نهري دجلة

① شويبة

والفرات ، والصناع وهم جماعة من الحدادين لكل قبيلة شريفة جماعة منهم .
وهؤلاء موجودون في الكويت ونجد وليس في العراق .

وأهل البادية الحقيقية هم عرب خلص ، عرب عاربة ، ينحدرون من
نسل يعرب أبي العرب . وفي نظرهم ان غيرهم من العرب هم مستعربة ، أي
أصبحوا عرباً ، وينحدرون من عدوان من نسل احماعيل وأمه هاجر . والعرب
العاربة والعرب المستعربة كلاهما ينقسمان الى قبائل شريفة ارسقراطية أصيلة
ذات دم بقي ، وقبائل أدنى منها مرتبة رضية باختيارها ان تصنف حسب
هذا التقسيم .

وأشهر القبائل الشريفة في الجزيرة العربية هي : عتيبة ، وشمر ، وحرب ،
ومثير ، وعجمان ، وضافر ، وبني خالد ، وبني هاجر ، وآل مرة ، وقحطان ،
وعنزة ، ودواسر ، وسهول ، وخصير ، وبني ياس ، وسبيع ، وقواسم ،
وبني تميم (مع عدوان) ، وبني تميم التي لم تعد توجد كقبيلة واحدة
اليوم .

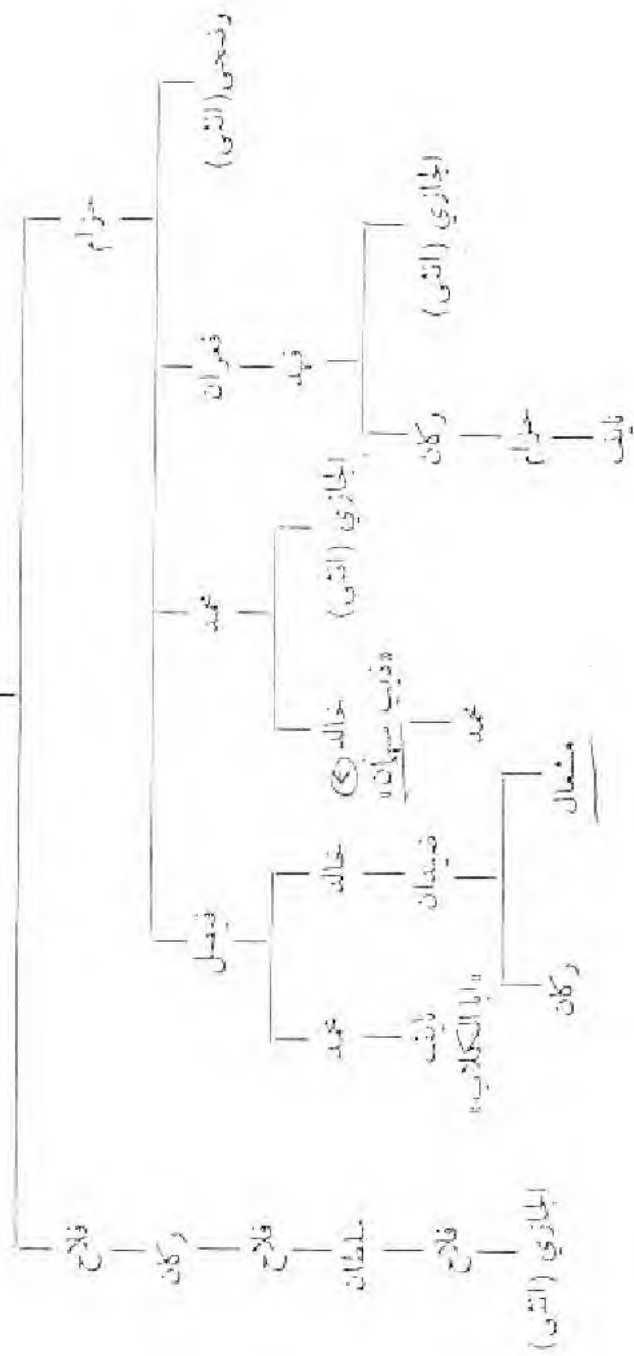
ويأتي في طليعة القبائل او الجماعات الأخرى : العوازم ، والرشايدة ،
وحنح ، وثلبة ، وعقيل .

عجمان

وهي قبيلة من الأشراف في شمال شرقي الجزيرة العربية تدعى بالولاء للملك
سعود بن عبدالعزيز الحاكم الحالي للمملكة العربية السعودية . وتصل قبيلة عجمان
صلوات قريبي بآل مرة ، ويعتبر افرادها انفسهم أمراء الصحراء ولكن القبائل
الأخرى لا تشاركهم هذا الاعتبار . وهم يتزوجون مع بني تميم الذين يدعون
الانتماء الى سلف واحد وهو تميم . وعلى شيوخهم مقاماً هم الهدلان ، فنجد من
معايش يدعي تجميعه . وبين هذه الأفخاذ :

الوجه — الشيخ ابن رهاج
الضعاين — الشيخ الدامر

① مانع الحملان (من المايض وفخذ نجيعه)





زوجة المؤلف اعمام احمد ابواب جناح السيدات
في القصر الملكي بالرياض



محمد ابن شيبه من فرج جبلان في قبيلة مطير ومعه باز الصيد



فيسل بن سليمان الحديبي
الشيخ الاعلى في مطير



مؤلف كتاب (ايام الكلاب)
الشيخ الاعلى في عسبان

⑤ المحيض
 ⑥ السيدان كريمه عذراة في سيد
 ⑦ الحسين في العجمان والمقصود بالان
 ⑧ المسرا
 ⑨ جعفران
 ⑩ كحمان

- الحدايش - الشيخ ابن علوان
- الحادي - الشيخ عبيد الملقم
- الحجان - الشيخ ابن صباح
- الهلان - الشيخ ابن زمام
- الحظوظ - الشيخ حمد ابن ركان المكراد ⑤
- المعاض ① - الشيخ ركان ابن ضيدان الهلان
- الغلا - الشيخ ابن دبلان
- المسرا ② - الشيخ محمد العذين
- الصفوان ④ - الشيخ ابن منيخير ⑤
- السلطان - الأمير هيف ابن هجراف (يدين بالولاء للكويت) .

اما شجرة انساب الهلان المنشورة في الصفحة السابقة تضم فقط الاسماء
 المنشورة في هذه الصفحات .

عندما قتل ضيدان ابن خالد الهلان سنة ١٩٢٨ أصبح ابنه ركان بنظر
 العجمان الشيخ الأعلى في القبيلة ولكن ابن سعود عين خالد ابن محمد الحزام الهلان
 في مكانه . وكان خالد هذا الملقب « بذياب مهان » ذا حظوة عند ابن سعود
 ويتمتع بمركز مرموق في مجاله .

وتشتهر قبيلة عجمان منذ زمن طويل بجمال بناتها المدهش ، وقد زوجت كثيرات
 منهم بين وقت وآخر الى أمراء البيت الملكي السعودي ، وإلى حكام الكويت
 والبحرين وشيوخ عائلات مشيرة إلى جانب شيوخ القبيلة نفسها . وقد اشتهرت
 منهن في الآونة الأخيرة اربع جميلات من غريب الصدف انهن يحملن نفس الاسم
 « الجازي » اسبغن على القبيلة شهرة فائقة وسمعة حسنة .

وتتفوق عليهن جميعاً في الجمال والسحر وقوة الشخصية الجازي بنت محمد
 الحزام الهلان . فهي اليوم ، وان لم تكن صبية كما كانت في السابق ، تتمتع
 بمنزلة عالية في قلوب قومها ، وتدير شؤون خيام زوجها الحالي الشيخ ركان ابن
 ضيدان الهلان الذي يعتبره العجمان رئيسهم .

وقبل ان تزوج هذه الملكة بين جميلات القبائل من زوجها الحالي كانت متزوجة من الأشخاص التالية أسمائهم :

صاحب الجلالة المرحوم الملك عبد العزيز آل سعود (بن سعود)

المرحوم الأمير محمد آل سعود شقيق الملك عبد العزيز

الأمير سعود العرفه آل سعود صهر الملك عبد العزيز

الشيخ بندر الدويش رئيس عائلة مشير

المرحوم الشيخ مطلق الجبوع وهو عضو بارز في قبيلة قحطان ويتمثل بقرابة

نسابة الى الدوشان وهم المخذ الحاكم في مشير .

لقد تزوجها الملك عبد العزيز ثلاث مرات . وفي كل مرة كان يفتح زوجها في ذلك

الوقت بأن يطبقها أعاء هدية كبيرة من الجبال بحجة انه لم يستطع ان يتغلب على

حبه لها . وشقيق هذه الحسنة هو الشيخ خالد بن محمد الحزام الهذلان .

اما الجزائري الثانية تحت خالد المكراد وابنة عم حمد ابن ركن المكراد شيخ

آل محفوظ ، فقد تزوجت على التوالي من الشيخ خالد ابن محمد الحزام الهذلان

ومن فلاح ابن سلطان الهذلان .

والجزائري الثالثة وهي ابنة فلاح بن سلطان الهذلان فقد تزوجت من ديف

ابن محمد الهذلان المعروف بابي الكلاب الذي توفي في السجن سنة ١٩٣٤ لأنه

قام بشدة ، ومن مشعل ابن ضيدان الهذلان .

اما الجزائري الرابعة ابنة فهد الفهران الهذلان فقد تزوجت الشيخ وكان ابن

ضيدان الهذلان ولكنها توفيت بعد عدة سنوات .

وقد تردد في هذه المهنومات كلها الشيخ فايف ابن حزام الهذلان .

اما وضحى بنت حزام الهذلان فهي والدة سعود العرفه آل سعود الذي

تزوج ثورا تحت الملك عبد العزيز الشهيرة .

وقد اخبرني المرحوم الشيخ أحمد الجابر الصباح في سنة ١٩٣٢ ان العجبان

يتكلمون اصغى لغة عربية بين قبائل الجزيرة العربية . وربما كان كلامهم ونظهم

شبيين بما كان يتكلمه عرب الجزيرة قبل الاسلام . وقال ان العجبان يستعملون

أشعل

تعايير والفاظاً تختلف كلياً عن تلك التي تستعملها القبائل في أماكن أخرى .
 وخلافاً للقبائل الأخرى ، فإن المعجمان مولعون بإطلاق الألقاب على أطفالهم
 وتطلق هذه الألقاب ملاحظة لهم طوال حياتهم . وقد قدمنا مثليين على ذلك
 وهما : خالد « ذيب صبيان » وثايف « أبو الكلاب » . ومنهم أيضاً منصور
 « خير الذيب » وسعود « أبو الشرين » وهذا اللقب هو لقب الملك الحالي سعود
 ابن عبد العزيز . وعندما تولد فتاة للمعجمان تقطع من أذنها قطعة صغيرة تأكلها
 الأم . وتلقب هذه بالجدع .
 وصرخات الحرب عند المعجمان هي : « مغرم الحديد » و« ابن المعجم »
 لو ما طعننا ما حدثن خلافة سكنى الديرة . »

عزيرة

هي أكبر قبيلة بين القبائل العربية فقطن نجد والعراق وسورية ، ويبلغ عدد
 الذكور فيها ٣٧ ألفاً وعدد جمالها حوالي المليون . وتنقسم هذه القبيلة الى عدة أقسام
 تذكر منها ما يلي :

١- عمارات : كان شيخها الأعلى المرحوم فهد بك (هظل) . وقد خلفه بعد موته
 ابنه مهروط (هظل) . وينتسب آل الصباح العائلة الحاكمة في الكويت الى عمارات
 (سبط الداهمشاه) وكذلك آل خليفه حكام البحرين . ويدعى مهروط انه
 الرئيس الاسمي لهاتين العائلتين وقد صرح بذلك اثناء زيارة صاحب السمو الشيخ
 عبدالله الصباح الأخيرة الى بغداد . وعندما اخبرني سموه بذلك قال وهو
 يتنسم : « قال مهروط ذلك بصورة جدية » .

ومن العائلات المرموقة في عمارات من الذين يسكنون الكويت آل صالح
 (رئيسهم الملا صالح) ، وآل شمالان (رئيسهم محمد الشمالان) ، وآل غانم وآل
 زايد سابقاً (رئيسهم الحاج أحمد الغانم) . وقد ذكرنا سابقاً عدداً من أفراد
 هذه العائلة . أما الشيخ الحالي للداهمشاه في عمارات فهو ابن مجلاد .
 فدعان : شيخها الحالي ابن مهير (١٢)

① الرواة : الشيخ الأعلى لهذه الجماعة الشهيرة في جرار دمشق هو قواز ابن نوري الشعلان. وهناك شق من هذه الجماعة يدعى المساليخ^② يدين بالولاء لسورية. وينحدر الملك ابن سعود من المساليخ. ويدعى الحظيل والشعلان اللذان يعتبران أنفسهم رئيسين اثنين لقبيلة عنيزة كلياً ، أنها اعلى منزلة من ابن سعود وابنته الملك الحالي .

① الرواة
② المساليخ
③ الشعلان
④ المسيرة
⑤ المسيرة

⑤ سباع : يقول كارل رسوان مؤلف كتاب « الحسام السوداء في الجزيرة العربية » ان فهد المسراب^⑥ شيخ السباع الحالي ينحدر مباشرة من الشيخ بحوال المسراب زوج اللبدي دغبي الشهيرة وهي اللبدي الينبوروه سابقاً . لا يزال الكثيرون من عرب الصحراء يذكرون بالتقدير والاحترام « الت البيضاء » اللبدي دغبي . وفي أواخر أيامها سكنت مع زوجها الشيخ بحوال المسراب في بيت كبير بدمشق بجانب البيت الذي كان والداهي يكتنونه في ذلك الوقت . وتقول الآنسة اودي التي انفت كتاباً عنها انها ماتت هناك في آب سنة ١٨٨١ . ولكن الاقرب الى الصواب انها ماتت سنة ١٨٨٣ لأنني ولدت في بيروت سنة ١٨٨١ وعندما انتقلنا الى دمشق بعد ذلك كانت أمي تأخذني اليها مرتين أو ثلاث مرات في الاسبوع . وقد دفنت في مقبرة الأرمن خارج باب الشرقي في دمشق وكتب اسمها على القبر « هيلين مسراب » وقليلون هم الأشخاص الذين يعرفون هذه الحقيقة .

ويقول رسوان ان المسراب لا يزالون القى القبائل العربية دماً . ولد علي : وهم قسم هام من قبيلة عنيزة يعيشون في نجد العربية . وتعرف عائلة شيوخهم بالسعيد^⑦ .

عقيل

وهم جماعة يتعاطون تجارة الجمال ومراكزهم الرئيسية في دمشق دمشق وبغداد. وهؤلاء ليسوا قبيلة من البدو لأنهم أقرب الى الحضر . وتعتبر العائلات الرئيسية فيهم من الأشراف .

عوامر

وهم قبيلة شمرسة في جنوب شرقي الجزيرة العربية ويدعون انهم من الاشراف.

عوازم

وهم قبيلة كبيرة من غير الاشراف في شمال شرقي الجزيرة العربية .

بني هاجر

وهم قبيلة من الاشراف في وادي دواسر الى جنوب الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية ولكن بيئتهم الأصلية في قطر بجوار القطيف ، وشيوخهم الأعلى هو شافي ابن شافي .

بني كعب

وهي قبيلة من الاشراف تسكن عربستان في ايران ولكنها لا تعد ضمن قبائل الجزيرة العربية وسنذكرها هنا مجرد استيفاء الموضوع . وبنو كعب هم الذين هددوا الكزيت في أيام مريم ووالدها عبدالله الصباح ، وذلك بقيادة آل نضار العائلة الحاكمة فيهم .

وفي الحديث الذي اشترت اليه في الفصل الأول ابلغني سمو الشيخ عبدالله السالم ان آل نضار عائلة عربية أصلية تتصل بقبيلة مبيع في الاحساء ووسط الجزيرة العربية. وقال أيضاً ان القبائل على الشاطئ الفارسي الى الشمال والجنوب من بوشير ، كانت جميعها من أصول عربية نقية تضم أقساماً من عجمان ومثير ومبيع ، ولكن قبائل الجزيرة العربية لا تزوج بناتهم هؤلاء لأنهم تزوجوا واختلطوا بالأعاجم .

بني خالد

وهي قبيلة كبيرة من الاشراف في الاحساء . وقد اشتهرت هذه القبيلة في



التاريخ العربي ، والببت الحاكم فيها هو ابن عرابير .

بني صخر

وهي قبيلة من الاشراف في الاردن .

بني تميم

وهي قبيلة عربية من الاشراف في الجزيرة العربية تقطن اليوم في قطر .
وحكم قطر الحاليين هم من بني تميم .

بني تميم

بني تميم

وهي قبيلة من الاشراف تقطن في نجران على حدود اليمن الشمالية الشرقية .
وينسبهم أخوة بالدم لآل عجمان وآل مره .

بني ياس

وهي قبيلة من الاشراف في عمان حول ابو ظبي ونسرق قطر على الخليج
الفارسي .

بلي

بلي

قبيلة في شمال الحجاز قائدها ابن رفاذه .

دواسر

قبيلة من الاشراف في وادي دواسر جنوب الرياض .

حرب

قبيلة من الاشراف في نجد العائلة الحاكمة فيها هم آل فرم .

حسوية

قبيلة من الزراع في الخفوف .

حتم

قبيلة قوية من غير الأشراف في شمال الحجاز .

آل خليفه

وهم حكام البحرين وينحدرون مع آل الصباح في الكويت من قبيلة
عمارات المتفرعة من عبيد . ومع أنه كانت لآل خليفه علاقات مباشرة
مع البريطانيين منذ سنة ١٨٠٥ ودخلوا معهم في معاهدة سنة ١٨٢٠ ، إلا أنهم
لم يوقعوا مع البريطانيين اتفاقات ملزمة كذلك المعقودة مع عمارة إلا في سنة
١٨٦٧ في زمن الشيخ عيسى ابن علي آل خليفه . والشيخ عيسى مدين للبريطانيين
بتولية الحكم لأنهم نصره ضد فرع آخر من العائلة اعلى مقاماً ظلوا يحاولون
الاستيلاء على الحكم في الجزيرة .

وقد حكم الشيخ عيسى حتى سنة ١٩٢٣ حين عزله الوكيل البريطاني الميجر
دالي الذي كان يأمر بأمر حكومة الهند وعين ابنه حمد خلفاً له على العرش .
وظل الشيخ حمد بن عيسى آل خليفه في الحكم حتى وفاته في سنة ١٩٤٢ وخلفه
ابنه الحاكم الحالي الشيخ سلمان بن حمد آل خليفه وهو من أكثر الحكام في الجزيرة
العربية حكمة ويتمتع بحب واحترام الشعب . ولا زالت البحرين حتى اليوم
ترتبط باوثق المعاهدات مع الحكومة البريطانية .

مناصير

قبيلة من الأشراف في عُمان .

آل مرة

قبيلة قوية في وسط وجنوب شرقي الجزيرة العربية لم تعرف كثيراً مع أنه

كتب عنها الكثير . فقد كتب عنها برtram غوماس ، وويل هاريسون في كتابه « العرب في ديارهم » وسانت جسون فيليبي في كتابه « الربيع الحلي » ، وكلهم أشاروا إلى البيئة الغامضة التي تعيش فيها هذه القبيلة ، وإلى رفقاتها الشعبية ، وخرافاتهما ، وقوة بأس أفرادها ومدة مراسيمهم . ومع هذا فلن يكون هنالك نصير من إضافة بعض الملاحظات التي حالت في الحظ في الحصول عليها من رجال ونساء آل مره الذين صادفهم في بعض الأحيان . وسأني على ذكر عدد من القصص والحوادث في فصول أخرى من الكتاب ، وسنحصر حديثنا هنا بتلك التفاصيل المتعلقة بطريقة حياتهم وديرتهم وتاريخهم .

انهم قوم أشداء معندون بأنفسهم اشتهروا بالولاء لمن مالهم (أي أكل من أكلهم وأكلوا من أكله) ، أو لمن قدموا له الطاعة والخضوع ، أو تحالفوا معه وقطعوا له عهداً . وهذا ما يفسر تسلمهم بعيد العزيز آل سعود وبخلفه الملك الحلي . ويذعنون ان خيامهم يبلغ عددها عشرة آلاف . ومع انه قد يكون في هذا الرقم بعض المبالغة إلا أن عددهم اكبر من التقديرات السائرة . وبما انهم من الاشراف فانهم لا يتزوجون ولا يتزوجون إلا من الاشراف . وهم ينو عم قبيلة عجمان القوية التي تعيش ايام مشيم الى الشمال . فجد آل مره الأول علي بن مره هو اخ عم جد العجمان . وامهم أيضاً امهما مره وهي قبيلة مشيرة .

وديرة آل مره التي يسكنونها هي اواسط الربع الحلي والمناطق الشمالية والشرقية منه . وهم ينظرون إلى واحة جبرين بأنها ملكهم الخاص يخيمون فيها في الصيف . ولكن قادتهم ، بسبب وجود الملايا في جبرين ، بدأوا مؤخراً تفضلون الانتقال إلى الخوف على بعد ١٨٠ ميلاً إلى الشمال الشرقي من جبرين ، ويضربون خيامهم في رقيجه وهي منطقة خاصة بالبدو خارج المدينة . وهذا المكان الجديد سهل عليهم التزود بالطعام كما يساعدهم على الاتصال المباشر بمثلي الملك سعود .

ومنذ عدة سنوات اخبرني رجال من آل مره ان هنالك واحة أخرى اجمل من جبرين يحبون زيارتها والاشتراك فيها مع أصدقائهم من الاشراف مثل العوامر

والمناصير وبني بأس . ويقولون ان فيها ينابيع غزيرة وأشجار نخيل كثيرة ،
وانها تبعد مقر امويين على الجمال الى الشمال الغربي من البريمي ومثل هذه المسافة
الى الجنوب فالغرب من ابو ظبي ، وانت اسم هذه الواحة تدعى عجيوة .
ولم أجد لهذا الاسم مرجعاً الى ان تعرفت اليه بأنه جوه وهي واحدة او
مجموعة من الواحات في داخل ابو ظبي . وقد زارها فريق من موظفي شركة
ارامكو في احدى حملاتهم الاستكشافية العاصية المدهشة قبل الحرب العالمية
الثانية ؛ وكان دليلهم في تلك الرحلة صديقي المشهور خميس بن رمضان وهو من
آل عجمان . وزوجته هي أخت محمد بن تاهوس رئيس حرس شركة نفط الكويت
في منطقة برقان .

وفي سنة ١٩٤٣ التقيت انا وزوجتي حسن الحظ بعضو بارز من آل مره اسمه
محمد بن سالم دراهم المرعي وهو من فخذ عضيه المتفرع من نقدان . وقد جاء
محمد الى الكويت بأمر من وزير مالية ابن سعود الذي طلب منه اختيار مرعي
يتقن اقتناء الآثار ليمثل دور شركته هولمز في الكويت . وقد رفض محمد بن
سالم هذا المنصب لأن المرتب كان صغيراً فبقي عدة ايام في الكويت وتناول معنا
مرة طعام الغداء وزارنا بعد ذلك عدة مرات . وقد سمعنا منه قصصاً وروايات
هامة منها ما هو حقيقي ومنها ما هو محض اختلاق .

ومن بين الأشياء التي رواها الأمور التالية :

- ١ - ان صرخة الحرب عند آل مره هي « اولاد الشيباني » .
- ٢ - ان آل مره يخفون دائماً وفي كل الظروف لنجدة العجمان لأنهم من أصل
واحد . فاذا تعرض العجمان لهجوم فما عليهم إلا بطلقوا بين الجمال جملاً حول
عنقه صفيحة حمراء وعندئذ يهب جميع آل مره لنجدتهم . ويقول محمد ابن سالم
ان هذا التعاون في ايام الطوارئ والحق لا يعني ان آل مره وآل عجمان ليست
لهم خلافاتهم الخاصة ونزاعاتهم الدافئة .
- ٣ - وقد وصف لي بالتفصيل كيف تحدث الرمال في اعماق الصحراء اصواتاً
غريبة واعطاني تفسيراً معقولاً لهذه الظاهرة . فقال انه بفعل الرياح تتكون

سلاسل متموجة من المرتفعات الرملية على منحدرات الكثبان . وعندما تأتي رياح قوية تفرق هذه التموجات فتحدث صوتاً أشبه بصوت طائرة في الفضاء . ويروي رجال القبائل العاديون من آل مره ان هذا هو صوت الجن في الربع الخالي وان ذلك أحياناً يصيب الانسان بس من الجنون . ويقول محمد ان الجن هناك لها عين مشقوقة من الأعلى الى الأسفل وليس أفقياً كما في الانسان ، وان جدة القبيلة كانت جنية وبالطبع لها مثل هاتين العينين .

٤ - ان آل مره يدربون انفسهم على البقاء دون ماء . ومع ان محمد بن سالم كان في الكويت على بعد ٨٠٠ ميل من دبرقه فإنه لم يذوق طعم الماء لمدة سنة كاملة الا في القهوة . والشرايب المفضل لديهم هو حليب الجمال .

٥ - ان طريقهم في الحرب هي نفسها : استدراج العدو الى الانحاء البعيدة من الربع الخالي والقضاء عليه .

٦ - ان اعظم شرف يصبه المري على ضيفه هو ان يذبح له جملاً صغيراً ويفليه بحليب أمه .

٧ - ليس كل آل مره من مقتني الآبار المتنازير . ويعترف بهذه المقتيرة العجيبة للثقلان منهم .

٨ - عندما يصبح المرء صديقاً يبقى صديقاً الى الأبد .

وأخبرني محمد القصة التالية عن أصل آل مره :

منذ عدة مئات من السنين وقبل زمن ابراهيم حين لم تكن هناك دبابة ولم يعود الناس على الصوم والصلاة ، كان يعيش في جنوب الجزيرة العربية فارس شهير يدعي علي بن مره أخو بم جد قبيلة عجمان . (هنالك من يقول ان عجمان ينحدر من مرزوق ابن علي ابن مره) .

و ذات يوم من أيام الربيع كان علي بن مره حزيناً لأن الحرب تفشى في جماله الاربعين فلم يبق منها على قيد الحياة إلا أربعة كانت مريضة تتألم . فلم يطق علي ان يرى هذا المنظر المؤسف فحمل نفسه بالأسا وتوجه الى الربع الخالي . وهناك وفي مكان متفرد وقع نظره على فتاة حسناء تصارع من أجل حياتها مع ظئب

كبير ، فهرع الى غنيتها ونجح في قتل الذئب . وشكرته الفتاة على جميله وسألته ان يطلب اي شيء فتمنحه أمه . فاعرب لها عن رغبته في الزواج منها . فاجابته ان ذلك غير ممكن ما لم تحصل على موافقة والدها واخوتها الذين يعيشون مع شعبها من الجن في بطن الأرض . وعندئذ تأكد علي بن مره ان تلك الشابة ليست انساناً عادياً بل هي جنية .

وما وجدته لا يزال حزيناً سأله عما يؤلمه فأخبرها قصته بأنه ترك جماله الأربعة السابقة وراء تلة تتألم فلم يطق ان يراها فبوت أمامه فهجرتها . - تعال معي ، قالت له الجنية ، وانا آخذك الى والدي فهو يعرف كيف يداوي جمالك ويمكنك أيضاً ان تطلب منه يدي .

وبعد ذلك طلبت من علي بن مره ان يغمض عينيه وشدت عليها يديها واعطت اشارة فانفتح كهف عظيم في بطن الأرض يجانبها فتزلا فيه الى العالم السفلي لمقابلة شعب الجن .

وعندما ازاحت يديها عن عينيه دهش علي بن مره عندما وجد بلداً جميلة أمام نظريه ينساب فيها الماء من كل جانب وتنت فيها الاعشاب والازهار في كل مكان . ورأى أيضاً ان عيين الفتاة اصحبتا مشعقتين من الأعلى الى الأسفل بعد ان كلتا فوق الأرض كميني البشر . ولكن ذلك لم يفقدها شيئاً من جمالها . واقتادت الجنية علي بن مره الى والدها واخبرته بالقصة كاملة ، كيف انقذها علي من الذئب وكيف ترك علي جماله فبوت وراء التل ولأنه يرغب في الزواج منها وانها ابنت استعدادها لذلك بشرط ان يعطي موافقته ، فوافق الأب وأولاده في الحال على زواجها من علي وابدى جميع الجن في المكان اعجابهم وقصديهم لعلي لأنه انقذ أميرهم من الذئب . وتبين علي ان هذه الفتاة هي ابنة شيخ الجن .

وقد وضع الجن شرطاً واحداً على علي بن مره وهو انه ان يسمي بعد ذلك باسم الله بل باسم الجن ، وان لا يقوم بأي نوع من العبادة والصلاة باسم الله بل

باسم الجن . وإبلىوه أنه إذا فعل ذلك فإن أموراً رهيبة ستحدث له .
فوافق علي بن مرة ، وقد تبعه الحب ، على هذه الشروط . فاحتفلوا بالزفاف
بفرح عظيم وقدموا للفتاة مهرأ غالياً .

وعاش علي مع الجن بعد الزفاف سبعة أيام وجد فيهما أن الجن يعيشون
كالإنس لهم جماعات وانعامهم ومعاشرتهم وخيامهم السوداء . والفرق الوحيد هو
أن عين الجن مشقوقة من الأعلى إلى الأسفل وأن طعامهم يطهى بدون ملح .

وبعد سبعة أيام سمح لعلي أن يصطحب عروسه ويخرج إلى العالم الفوقي .
وبعد رداء أهلها وأصحابها وضعت الجنية يديها على عيني زوجها علي وانفذته
إلى فوق الأرض من المكان الذي انحدرا به . وسر علي سروراً لا حد له عندما
رأى أمام باب الكهف الجمال المتمتع بالعمامة . وعندما قُطِعَ بزوجه ليشاركها
وجد أن عينيها تحولتا إلى عيني بشر وأنها أصبحت كغيرها من النساء ولكنها
أجمل نساء الأرض . فبالفئة أن هذه الجمال هي هدية من والدها بمناسبة الزفاف .

راقب علي زوجته وجمالها إلى نحران حيث تعيش أمه مرة وهي من أشرف
قبيلة قحطان . وهناك عاش سعيداً مع زوجته الجنية التي أنجبت له طفلة جميلة .
ومرت الأيام وأصبح عمر ابنته سبع سنوات كآلت أحوال علي بن مرة خلالها
تنحس باستمرار . وفي يوم من الأيام خرج في رحلة طويلة متعبة بحثاً عن جملته
التي تشتت واستغرقت رحلته عدة أيام عاد بعدها مشككاً . ولم تره زوجته فادماً
لأنها كانت تدبر ظهرها إلى المكان الذي قدم منه فوقف وراءها يتأملها وكانت
هي تجلس القرفصاء فازعة شعرها الذي وضعته في حفنها فسطه . ولم يكن علي
يعرف أن تلك هي عادة من عادات الجن فأثاره رأسها العاري فأمماً من الشعر فصرخ
من الدهشة « باسم الله » .

عندئذ ابرقت السماء وأرعدت وانفتحت الأرض وانسلت زوجته وخيمته
وكل مقتنياته . وانفذ علي نفسه بأن ارتقى إلى الوراء مسكاً ابنته بين ذراعيه
بقوة حتى لا تختفي مع أمها .

وكبرت الفتاة وتزوجت أحد أقرباء والدها . وهذه الفتاة هي جدة آل مرة

الذين يبلغ عددهم اليوم أكثر من ٢٠ ألف نسمة .

هذه هي القصة التي أخبرني إياها محمد ابن سالم ابن دراهم المرتبي .
وإذا سئل أحد آل مره عن اسمه يقرن اسمه باسم أمه كأن يقول : أنا علي
ابن نورا . وقال لي عدد من الأشخاص الذين بحثت معهم هذا الموضوع إن سبب
ذلك وقائي فلا يكني واحدهم نفسه بأبيه أمام الغرباء بسبب الآثار الكثيرة في
تلك المنطقة .

ولكن السبب في اعتقادي أن آل مره يفعلون ذلك تيمناً بجدتهم الجنية .
ويشهر آل مره كما ذكرت سابقاً بقدرتهم على اقتفاء الآثار . وكثيرة هي
القصص التي يروونها عن هذه الموهبة الخارقة . وهم يقتخرون بذلك ويتحدثون
عنه دائماً . وتبلغ قدرتهم في الاستدلال إلى حد يستطيعون فيه معرفة ابن من
هذا الشخص أو ذاك الجمل دون أن يروه ولكن بمجرد التطلع إلى آثار أقدامه .
ويدعون أن هذه المعرفة موروثه من الجن والأرواح التي تسكن باطن الأرض .
وفيما يلي أقسام قبيلة آل مره :

آل بيه : شيخهم الصغرى وينقسمون إلى قسمين آل سمره وآل سنيت .
انفهادهم : شيخهم ابن شريم وينقسمون أيضاً إلى قسمين آل بريد وآل درويه .
آل جابر : شيخهم الجابر المرافف المعروف براعي جبرين إشارة إلى ملكيته
لواحة جبرين .

آل مهنا : شيخهم طالب المهنا .

آل نقدان : شيخهم الأعلى فيصل ابن نقدان من فرع آل عضبه الذي ينتمي
إليه صديقنا محمد ابن سالم ابن دراهم المرتبي الذي أعطانى كل هذه المعلومات بما
فيها أسماء الشيوخ التي ورد ذكرها في هذه الفقرات . أما القروى الأخرى من
نقدان فهي : آل غفران وآل غياثين وآل جرابعه .

وقد حاولنا الحظ إذا وزوجتي والتقينا بالشيخ محمد ابن صالح ابو ليلى شيخ
آل غفران عندما قدم مع اخته نورا الشراء بعض الحاجيات من الكويت . وقد
قمنا نحن بزيارتهم في خيام آل عجبان على قمة الشامية خارج الكويت وهي مكان

يخرج فيه البدو في الصيف . ولم يكن لدى الشيخ محمد وابنته خيمة بالمعنى الصحيح لأنها مسافران بل كانا يقيان في مكان مكشوف وحوائجها وماشيتها في زريبة حولهم . وفي اليوم التالي جاءا لزيارتنا في المنزل وأظهرت لنا الفتاة رداً وصادقة كبيرتين . وقالت انها لأول مرة ترى امرأة انكليزية او رجلاً انكليزي وبدي عليها بعض القلق لوجودها داخل منزل خوفاً ، كما قالت فيما بعد ، من ان ينهار عليها السقف وي سحقها . ولم نشاهد مدينته إلا مرة في حياتها وهي الهفوف ولكنها لم تدخلها ، وقد سررتنا بالحديث معها . وهذه الفتاة تبلغ من العمر ٢٤ عاماً بسيطة دائمة الابتسامة كثيرة الفضول ولكنها أقل عصبية من غيرها من بنات منير^(١) أو عجبان . وقالت انها ترغب في البقاء معنا دائماً . وكان شقيقها أيضاً والعم ويتكلم كأخذه لغة عربية جميلة يسهل فهمها أكثر من لغة العجبان والقبائل الشمالية . وفي البحث عن الأنساب وخاصة فيما يتعلق بعمير قبيلة آل مره ذكر لي بذورن تردد وبناتل من لح البصر أسماء اثنين وعشرين من أجداده حسب التسلسل - أي الى حوالي القرن الثاني عشر - وقال إنه نسي البقية . ووافق الشيخ محمد ان الجند الأول لقبيلة آل مره هو علي ابن مره (الملقب بعلي الكافر) وأعرب عن اعتقاده ايضاً ان آل عجبان لا ينحدرون من عم شقيق علي بل من مرزوق ابن علي .

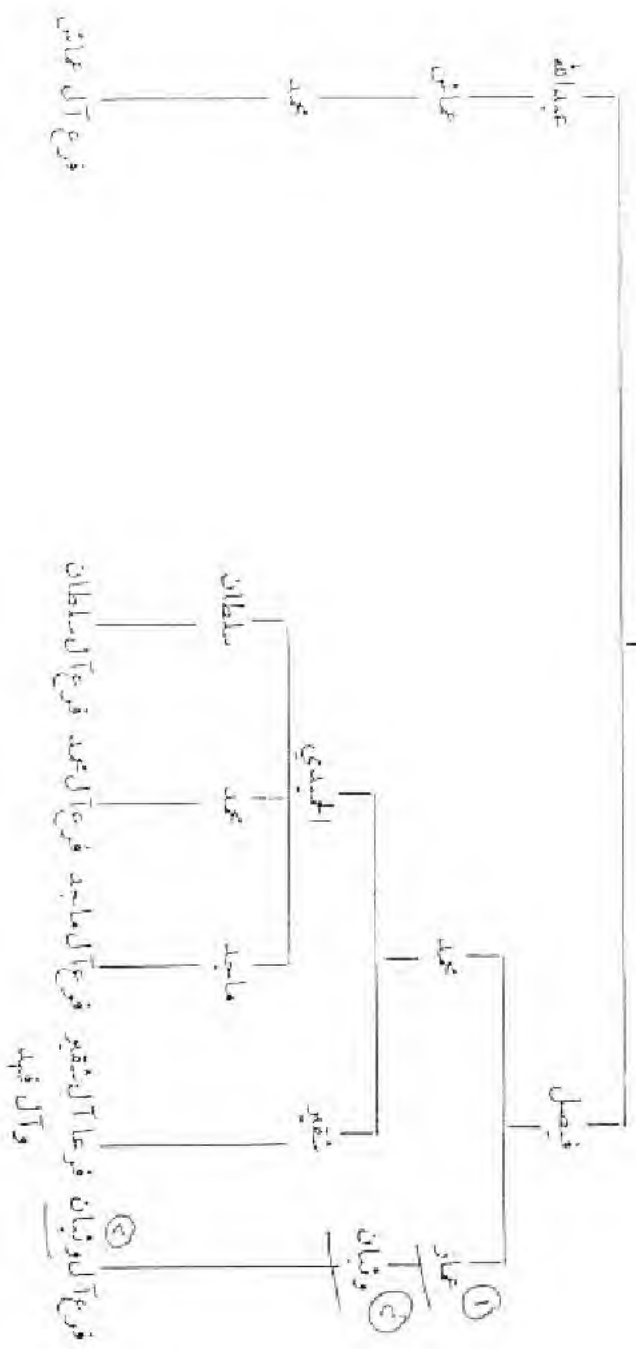
منير^(٢)

ان قبيلة منير من أبرز قبائل الجزيرة العربية ولهم تقاليد رائعة . وتنقسم هذه القبيلة الى ثلاثة أقسام : آل دوشان وهم الحاكمون في القبيلة ، وآل علوه ، وآل بريج . وينتد هؤلاء من الكويت في الشمال الى حزام الدهان^(٣) الرمال في الجنوب ويلتزمون الجانب الشرقي من الباطن ويتجهون بلاد العجبان والموازيم . وكانت مراعيهم دائماً في الأماكن المجاورة للكويت . وهم يتمتعون بصورة خاصة بقرية الجمال والحيول . وقد اشتهروا في الحروب بقدرةهم على شن هجمات مفاجئة من قواعد بعيدة .

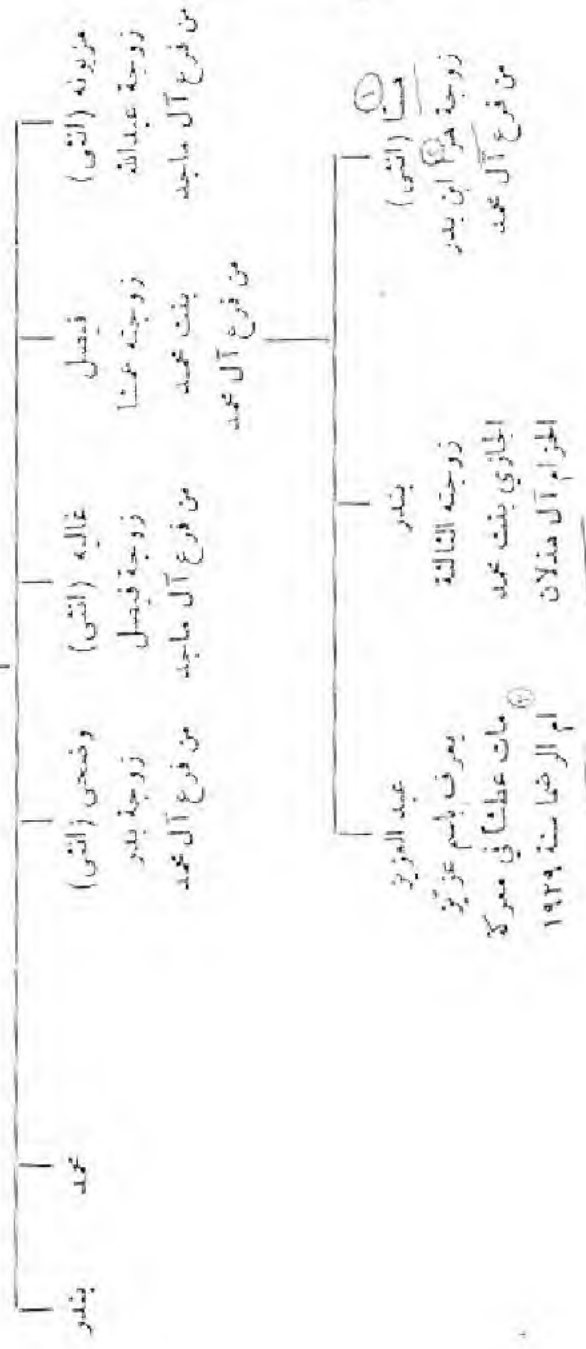
① وفي
ج. بريج
في الرضا

عائلة آل دریش

دریشان



ملاحظات



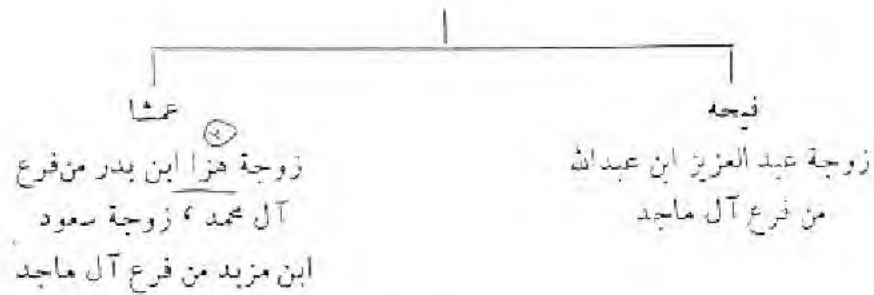
Handwritten signature

وينقسم الدوشان الى عدة اقسام ولكنها كلها فروع من عائلة الدويش .
وهذه الاقسام مع رؤسائها هي كما يلي :

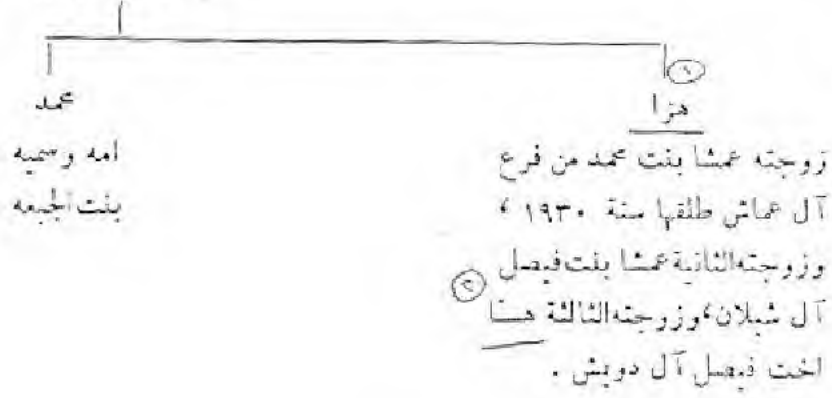
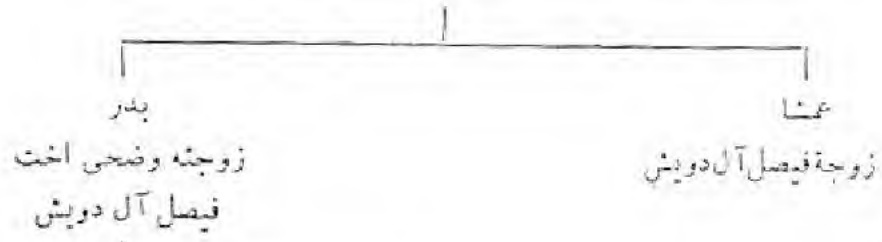
- | | | | |
|----------|---|---|-----|
| آل عماش | — | محمد ابن عماش آل دويش . | |
| آل سلطان | — | بندر ابن فيصل بن سلطان آل دويش . | |
| آل محمد | — | محمد ابن بدر آل دويش . | |
| آل ماجد | — | عبد العزيز ابن عبدالله الماجد آل دويش . | |
| آل شفيق | — | ترحيب ابن بندر الشفيق آل دويش . | |
| آل فهد | — | ماجد الاسفي آل دويش . | قمة |
| آل وثيان | — | محمد ابن بندر الوثيان آل دويش . | ن |
- وعلى الصفحة ٨٦ يرى القاريء النسب المشترك لهذه الفروع .

وشيخ الدوشان الاعلى وشيخ جميع مشير هو اليوم بندر ابن فيصل ابن سلطان آل دويش وهو ابن فيصل آل دويش الشهير . وهؤلاء من فرع آل سلطان كما يندر على الصفحة ٨٦ . وقد تزوج آل دوشان مع عائلة آل جيعه .
أما فيما يتعلق بالفروع الأخرى فيظهر ذلك من الانساب الواردة في هذه الصفحة والصفحات التالية والتي حذقت منها الاختصاص التي لا علاقة لها بالبحث وهذه الانساب ذات فائدة للامام بالاحداث التي تسجلها .

فرع آل عماش

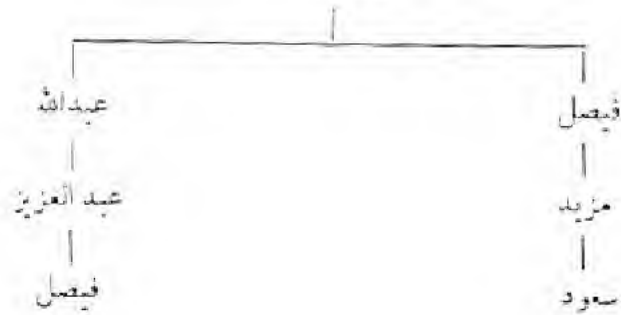


فرع آل محمد

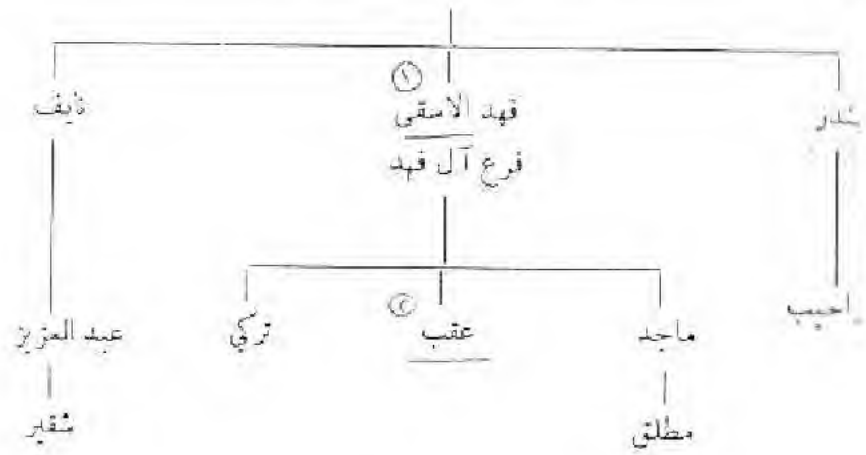


① هزا
② عمشا

فرع آل ماجد



فرع آل شقير وآل فهد



فرع آل وثبان



أما الجماعة الثانية من مشير آل علوه فينقسمون إلى الفروع التالية :

ال مواه

شيخهم الأعلى بندر آل دويش ويتفرع عنهم آل رخمات (شيخهم ابن جرييان) .

١٧ آل سحبه

شيخهم الأعلى جفران ^(١) لفقم ويتفرع عنهم آل صاويون الذين اعتقد انهم ^(٢) الفقيه ^(٣) الصهبي
في الأصل من بني عبدالله . وابن جبرين هو شيخ الضاويون مع ابن البدر ^(٤) دوي عون
يدعون ان غيرد الحق منه بالزعامة .

آل جيلان

شيخهم الأعلى سهود ابن لامبي ويتفرع عنهم آل لحايه (او يحيى) وكانت ^(٥) شوبد المظفره
شيخهم فيصل آل شبلان احد زعماء ثورة الاخوان علي ابن سعود سنة ^(٦) الصحران
١٩٢٩ - ١٩٣٠ . وبعد موته اصبح ابن أخيه المدعو مسيار شيخاً على لحايه . ^(٧) ثم بصهي
اما الجماعة الثالثة من مشير ، آل بريج ، فتفرع عنهم ثلاثة فروع : أولاد ^(٨) خلاصي

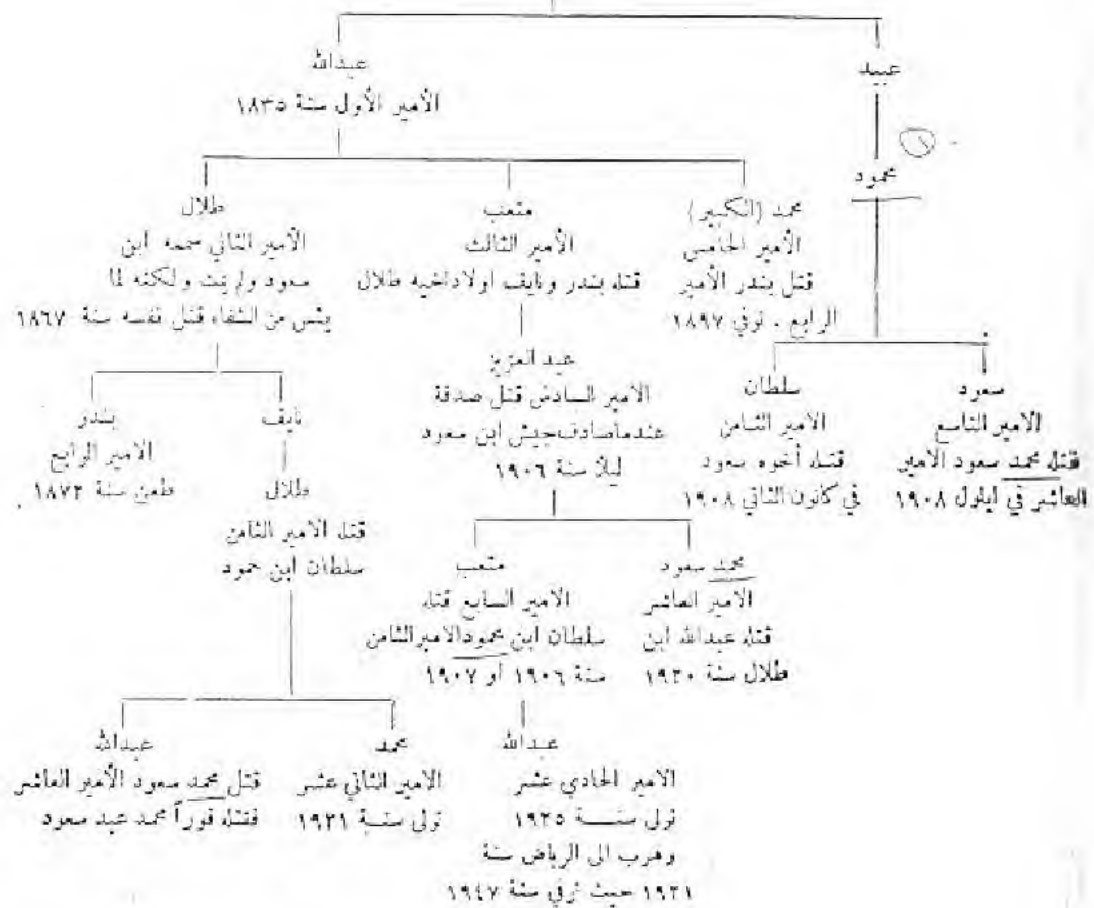
واصل (شيخهم ابن عشوان) ، وأولاد علي ، وبني عبدالله .
ويتفرع أولاد واصل بنفس الأرض مع اقلية مشير ، ولكن أولاد علي
فيقتطعون الى الجنوب والقرب من حزام الدمامه الرملي وخاصة في قسم ونحو
الحجاز بينما ينحصر بنو عبد الله في داخل نجد .

ومن فروع اولاد واصل : آل دياهي ^(٩) وشيخهم الأعلى أباد المسترقي ، وآل
برزان وشيخهم الأعلى ابن شوبربات . وقد احدثت هذه العائلة المرموقة مشاكل
كثيرة في أيامها . وبعثت قبائل شمال شرق الجزيرة العربية ان التجمع دواء لداء
الكب هو كأس من دم برزائي ولذلك فان افراد هذا الفرع من مشير مطاردون
من أولئك الذين عضتهم الكلاب المسعورة والذئاب . ومن الفروع المعروفة ايضاً
آل عمران وشيخهم ابن بليس ^(١٠) ، وآل مسامح وشيخهم سلطان ابن مهيبل .
وهناك فرع من بني عبدالله يدعون آل ميعون فيهم عدة اشخاص يدعون
المشيخة .

^(١١)
وهناك اثنتان من القبائل غير الشريفه في مشير هي الرشايده وشيخهم آسي
ابن مسيلم الذي توفي سنة ١٩٥٤ وأولاد عمهم آل هرشاش ، قديشان بالولاء
للكويت .

الحكام السابقون لحايل وجبيل شمر

الرشيد



أهل نجران

هكذا يدعى سكان مقاطعة نجران في جنوب غرب الجزيرة العربية . وقد كانوا في السابق تحت حكم امام اليمن ولكنهم اليوم تابعون للملك سعود عاهل المملكة السعودية .

قحطان

وهي قبيلة من الأشراف في جنوب غرب الجزيرة العربية تنحدر منها عن طريق آل شمر عائلة آل رشيد الملكية التي كانت تحكم حائل وجبيل شمر، وتتفرع عائلة جبعه أيضاً من قحطان . وقد سكن هؤلاء منذ وقت طويل مع الدوشان (من مشير) وتزوجوا معهم وزعيمهم اليوم هو محمد ابن مطلق الجبعه .

قواصم

قبيلة من الأشراف على سواحل عمان .

آل رشيدة

وهم قبيلة من غير الأشراف في مشير يدينون بالولاء لشيخ الكويت . ومنهم كثيرون يعملون في تدريب الصقور او البزاة للصيد الخاصة بالباط الملكي . بينما يعمل قسم آخر منهم فداويه . ويتفرع الرشيدة الى ١٥ فرعاً وهم متحالون مع أولاد حمهم آل هرشان .

آل رشيد

وهم الحكم السابقون في حائل وجبيل شمر وينحدرون من فرع آل جعفر المنحدر من آل عبده من قبيلة شمر . وقبل نشوء أميرهم الأول عبدالله ابن رشيد كانت عائلة ابن علي - من فرع آل جعفر أيضاً - هي الحاكمة في حائل باسم آل سعود الذين كانوا يسيطرون على وسط الجزيرة العربية . واليوم فان محمد آل

رشيد الأمير الثاني عشر رهينة في بلاد الملك سعود .

آل رشيد

قبيلة صغيرة في جنوب الجزيرة العربية لا علاقة لها بآل رشيد في حائل .

آل صباح

لقد اتينا على التفاصيل فيما يتعلق باصل هذه العائلة الحاكمة في الكويت اليوم ، في الفصل الأول من الكتاب . وسنلحق في آخر الكتاب شجرة لهذه العائلة لأطلاع القارئ ، وقد حذف منها الأسماء التي لا علاقة لها بالبحث .

سهول

قبيلة من الأشراف تتصل بقبيلة سبيع وديرتها في الأحساء ووسط الجزيرة العربية .

سيار

قبيلة تسكن داخل حضرموت في جنوب الجزيرة العربية . وقد أخبرني صديقي محمد بن سالم ابن دراهم المري أن قبيلة سيار من أسوأ القبائل في الغزو ولكنهم يخافون من آل مره .

آل سعود

حكام المملكة العربية السعودية وكانوا في القرن الخامس عشر أمراء ضريعه عاصمة نجد القديمة . وهم ينتمون إلى قبيلة المساليح في عنيزة التي هي نفسها فرع من ولد علي في عرب نجد وينحدرون من اسماعيل عبدودان . وبناء على ما يقوله آل سعود فإنهم ينحدرون من بني بكر وائل عبد مهشا ابن ربيعة ملك نجد والأحساء وعمان في القرن الخامس عشر . وسننشر شجرة نسبهم في

آخر الكتاب لاطلاع القارئ . وعند توفي الملك عبد العزيز آل سعود في ٩ تشرين الثاني سنة ١٩٥٣ خلفه ابنه الأكبر سعود ، واصل ابنه الثاني فيصل ولياً للعهد ورئيساً للوزراء ووزيراً للدفاع .

سبيع

قبيلة من الاشراف في الاحساء ووسط الجزيرة العربية (راجع بني كعب) .

شمر

قبيلة من الاشراف في الجزء الشمالي من وسط الجزيرة العربية حول حائل ورجيل شمر وينتمون اليوم بالولاء لملك السعودية . وهم ثلاثة فروع : آل عبده ، وآل أسلم ، وآل سحارة . وينحدر بيت آل رشيد الملكي من آل عبده من قحطان . وفروع آل شمر الثلاثة ينحدرون من قحطان ولكن الشيخ ضيدان ابن عتلة وهو الشيخ الأعلى في آل زعب الخبيري ان آل عبده فقط يحق لهم انتظام بهذا الانقسام .

آل سديري

عائلة مرموقة في نجد . وسنذكر تأسيرها على إدارة الحكم السعودي في شجرة نسبهم على الصفحة التالية .

صليحة

مرشدون وصيادون مهرة ولكنهم يقال عنهم انهم ينحدرون من بقايا الصليبيين ، ويحتقرهم البدو في الصحراء كثيراً ، وهم أقرب الى مجتمع منهم الى قبيلة وهم يقيمون بمجموعات سكنية ثابتة خارج أسوار المدن كالكويت واربور . ونسأؤهم لا يتفتمن ولا يضعن الملفح على الجزء الأسفل من الوجه .

عائلة السديري

الاب

أحمد

سعد

ساره

خال الملك عبد العزيز آل سعود

امير الدينه وخال الملك
عبد العزيز آل سعود

ام الملك عبد العزيز آل سعود

محمد

عبد العزيز

عبد الرحمن

خالد

تركي^①

سلطان

امير الجند *

امير قريات

امير سكاكه ١٩٥٠

امير تبوك

امير ابنه

امير ليث

في سكاكه ١٩٥٠

قرب الجوف ١٩٥٠

عاصمه عسير

• امير الجند هو قائد فرقة المجاهدين المكونة في سكاكه قرب الجوف لحماية خط النفط الثالوث الممتدة من الاحساء الى حيفا في لبنان .

① ابنه

عتيبة

قبيلة من الاشراف في الجزء الغربي من وسط الجزيرة العربية . وتنقسم هذه القبيلة إلى فرعين : آل حميد وآل روفة . وكانت قبيلة عمار في وقت من الأوقات فرعاً قريباً من عتيبة .

آل زعب (وعدوان)

قبيلة صغيرة من الاشراف ليس لها موطن محدد وهي شقيقة قبيلة صغيرة أخرى تدعى عدوان . وهاتان القبيلتان دائماً ترحلان معاً وتقيان معاً . رواخبي الشيخ ضيدان بن عفس من كبار شيوخ آل زعب في الاحساء ان عدوان ، وهي القسم الأقل شأنًا اليوم ، كانت قبيلة عظيمة في زمن الرسول ﷺ وكانوا يستطيعون تجنيد ألف خيال عدا عن الهجاة . وهم قبيلة من اشراف العرب المستعربة (من نسل اسماعيل) .

اما اليوم فان آل زعب منتشرون في كل مكان ويستطيع المرء ان يجد منهم ٢٠ او ٣٠ خيمة بين كل قبيلة تقريبا في الجزيرة العربية . وهم لا يستطيعون الاتحاد لأن لعنة الرسول حلت عليهم بسبب ضبط أحدهم وهو يسرق حذاء الرسول .

واشتهرت نساء آل زعب بجمالهن الطلاب وقد روى لي الشيخ ضيدان مثلاً قديماً يقول : لا تنزوج امرأة من زعب ولا تركب جملاً عمانياً ، فالأولى تفسد بيتك والثانية تفسدك .

القِسْمُ الثَّانِي

لا يقدم القوم الا خيارها

* الأحداث ابتداءً من سنة ١٧٤٢ م سردها المؤلف في هذا الفصل تماماً ، وترجمته عن نسخة الأصل
أما الأسماء فقد تم تعديلها

الفصل الرابع

نشوء ونهيار الوهابية *

١٧٤٢-١٨٩٣

١) لعينه
٢) العاصم
٣) شهابي تعليمه

في حوالي نهاية القرن السابع عشر ، انقسمت نجد والجزيرة العربية عموماً ، باستثناء عمان واليمن والحجاز ، الى مقاطعات ومدن مستقلة يحكم كل واحدة منها أحد زعماء القبائل بحماية البدو . أما الدين فقد نسي ، إلا بأشكاله البدائية ، بين أهل المدن وانتهى من الوجود عملياً بين رجال القبائل . ويقول ويليام بلغريف في أحد كتبه عن الجزيرة العربية : ولا تزال النطفوس الدينية والخرافات المتصلة اتصالاً وثيقاً بالصابئية ، كعبادة الشمس والقمر والنجوم ، كما كان الحال قبل الإسلام ، تجدد من يفضلهم ، بينما أصبح الطهور ومراسم الزواج المقدسة شيئاً ميتاً . ① وفي سنة ١٦٩١ ولد في مدينة عيانه في جنوب العريض إحدى مقاطعات نجد ، شخص يدعى محمد ابن عبد الوهاب . وكان والده من قبيلة فقيم التي كانت يقودها بيت ابن علي وسيطرت على كل جبل شمر في ذلك الوقت . ② وعندما بلغ محمد من الرشد بدأ يتعاضى التجارة كما يفعل معظم شبان نجد

(٥)

الى اليوم . وكانت رحلته التجارية الأولى الى البصرة في بغداد . وبالنتيجة الى دمشق حيث التقى بعدد من علماء الدين المزمعين وكثروا من السنة وبعضهم يدين ، مثله ، بالمذهب الحنبلي وبعضهم الآخر بالمذهب الشافعي . وكان هؤلاء العلماء يعارضون المفكرين غير الملتزمين في الشمال ، ويعارضون الحرافات التي يمارسها الدراويش وما شابه ذلك ، ويعارضون كل ما ادخله الفرس والأتراك من افكار الى الشرق العربي .

[ويقال ان محمد ابن عبد الوهاب زار البشجاف في الهند قبل ان يتوجه الى البصرة ، وهناك التقى بمؤسس الجماعة التي تميل الى الحرب والقتال ، السيخ . ولكن هذه الرواية مشكوك بصحتها .] وبعد ان اكمل محمد ابن عبد الوهاب دروساً في الشرع بدمشق ، حج الى مكة والمدينة وعاد بعد ذلك الى موطنه نجد حيث تزوج وأقام في قرية حريلا ما قرب ضارعيه عاصمة نجد في ذلك الوقت . وهناك وفي عيانه بدأ تعاليمه . ومظاهر هذه التعاليم الأساسية هي :

- ١ - إعادة تركيز المعتقدات الحمديدية كما وردت في القرآن ورفض كل ما عدا ذلك من المعتقدات والتقاليد التي قبلها السنة .
 - ٢ - عدم الاعتراف بأي سلطة روحية للعثمانيين ، أو أي خليفة آخر ، وبأي احترام خاص يتوجب اداؤه لاشراف مكة (السادة الذين ينحدرون من الرسول) ، أو للقديسين والاولياء ، أو للدراويش وغيرهم من الاشخاص .
 - ٣ - إعادة الانضباط في قضايا الصلاة والصوم والحج .
 - ٤ - تحريم الخمر ، والتبغ ، والعباقرة ، والسحر ، ولبس الذهب والفضة ، واقامة احجار تذكارية على قبور الأموات .
- وكان محمد ابن عبد الوهاب يتمتع بحيوية جسدية وفكرية ، وساعدته تجربته في دمشق ، كما قال بلغريف ، على جمع آرائه وبرتقنها وتحديدتها بوضوح . وقد كانت قبل ذلك في ذهنه بصورة مشوشة غير منتظمة . فقد تعلم ان يميز بين عناصر الاسلام الأساسية وبين ما طرأ عليها من بدع حديثة . وأخيراً وجد

ذاته بذلك الفكرة الأولية نقطة انطلاق الرسول وصحبه في الحجاز قبل اثني عشر قرناً .

وفي سنة ١٧٤٢ نجح محمد بن عبد الوهاب في اقناع وتحويل محمد ابن سعود حاكم العريض . وكان محمد ابن سعود ينتمي الى قبيلة المسالبخ من عبدية ، فلما اعتنق افكار محمد بن عبد الوهاب ، تبعه الكثيرون من سكان ضارعية والمناطق المجاورة فأصبح رأس هذه الديانة المستصلحة ، وكان يدعي الوهابيون ، رأس الاسلام كله .

① انظر سعود العام
في كتابه
الذي ذكره
ص ١٢٠

١٢٥٨

١٢٥٩

وبفضل توجيهات محالس محمد بن عبد الوهاب ، والموجة الجديدة العارمة من التعاليم الجديدة ، استطاع محمد ابن سعود ان يبسط سلطانه على كل العريض ثم على القسم الأكبر من نجد ، فأصبح بذلك سنة ١٧٤٥ أول أمير وهابي في تلك المقاطعة . وكان اشد خصومه أهل الرياض الذين صمدوا طويلاً بقيادة الشيخ محمد ابن دوس تسامده ابن عراعر العائلة الحاكمة في قبيلة بني خالد الشمرية . وهؤلاء - أي بني خالد - يشبهون الى حد كبير آل السعدون في المنتفق الكبير بالعراق . فهم يملكون منطقتي الاحساء والقطيف . ومع انهم اجبروا على دفع الجزية ، فقد كانوا دائماً على عداوة مع آل سعود ولا يزالون كذلك حتى اليوم .

وكان من اشد خصوم الوهابية ثنيان ابن سعود شقيق الأمير محمد الذي لا يزال نسله ينتمي الى معارضي الوهابية في العريض . ولكنه تجدد الإشارة هنا اني ان احمد ابن ثنيان رئيس هذا الفرع المعارض من آل سعود ، قام سنة ١٩١٩ بزيارة لندن مع فيصل ابن عبد العزيز آل سعود وفضل ان يرمي موته من اشد مؤيدي هذا الحاكم .

توفي محمد ابن سعود سنة ١٧٦٥ وخلفه ابنه عبد العزيز . اما محمد ابن عبد الوهاب فقد عاش عمراً طويلاً وتوفي سنة ١٧٨٧ .

علي باشا يهاجم الاحساء

وكان الأمير الثاني في نجد رجلاً قوياً طموحاً ، فبعد أن أخضع نجد والاحساء

أخذ يتوسع بقوة السلاح شمالاً حتى البصرة والأراضي العراقية التي كانت تضم ثلاث ولايات عثمانية هي بغداد والبصرة والموصل وكانت تشكل جزءاً من الأمة الطورية العثمانية .

وقد أفرغت هجمات عبدالعزيز على تلال سنجار قرب الموصل في شمال العراق الحكومة العثمانية بحيث أنها جردت عليه حملة سنة ١٧٩٨ بقيادة علي باشا . وكانت هذه القوة التي سارت من بغداد الى الاحساء تضم اربعة أو خمسة آلاف من المشاة تدعمهم المدفعية ومقارن كبيرة من البدو الذين تم جمعهم من المنتفق والظافر^١ والقبائل الأخرى المعادية للوهابية . واستطاعت هذه القوة التي اتخذت طريقها على الساحل ان تخضع القسم الأكبر من الاحساء ولكنها فشلت في احتلال العاصمة المحصنة ، المنوف .

طيفر
ع

وعندما اضطر علي باشا الى التراجع شمالاً اصطدم بقوات سعود ابن عبدالعزيز آل سعود (ابن الأمير) الذي كان مركزه قرب آبار ثبيج^٢ . ولم يكن هناك بد من وقوع معركة طاحنة بينهما ولكن رسالة البدو القاطنين هناك أفلحت في تجنب وقوع المعركة بشرط ان يسمح لقرات علي باشا ان تعود الى البصرة دون ان يتعرض لها أحد . ونتيجة لذلك عباد سعود فاستولى على الاحساء وانزل العقاب بأولئك الذين خضعوا للأتراك .

وأسهم هذا الحادث اسهاماً كبيراً في انتشار الوهابية وامتدادها واخذت تنهال عليهم عروض الخضوع والولاء من كل جانب . ووجد الأمير عبدالعزيز انه من الحكمة ان يصالح بغداد فأرسل هدايا ثمينة وقطيعاً من الخيول الأصيلة كعريون لاسترضاء الوالي سليمان باشا .

ويظهر ان الأمير كان رجلاً محباً للسلام متواضعاً بسيط المظهر والعبادات ومخلصاً أشد الاخلاص . ولكن ابنه سعود كان بحارياً وهو الذي دفع بالوهابية الى التوسع والانتشار . وتجدر الملاحظة هنا كيف ان طباع هذا الأمير وابنه تنعكس تماماً في الأمير عبد الرحمن وابنه الملك الراحل عبدالعزيز آل سعود والد الملك الحالي .

وأصبحت الوهابية دولة لها حكومة ثابتة وإدارة مركزية ونظام للضرائب بدلاً من الجزية وجيش على أهبة الاستعداد بقيادة سعود .

وكانت هنالك ، كما في الوقت الحاضر ، معارضة شديدة للوهابية في الصحراء حيث يتمك البدو بثقاليدهم واستقلالهم . وزاد تلك المعارضة ضراماً الانضباط الديني الصارم الذي فرض عليهم .

① القصيم
عالم

قصيم وجبل شمر حيث تتركز حياة البدو ، لم تقبل المعتقدات الوهابية بحماس ، بينما قبلتها الأحساء بالأكراه لأن سكانها شعب عامل تربطه بالهند وبلاد فارس علاقات تجارية . ويبدو أن جنوب نجد وحده هو الذي أقبل على الوهابية بتمسك . وكان هذا التعصب قوة للوهابية وسبباً في انتشارها .

وفي سنة ١٧٩٩ حج سعود إلى مكة لأول مرة على رأس أربعة آلاف من أتباعه المسلمين . وقد تكرر هذا العمل سنة ١٨٠٠ . وحتى وقت قريب كان طريق الحج من بغداد والبحرين إلى مكة عبر نجد ممنوعاً على الشيعة الذين ينظر اليهم الوهابيون بأنهم كفرة لمعارضتهم السنة . وقد أثار ذلك شعور العداء للوهابية في العراق وإيران حيث أغلبية السكان هم من الشيعة بحيث أن إيرانيين من كربلاء أقدم على اغتيال عبدالعزيز . ويقول الكولونيل روس المقيم البريطاني في بوشير في ذلك الوقت إن هذا الحادث وقع سنة ١٨٠٣ . ولكن آل سعود يقولون إنه حدث سنة ١٨٠٠ . وهذا التاريخ أكثر انطباعاً على الواقع . ومثلاً على ذلك ، جردت حملة سنة ١٨٠١ على عمان بقيادة سليم ^② الخرق أحد ضباط سعود . وفي نفس السنة زحف سعود نفسه على رأس عشرين ألف رجل إلى القريات في ٢٩ نيسان وهاجم كربلاء وأعمل السيف في رقاب كل الذكور من سكانها ونهب قبر الحسين وعاد محملاً بالغنائم .

وكان نجاح هذا الهجوم ، باسم الإصلاح الديني ، على مدينة ضمن خراج السلطان ، مبعثاً للرعب والدمشة في جميع أنحاء العالم الإسلامي .

وقد فرضت الجزية على جزر البحرين سنة ١٨٠٢ . وأمنت الوهابية على طول الشاطئ الشرقي إلى الباطنة على خليج عمان . واعتنقت عدة قبائل عمانية

المذهب الوهابي ودفعت الزكاة للأمير سعود ، وبعض تلك القبائل وعلى رأسها القواسم ورأس الجميع لا تزال على المذهب الوهابي الى اليوم .
وفي سنة ١٨٠٣ نشأ خلاف مع غالب شريف مكة ، فزحف سعود الى الحجاز على رأس جيش قوي واحتل الطائف ودخل مكة في اول أيار فغزل غالب وعين مكانه شريفاً على مكة من اتباعه ، ولم يظهر سعود في تلك الحملة بظهر العدو بل بمظهر الحجاج ومنع جنوده من السلب والنهب والاعتداء .
والحادث الوحيد الذي سمح به وتميز بالعنف هو تحطيم بعض القبور الكبيرة في المدينة بحيث انهم هم أنفسهم قالوا : لم تعد هنالك أصنام في هذه المدينة الطاهرة .

والتقى سعود الضرائب والجسارك وحطم أدوات شرب التبغ ومساكن اولئك الذين يبيعون الخشيش والتبغ ، وأماكن الدعارة ، وعاد بعد ذلك الى نجد حيث قبل خضوع كل وسط الجزيرة العربية بما في ذلك المدينة المنورة .
ويمكن اعتبار هذه المرحلة ذروة سيطرة الوهابية ، فقد عم النظام وحكم القانون الجزيرة العربية بإشراف حكومة مركزية ، وعند عودته الى ضارعيه وعد سعود ، وشدد الوعد ، بحماية الارواح والممتلكات والتجارة في جميع أنحاء أمارته ، وقد استمرت هذه الحال عدة سنوات .

بدء العلاقات البريطانية — الكويتية

بدأت العلاقات بين بريطانيا والكويت سنة ١٧٧٥ أيام حكم الشيخ عبدالله والد مريم عندما كانت الايرانيون يحاصرون البصرة ، فاضطر البريطانيون الى ارسال بريد الصحراء من الخليج الفارسي الى حلب من الكويت . وقد استمر هذا الوضع حتى سنة ١٧٧٩ .

وفي سنة ١٨٠٥ طلب الشيخ عبدالله رحاك زيارته ، الدولة الحديثة التي انشأها آل خليفه علي الشاطيء الغربي لشبه جزيرة قطر عندما تركوا الكويت ، من البريطانيين ضمانات تكفل لهم ملجأ يترجعون اليه في البحرين في حالة

انقطاع وتوتر العلاقات بينهم وبين الوهابيين الذين كانوا يمثلونهم والذين قد يجبرونهم على القيام بعمليات تعرقل التجارة البريطانية. ولكن هذه المقترحات لم تلاق ترحيباً.

وفي سنة ١٨٠٧ جرد سعود حملة ثانية على القرات وحاصر مدينة النجف الأشرف المسورة ولكنه فشل في دخولها فاضطر الى التراجع. وبعد سنتين من هذه الحملة جهز جيشاً قوامه ٣٠ ألف رجل ليهاجم به بغداد ولكنه صرف النظر عن هذه الخطة عندما وقعت اضطرابات في داخل نجد. وبدلاً من ذلك زحف الى الحج في مكة وعاد بطريق المدينة التي ضمها الى امبراطوريته.

وظلت قوات الوهابيين تبرز تقدمها في عمان. ويظهر ان اسمهم عرف في الهند لاقترانه باعمال القرصنة التي ارتكبت في المحيط الهندي. وهذا مما دفع البريطانيين بالاتفاق مع سلطان مسقط ، الى تجهيز حملة ضد معاقيل قبيلتي رأس الخيمة والقواسم على مدخل الخليج الفارسي. وقد عرض على الشيخ عبدالله حاكم الكويت الاشتراك في هذه الحملة لكنه رفض. ونجحت الحملة وكانت من نتائجها الزام القواسم بمعاهدة تفرض عليهم احترام العلم البريطاني وممتلكات البريطانيين ومساعدة السفن البريطانية التي ترسو على شواطئهم.

وقد نقض القواسم الاتفاقية عدة مرات مما اضطر البريطانيين الى تجريد حملة عليهم سنة ١٨١٩ ادت الى هزيمة رأس الخيمة والى عقد سلسلة معاهدات جديدة مع القواسم وقبائل الساحل العماني. وظلت هذه المعاهدات سارية الى اليوم.

ولم تفت هذه العمليات البريطانية من عضد الوهابيين ، فتقدموا في السنة الثانية الى مطرة^① على بعد عدة أميال من مسقط ومنها الى البحرين فاحتلوها وعينوا عليها حاكماً عسكرياً يدعى ابن افضصان. ولا تزال القلعة التي بناها قائما الى اليوم ويستخدمها سمو الشيخ سلمان آل خليفة الحاكم الحالي مقراً رئيسياً للشرطة.

وبعد ذلك هاجم سعود العراق وفي سنة ١٨١١ وصل ابنه عبدالله في حملته الى ضواحي بغداد ، بينما هاجم قائده البرنقطة ، وهو بالاصل عربي ، سورية

وفرض القديّة على دمشق . وقد اتفقت المدينة بفضل التفاف بدو الشمال تحت قيادة ابن شمالان شيخ فرع الرولة من قبيلة عذينة الذي هزم ابو نقطة على العاصي مما دفع جيوش الوهابيين الى التراجع مرة ثانية الى نجد .

الاجراءات التركية ضد نجد

وبالرغم من ذلك كان من المحسّل ان تنفذ امبراطورية الوهابيين الى البحر المتوسط ويشتمل مذهب محمد بن عبد الوهاب الشعب العربي كله ، فأتضح الخطر على الدين الاسلامي الخنيف .

وقد ظهر الاتراك لأول مرة في الجزيرة العربية سنة ١٥٣٤ بعد ان فرغ السلطان سليم الاول من غزو مصر واختصب الخلافة من العباسيين واحتل مكة والمدينة وضم اليمن الى ممتلكاته . ولكن الاتراك لم يستطيعوا في وقت من الاوقات ادعاء ملكية تلك الأراضي من الجزيرة العربية الواقعة وراء المناطق المحيطة بالبحر الأحمر مباشرة . وفي القرن التالي دفعتهم الحركات الوطنية حتى من هناك فلم تنعد سيطرتهم على الجزيرة العربية طرق الحج من دمشق والقاهرة . ولم يكف رعايا السلطان محمود الثاني عن تذكيره بان ادعاء اجداده من البيت العثماني للخلافة اذا ارتكز على سيطرتهم على المدينتين المقدستين مكة والمدينة . ونتيجة لحثه على استعادة هاتين المدينتين بالقوة ، عقد السلطان محمود العزم على اتخاذ اجراءات خطيرة ضد نجد . ويمكن القول ان الأوضاع والمصالح المعقدة التي نشأت في أوروبا خلال السنوات التي سبقت ذلك هي التي أخرت اتخاذ مثل هذا الاجراء الحاسم .

ومما ساعد الوهابيين على تحقيق نجاحاتهم غزوة نابليون بونابرت لمصر وما تبعها من تفكك في تنظيمات الامبراطورية التركية . وعندما آل الحكم في مصر الى ايدي عامل قوي هو محمد علي باشا ، ائتمنته السلطان على واجب معاوية آل سعود .

وكان غياب جيوش سعود وانشغالها في الشمال ، الفرصة الذهبية أمام الجيش

المصري . فقد أرسل محمد علي باشا جيشاً قوامه ثمانية آلاف رجل إلى الحجاز بقيادة ابنه طوسون باشا .

واحتل الجيش المصري مكة بدون مقاومة . ولكنه عندما توغل في الداخل التقى بجيش عبدالله آل سعود الذي هزم جيش طوسون في الصحراء وأفسى نصفه . ولم يجد القائد المصري بداً من التراجع إلى مكة وتحصينها بانتظار الامدادات من مصر .

وغيظ محمد علي باشا لفشل ابنه فذهب بنفسه إلى مكة سنة ١٨١٣ والتقى القبض على شريف مكة لاعتقاده بأنه يساعد الوهابيين وأرسله رهينة إلى القاهرة . وفي ربيع سنة ١٨١٤ كلف طوسون باشا ثانية بقيادة حملة على نجد . فقابلوه الوهابيون بين الطائف وعرابه وهزموه مرة ثانية .

وبينا كانت الاستعدادات تجري لتجهيز حملة جديدة ، توفي الأمير الوهابي الكبير سعود ابن عبد العزيز آل سعود في نيسان من تلك السنة . واعترف الوهابيون بابنه عبدالله خلفاً له دون معارضة .

وفي كانون الثاني سنة ١٨١٥ - السنة التي وقعت فيها معركة واترلو - أزل طوسون باشا بالجيش الوهابي أول هزيمة خطيرة . واغتم القائد المصري الفرصة وتابع انتصاره فاحتل المدينة المنورة وتقدم إلى قسم المقاطعة الشمالية من نجد حيث استولى على عاصمتها راس وبدأ يعد العدة من هناك للقيام بحملة جديدة .

وتراجع عبدالله آل سعود إلى مدينة عنيزة . ومن هناك طلب فتح مفاوضات مع المصريين انتهت بخضوعه لطوسون باشا . وقد أثار ذلك دهشة الكثيرين لأن عبدالله كان لا يزال يملك جيشاً قوياً يستطيع المقاومة . وربما كانت السبب في استسلامه أنه شعر بأن مركزه في نجد مزعزع . فالمعروف عن أهل البادية أنهم يخافون وإن قاعدتهم التي لا تتغير هي اتباع الرجل القوي ولذلك خضعوا لحكم الوهابيين دون أن يقبلوا به ببلء أرادتهم . وبعد ذلك انضم الكثيرون منهم إلى صفوف الأتراك بينما فقد سكان المدن من أهل نجد على أثر هزيمة سيدهم كل نفسه بإمكانية الانتصار من جديد .

① ترتيبه
② القسم
③ الراس
④ ولم تكن هي المعركة

ومها كان الأمر فقد قبل ابن سعود ان يتقيد بالشروط التالية :

- ١ - ان يعترف بالسلطان العثماني سيداً .
- ٢ - ان يقدم رهائن ضماناً لتصرفاته في المستقبل وان يكون هو مستعداً للشول بنفسه في الامتانة اذا استدعي .
- ٣ - ان يسلم عاصمته ضارعية الى حاكم يعينه السلطان .
- ٤ - ان يعيد المجوهرات التي سلبت من المدينة المنورة اثناء زيارة والده لها سنة ١٨٠٩ .

وبموجب هذه الشروط عقد الصلح بين عبدالله وطوسون باشا . واعطى عبدالله الرهائن المطلوبة لكنه لم يسلم عاصمته ضارعية بل على العكس استعد للحصار . ولم ينقض محمد علي اتفاقية الصلح عندما علم ان عبدالله يرفض ان يذهب الى مصر .

واستدعي طوسون الى مصر وعين اخوه البالغ من العمر ٢٦ عاماً في ذلك الوقت قائداً للجيش في الجزيرة العربية مكانه . وتروي قصة طريفة فيما يتعلق بذلك .

يقال ان محمد علي عندما يش من قدرة ابنه طوسون على الوصول الى قلب نجد وتحطيم قوة الوهابيين الى الأبد ، عقد اجتماعاً لهذا الغرض في منزله بالقاهرة . وأخذ القادة العسكريون في هذا الاجتماع يشجعونه على الماضي بالحملة . ويتبارون بتبسيط امكانية النجاح كل واحد منهم يريد ان يكون هو قائد الحملة . وعندئذ طلب محمد علي بساطاً ورفاحة فاحضرا له . وبسط محمد علي البساط على الارض ووضع الرفاحة في وسطه .

وقال محمد علي لقادته : والآن أيها السادة ان غزو نجد من الصعوبة بحيث انه يشبه هذه الرفاحة وسط هذا البساط . فالرجل الذي يستطيع ان يسك بالرفاحة دون ان يخطو خطوة واحدة على البساط هو الرجل الجدير بغزو نجد . وتروي القصة كيف ان القادة عجزوا واحداً بعد الآخر في الامساك بالرفاحة محتجين على غرابة الامتحان . وعندئذ نهض الشاب ابراهيم وطلب ان

يجرب حفظه . ورغب محمد علي ان يرى كيف سيحل ابنه (أو ابنه بالتبني)
ابراهيم المسألة التي بدت مستعصية الحل على القادة العسكريين ، فوافق . وهنا
امسك ابراهيم بطرف البساط وأخذ يلغه بيده يهدؤ الى ان أصبحت التفتاحة في
متناول يده فامسك بها . وسر محمد علي بذلك ابنه سروراً كبيراً بحيث انه عينه
على الفور قائداً لجيوشه .

① الملاحق

وغادر ابراهيم باشا مصر على رأس قوة كبيرة في ايلول سنة ١٨١٥ . وتقدم
الى مواقع القتال . وكانت أول معركة بينه وبين التجديدين في موتيه حيث هاجم
عبدالله آل سعود الجيش المصري الذي انزل به هزيمة شتاء . تقدم ابراهيم باشا
على اثرها على قتل جميع الأسرى .

وتقدم ابراهيم باشا على رأس أربعة آلاف من المشاة وألف ومائتين من الخيالة
الى جانب قوات من القبائل العربية الصديقة كبني خالد و مشير و حرب و سهول
و سبيح ، الى مدينة راس التي كان قد اخلاها طوسون باشا فعاد اليها الوهابيون
ورضعوا فيها حامية .

وواجه ابراهيم باشا وضعاً سيئاً وخطيراً أمام المدينة . فبعد ان حاصرها
لمدة ثلاثة اشهر ونصف فقد خلالها ثلاثة آلاف رجل ، تخلى عن الحصار وقبل
الهدنة مع الوهابيين .

وبالرغم من ذلك ، ارهم ابراهيم باشا سكان المدينة بانهم لا يزالون محاصرين
وتقدم خفية باتجاه الشرق نحو مدينة عنيزة فتراجع الأمير عبدالله منها جنوباً
الى مدينة بريدة . وبعد ستة ايام من القصف المتواصل انهارت قلعة عنيزة
واستسلمت فخضعت منطقة القصير كلها على الأثر لابراهيم باشا . وتراجع عبدالله
الى شقرا عاصمة مقاطعة وشم فاحتل ابراهيم بريدة وتوقف فيها شهرين لتعزيز
الجيش واعداده .

وكانت سياسة ابراهيم باشا خلال هذه الفترة خطب ود التجديدين الموالين
لوهابيين . ولم تغرب عن باله قصة البساط فبدأ يلف قبائل نجد بتصرقات
لجريئة مكشوفة بحيث انه قال اعجابهم . فأصدر اوامر مشددة ضد اساء

بعاملة سكان قسيم او نهب منازلهم . وكان يدفع ثمن مؤن الجيش نقداً وبسخاء . وعلى الطريقة العربية ، أقام ابراهيم باشا مجالس دائمة لم يكن يسمح لزائريه ليها ان يخرج خالي اليدين . فكان يقدم الهدايا للكبار والصغار كل حسب منزلته . بذلك استطاع ان يستميل اليه اولئك الذين ظنوا مخلصين لآل سعود .

وبين أولئك الذين كسبهم ابراهيم باشا الى صفه ، فيصل آل درويش الشيخ الأعلى في مثير في ذلك الوقت الذي كان يضرر حقدماً مزماً لآل سعود فكان من السهل اقتناعه بالانضمام الى ابراهيم باشا مع وعده بأنّه سينصب حاكماً على نجد . ولم يكن في نية الباشا تنفيذ ذلك الوعد . ويقال ان آل سعود أقدموا فيما بعد على قتل فيصل لحياثته ، ويرجع ذلك العدواة المزمنة بين قبيلة مثير وعائلة آل سعود .

وبعد ان تلقى ابراهيم باشا في بريده اعدادات من الرجال والبنادق والمؤن والذخيرة ، تابع زحفه إلى شقرا على رأس قوة نظامية قوامها اربعة آلاف وخمسية رجل من الأتراك والألبانيين والمغاربية بالإضافة إلى مقارر عربية . ورافق الجيش عشرة آلاف جمل كان كل اثنين من المشاة يركبون واحداً منها . وفي هذه الاثناء عاد عبدالله آل سعود الى عاصمته ضارعية قاركا البلاد وراءه خراباً بعد ان أرسل قطعانه وماشيته الى الاحساء .

حدث ذلك في اواخر شهر كانون الأول سنة ١٨١٧ . وفي الشهر التالي ظهرت قوات ابراهيم باشا امام شقرا التي بدأ يقترب منها باشراف مهندس فرنسي يدعى فيسيير . واستسلمت شقرا في ٢٣ كانون الثاني فلم تهدر دماء افراد حاميتها ولكنهم جردوا من سلاحهم على ان يتعهدوا بأن لا يقاوموا ثانية ضد القوات المصرية - التركية . وبعد عدة أشهر عندما سقطت ضارعية أمر ابراهيم باشا بتهدم جميع أسوار وتحصينات شقرا .

وبدأ عبدالله آل سعود يحصن مدينة ضارعية ويعدها للدفاع . وقبل أن يتبعه ابراهيم باشا اليها وجد انه من الأفضل ان يعرج عن الطريقة المباشرة وذلك لكي يحتل مدينة الضرما في طريقه . ولقي ابراهيم هناك مقاومة شديدة

بما أفقده عدداً كبيراً من رجاله . وانتقاماً لذلك أعمل السيف في رقاب سكانها من المذكور تاركاً نساءها تحت رحمة الجنود الأتراك القساة بعد أن دمرت المدينة وثبت .

وبسبب الأمطار لم يستطع إبراهيم باشا أن يصل قبل آذار إلى ضارعية التي حاصرها في نيسان بقوة مؤلفة من خمسة آلاف وخمسية رجل من المشاة والخيالة واثني عشر مدفعا . وبعد ذلك بوقت قصير وصلت مؤن من المدينة والبصرة إلى المعسكر التركي .

ومضت مدة على عمليات الحصار لم تلاق القوات المصرية — التركية خلالها أي نجاح . وفي أواخر شهر أيار حدث انفجار أفقد إبراهيم باشا ذخائره الاحتياطية الأمر الذي أوقعه في مأزق حرج ، ولم ينفذ الجيش من الكارفة سوى شجاعة إبراهيم باشا التي لا تقهر . وكان الجنود يعانون من الأمراض كالزحار (الديزنتريا) والرمم . وفكر عبدالله أن يخرج بجنوده ويهاجم القوات المصرية في محاولة لفك الحصار ولكن المصريين ردوا هجومه وأفقدوه الفرصة . وبعد ذلك بوقت قصير وصلت إلى المعسكر التركي قوافل جديدة محملة بالموثون والذخائر فبعتها امدادات عسكرية من المشاة والخيالة . وفوق ذلك وصلت انباء مشجعة تعلن اقتراب خليل باشا قادما من مصر على رأس فرقة من ثلاثة آلاف رجل .

وفي أوائل أيلول رفع عبدالله آل سعود الاعلام طالباً الهدنة لكي يتصل من الاجتماع بإبراهيم باشا . فوافق الباشا على ذلك واستقبل الزعيم الوهابي بالترحاب وأبلغه أن الشرط الأول الذي لا مفر منه لعقد الصلح هو ذهابه شخصياً إلى القاهرة .

فطلب عبدالله آل سعود مهلة عشرين ساعة ليفكر بالأمر فأمهله إبراهيم . وبعد انتهاء المهلة عاد عبدالله إلى معسكر إبراهيم ليبلغه موافقته على الشروط التي فرضها بشرط أن يضمن له حياته . ويقال أن إبراهيم أجابه بأنه ليست لديه سلطة تلزم السلطان وعامله محمد علي ولكنه يعتقد أنها اكرم من أن يبخلها عليه يمثل هذا الطلب . ويعتقد عرب نجد إلى اليوم أن إبراهيم باشا أعطى عبدالله

وعداً فاطماً بأنه لن يصاب بأي أذى .
وتوسل عبدالله إلى ابراهيم باشا ليحفظ حياة أتباعه وافراد عائلته فأجابه
إلى طلبه وعقد الصلح .
وسار الأمير عبدالله السبيء الحظ فوراً إلى القاهرة تحت حراسة مشددة .
وعندما وصل استقبله محمد علي بكفاوة وسلمه إلى الأستانة مع استعطاف شديد
بالمواعاة . ولم يكن السلطان محمود ذا طبيعة سمجة . فطوف عبدالله آل سعود
الأمير الرابع في نجد لمدة ثلاثة أيام في شوارع المدينة اعدم بعدها هو ورفقائه في
الأسر في الساحات العامة .
وهكذا انتهت المرحلة الأولى من حكم الوهابيين في نجد .

نجد مقاطعة مصرية

وخلال السنوات الثلاث والعشرين التي تلت تسلم ضارعية ، ظلت نجد
مقاطعة مصرية . أحياناً يحتلها جنود مصريون وأحياناً تدفع الجزية . وأصبح
مشاري (الأمير الخاص) شقيق عبدالله أميراً على نجد في ظل الحكم المصري .
وعندما ظهر ابراهيم باشا لأول مرة في نجد اكتسب عطف الناس وفقههم
باستقامته ورجولته وتواضعه ، وخاصة في جبل شمر وقسم والاحساء ، حيث
استقبله الناس على أنه منقذهم من التير الوهابي لا كمحتل أجنبي .
ولم يسبق لأواسط الجزيرة العربية أن شاهدت جيشاً تركياً من قبل . ولم
يكن عرب الداخل ليضمروا لهم الشر والعداء إذا لم يتحدوهم ويسينوا معاملتهم .
فبعد مغادرة ابراهيم باشا بقليل امتعدى الجنود الاتراك والالبانيون بشراسيتهم
السكان ، وحدث أول مذبحه سنة ١٨٢٢ عندما انقض السكان على الحامية
التركية في الرياض عاصمة نجد الجديدة (لان ضارعية لم تبين من جديد) .
وتبع ذلك المذبحة انتفاضة فاجحة قام بها العرب سنة ١٨٢٣ و ١٨٢٤ بقيادة
تركي بن عبدالله آل سعود ابن عم الامير مشاري الذي أعاد سيادة العائلة في
العريض^١ واحتل تركي الرياض وطرد منها القوات المصرية الباقية في نجد

فأعترفت به أغلبية قبائل وسط الجزيرة العربية أميراً عليها بدلاً من ابن عمه ،
ليقود الحركة الشعبية ضد الاحتلال الأجنبي .

وظل تركي عشر سنوات (من ١٨٢٤ الى ١٨٣٤) يستجمع قواه في نجد
والاحساء وحتى في عمان وعلى طول الشاطئ العربي من الخليج الفارسي الى
رأس الحد ، وكلها اعترفت به وقدمت له خضوعها ودفعت الجزية . وفعل هو
بدوره نفس الشيء بالنسبة للحكومة المصرية التي وافقت على تصريفاته في الجزيرة
العربية .

وفي سنة ١٨٣٤ اغتاله مشاري ابن خالد الذي قتل في الحين على يد فيصل ابن
تركي . وقاتل تركي هو ابن خالد بن سعود آل سعود شقيق الأمير الخامس مشاري ،
وأحد المطالبين بالعرش .
واعترف بفيصل أميراً خلفاً لوالده .

فيصل الكبير

وفي السنة التي تلت اودعاء فيصل - الذي أصبح يعرف بالصغير - الى
العرش ، أهل أبو رفض ان يدفع الجزية للمصريين . فأرسل محمد علي باشا قوة
بقيادة جميل بيه ليهزله ويتصب خالد على العرش مكانه . وعندما اقتربت قوات
جميل هرب فيصل الى الاحساء .

واغتصب خالد العرش بتأييد قسم من أهل العريضة وبقيادة خورشيد باشا
الذي خلف جميل في القيادة المصرية . ولكن القائد المصري لم يلبث ان وضع
خالد جانباً وأعاد تأسيس الحكم المصري في الحجاز نجد . فاستسلم فيصل وأرسل
سجيناً الى القاهرة .

ولم يدم الاحتلال المصري الثاني لنجد أكثر من سنتين امتدحت بعدها معظم
القوات وترك خالد آل سعود والياً باسم الحكومة التركية .

وفي سنة ١٨٤٢ تزعم عبدالله بن ثنيان آل سعود ثورة ضد خالد وحلّده
من الرياض مع ما تبقى من القوات المصرية . وظل عبدالله حاكماً على نجد الى السنة

التالية عندما هرب فيصل من سجنه في القاهرة وظهر في العراق فاعترف به الجميع اميراً بدلاً من عبدالله .

① المزعون انه ال علي
منه قبيلة شمر

ومنذ ذلك الوقت وحتى نهاية حكم فيصل الطويل الذي امتد احدى وثلاثين سنة لم تمارس الحكومة المصرية أو الحكومة التركية أي سلطة على نجد . وفي ايامه استعيدت جميع المناطق التي كانت تشكل الامبراطورية الوهابية . وجبل شمر الذي استعاد استقلاله بزعامة عائلة ابن علي ^① من بني تميم أثناء غزوة ابراهيم باشا ، انضم ثانية الى الدولة الوهابية . فقد نصب عبدالله ابن رشيد من فرع عبده في قبيلة شمر نفسه في حائل اميراً على كل شمر بمساعدة فيصل لقاء جزية معينة . ولم تقبل قوات فيصل إلا في البحرين التي كان شيوخها يتلقون التأييد والمساعدة من الإنكليز .

وفي آخر سني حياته أصبح فيصل كفيف البصر فانتقلت ادارة شؤون الدولة الى ابنه البكر عبدالله الذي عرف بتعصبه وتهوره وقساوته فجمع حوله البدو الذين لهم نفس ارائه وأخذ يجهز نفسه للدخول في جولة ثالثة مع الاتراك . وبعد وفاة فيصل سنة ١٨٦٥ دب الانقسام من جديد في الدولة الوهابية بعد ان استجمعت قوتها السابقة في عهده .

وكان عبدالله الامير الحادي عشر وهايباً شديداً التعصب بينما كان شقيقه الاصغر سعود منفتحاً ذا افكار متحررة ، قومية اكثر منها دينية . فوضع كل منهما نفسه على رأس فريق : عبدالله على رأس الحضر أو أهل المدن في العريض ، وسعود على رأس أهل البادية في الصحراء . أما شقيقه الثالث محمد فقد انخرأ إلى عبدالله . ولمدة من الزمن أقسم عبدالله وسعود تركة فيصل بينهما تماماً كما حدث لمنتفي الكبير في العراق عندما قسم الى قسمين اثر وفاة ناصر بشا آل سعود .

ومن الطبيعي في مثل هذه الحالات ان يصطدم الشقيقان . ففي سنة ١٨٧١ اضطر سعود شقيقه عبدالله الى الهرب من العريض ونصب نفسه اميراً اوحده هناك . فاصبح جبل شمر وقسم منطقتين مستقلتين ورقضت الاحساء ان

قد قع الجزيرة .

وجمع عبدالله عدداً من أتباعه وشق طريقه الى حاييل حديث كان متعجب ابن
عبدالله آل رشيد الأمير الثالث في شحر هو الحاكم هناك ، فأحسن وقادته . ومن
حاييل اتصل عبدالله بمدحت باشا حاكم العراق العام في بغداد .

الاحتلال التركي الثالث

وقبل ان ندخل في تفاصيل المرحلة الأخيرة من الانحطاب التركي للجزيرة
العربية يجب ان نذكر لغة مقتضبة عن نظرة سلاطين بني عثمان الى الجزيرة
العربية .

إن حملة ابراهيم باشا سنة ١٨١٥ لم تكن تأكيداً بحق السيادة وإنما عملاً
انتقامياً ورداً على فتنة معادية . وعندما قضى على الحكم الوهابي لم يبدر أي
اهتمام للاحتفاظ بتيجد كجزء من ممتلكات الامبراطورية . ففي ذلك الوقت كان
سلاطين بني عثمان ينشغلون بأوضاعهم في أوروبا بحيث انهم لم يخطر لهم احلام
الغزو والتوسع في آسيا ، وكانوا من الناحية العسكرية اضعف من ان يتحوضوا
بحروراً ليست ضرورية .

ولكن في نهاية حرب القرم سنة ١٨٥٦ أعاد الأتراك تنظيم جيشهم وتجيزه
بأحدث الأسلحة وذلك بفضل القروض والمساعدات البريطانية .

ووجد السلطان عبدالعزيز الذي حكم تركيا من سنة ١٨٦١ الى سنة ١٨٧٦
نفسه بملك قوة لم يسبق لها مثيل ، فقرر أولاً اخضاع المناطق النائية من
الامبراطورية التي تمردت على حكمه ، وذلك - وهو الغزو الأسهل بنظره -
اخضاع القبائل على حدوده .

وبدا بإعادة اخضاع سورية وكردستان الى سلطانه ، واحتل منطقة تي وادي دجلة
وادي الفرات اللتين كانتا تتمتعان بالاستقلال بصورة عملية منذ أيام يهورلوك
(١٣٣٦ - ١٤٠٥) ، وأعاد العراق الى النظام الامبراطوري التركي بما في ذلك
الضرائب والنجدة .

وبعد شق قناة السويس أصبحت الجزيرة العربية التي لم يكن يمكن فتحها إلا من البر ، في متناول القسطنطينية (الامتاحة) من جهة البحر .
وهذا الاحساس بالفترة المتزايدة بوجود جيش منظم مجهز ، أعاد الى ذاكرة الحكومة العثمانية احلام الفتح والتوسع . وتذكر السلطان عبد العزيز انه ورث الخلافة العربية الأمر الذي بنى عليه ادعاءه لملكية الجزيرة العربية . فضاعف عدد حامياته في مكة والحجاز ، وجرد حملة على اليمن ، وعين مدحت باشا الرجل الشديد الطعوج حاكماً عاماً في بغداد وأطلق يده في بسط نفوذ السلطان بأي اتجاه يراه مناسباً .

وجاء طلب عبدالله آل سعود مرثياً لمدحت باشا فاستجاب له ، وأصدر قراراً بوضع نجد كلها تحت راية السلطان وقعيين عبدالله آل سعود قائداً عاماً عليها . وأعلن أيضاً أن قوة تركية ستُرسل الى هناك لإعادة الأمن والنظام وتثبيت سلطان القائم الجديد ضد أخيه المتعرد .

وبالرغم من معارضة حكومة الهند التي كانت دافساً قلع على وجوب احلال السلام في منطقة الخليج الفارسي الأمر الذي وافق عليه جميع زعماء القبائل العربية في الخليج بما في ذلك اهل الاحساء والحكومة الودائية . فقد أرسل مدحت باشا حملة بطريق البحر من البصرة الى الاحساء قوامها خمسة آلاف جندي نظامي بقيادة حافظ باشا . ووصلت الحملة الى القطيف في حزيران سنة ١٨٦١ . وفي هذه الأثناء عاد عبدالله آل سعود الى نجد وجمع انصاره ، وبالاتفاق مع قبيلة قحطان هاجم شقيقه سعود من الغرب . وهزم عبدالله في هذه الموقعة فُلجأ الى الممسكر التركي .

ووقع انقسام في الرياض مما اضطر سعود ان يقاتل عبدالله ابن تركي آل سعود نجل الأمير السادس ، فهزم وأجبر على التراجع الى قطر .

واحتل الأتراك ساحل الاحساء كله ومدينة الهفوف وانصلوا بعبدالله ابن تركي الذي عين مديراً للرياض بانتظار وصول عبدالله ابن فيصل .

وقبل نهاية السنة أعلن مدحت باشا انه بناء على عريضة قدمها اهل نجد الى

السلطان ، فإن عائلة آل سعود ستخلع من الحكم وسيعين مكانها حاكم تركي .
وعين حافظ باشا متصرفاً على نجد . وعندما وجد عبدالله نفسه في هذا
الوضع هرب من المعسكر التركي الى الرياض .
وبعث رؤوف باشا الذي خلف مدحت باشا في بغداد بشاوش سعود سنة
١٨٧٢ ويحذه على إرسال شقيقه الأصغر عبدالرحمن ابن فيصل آل سعود الى
بغداد ليحتفظ به رهينة . وفي السنة ذاتها عاد سعود الى الرياض وطرد شقيقه
عبدالله منها مرة ثانية . وتراجع عبدالله الى الكويت تاركاً سعود سيداً في
الرياض .

وسحبت القوات التركية من الاحساء سنة ١٨٧٣ ، بعد ان عين بازي ابن
عراعر الخالد شيخ قبيلة بني خالد المعروفة بعدايتها التقليدية لآل سعود ، حاكماً
على المنطقة تاركين معه ضابطيه (اي حامية صغيرة) من الشرطة .
وفي سنة ١٨٧٤ اطلق سراح عبدالرحمن آل سعود من سجنه في بغداد فجهز
الى الاحساء واشعل الثورة . وانضمت اليه قبائل آل مره وعجيان وبني هاجر
فسار بهم الى الهفوف حيث حاصر بازي والحامية التركية التي قتل معظم رجالها .
عندئذ أرسل الوالي التركي في بغداد فيلقاً نظامياً بطريق البحر بقيادة ناصر
باشا آل سعدون واتي البصرة والشيخ الأعلى في المنتفق الكبير ، وقوة كبيرة من
عرب المنتفق اتجهت الى الهفوف براً .

ولما علم عبدالرحمن بقدم ناصر باشا تراجع الى الرياض . وتوجه ناصر الى
القفوف ففك الحصار عن الحامية المتمركزة في إحدى القلاع وترك جنوده يعملون
في المدينة نهياً وتخريباً . وظل الجنود الأتراك ومساعدتهم عدة أيام يرتكبون
المجازر والاعتصام في سكان المدينة الى ان احتج القطب الأثراك الى ناصر باشا
الذي أجابهم ان اجراءات مشددة يجب ان تتخذ للعبارة .

وبعد هذا الحادث بقليل توفي سعود في الرياض ويقال إنه مات مسموماً .
وفي سنة ١٨٧٥ عاد عبدالله الى نجد حيث وجد الحكم في يد شقيقه الأصغر
عبدالرحمن . وبعد نزاع بين الأخوين قرصا الى اتفاق يكون عبدالله يوجه أميراً

ويصبح عبد الرحمن الوزير الأول .

وفي سنة ١٨٧٣ أصبح مدحت باشا الوزير الأكبر في الباب العالي وكانت له اليد الطولى في عزل السلطان عبد العزيز في ٣٠ ايار سنة ١٨٧٦ . وبعد ذلك بخمسة أيام انتحر عبد العزيز بأن شق ذراعيه بالمقص . وخلفه في ٣١ آب من السنة نفسها السلطان مراد الخامس الذي أعلن انه مجنون فخلفه في اليوم التالي شقيقه السلطان عبد الحميد الثاني .

وانجب عبد الرحمن آل سعود اول ولد حواري سنة ١٨٨٠ (التاريخ الصحيح غير مؤكد) اسمه عبد العزيز واسمه الكامل عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود ، الذي أصبح يعرف في ايامنا هذه بالملك ابن سعود والد الملك الحالي .

وفي سنة ١٨٨١ اتهم السلطان عبد الحميد الثاني وزيره مدحت باشا بقتل السلطان عبد العزيز ، فقدمه للمحاكمة وصدر عليه الحكم بالاعدام في ٢٨ حزيران . وبعد تدخل بريطانيا والدول الأوروبية نقض حكم الاعدام ، ونفي مدحت باشا الى الطائف قرب مكة حيث ظل سجيناً الى ان توفي بحادث عنف في السادس من نيسان سنة ١٨٨٣ .

آل رشيد يسيطرون على الجزيرة

كان عبدالله ابن فيصل آل سعود اميراً على نجد بالاسم فقط . فسلطته لم تتعد حدود اسوار الرياض او منطقة العريض على أبعد حد . وتوفي في الرياض في اواخر شهر تشرين الثاني سنة ١٨٨٩ . وبعد ذلك بستين امثولى عبد الرحمن على العاصمة فحاصره فيها محمد آل رشيد ، وبعد اربعين يوماً ارسل عبد الرحمن أخاه الاصغر محمد ابن فيصل آل سعود ليقاوض ابن رشيد حول شروط الامتثال .

وارسل عبد الرحمن راولاده الاربعة وبقية أفراد عائلته الى المنفى في البحرين . في سنة ١٨٩٣ طلب من الشيخ محمد الصباح ان يسمح له بالانتقال الى الكويت

فقبل . وانتقل الامير السعودي مع عائلته الى الكويت . اما شقيقه محمد الذي لم يبرز كثيراً إلا كوسيط في الخلافات العائلية وفي الصراع مع آل رشيد فقد توفي سنة ١٨٩٤م ان يعلن ذلك .

وقد كتبت الليدي آن بلانت التي رافقت زوجها في رحلاتها بآسيا وأفريقيا تقول :

يمكن بكل تأكيد القول ان ملطة آل سعود في الجزيرة العربية قد انتقلت الى آل رشيد في حايل . ان كل شخص يفكر فكرياً وطنياً حقيقياً ويشعر شعوراً صادقا بالتف حول محمد آل رشيد امير حايل وجبل شمر العظيم .

ان ممثلي عائلة آل سعود اصبحوا مجرد دُمى وأدوات اما الحكام الرشيديون فقد تسلموا زمام المسؤولية في غالبية المستوطنين في قسيم وسدير والعريض ووشم .

الفصل الخامس

قصص وروايات جدي

كان جدي الأكبر جون ديكسون طبيباً جراحاً في البحرية الملكية وشهد مع نلسون معركة كورنوالث وترافالغار . وبعد الحروب النابليونية أقام في طرابلس حيث أصبح كبير الأطباء في مقر الباشا العثماني هناك (منصب الباشا في طرابلس كان وراثياً) . وتزوج من اليزابيث الابنة الوحيدة للسيد ارشيبالد دالزل القائد والحاكم العام للقلاع الساحلية في الكاب .

ولم جدي ادوارد دالزل ديكسون في طرابلس ، بربري ، في ٢٩ تشرين الثاني سنة ١٨١٥ . وبعد سلسلة من المقامرات قضى حوالي ٦٠ سنة في القسطنطينية عمل خلالها ضابطاً في الفرقة الطبية في الجيش التركي وقضى القسم الأكبر من هذه السنوات طبيب السفارة البريطانية هناك . وخلال تلك الفترة كان أيضاً الطبيب الخاص لثلاثة من السلاطين هم : عبد المجيد ، وعبد العزيز ، ومراد الخامس . وانتهى كرئيس لأطباء السفارة البريطانية ، وكرئيس للهيئة الدولية للأطباء التي كان مركزها في العاصمة التركية . وظل في هذا المنصب الى ان تقاعد وخذل إلى الراحة في القسطنطينية .

وتزوج جدي ثلاث مرات . كانت زوجته الأولى لويزا بومبا باري وارنغتون وهي جدي . ولدت في طرابلس وتوفيت هناك . وكان والدها الكولونيل هامر

وارتفعون قنصلًا عامًا في طرابلس لعدة سنوات . وهو ينحدر من سلالة تريفور
تيودور المعروف بالورد هير فورد سليل عائلة تيودور المالكة .

لقد ذكرت كل ذلك للإشارة إلى أن ذريخ اجدادي يت بصلة إلى شمال
أفريقيا ، إلى العرب والآتراك ، مما ترك أثرًا في حياة والدي وفي حياتي أنا .
وقضى والدي معظم حياته في الخدمة القنصلية في الشرق وخاصة في سورية
التي كانت تشمل لبنان وفلسطين في ذلك الوقت .

أما أنا فقد ولدت في بيروت في الرابع من شباط سنة ١٨٨٦ وقضيت أيام
صباي في دمشق والقدس حيث كان والدي يخبرنا عن مغامرات جدي والأحداث
التي مرت في حياته .

ولم أقابل جدي إلا مرة واحدة وكان ذلك سنة ١٨٩٩ عندما كان والدي
قنصلًا عامًا لبريطانيا في القدس التي كان يحتلها الآتراك . وعندما انتهت دروسي
في كلية سانت ادوارد أو كسفورد ذهبت في رحلة إلى القدس برفقة ابنة خالتي
هيريدا مالتبي ، لكي أشاهد والدي وشقيقتي قبل أن ادخل كلية وأدهم في
أو كسفورد . وقد أبدى جدي رغبة ملحة في مشاهدة حفيده الوحيد .
الرأي على أن أحضر إلى مرسيليا ومن هناك بحراً إلى القسطنطينية ثم إلى القدس .
وبولي والدي أمر بترتيب الرحلة التي كنت أترقبها بشوق بالغ . وصرت أطلع
بشغف متعاقبة جدي ذلك الرجل الشهير الذي طالما سمعت عن مغامراته .
ومن المؤسف حقاً أنه لم يكتب قصة حياته .

ووصلت أنا وهيلدا إلى القسطنطينية حيث لاقانا جدي ونزلنا تدوفاً عليه
في منزله في بير . وكان المنزل قديماً ولكنه فخم الأثاث . وكانت جدي أشيب
الشعر يلبس نظارتين . وقد رجمت بنة زوجته الثالثة وهي سيده يوفاتية تدعى
ايرين تبلغ الثلاثين من العمر . ولم تكن تعرف من الانكليزية إلا القليل ولذلك
كانت التركية هي لغة المنزل .

وكان عثمان غازي باشا الذي اشتهر بدفاعه البطولي عن قلعة بانهدا خلال
الحرب التركية - الروسية الثانية ، صديقاً حميماً لجدي . وقد تناول عثمان

باشا الطعام مرتين معنا خلال الاسبوع الذي قضيته في القسطنطينية . ولقد كان اعجابي شديداً بالباشا المسن عندما كان يتحدث لجدي وينقل لجدي الحديث اليه بدوره . وعلمت ايضاً ان جدي اشترك في ذلك الحصار وشهد تسليم عثمان غازي باشا للقيصر نقولا الاول قيصر روسيا . ولكن بما انه كان طبيباً للسفارة البريطانية سنة ١٨٧٦ عندما اقدم السلطان عبد العزيز على الانتحار فانه من الصعب تصديق هذه الرواية ما لم تكن السفارة البريطانية قد امرته بمرافقة جيش عثمان الى بلفنا . ولكنه من المؤكد ان صداقته مع عثمان نشأت في ذلك الوقت .

وسواء كان حاضراً الموقعة ام لا فان وصفه لما كان مدهشاً . اعلنت روسيا الحرب على تركيا في ٢٤ نيسان سنة ١٨٧٧ . وقد وضع عثمان غازي باشا نفسه على رأس جيش قوامه اربعمون الف رجل في قرية بلفنا التي تقع على خط مواصلات الجيش الروسي عبر رومانيا في تقدمه نحو القسطنطينية الامر الذي جعل من المستحيل على القيصر نقولا ان يتابع سيره ما لم يزل هذا التهديد التركي . وظل عثمان يرد الهجوم تدرجاً طوال اربعة أشهر ضد جيش يفوق جيشه بكثير ، مما اعطى فرنسا وبريطانيا الوقت الكافي لتخففاً لاجدة الاتراك . وروى لي جدي كيف ان عثمان قام بمحاولة اخيرة لثقب الحصار والخروج من طوق الاعداء ، وكيف استسلم في النهاية بتاريخ ١٠ كانون الأول سنة ١٨٧٧ . ومع انه كان مصاباً بجرح بالغ فقد استسلم للقيصر نقولا شخصياً الذي رحب به واعاد اليه سيفه قائلاً : لقد دافعت عن موافعك دفاعاً بطولياً رائعاً وهذا أنا أعيد اليك سيف رجل شجاع .

وسررت كثيراً بما سمعت من أن الرومن مسحوا لجدي ان يعتني بالجرحى الكثيرين بعد الاستسلام .

وقال عثمان باشا : تلك هي الأيام التي كان فيها الجنود الاتراك وخاصة الضباط منهم من النوع الجيد . اما اليوم فإنهم يذهبون الى برلين والعشرات لدراسة الشؤون العسكرية ولكننا هل نجدهم وراعاة ؟ اني انجراً على الإجابة

بالنفي . انهم يتعاملون السكر والقمار وحياة اللوم . لقد فقدوا روح الولاء القديمة بين الضباط والجنود كما فقدوا روح الانضباط التي تميز بها الجندي العثماني في السابق .

وهكذا تبين لي انه حتى في ايام جدي كانت هنالك انتقادات لمحاولات إدخال الأساليب الغربية إلى روح الشباب الشرقي .

وكل مساء من ذلك الأسبوع الذي قضيته في العاصمة التركية كانت جدي يتحدثنا بتلك القصص والذكريات والمغامرات . وقال انه لم يكتب قصة حياته لأنه لم يكن لديه الوقت الكافي . لذلك كان متلهفاً للقضاء تلك الحكايات على مسامعي على أمل ان أدونها اعتقاداً منه بأنه لن يراني ثانية قبل موته .

وأبلغني انه بعد ليلة شهادة الطب من لندن وأدبره ساورته الفكرة بأن يكتب نجماً عن الرق في افريقيا . وكيف كان العبيد يخلون من داخل القارة ويبيعون في أسواق تركيا ومصر وشمال افريقيا وآسيا الصغرى والجزيرة العربية . كان يريد ان يشتهر ويصنع لنفسه اسماً كبيراً في وقت كان العالم الغربي يستيقظ سريعاً على بشاعة تجارة العبيد ، وكانت فكرة عتق العبيد مثلاً للأجواء . ولذلك فقد عاد الى طرابلس بعد تخرجه بقصد الحصول على معلومات حول الموضوع من مصادرها رأساً :

ولكي يفعل ذلك انضم الى قافلة من تجار العبيد وعبر معهم الصحراء الكبرى التي لم تكن معروفة لدى الأوروبيين في ذلك الوقت . وبعد عدة شهور من الصعوبات والحرارة لاقطاع والعواصف الرملية الشديدة ، وصل جدي مع قافلة تجار العبيد الى بحيرة تشاد في افريقي فبيجربا . واعتقد ان اسمه وارد في أرشيف وزارة المستعمرات على انه قام بهذه الرحلة الشاقة ، وانه التقى ببعض الموظفين البريطانيين على حدود البحيرة . ولكنني لست متأكداً من ذلك .

ومن بحيرة تشاد رافق جماعة اخرى من تجار العبيد الذين توغلوا في رحلتهم جنوباً إلى الكونغو وبلاد الأقزام . واخيراً ، وبعد ثلاث سنوات من السفر المتواصل عاد إلى شواطئ المحيط الهندي وشاهد في طريقه شلالات زمبيزي

العظيمة. وخلال عودته انضم الى فرقة ثالثة من تجار العبيد تعمل باتجاه مومباسا. وقال انه قطع القسم الأخير من رحلته الى السويس بحراً بزورق مكثظ بالعبيد للأسواق المصرية.

والمفني بقوله : لقد حصلت على المعلومات التي اريدها ولكن بعد ثلاث سنوات من اقصي واعنف التجارب التي يمكن للانسان ان يشهدها. وقد جعلت معي رجلاً من الأقزام استطعته الى طرابلس.

حدث ذلك عدة سنوات قبل ان يؤثر ستانلي على ليفينغستون في الحصول افريقيا ويدهش العالم بقصته.

ويقول جدي : منذ ثلاثين عاماً وأنا تمتنع عن اطلاع العالم بانني كنت هناك وذلك لعدة أسباب أهمها تلك الاضطرابات التي صاحبتهم في الشرق الأوسط وتركيا عندما عدت الى مصر وطرابلس.

فازت مصر على تركيا وأعلن محمد علي باشا استقلاله وزعمت جيوشه بقيادة ابنه اللامع ابراهيم باشا. واستجابة لطلب السلطان محمود الثاني للمتطوعين توجه جدي الى القسطنطينية وانضم الى الفرقة العلية في الجيش التركي. وبعد عدة تقلبات وجد نفسه في اوائل سنة ١٨٣٩ تحت امره حافظ باشا الذي كلفه السلطان بالتصدي لزحف ابراهيم باشا الناجح نحو القسطنطينية. وكان من اصدقاء جدي الاعزاء رفيقه في خيمته الضابط الألماني الشاب فون مولتكه.

وبضربات ماهرة استطاع ابراهيم باشا ان يحتل فلسطين ولبنان وسورية ، وأخذ يستجمع قواه في حلب المزحف شمالاً حين تصدى له الجيش التركي في نزيب بالقرب من الغرات على بعد ٧٠ ميلاً الى الشمال الشرقي من حلب.

وحسب ما قال لي جدي ان حافظ باشا لم يكن قائداً كفئاً بالمرة وكانت يؤمن بالنجوم والتفاهات الاخرى ، فأخذ يقوم بمناورات ومناورات معاكسة الى وقت تحمل النجوم ، حسب رغبة ، اليه حسن الخط حتى يخوض المعركة. وقد أثار ذلك استنواز الضباط الذين كانوا يعملون تحت امرته بحيث انهم توقعوا حدوث كارثة منذ البداية.

وجاءت النهاية مريعة . فبعد سلسلة من المناورات البارعة التي قام بها ابراهيم باشا الذي كان عدد جيشه نصف عدد الجيش التركي ، سدد القائد المصري ضربة خاطئة للجيش التركي وهزمه هزيمة نكراء في ٢٤ حزيران . ويقول جدي ان الذعر الذي حل بالجيش التركي لا يوصف اذ لم يعد من المستطاع تجميع القصفوف وتشكيل جبهة ثانية ، لأن كل الجيش لاذ بالفرار طلباً للنجاة .

وهرب جدي من الميدان مع فون مولتكه ولجأ الى قرية أرمنية . وأصيب فون مولتكه بجرح الشيفونيد فتولى جدي امر العناية به مدة طويلة حتى تمائل للشفاء . وفي سنة ١٨٧٠ - ١٨٧١ قاد الجيش الألماني الذي احتل فرنسا . وفي رسائله إلى شقيقته اشار فون مولتكه إلى الطبيب الانكليزي الذي انقذ حياته . ولا زلت اذكر كيف كان جدي يضحك وهو يقول : ماذا كان يعطيني الفرنسيون لو تركت فون مولتكه يموت بعيداً عن أرمينيا التركية ؟

وقد في السلطان محمود بعد هذه المعركة ستة أيام فيلقه عبد المجيد . وكانت الحالة تعيسة مزرية بحيث ان السلطان الجديد استنجد بفرنسا وبريطانيا وحتى روسيا لانقاذه من مصر . وقد استجابت فرنسا وبريطانيا بسرعة لنداء السلطان فانزلا قواتهما في بيروت ودمشق واثقفا زحف ابراهيم باشا . وقطعت القوات البريطانية والفرنسية خط مواصلات ابراهيم فقبل الشروط التي عرضت عليه وعرجح جنوباً إلى لبنان الذي ظل في حوزته مدة من الزمن .

تلك كانت الايام الشهيرة للبيدي هستر متاهروب ابنة شقيقة بيت (Pitt) التي آوت في منزلها بحوزة قرب بيت الدين عدداً من القوات والجنود الاتراك واللبانين الذين لاذوا بالقرار بعد المعارك العنيفة في سورية ولبنان ، بالرغم من كل احتجاجات ابراهيم باشا .

وقد وصف جدي بالتفصيل انتحار السلطان عبد العزيز في سنة ١٨٧٦ ، كما وصف محاكمة مدحت باشا سنة ١٨٨١ الذي اتهمه عبد الحميد زوراً بقتل السلطان عبد العزيز . وكان جدي واحداً من سبعة عشر طبيباً الذين استدعوا لوضع تقرير عن وفاة السلطان عبد العزيز .

وسأقتل فيما يلي مقطعاً من كتاب « حياة مدحت باشا » بقلم ابنه علي حيدر

مدحت :

واعطيت الأوامر لافتحام غرفة عبد العزيز فوجدوا السلطان وسط بركة من الدماء الذي سألت من جرحين في ذراعيه . ومن الواضح ان الجرحين احدهما بواسطة مقص عثر عليه على الأرض بجانب الجثة . واكد الاطباء الذين استدعوا ان السلطان فقد الحياة بسبب النزيف الشديد . ولكن الوزراء ارجعيتهم قائلين ان المأساة قامروا ان يعاد فحص الجسم من قبل جميع الاطباء الموجودين في القسطنطينية . وتم جمع سبعة عشر طبيباً من مختلف الجنسيات ، يعتبرون اشهر الاطباء في المدينة وفي سفارات الدول الكبرى . وقد وقع هؤلاء الاطباء بالاجماع تقريراً يقول ان الموت ناتج عن الالتحار بدون ادنى شك .

وعندما طلب تقرير عن حالة السلطان مراد العقلية كان جدي واحداً من ستة أطباء استدعوا لمعاينته ، أربعة منهم من سفارات بريطانيا وفرنسا والمانيا والنمسا . وبعد الفحص أعرب هؤلاء الاطباء عن اعتقادهم بأنه بالرغم من ان السلطان مراد ، يستطيع الثاقل للشفاء بعد فترة طويلة من الزمن ، بعكس ما كان متوقعاً ، إلا ان قواه العقلية لن تعود إلى حالتها الطبيعية .

وفي الساعة الواحدة والتصيف بعد منتصف ليل ٦ نيسان ١٨٨٣ قتل مدحت باشا مع صديقه ورقيقه بالسجن في الطائف ، خنقاً وهما في الفراش بناء على أوامر مباشرة من السلطان عبد الحميد خليفة السلطان مراد إلى الميجر بيكر من الفرقة الثالثة الذي تولى العملية بنفسه .

واخبرني جدي انه منذ ذلك الحين لم يعد يتعاطى بأي شيء مع السلطان عبد الحميد لأنه رجل سيئ ويزداد سوءاً . وقبل ذلك كان جدي دائماً وباستمرار طبيب السلاطين الخاص . وفي عدة مناسبات كان يعود مدحت باشا ويظييه وكان من أحر أصدقائه .

هذه بعض القصص التي سمعتها من جدي ودونتها في وقتها . وقد توفي في ٢٧ آذار في السنة التالية .

الفصل السادس

نجد والكويت

١٨٩٦ - ١٩١٧

مبارك على عرش الكويت

قبل عبدالله ابن صباح آل صباح شيخ الكويت من سنة ١٨٦٦ حتى وفاته سنة ١٨٩٢ ، من الأتراك لقب قائمقام . وخلفه اخوه محمد وكانت ضعيفاً غير راغب في معارضة الأتراك فلم شؤون الحكم في مملكته الى رجل عراقي ذكي يدعى يوسف ابن عبدالله الابراهيم من الدورة على بعد مسافة قصيرة من عبودان على الضفة اليمنى لشط العرب .

وكان يوسف رجلاً ثرياً موالياً للأتراك يقبض منهم راتباً بدون شك على أمل ان يأتي يوم يخلع فيه آل الصباح ويضع نفسه وعائلته في مكانهم . ولم يكن جراح شقيق محمد افضل من أخيه بشيء بل كان اكثر منه نقاعاً . ولكن شقيقها الأصغر (من والدم فقط) كان ذكياً فليطاً يحب بلاده حتى العبيادة وآلمه ان يراها تسير الى خرابها .

وتحمل مبارك كل تلك الأوضاع حتى سنة ١٨٩٦ . فتمي شهر أيار من تلك السنة ذبح شقيقه ونصب نفسه على العرش . وهرب يوسف الذي كان يعلم ان

الانقلاب كان موجهاً ضده شخصياً ، الى البصرة بطريق البحر وهناك بدأ يحبك الدساتر ضد مبارك بالاتفاق مع الأتراك .

وكان موقف الأتراك تجاه مبارك حيادياً في البداية . ولكنهم في سنة ١٨٩٧ وبناء على نصيحة يوسف الابراهيم عينوا مبارك قائماً على الكويت . ولم تطل الحدة على مبارك لأنه علم انه خطوة للسيطرة على بلاده .

وفي شهر شباط أرسل الأتراك موظفاً صحياً من قبلهم الى الكويت . عندئذ طلب مبارك مقابلة المقيم البريطاني في الخليج الفارسي او من ينوب عنه . ووصل أحد مساعدي المقيم البريطاني الى الكويت في ايلول فأبلغه مبارك انه وشعبه يرغبون في وضع انفسهم تحت الحماية البريطانية تجنباً لاغتصاب الأتراك لبلادهم . ولم توافق الحكومة البريطانية على هذا الطلب ، فأعاد مبارك الكرة في السنة التالية ورفض البريطانيون من جديد .

وفي كانون الثاني سنة ١٨٩٩ وقع مبارك اتفاقية مع الحكومة البريطانية تلزمه فيها وخلفاءه ان لا ينقلوا ملكية اي جزء من اراضيهم بدون موافقة الحكومة البريطانية التي ستأخذ على عاتقها ، مقابل ذلك ، حمايتهم وتأييدهم وحفظ مراكزهم طالما هم متعبدون بالاتفاقية .

وفي ايار من تلك السنة انشأ الشيخ مبارك نظاماً دائماً للجوارك وبدأ يتقاضى رسوماً فورية مقطرة قدرها خمسة بالمئة على جميع البضائع المسوردة بما فيها تلك القادمة من الموانئ التركية . وعندما أرسل الأتراك أحد مديري الموانئ ومعه خمسة جنود ليتسلم ادارة ميناء الكويت ، رفض الشيخ مبارك ان يستقبلهم فعادوا الى البصرة . وفي ايار سنة ١٩٠٠ وافق الشيخ مبارك على منع استيراد او تصدير السلاح واصدر امراً بذلك . وكل سفينة كان يشك بأنها تحمل سلاحاً كانت تفتش وبصادر السلاح الذي تحمل اذا وجد .

وكان عبد الرحمن ابن فيصل آل سعود واولاده الأربعة لا يزالون في المنفى في الكويت في ذلك الوقت . ويعود الفضل الى الشيخ مبارك في تدريب عبد العزيز آل سعود وفي هيكلة نحر الانكليز .

وفي خريف عام ١٩٠٠ سار مبارك شوطاً بعيداً في تحقيق مصالح آل سعود بأن قام بغزوة مفاجئة الى قلب الجزيرة العربية حيث كان عبد العزيز آل رشيد الأمير السادس في حايل ، مبدأ . وفي أوائل سنة ١٩٠١ اشتبك مع قوات آل رشيد في موقعة صريف قرب بريدة . وهزم مبارك في تلك الموقعة وقتل اثنان من افراد أسرته هما شقيقه الأصغر حمود ابن صباح آل صباح ، وابن حمود الأكبر صباح .

وكان الوضع الذي نجم عن هذه الموقعة خطيراً بحيث ان مبارك أسرع مرة أخرى للاتصال بالمقيم البريطاني في الخليج الفارسي وطلب منه ان يبلغ الحكومة البريطانية رغبته في جعل الكويت محمية دائمة بأسرع وقت ممكن ولكن طلبه رفض من جديد .

ابن سعود يحتمل الرياض

ووقع سنة ١٩٠٠ حادث أعاد عائلة آل سعود الى الحكم في نجد والجزيرة العربية . وكان الشاب عبد العزيز آل سعود وهو بعد في العشرين من عمره ، راغباً في إنشاء مملكة بمساعدة الشيخ مبارك ، فتوجه الى نجد مع ٤٠ رجلاً فقط من اتباعه بينهم شقيقه الأصغر محمد وأولاد عمه عبد العزيز ابن جلوي آل سعود وعبد العزيز ابن مسعود آل سعود .

واستطاع عبد العزيز آل سعود ان يتجنب بنجاح قوة لآل رشيد جاءت تحاول اعتراضه في الباطن على بعد ٢٠٠ ميل الى الغرب من الكويت . ووصل عبد العزيز الى الرياض مع رجاله سرّاً واختبأوا بين بساطين النخيل لمدة يومين . اما قصة استيلاء عبد العزيز على القلعة العظيمة وسط المدينة فتبدو وكأنها من الاساطير ، مما يدل على قوة شخصية هذا الرجل الحارق .

واكتشف عبد العزيز اثناء تخفيه بين أشجار النخيل ان لعجلان حاكم الرياض زوجة يسكنها منزلاً على بعد ٥٠ ياردة من القلعة عبر ساحة مكشوفة ، وكان يزورها كل يوم لمدة نصف ساعة بعد صلاة الصبح .

مسعود

وبعد ان تأكد من ذلك دخل عبد العزيز بهدوء الى منزل السيدة عن السطح مع ٢٣ رجلاً ذكراً يقية رجاله الاربعين بين انيساين مؤكداً لهم ان كل شيء سيبقى على ما يرام إذا هم لموا الهدوء وانصت بالنظر الفجر .

[هذه القصة اكدها لي الملك عبد العزيز بنفسه في تشرين الأول سنة ١٩٣٧ . ولم يكن قد بقي في ذلك الوقت من الرجال الذين قاموا بهذه الغزوة سوى الملك عبد العزيز وشقيقه محمد وعبد العزيز ابن مسعد ورجل مسن من قبيلة عجمان] وحسب عادته ، خرج عجلان الحاكم من القلعة متوجّهاً الى منزل زوجته . فانتظره عبد العزيز الى ان وصل الى منتصف الساحة بين القلعة والمنزل فوجم عليه مع رجاله الثلاثة والعشرين ، وبدلاً من ان يبقى واقفاً في مكانه هرب عجلان عائداً الى القلعة يصرخ آمراً بفتح البوابة الجانبية له ، ورماء عبد الله ابن جلوي بحربة صغيرة كان يحملها ولكنه أخطأه . واختبرفت الحربة خشب البوابة وانكسرت ولا يزال مكانها ظاهراً حتى اليوم .

وفتح البوابة الجانبية التي لم يكن ارتفاعها سوى قدمين وعلوها عن الارض قدمين ونصف فقط مما أضح لعجلان الدخول الى القلعة ولمهاجمة كذلك . وأمسك عبد الله ابن جلوي عجلان من رجليه وأوقعه أرضاً داخل البوابة وقتله . وكان عبد العزيز يتبعهما فضرب رأس عجلان بسيفه وصرخ بأعلى صوته : من منكم الى جاني ؟ ها قد عاد أميركم اليكم .

وظل رجال عبد العزيز يحرسون البوابة بيتاً دعا هو حمامة القلعة الى الاستسلام ، فاستسلمت وتبعها أهل الرياض . ولم يتباطأ عبد العزيز في تعزيز دفاع المدينة . وعندما ظهرت قوات ابن رشيد امام المدينة بعد يومين ووجدتها منيعة اضطرت الى الانسحاب فظل عبد العزيز يطاودها حتى قسيم .

وانتشرت هذه الاخبار في نجد كالنار في الخشب فاسرع الجميع الى اعلان ولائهم لآل سعود . وتسمى عبد الرحمن وكان في ذلك الوقت رجلاً مسناً وقبيل وابنه عبد العزيز أميراً .

والخبر في أحد أشهر الرجال الثلاثة والعشرين الذين احتلوا القلعة ، في آذار

سنة ١٩٣٥ بقوله :

آه يا ايا سعود*، تلك كانت أيام عظمة اجدر بالانسان ان يشهدها ولم خسر حياته . انني لا ازال اري امام ناظري ابن سعود وهو يتهيأ للخروج من منزل زوجة عجلان على الجانب الآخر من الساحة . كان حادثاً بارد الاعتدال فرمى عقاله وربط كوفيته فوق رأسه وحول عنقه ثم طوى دشايشته وربطها في مؤخرة رقبته وهجم .

* [انني اكثري بابي سعود لأن ابني اسميته سعود عند ولادته بناء على طلب الملك عبد العزيز وتدعى زوجتي أيضاً أم سعود]

توثيق الروابط بين بريطانيا والكويت

وفي كانون الأول سنة ١٩٠١ وصلت الى الكويت بارجة تركية « زحف » ، وسلمت الشيخ مبارك انذاراً طالبة منه اما أن يقبل بتزول فرقة عسكرية تركية في الكويت ، او ان يغادر عاصمته ويتقاعد في القسطنطينية . فأعطى مبارك جواباً مهنياً بالنفي انسحبت على اثره البارجة التركية .

وحوالي نهاية الشهر نفسه كان هنالك من الأسباب ما يدعو إلى الاعتقاد بأن دسائس المحظي السابق يوسف ابن عبدالله آل ابراهيم أوشكت ان تعطي ثمارها . لأن كل الدلائل كانت تشير الى أن هجوماً من البر على الكويت كان يدبر وتشترك فيه قوة تركية من البصرة ، مع رجال قبائل شمر التابعين لعبد العزيز آل رشيد من حاييل .

وأبندت القوات البحرية البريطانية في الخليج الفارسي على النور استعدادها للاشتراك في الدفاع عن الكويت ، الأمر الذي أجبر ابن رشيد على التخلي عن خطته والانسحاب الى مواقعه في الصحراء . ولم يكن الأتراك راغبين في القتال لوحدهم فترجعوا الى البصرة .

وكان الخطر هجوم مباشر يعمد إليه مبارك هو ذلك الذي دبره حليفه عام ١٩٠٣ . ويقال ان الذي وضع الخطة هو يوسف ابن عبدالله آل ابراهيم .

وكان الغرض من هذه الخطة الاستيلاء على الكويت بهجوم صاعق سريع ، يقوم به ابن أخ مبارك حمود ابن جراح آل صباح الذي قتل مبارك عندما استولى على العرش ، وقسم من قبيلة شريفات وغيرهم من العرب في البصرة على شط العرب . وعلم القائد البريطاني بالحملة في القامور في الثالث من كانون الأول فأسرع الى الكويت ليعطي الانتذار لوحيد المدينة واقفة على سلاحها .

وبدأ البحث عن العدو ولكن دون جدوى في البداية . ولكن في الخامس من كانون الأول اكتشف أن رجلاً مسلحاً ينزلون في رأس العجوزة شرقي المدينة . وقامت السفن الحربية البريطانية بمطاردة مئيتين تحملان ١٥٠ مسلحاً واشتبكت معهم في قتال عنيف تمكنت بعده من الاستيلاء عليها فوجدتها محملتين بالأسلحة والذخائر والمؤن والسلام . وبعد هذه الموقعة لاقت زوارق أخرى مساعدة يبلغ عددها ١٥ بالقرار في خور عبدالله وتمكنت من النجاة .

وهكذا انتهى هذا التهديد بالغزو الى لا شيء كما انتهى من قبله في أيام صريم الجبلية وسالم الشجاع .

وتركز النفوذ البريطاني في الكويت على اثر الزيارة التي قام بها اللورد كيرزون حاكم الهند للكويت في تشرين الثاني سنة ١٩٠٣ ، فتوصلت بذلك العلاقات الودية بين الشيخ مبارك والحكومة البريطانية . وتم تعيين مقيم سياسي بريطاني في الكويت في حزيران سنة ١٩٠٤ وتسلم هذا منصبه في شهر آب من السنة نفسها .

ووافق مبارك في سنة ١٩٠٧ ان يعطي الحكومة البريطانية قطعة ارض تبعد ميلين عن مدينة الكويت غرباً بين بندر الشويخ والمدينة بمقدار ابحار مستمر لقاء ٦٠ الف روبية سنوياً .

وأراد البريطانيون تلك الأرض لتكون مرسى أميناً لسفنهم . ومن المشكوك فيه ان تكون تلك الخطوة رداً لمجاوبة فكرة خط مكة حديد برلين - بغداد المقترح الذي كان يمتد إلى البصرة والكويت عندما تمنح الفرصة . ولكن بما لا شك فيه ان تحصين الأرض المؤجرة وتحويل بندر الشويخ الى قاعدة بحرية

بريطانية او محطة للتموين ، كان سيضع السفن القادمة إلى رأس كازميه حيث كان من المقرر اقامة محطة سكة الحديد الى الجهة الشمالية من الكويت ، ضمن مدى نيران المدفعية البريطانية .

وفي نفس الوقت اكدت الحكومة البريطانية للشيخ مبارك انها تعترف بملكيتها للكويت بحدودها الحاضرة له ولورثته من بعده ، وان كل التدابير التي يتخذها كفرنس الجمارك وغيرها تبقى في يده وفي ايدي ورثته من بعده ، وان الحكومة البريطانية لن تنقاضي رسوماً جمركية في المنطقة المأجورة او في غيرها من الأراضي التي قد تستأجرها منه أو من ورثته . وكان للحكومة البريطانية الحق في ان تفسخ عقد الإيجار في أي وقت تشاء ، وقد فعلت ذلك سنة ١٩٢٢ عندما مات الخطر التركي - الألماني موثقاً طبيعياً . وإذا ما اعاد التاريخ نفسه ، كما يفعل أحياناً ، فسان بريطانيا ستتذكر دون ريب الاخطار السابقة وستتخذ اجراءات وقائية بالاتفاق مع حليفتها الكويت .

٢٠
محمّد بن عبد الله

احتلال قسيم

وبعد ان ضمن ابن سعود اعتراف جميع مقاطعات نجد الجنوبية به ، رحل سنة ١٩٠٤ الى قسيم . ومع ان قوة تركية بقيادة احمد فيضي باشا ارسلت لمساندة ابن رشيد ، اضطرته الى التراجع مؤقتاً ، لكنه استطاع ان يكمل مهمته بنجاح سنة ١٩٠٦ بعد ان اضطر احمد فيضي الى التراجع الى المدينة . وقد عين ابن سعود شقيقه الاصغر سعد حاكماً في قسيم .

وقتل الامير عبد العزيز آل رشيد صدقة في نيسان سنة ١٩٠٦ عندما التقى ليلاً بجيش ابن سعود ، فخلفه ابنه الاكبر متعب . وتوضح حالة الفوضى التي سادت في حائل على أثر هذه الحادثة من شجرة العائلة التي نشرناها في مكان سابق من هذا الكتاب .

وفي سنة ١٩٠٨ ارسل محمد سعود قواعد ثابتة لحكمه في حائل وظل يحكمها حتى سنة ١٩٢٠ حين اغتاله عبدالله ابن طلال آل رشيد .

وفي سنة ١٩١٠ واجه ابن سعود أخطاراً خارجية ودخلية . فقد قام
 احفاد عمه سعود المروفيين بآل عرفة الذين يدعون الملك ، بثورة في الحرج
 وحريق ، وفي نفس الوقت ظهر عبدالله ابن الحسين شريف مكة في قسم واعداد
 بنصرة حقوق قبيلة عتيبة التي ادعى ان ابن سعود انتهكها .
 وأودع عبدالله معه آل سعود السجن ، ولكنه عندما وجد ان محمد سعود
 آل رشيد الذي اعتمد عليه لم يتعاون معه تراجع الى الحجاز ولكن بعد ان
 انزع وعداً من ابن سعود بان يدفع هذا الأخير سويلاً الى خزائن مكة اربعة
 آلاف جنيه ، وان يسمح لـ قسم ان تنتخب حاكمها .
 ووعد ابن سعود ان يلبي هذين الشرطين ولكنه فكث بهما فوراً بحجة ان
 عبدالله املاهما في وقت كانت الثورة تحتاج جنوب نجد ، مما اضطره للقبول .
 وبعد مغادرة عبدالله صب ابن سعود كل اهتمامه الى الحرج وحريق فهاجم
 الثورة هناك بقسوة وطارد الثوار من مدينة الى مدينة في نجد بحيث لم يبق منهم
 أحد . وصب ابن سعود جام غضبه وثقته ايضاً على عتيبة لأنها استدعت
 عبدالله ونكل بها بحجة انها آوت الثوار الذين كان يطاردهم .
 وبعد ذلك قرض ابن سعود الجزية على قسم بالانخضاع والاكراه حينئذ
 وبالحمكة والتدليومانية حينئذ آخر . ووضع قوة عسكرية في القلعة الشمالية
 الواقعة على الطريق الى جبل شمر حيث لا تزال حتى اليوم .

كنز اسرائيل

وبعد ان تخرجت من كلية رادهام في جامعة اكسفورد عينت في الفرقة الاولى
 في ايرلنده سنة ١٩٠٣ ، وبعد سنة نقلت الى الفرقة الثانية في الهند . وفي سنة
 ١٩٠٨ التحقت بالجيش الهندي .
 وفي سنة ١٩١١ حدثت على اجازة سنة أشهر قررت ان اقضي نصفها في
 انكلترا والنصف الثاني مع امي وشقيقي في القدس حيث ظلوا يقيمون بعد وفاة
 والدي سنة ١٩٠٦ . وقد دفن والدي في المقبرة الانكليزية على جبل صهيون .

وعندما وصلت الى عدن في طريقني الى انكلترا في اواسط نيسان سنة ١٩١١ وجدت امامي برفية من والدتي تحثني فيها ان اقطع رحلتي في بور سعيد واعود الى القدس ، لأن أموراً غريبة وبالغة الامة تحدث هناك قد يكون لها ابعاد الأثر في حياتها وحياة شقيقي .

وعملت حسب رغبة والدتي . فلما وصلت الى بور سعيد استقبلت زورقاً مصرياً الى يافا ومن هناك توجهت بالقطار الى القدس . ووجدت العائلة بخير وكانوا يسكنون في منزل كان يشغله الاسقف الانجليكاني في القدس ويقع خارج مبنى القنصلية الروسية التي لا تزال أذكرها منذ طفولتي قبل ان اذهب إلى المدرسة في انكلترا .

وكانت مدينة القدس في حالة اضطراب وهيجان . فقد اقيمت المتاريس في جميع الشوارع الجانبية . وكان الجنود الانراك في دوريات دائمة داخل المدينة القديمة بينما كانت الاستحكامات الرئيسية ليل نهار خارج اسوار المدينة التي بدت وكأنها في حالة حصار .

ولم يطل في الوقت لأعرف كل شيء لأن والدتي كان لها أصدقاء كثيرون يرغبون في اطلاعي على ما يجري . ومن بين هؤلاء راضب انكليزي ، وكاهن يوناني كان يعلم شقيقي اليونانية ، واحد رجال الدين المقيمين في كنيسة المسيح ، واسقف كاثوليكي القديس جورج ، والعاملين معه وعائلته . وآخرين وليس آخراً المدير المحلي لشركة توماس كوك وأولاده ، الذي شغل أمني وشقيقي برعايته وعطفه في السنوات العصيبة التي تلت وفاة والدتي .

واخبرني هؤلاء جميعهم ان السبب في كل هذه الأحداث هو الكاين « ب » الذي لن أذكر اسمه لئلا يحدث ذلك بعض الأذى بالرغم من مرور زمن طويل على الحادث .

وقد غرض هذا الضابط مع اثنين من المغامرين البريطانيين خدماتهم وأموالهم على اديب فنلندي يدعى الدكتور والتر جوفيلوس ومساعدته المهندس السويدي المدعو ميلاندر . وكان جوفيلوس وميلاندر يعتقدان انها اكتشاف رموزاً سرية

في سمر حزقيال قديم موقع كنز اسرائيل الذي دفنه كهنة الهيكل قبل ان تسقط القدس في ايدي الغزاة البابليين سنة ٧٥٠ قبل الميلاد ، وادعى ان الرموز التي اكتشفها توضح طريقة ايجاد الكنز .

وادعى الرجلان انها عثروا على رسالة سرية توضح مكان القبور الملكية لمملوك اسرائيل ويهوذا وقبري داود وسليمان اللذين لم يعثر عليها . ويقال ان الكنز يضم قلل نوح وسيف سليمان وعرشه والواح الشريعة وثلاثة آلاف قطعة ذهبية وغيرها تساوي جميعها ما قيمته ٥٠ مليون جنيه .

وظل الباحثون عن الكنز يعملون طوال سنتي ١٩٠٩ و ١٩١٠ دون ان يلتفتوا الانتظار لان ابحاثهم كانت كلها خارج اسوار المدينة . والذين كانوا يعرفون ما يفعلوه هؤلاء كانوا يهزأون ويقولون انهم مجرد هواة وإذا ما عثروا على شيء فلن يستطيعوا الهرب به بسبب المراقبة التركية الشديدة .

ولما بش هؤلاء المغامرون بعد ان انفقوا مبالغ طائلة ، فكروا بالسطو على مسجد عمر وهو مكان مقدس عند المسلمين والمسيحيين واليهود على السواء . وعندما ضبط هؤلاء يحضرون نفاقاً قديماً تحت قبة الصخرة نفسها كادت تحدث ثورة دينية يذهب ضحيتها المسيحيون واليهود وخاصة الرجال والنساء الانكليز لولا تدخل الاتراك وارسالهم قوة كبيرة للمحافظة على الأمن والنظام في القدس لاسيما وان ذلك صادف يوم عيد الفصح والعمور والتي موسى في وقت واحد . وقد هرب الكابتن ب ه ورفاقه الى يافا واستقوا يختاً خاصاً بهم وتسللوا به ليلاً .

وبعد أن قضيت شهراً في القدس غادرتها لقضاء اجازتي في انكلترا .

الارسالية الأميركية — العربية

انشأت الارسالية الاميركية — العربية فرعاً لها في الكويت سنة ١٩٠٩ . والوصف الذي ساد رجه ادناه يعود الفضل فيه إلى الدكتور السيدة ايليانور تايلور كالفري التي تعيش اليوم في هارتلاند بولاية كونكتيكت الأميركية ، وإلى

فأمري عجلة الاتحاد الطبي النسائي الأميركي التي ظهرت مقالة السيدة كالفرلي فيها
في آب سنة ١٩٥٠ .

وعند كتبت السيدة كالفرلي تقول : كم انسذكر الكويت بوضوح وقد رأيتها
لأول مرة سنة ١٩١٢ . فقد رأيتها من الباخرة التي نقلتنا في رحلة استغرقت
يومين من البحرين شمالاً على شاطئ الجزيرة العربية الشرقي من الخليج الفارسي .
وكنّا ثلاثة مبشرين : الدكتور بول هاريسون وزوجي وأنا . وبعد ان نجيحنا
بامتحانات السنة الثابتة في اللغة العربية عينا في المركز الجديد للرسالة العربية .
ورقفت اجول بنظري من على ظهر السفينة إلى أول بقعة ارض . . فرأيتها .

وفي الاقصى ظهرت مدينة في الصحراء منازلها واطنة بلون الرمال . وفوقها
كانت السماء زرقاء صافية . وتحتها كانت مياه الخليج الفارسي الزرقاء تحتضن
السفن الشراعية . وعلى الشاطئ ، ترسو مجموعة من الزوارق تنتظر موسم صيد
اللؤلؤ صناعة البلاد الرئيسية في ذلك الوقت . وفي كل تلك المنوحة لم تكن
هنالك شجرة او بقعة خضراء . ومع ذلك فإن الكويت لها جمالها الخاص .
جمال الرمال والسماء والبحر - في تلك المدينة الصحراوية كنا سنعلم ونعيش
لعدة سنوات مقبلة .

ونزلنا إلى الشاطئ ورحنا نمشي في طرق غير معبدة . كنا نعيد جانباً حتى
تقر الجبال والحمير حاملة قريبا جلدية مليئة بماء الشرب لأن ماء المدينة مالح لا
يشرب . والنساء اللواتي صادفناهن كن محجبات من أعلى الرأس حتى أخمص
القدم بالسواد . والرجال كانوا يلبسون الأثواب الطويلة تغطي رؤوسهم كوفيات
متدلّية وكانهم صور الشيوخ الاجلاء في العهد القديم .

باب بني موصد في جدار متواصل من الطين كان هو مدخل البيت الذي سنقيم
فيه ونستخدمه كمستشفى . وكلّ البيوت العربية لم تكن له نوافذ خارجية .
وكانت غرفه تفتح على باحتين . واختبرنا القسم الأكبر ليكون مقر عمل الدكتور
هاريسون والغرفة القليلة الباقية احتفظنا بها كغرف نوم خاصة بنا جميعاً .
اما الباحة الصغرى فقد استخدمت كعيادة للنساء . وقسمنا إحدى الغرف

يستأجر من الفتيان فكان قسم مكثياً للطبيب والقسم الآخر غرضية للعمليات .
وفرشنا أرض العزقة المتبقية بالحصى لتكون غرضية نوم المرضى ولم تكن فيها
أسرة فالعرب معتادون ان يتأموا على الأرض .

ولم يكن في الكويت مدارس طبية او نساء طبيبات بل كانت فيها قابلات
وحلافون ماهران باستنزاف الدم والسكي . وكان هنالك رجال ونساء يعرفون
استخدام الاعشاب والعقاقير الأخرى . وفي اعتقادهم تنقسم الامراض إلى أربع
فئات : ساخنة وباردة ، رطبة وجافة ، حسب النظام الاغريقي القديم . ولكن
من يشق هؤلاء : الانكليز : الاجانب فيضع نفسه تحت رحمتهم ؟

وقد جاءت إلى عيادتي عيادة نساء اجراً من الاخريات ولكنهن جميعاً كن
يرمين الادوية التي اعطينهن خوفاً من ان تكون سماً .

وكانت ادوات توليد جاهزة في حقيبة ولكنني عندما استدعيت اخيراً
لتوليد امرأة بدوية من الباب . فقد اقتضت القابلات المعاديات العائلة بعدم
استقبالي .

وبالرغم من كل المعارضة والمضايقة اخذت عيادتنا تنفع تدريجياً . فأصبحت
العمليات التي نجريها في العين من جراء التراخوما بالبنج الموضعي معروفة ورائجة .
وقد استطعنا إعادة النظر لامرأة بدوية من الصحراء بعملية تصحيح عذسة
العين بحيث تمكن من استقبال الأشعة الضوئية . ولكن أكثر عملية اعطتنا شهرة
هي عملية فلانة التي كانت تشكو من كرة لحمية في بطنها نجحتم انبرقالة . فجاءت
اليانا وسألتنا هل نستطيعون ازلتها دون ان نجعلوني أقالم ؟

وكانت لدينا ادوات جراحة كاملة . وقبل العملية كنا نعد اجتماعاً للتشاور
بغياض المريض . وكانت مساعداتي أم موظف سوري في الارشالية وشقيقته .
وقد تعلمت الأم كيف تعطى الكلوروفورم والبنج ، بواسطة التنفس . أما أنا
والفتاة فكنا نغسل ايدينا لمدة عشر دقائق بالضبط ثم نلبسها بحلول مطهر .

وقد اعطيت تعليمات مشددة لمساعدتي ان لا تفسد ادواتي إلا بأمر
مني . وفي اليوم التالي جلس زوج فلانة خارج الباب ليتأكد ان احداً من الرجال

لن يدخل الغرفة فيرى وجه زوجته . وعندما انتهت العملية بنجاح انتشرت
الاخبار في طول المدينة وعرضها . وتضخمت الاخبار حتى ان امرأة قالت :
ماذا تظنون فعلت الطبيبة الانكليزية؟ فتحت بطن فلانة واخرجت لها احشاءها
التي اخفيها فغسلتها في البحر واعادتها إلى مكانها .
وسأعود في أماكن أخرى من الكتاب فأقتل بعض فقرات من مقالة السيدة
كالفرلي . واكتفي في الوقت الحاضر بتسجيل الملاحظات القصيرة التالية عن
الأمراض :

الجذام أو البرص : هذا المرض لا وجود له تقريباً في الجزيرة العربية . وفي
الكويت توجد حالة أو حالتان معروفتان . ولكنه أكثر انتشاراً في العراق
حيث توجد مستعمرة للجذام ومستشفى في العمارة على نهر دجلة كانت حتى وقت
قصير تدبرها الارسالية الاميركية .

البرق : وهذا المرض شائع بين المسنين من البدو وعلاجه الوحيد الحك بدهن
الغنم الساخن . ولكن هناك طريقة تعطي نتائج أفضل فإذا أخذت امرأة توأمين
لأول مرة ودامت على ظهر المريض بكل ثقلها فإنه يشفى لا سيما إذا ما جرى
هذا العلاج لمدة ثلاثة أيام متتالية . ففي تموز سنة ١٩٤٠ اجري لي هذا العلاج
ونجح تقريباً .

انفالج : علاجه الوحيد هو الطبيب . ريق صدر البدر ذلك . وتمنع النساء من
الأقتراب من المريض .

حدود الدولة

ان مسألة وضع شيخ الكويت وحدوده كانت موضع مفاوضات بين الحكومة
البريطانية والباب العالي سنة ١٩١٣ . ونتيجة لتلك المفاوضات وقعت اتفاقية
بين الجانبين في ٢٩ تموز سنة ١٩١٣ لكنها لم تصدق .
وبوجب هذه الاتفاقية اعترف باستقلال شيخ الكويت فسوق مساحة من
الأرض تشكل حدودها نصف دائرة مركزها مدينة الكويت ، ونهاية شعاعها
من الشمال حيث يلتقي خور زبير بخور عبدالله ، ونهايته من الجنوب تسعة قرين ،

هذا بالإضافة إلى جزر وربه ، وببيان ، ومسكان ، وفيلكه ، وعوچه ، وكبر ، وقارو ، ومقطع ، رام المرام ، والجزر الصغيرة الأخرى المجاورة .

واعترف لشيخ الكويت بأنه سيد القبائل هناك وله الحق في فرض جزية على منطقة واسعة تبدأ حدودها من ضفة خور زبير الجنوبية حيث يلتقي بخور عبدالله ، مروراً بخوب أم قصر ، وصفوان وجبيل صم قالى وادي الباطن ، ومن هناك تنعطف إلى الجنوب الغربي وتتبع وادي الباطن إلى آبار حفر الباطن حيث تنعطف إلى الجنوب الشرقي فنضم آبار صفا وقرعه وحبه وبوره وقريبة انطا ، وتتصل بالبحر عند جبل منيفه .

ونشبت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ فلم تصدق هذه الاتفاقية .

نشوء الإخوان

اجتاحت الجزيرة العربية بين سنة ١٩١٤ وسنة ١٩٣١ حركة دينية عرفت بحركة الإخوان قال عنها بعضهم انها غصية وهابية جديدة . وقد كتب وحاصر عن هذه الحركة مشاهير الكتاب في الجزيرة العربية مثل فيلي ورائر وفؤاد حمزة وامين الريحاني وحافظ رهبة وغيرهم .

والاحداث المتعلقة بهذه الحركة وخاصة ثورة الإخوان سنة ١٩٢٩ - ١٩٣٠ واندحارهم النهائي ، كانت بالنسبة لي ذات أهمية بالغة لأنني عشت على حدود الرهابيين عدة سنوات بدون انقطاع إلا لفترة قصيرة ، وتلعبت كل فصل من فصول هذه المسألة ، مستقيماً كثيراً من المعرفة والمعلومات الداخلية الخاصة من بطل هذه الأحداث الملك عبد العزيز آل سعود ، ومن كثيرين من قادة الإخوان بعد ان أصبحوا ثواراً متمردين على ملكهم ، وبذلك استطعت ان اتم بحسبتي القصة وخاصة فيما يتعلق بالثورة . ولا يمكن ان اتسى افادات النساء الشجيعات زوجات قادة الإخوان اللواتي أنعم علي وعلى زوجتي بثقتين وصدقتين .

وبالرغم من ان الكثير قد كتب عن قسوة الإخوان وفظاظتهم ، ولكن رأيي هو أن ذلك مبالغ فيه بقصد لكي يتلاءم مع الغايات السياسية في ذلك

الوقت .

ولا اخفي انني كنت معجباً بالاخوان . وربما كان ذلك تحيزاً مني لأنني كنت صديق عدد كبير منهم ، او قل هو جاذب عجيب عند هؤلاء الرجال المخلصين الذين يؤمنون بصدق بآله واحد ، او لأنهم كما يدعون جاءوا ليخلصوا الديانة من الشوائب الكثيرة التي التصفت بها .

واعترف انني عندما اتعرف على احد من الاخوان لم اكن لأجد فرقاً بينه وبين اي بدوي طيب في اي مكان آخر . انهم كغيرهم مولعون بنسائهم واطفالهم وجالهم وخيولهم . ونساؤهم ، كغيرهن من النساء العربيات ، كن ذوات أخلاق طيبة .

ويمكن القول بصورة عامة ان « الاخوانية » هي احياء للوهابية . ولم تكن بأي حال من الأحوال هرطقة ولكنها حركة جمالية قامت بين مسلمي نجد وتهدف الى احياء المذهب السني الشافعي كما علمه الامام احمد الحنبلي (٧٨٠ - ٨٥٥) .

وقد بدأ هذه الحركة العالم المتدين الشيخ عبد الكريم المغربي الذي كان المعلم الأكبر لمرحوم فالح باشا السعدون شيخ المنتفق . واصبح بعد ذلك معلماً لمزعل باشا السعدون والد ابراهيم بك السعدون .

وعندما ترك الشيخ عبدالكريم خدمة مزعل باشا غادر العراق الى نجد حيث أظهر نفسه كمعلم ومصلح ديني في مدينة ارفاوية التي كانت وكرأ صغيراً للوهابية . ويحكى انه في سنة ١٨٩٩ ذهب مزعل باشا الى الحج في مكة وقرر العودة الى العراق عن طريق نجد لكي يتسنى له رؤية صديقه القديم الشيخ عبدالكريم . ولكن الشيخ عبد الكريم يدل ان يحسن استقباله كما كان يتوقع طرده وشتمه واتهمه باذه كفر ومشرك .

ومن بين قادة الاخوان الآخرين : عبدالله بن عبد اللطيف بن عبد الوهاب ، قاضي الرياض وسليمان مؤسس الوهابية ، والشيخ عيسى قاضي الاحساء . انه من الصعب تحديد الوقت الذي نشأت فيه الحركة بالضبط . ولكن من

١) لارطابويج

المؤكد ان كلمة اخوان بدلولها الجديد لم تعرف قبل سنة ١٩١٣ . ومن المؤكد أيضاً ان الحركة لم تلعب اي دور في استعادة عبد العزيز آل سعود للنجد سنة ١٩٠١ . كذلك لم يكن لابن سعود اي علاقة بنشأة الحركة . ولكن الحركة اول ما استرعت انتباه عبد العزيز ، بعد ان استعاد الاحساء من الاتراك .

ولم تظهر حركة الاخوان الى العلن في نجد قبل سنة ١٩١٤ . فبينما ظل أهل المدن وهابيين غصليين ، انضم جميع أهل القرى والبدو الى الاخوان .

وفي اوائل سنة ١٩١٤ احتل ابن سعود منطقة الاحساء التي كان يطمع بها لأنها كانت تابعة للنجد في السابق ، ومن جهة اخرى طمعاً في دخلها الذي أصبح ابن سعود بحاجة متزايدة اليه .

واغتنم ابن سعود فرصة انشغال تركيا في حرب البلقان وحالة الانحلال الداخلي والخارجي التي كانت فيها ، يضاف اليها لجوء اقاربه المتعربين الى الهفوف ، فقام بهجوم في الليل على رأس الف وخمماية رجل يركبون جمالاً سريعة من الرياض الى الهفوف فذلك الاسوار الخارجية للحصن الذي يقع في الجهة الشمالية من المدينة ، واجبر الحامية التركية وعدد رجالها الف من المشاة على الاستسلام . وبعد عشرة أيام احتل القطيف وسمح للحاكم التركي وحاميته ان يخرجوا من المدينة معززين مكرمين ورافقهم وفد رسمي الى مرفأ عقير ومن هناك ذهب بعضهم الى البصرة وبعضهم الآخر الى قطر .

الكويت تنضم الى الحلفاء

وعندما نشبت الحرب بين تركيا والحلفاء سنة ١٩١٤ اعلن مبارك انضمامه الى الحلفاء فوراً معرضاً نفسه للخطر لأن القوات البريطانية لم تكن قد وصلت بعد الى العراق . وكلف الشيخ مبارك منذ البداية باحتلال المواقع العسكرية التركية في صنوان وام قصر وتلك الواقعة في الجهة الجنوبية من جزيرة ببيان . وكان عليه ان يدد البصرة من جهة البر واحتلالها اذا امكنه ذلك بشرط المحافظة على ارواح وممتلكات الرعايا الأجانب .

ومع انه لم يوفق في احتلال البصرة ، لكن وجوده على رأس قوة كبيرة من البدو في الداخل حول انظار الأتراك عن الجنرال آرثر باريت وجيشه الذي نزل على شط العرب في الجهة المقابلة للعبادان وزحف إلى البصرة عن طريق الضفة اليمنى .

ومكافأة له على جهوده العسكرية وعلى دخوله الحرب الى جانب الحلفاء ، فقد اعطت الحكومة البريطانية الشيخ مبارك وعداً خطياً تضمن الأمور التالية في حالة خروج الحلفاء من الحرب منتصرين :

- ١ - ان تعفى بساقيته الخمسة على شط العرب من الضرائب .
- ٢ - تثبيت ملكيته لتلك البساتين (لأن الأتراك حاولوا نزعها منه) .
- ٣ - تضمن الحكومة البريطانية في كل الأزمان بقاء الشيخ مبارك وورثته وخلفائه شيوخاً على الكويت .

ومنذ اللحظة التي احتلت فيها القوات البريطانية العراق حتى انتهاء الانتداب البريطاني على العراق ، ظلت الحكومة البريطانية محافظة على تعهداتها والتزاماتها تجاه شيخ الكويت . ولكن بعد ان قال العراق استقلاله رفضت الحكومة العراقية التقيد بالمعهود التي قطعتها الحكومة البريطانية لشيخ الكويت ، بل فرضت على بساين الشيخ مبارك على شط العرب مزيداً من الضرائب ، وتحدثت ملكيته لبساتين التخييل تلك امام المحاكم ، وأخذت تقوم بدعاية بفهم منها انها تعمل على ضم الكويت إلى العراق .

وبالرغم من ان بريطانيا منحت العراق استقلاله وانها تربطها به صداقة ومعاهدات ، فان الحكومة العراقية كانت تنصرف تصرفاً معادياً تجاه الكويت لا لتخرج بريطانيا فحسب بل لتفقدتها ايضاً نفوذها في جميع أنحاء الشرق الأوسط وخاصة منطقة الخليج الفارسي .

ولكن الحكومة البريطانية قررت ، حفاظاً على اسمها وممعتها ، ان تلتزم بوعودها تجاه الكويت مهما كلفها ذلك .

ابن سعود يؤيد بريطانيا

وكان المقيم البريطاني في الكويت سنة ١٩١٤ الكابتن شكسبير . وفي تشرين الثاني بينما كانت القوات البريطانية لا تزال في سيهان تجاهد المعمره ، قسام الكابتن شكسبير بزيارة السير بيرسي كوكس المقيم البريطاني في الخليج الفارسي ، والسير آرثر باريت في مقر القيادة ، وتلقى منهما الاوامر بالسفر الى نجد طلباً لمساعدة ابن سعود ضد الاتراك .

وفي تلك الاثناء كان من المقرر ان يزور اللورد هاردينج حاكم الهند الكويت بعد ان زار البصرة وتفتقد القوات البريطانية هناك . وحاول الشيخ مبارك ان يشفي شكسبير عن عزمه على السفر الى الرياض الى ما بعد زيارة اللورد هاردينج ، فرفض شكسبير وتوجه الى الرياض قبل وصول حاكم الهند .

ووعده ابن سعود ان يقدم مساعدات فعالة وجهز نفسه للدخول في عمليات عسكرية ضد ابن رشيد الذي دخل الحرب الى جانب الاتراك . والتقت قوات الطرفين في كانون الثاني سنة ١٩١٥ في مجمع (وتعرف احياناً بجراب) في سدير . وكان من المفروض ان يربح ابن سعود المعركة ولكن قبيلة عجمان التي كانت تشكل مسيرة جيشه تركت الميدان ولم تقايل ، فانسحب ابن سعود من المعركة ، وقتل الكابتن شكسبير وهو يساعد على حشو مدفع نجدي .

وكان الشيخ مبارك قد سعى كثيراً من قبل ليجتمع بين ابن سعود وبين اللورد هاردينج فلما حدثت هذه الواقعة كان يقول مخاطباً ابن سعود : لقد قلت لك ذلك فلم تسمع نصيحتي ، ولم تقابل حاكم الهند ولكنك خسرت المعركة وافقدتني المقيم السياسي .

وتخلت الحكومة البريطانية عن فكرة التعاون مع ابن سعود في تلك الفترة ولكنها ظلت تحتفظ بمعاهدة صداقة معه .

وفي صيف سنة ١٩١٥ ارسل الشريف حسين في مكة ابنه عبدالله الذي اصبح فيما بعد ملكاً على شرقي الاردن على رأس قوة لا بأس بها ليقوم ، في

الظاهر ، يساع للصالح بين ابن سعود وابن رشيد وفي الوقت نفسه يقوم بتنفيذ اتفاقية سنة ١٩١٠ وخاصة الجانب المالي منها . وصيغت اتفاقية للصالح لم تنفذ وعاد عبدالله فاركا وراءه شعوراً بالمرارة .

وفاة الشيخ مبارك

وحدث ان قامت قبيلة ^٥عجلان بثورة في الاحساء في شهر تشرين الثاني . وعجز ابن سعود عن اخذها ووجد نفسه محاصراً ومطوقاً في مدينة الهفوف . وقد اظهر الشيخ مبارك اخلاصه واهتمامه بابن سعود بأن أرسل جيشاً لتصرفته . ونجحت القوة الكويتية في مهمتها . وقد كان بينها اثنان أصبحا حكاماً على الكويت هما : الشيخ سالم الابن الثاني للشيخ مبارك ، والشيخ أحمد حفيد الشيخ مبارك .

وبعد ان تمكنت القوة الكويتية من رفع الحصار تعاونت مع قوات ابن سعود لضرب تجمعات قبيلة عجلان في معركة رضا قرب القطيف . وبعد ان اعطت القوة الكويتية للمهزومين من عجلان حق اللجوء والحماية عادت الى الكويت . وقد أغضبت هذه البادرة ابن سعود ولم تناسب طموحه ومزاجه الحربي فبدأت بينه وبين الشيخ سالم سلسلة من الثارات والخصومات طويلة .

وكان جيش الكويت المنتصر على بعد عدة اميال من العاصمة عندما بلغه نبأ وفاة الشيخ مبارك وارقتاه ابنته الأكبر جابر الى العرش .

وقد بعث اللورد هاردينج حاكم الهند الذي كان قد زار الكويت في شباط من السنة السابقة ، برسالة الى الشيخ جابر ينش فيها بارتقائه مؤكداً تأييد الحكومة البريطانية له كما كانت تؤيد والده طالما حافظ هو من جهته على الاتفاقات المعقودة مع الحكومة البريطانية .

ان الشيخ مبارك في الواقع هو الذي رفع الكويت من مكان قليل الأهمية الى مكان مزدهر مرموق . واصبحت الكويت خلال ايام حكمه ، ينظر العربي ،

هي المكان المنشود للعيش وبذلك تضاعف عدد سكان المدينة .
اما الشيخ جابر فقد كان شاباً لطيفاً مهذباً اكسبه لطفه وتهذيبه شعبية
كبيرة خلال حكمه القصير الذي لم يدم اكثر من سنة .

قائد للاخوان

وفي اواخر سنة ١٩١٥ او اوائل سنة ١٩١٦ وجد ابن سعود ان اليد الطولى
في شؤون نجد أصبحت للاخوان مما وضعه أمام حلين : اما ان يكون حاكماً
زمنياً فيجابه الاخوان ويسحقهم ، واما ان يصبح الرئيس الروحي لهذه
الروحية الجديدة .

وربما كان ابن سعود قد فكر في البداية في استغلال هذه الحركة لتدعيم
مركزه ، ولكنه اضطر في النهاية أن يقبل تعاملها وبصبح قائدها لتلايفت
الزعام من بده .

ويقول بعضهم انه على أثر انتهاج ابن سعود لهذا الخط تلقى تحذيراً خطيراً
من عبد الله ابن جلوي آل سعود امير الاحساء بأن يتخلى عن هذه الحركة التي
شبهها بالنار التي تلتهم كل شيء .

ولكن مما لا شك فيه ان ابن سعود بذلك قد زاد من قوته كثيراً لأنه صهر
جميع العناصر المتخاصمة المعادية لبعضها البعض في نجد منذ أقدم الأزمان .

وبعد ان تبنى ابن سعود الحركة الجديدة وجد انه من الضروري تنظيم
افرادها وضبطهم ، لأنه كان يخشى قيامهم بهجمات دعوية مسعورة باتجاه الحجاز
والعراق . وقبل ذلك أصدر امره المشهور سنة ١٩١٦ الذي يقضي بانخراط
جميع القبائل العربية ، شاعوا ام ابوا ، في صفوف حركة الاخوان ، وان يدفعوا
له الزكاة بصفته امامهم الشرعي . وإذا لم يفعلوا فإنه سيهاجمهم ويخضعهم بالقوة .
أما طريقة اخضاع القبيلة التي لم تكن راغبة في دخول الحركة فكانت كما يلي :
يستدعي ابن سعود شيخ القبيلة ويبلغه بعبارات جافية أنه وقيلته لا يدبنون بأبي
دين وانهم جهلة . ويأمر شيخ القبيلة بحضور الدراسات في مدرسة العلماء الملحقة

بمسجد الرضا الكبير وهناك يجري تلقينه مبادئ الدين واسسه . ولم تكن تلك التعاليم ، باستثناء عامل الاكرام فيها ، تختلف بشيء عن الوهابية . وكان يطلب من كل أخ ان يتقيد قبل كل شيء بأمرين اساسيين : اولاً ، عبادة إله واحد ، وثانياً الأخوة بين جميع المؤمنين الصادقين .

ويتضمن الأمر الأول :

١ - الايمان بعدم انقسامية الله .

٢ - اعطاء الزكاة .

٣ - الصوم في رمضان .

٤ - الصلاة خمس مرات في اليوم .

٥ - الحج الى مكة .

ويتضمن الأمر الثاني :

١ - حب الوطن .

٢ - إطاعة الامام (ابن سعود) طاعة عمياء .

٣ - ان يساعد الأخ أخاه في الصعوبات المالية وغيرها .

وعلى المؤمن ان يقول دائماً : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ولكنه يمنع منماً بأن من التفكير بمحمد او ذكر اسمه كوسيط مع الله . الله هو المهم وما محمد إلا رجل أعطى توصيات الله للمؤمنين . اما وقد توفي وانتهى فإنه لم تعد له أهمية خاصة إلا ان يذكر اسمه بالاجلال والاكبار وان تبقى ذكره حية في الازمان من قبيل عرفان الجميل .

اما ان يقرن المرء اي اسم مع اسم الله فتلك خطيئة لا تغتفر يعتبر مقترفها مشركاً كافرأ تحل ممتلكاته وحياته ونساؤه . والنذر ايضاً يعتبر خطيئة بميئة . وهذه العادة منتشرة كثيراً بين الشيعة ولا يقدم النذور إلا فلة من السنة - فواجب الاخوان ، اذن ، تحطيم هذه الاشياء أينما وجدت .

ويعتبر تدخين السجائر والخيش والافيون وغيرها من الحطايا الكبيرة . وفي اولى ايام الحركة كان اذا رأى أخ رجلاً يدخن فإنه يهاجمه وربما قتله .

والتدخين في مملكة ابن سعود ممنوع رحبياً ، حتى اليوم ، باستثناء الاحساء حيث
يسمح للشيعة بالتدخين في الأماكن الخاصة . ومن المنوعات أيضاً شرب
الكحول ولبس الزينات الفضية والذهبية ، وقص الشاربين واللحية إلا كما فعل
الرسول ، والقمار ، والتبصير ، والتنجيم ، واعمال السحر .

ونفطي الزكاة بأن يدفع كل شخص جزءاً من اربعين من جميع ممتلكاته
للإمام . وبحسب الفواعل الواردة في القرآن الكريم فإن الإمام يوزع المال الذي
يتقاضاه في ثمانية اتجاهات : على الفقراء ، والمحتاجين ، والمدينين ، والاسرى ،
والمساكين ، والذين يجمعون الزكاة ويقسمونها ، والراغبين في سماع كلمة الحق ،
وفي سبيل الله .

وإذا فقد احد الاخوان ماشيته في الغزو او مسألت في الغرض او تعرض
لصعوبات مالية ، فما عليه إلا إبلاغ صاحبه الذين يهبون رأساً لجمع المال الضروري
له ليقف على قدميه من جديد ، او ليدفع ما ترقب عليه من ديون .
هذه هي معتقدات الاخوان .

وبينما يكون شيخ القبيلة في الرياض يتلقى العنوم الدينية ، يتوجه اثنا عشر
عالمًا من العلماء باشراف أحد قادة الاخوان المتزمين كفيصل آل درويش الشيخ
الأعلى في مشير ، إلى القبيلة نفسها . وهؤلاء العلماء المتجولون ينقّبهم ابن سعود من
الموالين له . ومن التعليل التي يرميها هؤلاء العلماء في أذهان القبائل ان الاخوان
فقط هم المسلمون الحقيقيون وان بقية المسلمين كفرة وهراطفة . فكانوا يعتقدون
الحلفات الدراسية يومياً يعلمون فيها الناس كل شيء عن الاسلام في بساطته
الأصلية كما نشره محمد .

وكانوا يفرسون افكاراً مدهشة في عقول الناس عن الإمام ابن سعود الذي
سبّح في المستقبل أبا للشعب وقائداً روحياً وشيخاً في وقت واحد . وهكذا
كانوا يشيرون الحماس في نفوس افراد القبيلة . وكانوا يملفون المتدينين انهم أصبحوا
اعضاء في الحركة الجديدة ولذلك يطلق عليهم اسم الاخوان .

وكان العلماء يصرون على ان الاعضاء الجدد يجب ان قعّمهم رؤوسهم

بالكوفة فقط بدلاً من العقال ، وان يلتزموا البساطة في العيش والملبس ولذلك كان معظم الاخوان يبدون بظواهر التفتش . وليس من المألوف ان يرد الأخ السلام إلا للأخ . فاذا ما صادفت جماعة من الاخوان في شوارع المدينة رجلاً أوروبياً أو عربياً من العراق أو من سواحل الخليج الفارسي ، فأمفروض فيهم ان يغطوا وجوههم بأيديهم لئلا يذنبهم منظر الغرباء .

لقد لاحظت هذه العادات عندما كنت في الاحساء سنة ١٩٣٠ ثم سنة ١٩٣٢ . وكان رفيقي في الرحلة سفين من الكويت والبحرين وكانوا يلتذون السلام على كل واحد من الاخوان يصادفونه في الصحراء وفي الهفوف ولكنني لم اجمع جواباً إلا مرة واحدة حين قال احدهم وعليكم السلام . وفي عدة مناسبات كان الناس في الهفوف سنة ١٩٣٠ يغطون وجوههم عندما يقتربون مني . وحدث مرة ان دخلت إلى مجلس ابن سعود نفسه ، عندئذ نهض جماعة من الاخوان دفعة واحدة وخرجوا من المجلس وهم يغطون وجوههم لئلا يروني وكانوا يتمتمون بصوت اللغات على مع انني كنت ضيفاً على ائمتهم .

وعندما يمتدح شيخ القبيلة انه تلقى علوماً وتوجيهات دينية كافية يعطى بيتاً في الرياض - خاصة إذا كان قريباً - ويدعى للبقاء في حصار الامام . وهذه الطريقة ايضاً كانت من اساليب السيطرة على القبائل . فاذا اراد ابن سعود في اي وقت ان يعي قوات الاخوان لماعليه إلا ان يبلغ حرمه الخاص والشيوخ المحيطين به . وفي ظروف أربعة أيام تلتهب البلاد او هكذا يقال . ولم يكن الشيخ يستطيع مغادرة الرياض والعودة إلى قبيلته إلا بإذن من الامام . ولم يكن ذلك ليمتح في اغلب الأحيان .

وكانت تمنى أهمية بالغة على أداء الصلاة أثناء ارشاد القبيلة . واصبح من معتقدات الاخوان ان يتجمع الرجال للصلاة وبنادقهم مصفوفة امامهم في خط طويل جاهزة للاستعمال . وكان تأثير ذلك في النفوس مدهشاً . وعندما يحين موعد الصلاة يصرخ احدهم : « انبضوا ايها الكسالى » . فزموا للصلاة . فينتجع

عدد من الأشخاص ويعينون قائداً لهم ، ويصفون بشادقهم رأس الواحسة إلى قدم الأخرى في خط منظم ، وتنتهي الصلاة على الطريقة العسكرية النظامية . ولقد شاهدت حرس ابن سعود أكثر من مرة وعددهم حوالي ثلاثمائة شخص يتجمعون لأداء الصلاة وقد أدهشني فيهم الدقة العسكرية في الحركة . ولم يبد ابن سعود أو أي من الأخوان أدنى اعتراض على اقتداسي على تصوير هذه التجمعات . وأظن أنهم كانوا يفتخرون بهذا النظام الذي توصلوا إليه بحيث أنهم يعتبرون صوري دعاية جيدة لهم .

وكان إجبار الناس على الدخول في الحركة من مقومات الإيمان عند الإخوان في الأيام الأولى للحركة . وقد أثارت أساليبهم مخاوف الناس في الحجاز والبلدان المجاورة .

ومن الثابت أنهم عندما وجدوا طريقهم إلى الخفوف لأول مرة أخذوا يضربون ضرباً مبرحاً كل امرأة يجذونها تسير في الشارع ، ويطلقون النار ويرودة دم على عدد من الأشخاص لا ذنب لهم إلا أنهم يدخنون التبغ . وقد اضطر ابن سعود وعبدالله بن جلوي إلى التسامح والعفو عن الذين اهانهم التعصب ، قبل أن استطاعا كبح جماح الآخرين واعادتهم إلى رشدهم .

وغني عن القول إن الأمر الذي أصدره ابن سعود سنة ١٩١٦ أثار كثيراً من النزاع مع القبائل وخاصة قبيلة عجمان في الأحساء . ويمكن القول حقيقة وبكل امانة إن ابن سعود شغل طيلة سنة ١٩١٦ وسنة ١٩١٧ في سلسلة طويلة من الحروب مع القبائل التي لم تكن منجسة للإخوان . ولم يكن يستطيع زبارة الرياض للراحة إلا نادراً .

الحسين ملك الحجاز

اعلن الحسين شريف مكة استقلال الجزيرة العربية وانضم إلى الحلفاء في تموز سنة ١٩١٦ بعد أن أزاح عن كاهله الحكم التركي . وفي الشهر نفسه احتل الحسين ينبع ميناء المدينة المنورة ، وفي شهر تشرين الأول أعلن نفسه ملكاً على

البلاد العربية . ولم يكن ذلك مقبولا لدى الذين اعترفوا به ملكا على الحجاز فقط .

وتطلع ابن سعود إلى هذه التطورات بقلق متزايد ولكنه لم يقم بأي عمل فوري ضد الحسين أو ضد آل رشيد أعداء بيته التقليديين .



الشيخ جابر الاحمد الصباح



الشيخ صباح الاحمد الصباح



الشيخ مبارك الصباح



الشيخ عبدالله الجابر الصباح

الشيخ عبدالله الجابر الصباح

الفصل السابع

سُوق الشيوخ

١٩١٥ - ١٩١٦

سذكر الجزيرة العربية فترة وثقلت انتباهنا الى العراق حيث قضيت عدة سنوات في الخدمة تحت قيادة السير بيرسي كوكس الذي كان في ذلك الوقت رئيساً للدائرة السياسية في جنوب العراق .
وسأبدأ ببعض الملاحظات عن السكان العرب على الفرات الأسفل وخاصة في سوق الشيوخ والناصرية حيث عملت في البداية .

بني أسد

قبيلة قوية من غير المنتفق تعيش في مستنقعات جنوب العراق . وشيخ هذه القبيلة هو سالم الحيون ومقره الرئيسي في شبيش .

ضافرو

وهي قبيلة صحراوية شريفة تقطن بين السهول والجزير جنوب الفرات . ولها فروع كثيرة متعددة منها بني حسين وآل عرايف . ويشتهر اسم القبيلة من ضفر ابي خصلة الشعر اشارة إلى ان القبيلة تمت وتأسست من وحدات صغيرة في الصحراء .

وقد اشتهرت قبيلة الضافر بين قبائل الصحراء بالطريقة التي تدافع فيها

الطيفير

وتعني بها تقساري أي جيرانها في الحياض من أي قبيلة كانوا ، حتى إذا اضطرها ذلك إلى معاقبة أفرادها والجماعات التي تنتمي إليها .
وقد أمر أحمد شيوخ ضافر مرة أن يذبح ابنه بحضوره لأنه قتل فسيراً في حمى نزاع لا مبرر له .
والشيخة في هذه القبيلة لآل الصويت ^(١٧) وشيوخهم الأعلى حالياً عجيبي الصويت .

المنتفق

وهو اسم يطلق على اتحاد القبائل العراقية التي تقطن على ضفتي القسم الجنوبي من نهر الفرات في بحيرة خمار ^(١٨) ، وشطرا ، وقلعة سكر ، والناصرية ، ومدينة سوق الشيوخ . وهناك ثلاثة أقسام رئيسية لا تربطها رابطة إلا قبولها المشترك لسلطة عائلة السعدون . وهذه الأقسام التي ليست قبائل بل مجرد تجمعات هي : أجود ، وبني مالك ، وبني سعيد .
وبني سعيد هم القسم الأصغر والأكثر تماسكاً ويقطنون المنطقة الصحراوية بين دجلة بالقرب من مدينة العمارة وبين شط الحلي في شطرا .
أما أجود فهم أقلهم تماسكاً ويسكنون الغراف وهو الاسم الذي يطلق على المنطقة الزراعية الواقعة على ضفتي شط الحلي ويسكنون أيضاً على ضفتي الفرات فوق الناصرية وتحملها . وهم بين منازعين مقيمين وبين أصحاب ماشية رحل .
والشيخة فيهم حالياً في عائلة المناح ^(١٩) وشيوخهم الأعلى اليوم هو فيصل الزامل المناح ^(٢٠) .

أما القبائل الرئيسية التي يضمها قسم أجود فهي :
العبود : قبيلة زراعية قوية في منطقة الغراف بالقرب من مدينة شطرا .
وشيوخها هو نعيون العبيد .
الأنارج : قبيلة زراعية في المنطقة بين شطرا والناصرية شيخها محمد القطا البوني .

الغزّي : قبيلة زراعية قوية على الضفة اليمنى للفرات بين بندا والناصرية.

وشيخها اليوم محمد الحبيب . ويتفرع منها آل غليظ .

الحسونه : قبيلة من السباد المزارعين بين شطرا والناصرية وشيوخها هم :

السيد حمود بن عبد الحسين والسيد محمد بن عبد الحسين .

الحسينات : قبيلة زراعية على الضفة اليمنى للفرات قبالة الناصرية وشيوخها

عجيل الحصري .

الابراهيم : قبيلة زراعية الى شرق آل حصونه وشيوخها بلهول الشايد

وجبار المطشر .

الخفاجه : قبيلة زراعية قوية في منطقة الغراف بين شطرا والناصرية

وشيخها شعبان العلي .

المهاينه : قبيلة زراعية صغيرة على الضفة اليمنى للفرات قبالة العسائره

وشيخها قبطان العجيل الشويث .

أما القسم الثالث من المنتفق اي بني مالك فهم في الأصل من المعدان (اسم

يطلق على ساكني المستنقعات والأصوار في العراق) ويعيشون في الدلتا التي

يشكلها نهر الفرات عندما يدخل بحيرة خار . وتعتبر قبيلة البوصالح وشيوخها

زعيمة قبائل بني مالك .

وقبائل بني مالك الرئيسية هي :

العسائره : قبيلة زراعية في منطقة سوق الشيوخ على الضفة اليسرى من

الفرات ، شيخها سبرو الدوغلي .

الحكام : قبيلة زراعية على جانبي المجرى الرئيسي للفرات بالقرب من

سوق الشيوخ . وهي قبيلة قوية كانت مصدر قلق للأتراك في

الأيام الغابرة . وكان لها في يوم من الأيام اربعة شيوخ رؤساء هم :

حجي مزبان ، وقاصد الناحي ، وفرهود الفندي ، وحجي

ناصر العيابل الذي سنروي قصته فيما بعد . والشيخ الأعلى على

الضفة اليمنى من الفرات اليوم هو مزهر القاصد الناحي ، وعلى

① شعبان

الضفة اليسرى فرهود الفندي .

ويتفرع من قبيلة الحكام فئة تدعى البوحيمدي .

الحسن : قبيلة في أهوار منطقة الدلتا من سوق الشيوخ وشيخها الأعلى

اليوم هو حموده ابن مزعل البشاره . اما ذلك القسم من قبيلة

الحسن الذين يعيشون على الضفة اليمنى من النهر فان شيخهم هو

مريج الفيصل الياسر ولكنه يخضع لحموده بن مزعل البشاره .

الجويبر : قبيلة في الأهوار غرب بحيرة الحمار وشيخها حاتم الموزارت .

بني خيكان : قبيلة في أهوار منطقة الدلتا من سوق الشيوخ . شيخها اليوم

هو الحجي تشويد المغشغش شقيق المرحوم فرهود المغشغش .

النواشي : قبيلة في الأهوار قرب سوق الشيوخ .

البو صالح : قبيلة قوية إلى شمال بحيرة الحمار قسم من أفرادها مزارعون

وقسم من سكان الأهوار . والشيخ الأعلى في هذه القبيلة الزعيمة

في بني مالك كان بدر الرميض ، اما اليوم فهو محسن الرميض .

ويتفرع من هذه القبيلة آل سليمان وشيخهم محمد النصر الله .

الشدود : قبيلة صغيرة في منطقة سوق الشيوخ على الضفة اليسرى من

القرات .

البوشامه : قبيلة في الأهوار شمال بحيرة الحمار .

وهناك مجموعة قوية من قبائل الرعاة المهاجرين تشكل جزءاً من اتحاد

المنتفق . وينتقل هؤلاء في الشتاء والربيع الى الكويت وحدود العراق الجنوبية

مع المملكة العربية السعودية . والقبائل الرئيسية في هذه المجموعة هي الآتية :

(سنشير إلى القبائل التي تدعى بأنها من اصول شريفة بعلامة « x ») .

العبادة بني مالك

العوثان (x) أجود

البدور (x) أجود

الغليظ (الغزي) أجود

| | |
|----------------|------------------|
| الهندال (×) | بني مالك |
| الجميعان | بني مالك |
| الجوارين (×) | بني مالك |
| الرفيعات (×) | أجود |
| الشريفات | أجود |
| الزياد | من قبائل السماره |
| الزوباء (×) | اصلها من شمر |
| الزهيره | من قبائل الزبير |

الزوباء

وتقع جميع قبائل العراق تحت ثلاثة اسماء عامة هي :

- ١ - اهل الجزيرة : وهم القبائل التي تسكن المنطقة الواقعة بين دجلة والفرات من الموصل الى الخليج الفارسي .
 - ٢ - اهل الشاميه : اسم عام يطلق على قبائل منطقة سوق الشيوخ التي تقطن على الضفة اليمنى من الفرات بين الناصرية وسوق الشيوخ .
 - ٣ - المجره : اسم عام يطلق على قبائل منطقة سوق الشيوخ التي تسكن على الضفة اليمنى من الفرات بين سوق الشيوخ وبحيرة الحمار .
- وتجدر الاشارة هنا الى ان جميع نساء قبائل المنتفق سافرات ووجوهن وأذرعهن وأقدامهن مزينة بنماذج متعددة من الوشم .

عائلة السعدون

ان تاريخ اتحاد المنتفق جزء لا يتجزأ من تاريخ عائلة السعدون التي تدعي انها تنحدر من سلالة الرسول ولذلك فهم ينتسبون الى شرفاء مكة وقد هاجروا من الحجاز الى بلاد ما بين النهرين في أوائل القرن السادس عشر . وفي ظل عائلة السعدون حافظ اتحاد المنتفق على استقلاله من الأتراك حتى سنة ١٨٦٣ عندما حاول والي بغداد ان يحطم قوة القبائل بأن اقتطع اراضي معينة من المنتفق وعين كبير آل السعدون قائمقاماً ذا صلاحيات محدودة لم تتعد

سوق الشيوخ .

وقد ثار الشيخ الأعلى في ذلك الوقت وهو منصور بك السعدون ضد هذه الإجراءات وحاول ان يثير انتفاضة عربية عامة ضد الأتراك ، بما اضطر الوالي ان يتخلى عن سياسته الجديدة . ويقول المقيم البريطاني في بغداد انه لو كانت للأتراك القدرة على تنفيذ سياستهم لكانت جميع قبائل المنتفق والتهيم لانهم كانوا يقاسون كثيراً من الظلم على أيدي رؤسائهم .

وفي سنة ١٨٦٤ و ١٨٦٥ كان منصور بك وشيخ آخر هو فهد السعدون لا يزالان في حالة ثورة مضنة ضد الأتراك . وأخيراً لجأ منصور بك الى الضافر بينما اعطيت المشيخة لأخيه ناصر سنة ١٨٦٦ لأنه زاهد على الشيخ فهد . وقد قال الشيخ ناصر حظوة خاصة عند الأتراك ويبدو انه وقع تحت تأثير مدح باشا الذي استدرجه سنة ١٨٧١ الى التخلي عن الموقف الذي اتخذته شقيقه مع الشيخ فهد ، والى القبول بإمداد النفوذ العثماني لى قبائل المنتفق . وبذلك الخطوة يبدو ان الشيخ ناصر الذي أوجد الناصرية قد خان المنتفق الى الأتراك .

وحاول الأتراك إقامة موطن ثبت لهم هناك فرشوا آل السعدون واقنعوهم بقبول التحول الجديد ، وان ينتقلوا من رؤساء يتقاضون الجزية الى ملاك للأرض . وبذلك فقدت القبائل ملكيتها للأرض وأصبح أفرادها مزارعين بالقسم ، وقسم أراضي الناصرية وسوق الشيوخ بين آل السعدون والبساب العالي .

وفي سنة ١٨٧٢ استخدم الأتراك الشيخ ناصر لتوطين قسم من جماعته في الاحساء والقطيف المنطقتين اللتين كان الأتراك قد احتلوهما في ذلك الوقت . ومكافأة له على خدماته عين والياً على ولاية البصرة التي انشئت سنة ١٨٧٥ ومنح لقب باشا . وعندما قوي ناصر باشا بعد ان جمع بين حاكمية البصرة وبين رئاسة المنتفق ، نفاه الأتراك الى القسطنطينية سنة ١٨٧٧ .

وفي سنة ١٨٨١ وبينما كان ناصر باشا لا يزال في السجن ، قامت جميع قبائل

المنتفق بثورة ضد الأتراك ، ويبدو ان أسباب تلك الثورة تعود الى تصادم القبائل مع الجنود الأتراك الذين تمركزوا في معسكرات انشأوها في الناصرية ، والى محاولة الأتراك تنفيذ خططهم الجديدة وحمل رجال القبائل على دفع الضرائب لهم ولآل السعدون . ولم يتمكن الأتراك من اخضاع تلك الثورة فاضطروا الى التخلي عن جمع الضرائب والى إعطاء مزيد من السلطات الى فالح باشا الابن الأكبر لناصر باشا الذي استأنف الى حد ما سياسة والده الموالية للعثمانيين .

وفي تلك الاثناء أصبح المنتفق موزع الولاء بين فالح باشا وسعدون باشا ابن الشيخ منصور . وكان ينظر الى سعدون بأنه يمثل المبادئ القبلية القديمة . فأنصار فالح كانوا يقطنون المنطقة ما بين دجلة والفرات ، بينما الجماعات القبلية الموالية لسعدون باشا كانت تقطن الضفة اليمنى من الفرات .

وعندما توفي فالح باشا في سنة ١٩٠٨ أصبح سعدون باشا سيداً على المنتفق كله . وبدأ سعدون بذلك عهداً من الطغيان والاستبداد في المنتفق فقتل عدداً من صغار الشيوخ وأخذ ينشر حالة من التهديد والوعيد والفساد ، وفي سنة ١٩١١ ضجت منه جميع البلاد فتخلى الأتراك عن تأييدهم له في تموز من تلك السنة وأرسلوه تحت الإقامة الجبرية الى بغداد ، ونقل في الشهر التالي الى حلب حيث توفي فجأة في ٢٥ تشرين الثاني . وصدر تقرير رسمي يقول ان سعدون باشا توفي بداء النقطة والذبحة القلبية ولكن الرأي السائد هو انه توفي مسموماً . وظل ابنه عجمي بلك طريد العدالة خارجاً عن القانون في جوار الناصرية .

وفي الفترة بين سجن سعدون باشا ووفاته ارتد عطف قبائل المنتفق ، بين فيهم اعداؤه عائلة فالح ، عليه ربما لانه لم يعد موظفاً في الدولة العثمانية وبسبب كره القبائل للأتراك .

فرجال القبائل لم يتدرجوا من ملاك للأرض الى مزارعين بالقسم ، وكذلك لم يستطع آل السعدون ان يفرضوا الحقوق التي اكتسبوها من الدولة العثمانية . ومع ضعف السلطة المركزية منذ بداية العهد الدستوري في تركيا سنة ١٩٠٨ ، والاضطراب العام في الادارة المحلية الذي جاء في اعقاب الحروب مع

إيطاليا والبلقان ، أثبت الوضع الرسمي الذي بادله آل السعدون بامتيازاتهم لقبلية القديمة انه عديم النفع . فقبل الاحتلال البريطاني للعراق سنة ١٩١٥ بعدة سنوات تمتعت القبائل عن دفع ربع الارض . ومع ذلك قام الاتحاد المنتفق ضد الانكليز في تشرين الثاني سنة ١٩١٤ . ويرجع ذلك الى ما تبقى من نفوذ آل السعدون ، والى تعاليم السادة التي تدعو للجهاد ، وكان الترغيب بقوائم الحرب او بمكافآت الاتراك .

ان شجرة عائلة آل السعدون تضم أكثر من مئة اسم ولكنها على الصفحة السابقة حصرناها بفرع واحد لظهور فروع سعدون وفالح التي ميّرد ذكرها مع بعض الاسماء الاخرى والتبذات التي سنذكرها في الروايات التالية :
عبد العزيز الم اشد السعدون : لم يرد ذكره في الشجرة وهو رئيس عشيرة الراشد في سوق الشيوخ (متوفى) .

عبدالحسن السعدون : لم يرد ذكره في الشجرة . تولى رئاسة الوزارة في العراق اربع مرات . انتحر أثناء ولايته الرابعة في ١٣ تشرين الثاني سنة ١٩٢٩ .
عبدالله بك الفالح باشا السعدون : الشيخ الاعلى لقبائل المنتفق التي تقطن بين دجلة والفرات . (متوفى)

عجيمي بك السعدون : سابقاً رئيس قبائل المنتفق التي تقطن الضفة اليمنى من الفرات . وهو يعيش حالياً في تركيا .

عجيل بك السعدون : لم يرد ذكره في الشجرة . وهو زعيم مرموق وقوي عائلته في الناصرية .

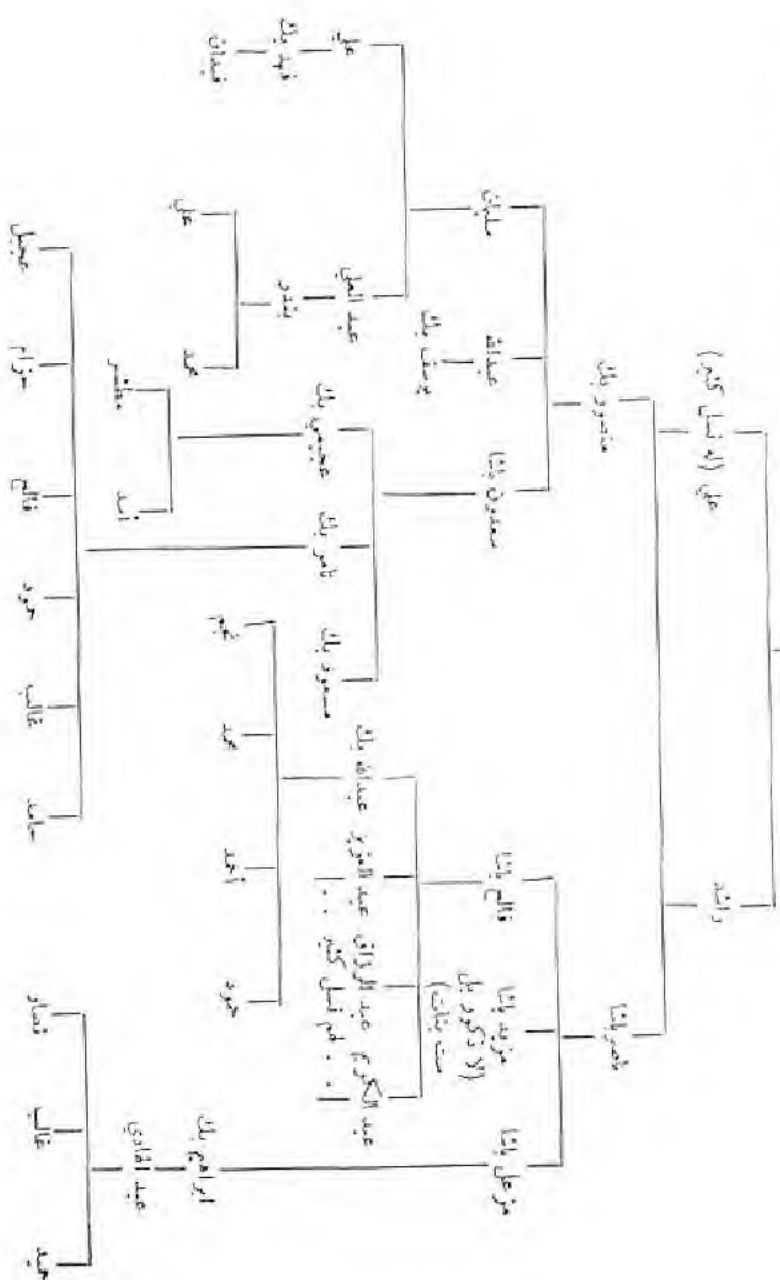
بندر السعدون : والد علي ابن بندر السعدون ومحمد ابن بندر السعدون . (متوفى) .

ضاري بك الفهد السعدون : لم يرد ذكره في الشجرة . عضو بارز في فرع آل محمد من العائلة . كان سابقاً يسكن في الناصرية وهو الآن متوفى .

فهد بك السليمان السعدون : كان يقيم على الضفة اليمنى من الفرات . (متوفى)
فالح باشا السعدون : سابقاً رئيس جميع القبائل القاطنة بين دجلة والفرات .

ingressible

تأمر (يتحدث مباشرة من الشيخ شبيب من طرفه) مكة الذي
سيطو على قبائل القرأت الأسفل وأعطاها اسم المنفق {



والد عبدالله بك الفالح باشا السعدون الذي تولى الزعامة بعد وفاة والده .
 حزام بك المشاري السعدون : لم يرد ذكره في الشجرة . عضو بارز في العائلة
 كان يقيم بالقرب من الناصرية وهو الآن متوفى .
 ابراهيم بك ابن مزعل باشا السعدون : عضو بارز في العائلة ويقيم حالياً في
 البصرة .
 مزعل باشا السعدون : والد ابراهيم بك ابن مزعل باشا السعدون . وهو
 الآن متوفى .
 محمد ابن بندر السعدون : ابن بندر السعدون .
 ناصر باشا السعدون : آخر والي من آل السعدون على البصرة (متوفى) .
 سعود بك السعدون : الأخ الأصغر لعجيمي بك وقامر بك .
 ثامر بك السعدون : يقيم حالياً في سوق الشيوخ .
 يوسف بك العبدالله المنصور السعدون : ابن عم عجيمي بك وقامر بك
 وسعود بك .

أنا أدير سوق الشيوخ

عند اندلاع الحرب العالمية الاولى مع ألمانيا ، أرسلت كتيبي الى فرنسا .
 وبما أنني كنت أجيد اللغة العربية التي تعلمتها منذ الصغر ، فقد أرسلت الى الهند
 ومنها الى العراق في تشرين الثاني سنة ١٩١٤ حيث اشركت في كل العمليات التي
 أدت الى احتلال البصرة والقرنة والناصرية بما في ذلك معركة شعيبه قرب الزبير .
 وبعد ان احتل الجنرال تمورينج الناصرية في تموز سنة ١٩١٥ ، أرسلت
 كضابط استخبارات الى سوق الشيوخ المدينة العربية الصغيرة على الفرات في
 وسط قبائل المنتفق . ولم تكن القوانين تسري هناك حتى في أيام الاتراك قبل
 سنة ١٩١٤ . فقبائل المنتفق عنيدة متمردة ، وكانت في حالة من الفوضى بحيث
 اضطرني ذلك الى حث الدائرة السياسية التي يرئسها السير بيرسي كوكس الذي
 كان ينظم الادارة المدنية في جنوب العراق ، على ارسال ضابط لادارة المنطقة .

وكم كانت دهشتي عندما تلقيت برقية عيني فيها السير بيرسي مساعد ضابط سياسي بالانصاف الى واجباتي الاخرى في سوق الشيوخ .

ومع انني سررت بهذا المنصب لكنني رأيت أمامي كثيراً من المتاعب لان قبيلتي بني حيقان وبجرة الكبيرتين اللتين تقطن الاولى منها على الضفة اليسرى من الجحري الرئيسي للفرات والثانية قبالتها على الضفة اليمنى ، كانتا على وشك الدخول في حرب . وكانتا قد اختلطتا بشكل خطر في الدلتا بين سوق الشيوخ وبجيرة الحمار ، فكان أفراد القبيلة الواحدة يقتنصون افراد الاخرى والعكس كلما عبر هؤلاء النهر ذهاباً أو إياباً لقضاء اشغالهم العادية .

ومما زاد الامور صعوبة عدم وجود شبانه (أي شرطة النهر) ولا سوارى (أي شرطة خيالة) ولا جنود بريطانيون او هنود .

وهكذا كنت انا الانكليزي الوحيد في ذلك المكان اعيش وحدي بكل ايجادى بينما كان الجيش الانكليزي يصارع ليشق طريقه على دجلة . وكان كل يوم يمر يجلب معه مفاجآت مشيرة حتى لم يعد يعرف المرء ماذا سيحدث في الليل او في الصباح التالي . وبقيت انا على قيد الحياة بفضل الحجي حسن حمداني وحسن نيته . وكان الحجي حسن ، رجلاً المدينة القوي ، يحتفظ بقوة مسلحة قوامها ٢٠٠ رجل اشداه وذلك لفرض ارادته وفرض هيبة الامن والقانون . ولكنه خارج حدود المدينة لم يكن له أي نفوذ على الاطلاق .

وفي الوقت الذي كنت فيه ضابط استخبارات فقط اعيش في ظل الحجي حسن راقم في منزله ، كنت مكنتياً تاماً . ولكنني كنت افضحك في نفسي عندما بدأت افكر بأن احرب حظي في انشاء قوة شرطة برية ونهرية ، وايجاد شرطة للمدينة ، واقامة ادارة ، مما يعني ، أولاً وقبل كل شيء ، جباية بعض الضرائب من القبائل التي لم تدفع فلماً واحداً للاتراك طوال السنوات العشرين التي سبقت قدومي .

كنت اعلم ان عقبات كثيرة ستعترضني ، وان امامي صراعاً ليس أقله تحطيم سلطة الحجي حسن في المدينة ، وفرض هيبة القانون والامن بين بني خيقان

ونجده .

وانتقلت الى منزل عربي صغير يواجه النهر وتفصله عنه ساحة عرضها ٢٠٠ ياردة . وكانت في وسط المنزل باحة وأربع غرف في الطابق الارضي استخدمت ثلاثاً منها كمكاتب والرابعة كمطبخ . اما الغرفتان في الطابق العلوي ، فكانت واحدة للنوم والاخرى للجلوس .

والمدخل الوحيد لهذا المنزل بوابة حديدية صغيرة محكمة الصنع يصعب خلعها ، ولم تكن فيه اي ثغرات خارجية وكل نوافذه تطل على الساحة الداخلية . وكان السطح الذي يصل الغرفتين العلويتين محاطاً بمجدار (حاجز) مماكته ٩ بوصات وارتفاعه أربع اقدام وست بوصات . لقد كان بيتاً مثالياً للدفاع في حالة تعرضه لهجوم فهو متمسك على بعضه وفيه فتحات على ثلاث جهات .

واسمعت الحجي حسن الى جانبي وعرضت عليه ان اتولى امور رجاله وادفع مرتباتهم ، وعينت شقيقه الأصغر كاظم حمداني مساعداً لي ، وابنه الأكبر سالم جاب للضرائب في المدينة . اما الحجي حسن نفسه فقد منحه منصباً غير رسمي وهو مستشار مساعد الضابط السياسي . وقد منحت هذا اللقب الفخري ايضاً للحجي عباس الصنيث ، والحجي علي الديوس ، والحجي ابراهيم العماري وهم من زعماء المدينة ويمثل كل واحد منهم ربعها . وقد زاد إعجابي وتعلقي بمستشاري الأربعة فكانت اقضي معهم ساعات طويلة اتحدث معهم اما في حوانيتهم أو في منازلهم ، أو ادعوهم كل يومين تقريباً لتناول القهوة والمرطبات في منزلي عند الصباح .

وكانت للأربعة احقاد واثارات على بعضهم البعض ولكنهم لم يحدوا على اظهارها أمامي . وكانوا يفضلون العمل معي لا ضدي ، ويحرص كل واحد منهم ألا يصبح أي من الآخرين اكثر نفوذاً لدي . وكنا نعمل معاً ، كفرقة ، بصورة رائعة مما أتاح لادارة سوق الشيوخ ان تنجح بفضل مستشاري الأربعة ولولاياهم الحسنة وتعاونهم .

وعندما سيطرت على المدينة وضبطتها انجبت نحو القبائل المحيطة ، وبدأت

بإنشاء قرية شبانه قوامها ٢٠٠ رجل نصفهم من بني خيفات والنصف الآخر من
البحرة . واعطيت هؤلاء الشرطة بنساق تركية وألبستهم زيّاً واحداً اتفقاً
وأُسست لهم مراكز يبعد الواحد عن الآخر ثمانية أميال على طول النهر إلى
بحيرة الحمار شرقاً ، وغرباً إلى مضيق الشيخ نشويد ابن مهابنه وبرجسه الحربي
الذي يشكل نصف الطريق إلى الناصرية ، حيث كانت ثلثي حدود مملكتي
الصغيرة .

وكثرة ضاربة كنت احتفظ بنة شبانه اطول مدة ممكنة في المهر الرئيسي .
وللقيام بدوريات في الصحراء باتجاه خبيبه وما بعدها ، اعطيت ثامر بك
السعدون الذي كان يعيش في ام البطوش ، سلطات مديرو الاموال الضرورية
للاحتفاظ بثلاثين من السوارى وشراء الخيول لهم . وقد زودت هؤلاء ببنادق
مارتينى - جيدة ولكن مضي زمنها - وكان رجال الصحراء يحبون هذه
البنادق ويسمي الواحد منهم بندقيته « أبو موزر » او « دكسان » وقد انتقل
هذا الاسم الأخير إلى لأن ديكسون ودكسان متشابهتان في اللفظ تقريبا .

وبعد ان عينت مديرين على قرمة بني سعيد والخليسيه وحكيكه وشمال
بحيرة الحمار ، أصبحت إدارتي جاهزة لجباية الضرائب . وقد أشار عليّ
مستشاري ان أسير بالمعملية ببطء ، فأفرض أولاً ضريبة على أشجار النخيل
(روبية على كل شجرة) ولكن ليس على الأرز والقمح والشعير . وأشاروا
ايضاً ان اعمل في الوقت الحاضر جباية الكودا وهي ضريبة على الماشية أدخلها
الأتراك . وقالوا لي ايضاً ان الأتراك لم يتركوا أية سجلات على الإطلاق ، فإذا
كنت أرغب في العدد الصحيح ، فعليّ ان اقوم بعملية عد للأشجار في كل مكان
الأمر الذي تقاومه القبائل .

ونصحوني بدلاً من ذلك ان افرض ضريبة امتية في السنة الاولى واضاعفها
في السنة التالية ثم اضاعفها في السنة الثالثة ، فإذا عارض أصحاب البساتين
ومشكوا الغبن اعرض عليهم عد الأشجار شخصياً وأحدد الضريبة . وعلمت ان
عدد الأشجار المفروسة منذ ان تقاضى الأتراك آخر ضريبة أي قبل عشرين

سنة كان كبيراً بشكل ان أحداً لن يطلب عد أشجاره قبل مضي خمس سنوات من عملية المضاعفة .

وقبلت الاقتراح لأنني لم أكن أرغب في عرقلة رئيسي الذي كان يقوم بحملة ضد الاتراك على دجلة ، عن طريق إثارة ثورة أو أي حوادث في منطقة سوق الشيوخ .

ان جباية ضرائب النخيل من رجال القبائل الذين ليست لهم حقوق شرعية كثيرة في ملكيتهم ، كانت أمراً مضحكاً ، فكان على المرء ان يلجأ الى الخداع والمزاح والدعوات الى حفلات غداء عامرة وأحياناً الضرب بيد من حديد على احدهم ورجنه قبل أن يأتي اصدقائه لنصرته .

وأول ما استرعى انتباهي ، قبيلة آل شدود من جهة بني خيقان على الفرات على بعد اثني عشر ميلاً الى الغرب من السوق . وكان شيخ القبيلة وقتذاك الحجي فيصل الشدود وهو رجل طوله ست اقدام واربعة بوصات وله خمسة أخوة بطوله ويحاله . وابلغته أنني آت اليه لاحدد مقدار الضريبة المطلوبة منه لتلك السنة ، فرد علي بأن دعائي الى حفلة غداء عامرة تحت أشجار النخيل . وقلت له قبل تناول الطعام انني سأقدر أشجاره بصورة عفوية بسنة عشر الفاً ، ولكنه اذا رغب عدت الاشجار بالضبط . وأرغى الحجي فيصل وأزبد وأنسم بأنني أفرض عبئاً كبيراً عليه وعلى قبيلته . وتشبثت انا بموقفي فيما بدأت الامور تأخذ طابع التحدي لان كل رجال القبيلة مسلحون ويحيطون بنا .

وبعد ساعتين من الجدال تنازلت عن الف شجرة وجلسنا على الغداء وأنا مصر على تناضي ضريبة عن خمسة عشر الف شجرة . ولم تكن حفلة الغداء ناجحة خاصة وان كل واحد منهم كان يأكل والبندقية في يده . وكان وجودي هناك مصدر ارتعاج شديد ، وكانت شراسة واحدة كافية لأنت تلهب المكان . وكان الشقيق الثالث لحضرتي واهمه الحجي حمد الشدود يضع بندقيته على ركبته وفومتها تهمد ست بوصات فقط عن صدري . وطلبت منه ان اري البندقية فوجدتها محشوة وغير مثقلة وفيها أربع طلقات اضافية في مخزنها . وبكل هدوء

انقرعت الطلقات منها ، فبدت على وجه الحجي فيصل بوادر عدم الارتياح .
وعندئذ قلت له انني لا استطيع ان اتنح بالغداة وبندقية اخيه فكاد نخترق
صلوبي . واحاطني مضميني بكرمه وترحيبه فافترقنا بدون خصام مع اعتقادي
بانني نجوت صدفة .

وتجدر الاشارة هنا الى انني في السنة التالية تفاضيت من الحجي فيصل
ضريبة على ٣٠ الف شجرة وبدون تدمير من أحد . وفي السنة الثالثة ضاعفت
الضريبة الى ٦٠ الف . وعندما وصلت الضريبة الى ١٢٠ الف طلب الحجي فيصل
في السنة الرابعة ان يجري عد الاشجار . وقد قت انا بنفسي بعد الاشجار فكان
عددها أكثر بقليل من ٢٤٧ الف شجرة . ومما لا شك فيه ان الشيخ خشي ان
اضاعف الضريبة ايضاً في السنة التالية فجاه يطلب العد .

ولم احمل حقة أو كراهية ضد الحجي فيصل او الحجي حمد اطلاقاً . بل
ان آل شدود اصبحوا من افضل دافعي الضرائب . وبعد مضي ٢٥ عاماً عندما
كنت مقيماً سياسياً في الكويت شرفني الحجي مفاطم الأخ الثاني للحجي فيصل
بزيارة سررت بها كثيراً .

محمد العايل يبيض وجهي

كان الحجي مري شيخاً مساعداً مع الحجي دوغي في قبيلة العسائرة .
وافراد هذه القبيلة قوم اشرا رقتل اراضيهم مباشرة بأراضي آل شدود .
وكانت هذه القبيلة تحتل حوالي ثمانية اميال من واجهة النهر مع حزام من اشجار
التخيل الممتازة بحدود مجرى النهر ، ومنطقة ممتازة لزراعة القمح والشعير .
وكان الحجي مري يملك عدة مئات من الفدادين الصالحة لزراعة الرز وراء
اماكن زراعة القمح . وتقع قريته الرئيسية على بعد ميلين عن المجرى الرئيسي
للنهر . هي محاطة بخمسة مفاويل اي ابراج حربية ذات ارتفاع لا بأس به .
وكان الحجي دوغي يكره الحجي مري ويأمل ان يأتي يوم يعترف به وحده
شيخاً اعلى وزعيماً في قبيلة العسائرة .

وكان الحجبي مري رجلاً قصير القامة صغير الحجم سيء الطباع وذو عينين حادتين وابسامة للثة .

وفي تلك الفترة كان السفر في النهر ليلاً غير مأمون العواقب وخاصة في الاميال النهائية التي يحتلها العاشرة باتجاه الناصرية . ولم اكن انا قد سيطرت السيطرة التي كنت اهدف اليها ، فكان العاشرة يفرضون رسوماً على كل زورق يمر في النهر نهراً ، ويطلقون النار ويصادرون كل زورق يحتار منطقته من النهر ليلاً . ولم انشء مركزاً للشبان في منطقة العاشرة خوفاً من وقوع حادث ، فانتظرت الوقت المناسب .

وجاء ذلك الوقت بأسرع مما توقعت . فقد تلقيت من السيد ارغولك ويلسون الذي كان ينوب عن السيد بيرسي كوكس في البصرة لانشغال الأخير بقيادة الحملة العسكرية على نهر دجلة ، قارباً بخارياً جديداً وقوياً . وقد اعطاني ذلك قدرة أكبر على الحركة ومكنتني من ان اظهر بنفسني في اقصى الاماكن النهائية من دلتا سوق الشيوخ . وقد قوي ذلك مركزي كثيراً لأنه ليس اصدق على القبائل من المثل القائل : عقليهم في عيونهم . فاصبحوا الآن يرون الضابط السياسي في كل لحظة بينما كانوا يقولون من قبل انه خائف أو لا يستطيع التجول بينهم .

و ذات مساء ، عند الغروب ، انت امرأة من المدينة لمقابلتي ومعها ابنتها وهي فتاة جميلة هجرها زوجها . وقالت المرأة انها ارملة تاجر نجدي وان لديها ولد في الثانية والعشرين من عمره وابنتها التي قصصها وعمرها عشرين عاماً . وكان زوجها قد اقرض مبلغاً من المال للحجبي مري الذي قنع عن دفعه عند الاستحقاق ، فشكا الرجل أمره للحجبي حسن حمداني . ولما قدم الحجبي مري لشراء بعض الحاجيات من السوق قبض عليه الحجبي حسن وسجنه في مكان قذر الى ان دفع الدين المستحق . ولما مات زوجها استأنف ابنها عمل أبيه طوال السنوات الثلاث السابقة ولكن على نطاق ضيق .

وقبل زيارتها لي بعشرة أيام ، كان ابنها متوجهاً الى الناصرية بالبلم (زورق نهري) فهاجمه رجال قبيلة العاشرة واختطفوه . وظننت المرأة اسوأ الاحتمالات

فارسيت من يبحث عن ابنها ويسقط أخباره ، فعاد هؤلاء ليقولوا لها ان ابنها
سجين في قرية الحجي مري وان عياله قد حملنا . واخبروها كذلك ان الحجي
مري علق له النير في رقبته جنباً الى جنب مع حماره وفلح عليه الارض لمدة
خمس ايام متتالية . وقد أثرت هذه القصة في نفسي وشعرت بالفرف .

وبعد ان أخذت عهداً من الامراة وابنتها ان لا تنسأ بذنة شفة امام أحد
عن زيارتها لي ، شجعتها آملاً ان افعل شيئاً من اجلها . لم استطع ان اقول لها
ما هو الشيء الذي كنت سافعله لانني نفسي لم أكن أعلم . وبعد ساعة فقط
قررت ان اخرج في حملة . فابلغت محمد العايل رئيس الشبان ان يفتني ٣٠ من
اشد رجاله ويقوموا باستعراض في تمام الساعة الحادية عشر ليلاً . وكانت محمد
شجاعاً مرحاً .

وفي تمام الساعة الثانية عشرة ليلاً ركبنا جميعاً زورق البخاري وتوجهنا الى
أرض العسانرة . وكان الظلام حالكياً والحدود مخيماً . ووصلنا الى مكان
مواجهة قرية الحجي مري حوالي الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل .
وخففت سرعة الزورق الى الربع حتى لا يحدث صوتاً قوياً وسرت به الى
الشاطئ في مكان فكثرت فيه الاشجار وكأنه نجماً طبيعياً .

وبعدئذ استدعيت محمد وشرحت له خطتي وهي ان يبقى خمسة رجال في
الزورق للحراسة وان أرحف انا مع خمسة عشر رجلاً الآخرين الى جوار قرية
الحجي مري . وبعد ذلك تقدم محمد مع ثلاثة رجال مختارين الى الامام ويقتلون
على طريقة الهندو الحمر الى اسطبل الحجي مري حيث قالت الامراة ان ابنها
يحتجز في الليل ، فيفكوا قيوده ويهدوه وينفذوه وفي حالة النجاح يطلق أحدهم
صرخة واحدة شبيهة بصوت البوم . واذا تم ذلك يأتون الي باقصى سرعة ممكنة
وبعد ثلاثة اصوات متتالية كأصوات البوم نعود جميعاً الى الزورق بأذن الله .

وكان نجاح الخطة طبعاً يعتمد على الصمت المطبق والتسلل الحذر . ولكن
بما ان رجالنا كانوا منتهين من سكان الاهوار ولهم موهبة خاصة في التسلل
كالاشباح ، فقد كنت واثقاً من النجاح .

وكانت أول عقبة هي اعتراض محمد علي ذهاني معهم بحجة انني لا اجد سبل مثابهم وقد بفضح ذلك الحطة كلها قبل ان نباعد مسافة نصف ميل من زورق .

ومس محمد في اذني قائلاً : يا صاحب ، انت لا تستطيع ان تتحرك بهدوء صمت مثلنا ، ولا تستطيع ان تسبح مثلنا القنوات الثلاث العريضة التي تحمي رية الحجي مري ، ولا تقدر ان تتحرك كالكلب وتمشي على رجليك ويديك ترفع إحدى رجلك لتهدو كأنها الذيل ، مثلنا اعتدنا أن نفعل نحن عند ضرورة . فابقي أنت في الزورق مع خمسة عشر رجلاً وأذهب أنا مع خمسة رجال أنتقيهم . سلم الأمور إلي وسأبيض وجهك .

ووافقت بحكم الضرورة ولكن رغم إرادتي . وخلع محمد ورجاله الحمة الذين يشبهون الثعابين جميع ملابسهم ، وربطوا على خصورهم سناجرهم الطويلة المنيوية التي يستخدمها رجال الأهوار . وتركوا بنادقهم وذاكرهم في الزورق . وقال محمد انهم إذا لم يعودوا قبل الساعة الثالثة والتصف فمعنى ذلك انهم قتلوا أو أسروا وما علينا نحن إلا أن نعود الى سوق الشيوخ . وحاذت مني التفاتة سريعة الى محمد على ضوء مصباحي الكهربي فكانت جسمه العاري رافعاً ووجهه يطفح بشراً وسعادة وعلى فمه ابتسامة مريحة بانتظار الدخول في مقاومة مثيرة . وبلحظة اختفى الرجال الستة في الليل بصمت وهدوء .

وكان الانتظار مشوباً بالقلق . وأمرت جميع الرجال بالبقاء في الزورق باستثناء اثنين تولا على بعد ٥٠ ياردة بين الأشجار ليرقبوا ما إذا كان هناك أحد يتربص بنا . وفي الساعة الثالثة والرابع سمعنا فجأة نباح كلاب بعيدة في القرية . واستمر النباح مدة خمس دقائق ساد بعدها الهدوء الى أن سمعنا طلقاً نارياً تبعته ٢٠ أو ٣٠ طلقة أخرى متتالية وصراخ من مكان بعيد . وكان من المستحيل ان نعرف ما إذا كان ذلك تحذيراً ، أو ان رجالنا اقتضح أمرهم وحوصروا . وبدأ التوتر على وجوه رجالنا في الزورق ولكنهم كانوا يكتبتون قلوبهم فحشوا بنادقهم بصمت استعداداً لأي طارئ .

وأنت الساعة الثالثة والنصف ولم يظهر محمد ولم نعد نسمع أية أصوات من جهة القرية . وفي الساعة الرابعة إلا الربع بدأت تساورني الحسوف . ووسط هذا التوتر المشوب بالياس قررت الانتظار فترة قصيرة . وكانت الصمت مطبقاً ومرهقاً إذ لم يكن المرء يسمع إلا صوت انقماره . وفي الرابعة إلا عشر دقائق أصدرت أوامري بالنجرك ، وفي تلك اللحظة سمعت أصوات يوم أطلقت ثلاث عرات متتابعة من مكان قريب وبعد لحظة أطل من الظلام خيال محمد ، وقبعه رجاله الذين كانوا يحملون حزميتين ألقوهما على الشاطئ ، قرب الزورق . واقترب مني محمد وهمس في أذني قائلاً : لقد جلبت لك ، الفتى الأعشى .. والحبي مري أيضاً !

وكان الرجلان محزمان ومكلمان حتى لا يحدث أي صوت ولكي يسهل حملهما . ولم يستغرق نقل الرجال الى الزورق ، والاقلاع من الحبس تحت الأشجار وقتاً طويلاً . وسرنا باتجاه المدينة أولاً ببطء وبعد أن قطعنا أرض العشائرة سرنا بأقصى سرعة ممكنة .

ووصلنا الى المدينة مع الفجر وقبل ان يخرج الناس من منازلهم . وأودع الحبي مري سجنه القديم وبعد ساعة سلمت الفتى الأعشى الى أمه واخته . والذكر الحبي مري طبعاً انه حمل عيني الفتى مدعياً ان اعداء آخرين فعلوا ذلك . وأمرت ان يظل الحبي مري في السجن الى ان يدفع الفصل (دبة الدم) وقدره ثمانية روية حسب القوانين القبلية في المنتفق ، وأضفت إليها أربعماية روية أخرى لأنه نصب نفسه قائماً يحكم على هواه .

وظل الحبي مري في السجن خمسة عشر يوماً الى أن جاءني وفد من نساء العشائرة على رأسه زوجة الحبي مري . فأخذت النساء يبيكين ويهتفن أيماناً مغلظة بأن الحبي لا يملك المال الكافي ليدفع الفصل ، وانني لم أفعل حسناً بأن تدخلت في العادات القبلية وقوانينها ، وعليه يتوجب إطلاق سراح الحبي مري . وعندما وجدت زوجة الحبي انني لم ألن سلمت بالأمر الواقع ، وفكت متديلاً قديماً يحتوي على مجوهراتها وهي عبارة عن مفالية للعنق من الذهب

والصدق ، وعقد من النقود الذهبية ، وخاتمين ذهبيين جبيلين مثلني الشكل في وسط كل منهما فص . واعطتني إياها قائلة انها تكفي لدفع الغرامة التي فرضتها ، وانها ستدفع مال الفصل بعد ان اطلق سراح زوجها . وسألني بسفاجة : كيف يستطيع الحجبي مري ان يجمع المبلغ من رجاله وهو في السجن ؟ وشرح لها بطول بال ان قصدي ان يدفع الحجبي مري المال لا رجال القبيلة . وعادت هي تشرح لي انني لا أفهم عادات القبائل وانه ما لم افرج عن زوجها فإن شيئاً لن يحدث . وسأومتها بأن احتفظ بزوجها على ان يدفع الحجبي دونهي الشيخ الآخر في قبيلة المعاشرة المال المطلوب .

وهكذا انتهت مغامرتي الصغيرة مع الحجبي مري . أما بالنسبة لوالدة الفتي الأعمى فقد أفسدت الأمور بعض الشيء عندما جاءت لزيارتي بصورة مفاجئة بعد حلول الظلام وقالت ان ابنتها تريد ان تعبر عن عرفانها بالجبل نحوي بالطريقة الوحيدة التي تقدر عليها وهي ان تقضي الليل معي حيث أريد . ولم تقتنع السيدة عندما قلت لها استغفر الله وأصافت تقول : كان الأتراك يفعلون ذلك دائماً قبل ان تأتوا أنتم الانكليز وعلى كل فليس من الضروري ان يعرف أحد .

وحدث بعد ست سنوات عندما كنت ضابطاً سياسياً في القرى الأوسط ومقري مدينة الحلة ، ان قامت زوجة الحجبي مري بزيارتي وهي في طريقها الى الحج في كربلاء . وكانت قد تغيرت قليلاً فذكرتني بأنها أعطتني مجوهراتها في يوم من الأيام ورجتني ان أردّها إليها . وقالت أن الحجبي مري قد توفي قبل سنتين دون ان يشتري لها بديلاً لمجوهراتها . ولم استطع إجابة طلبها لأن المجوهرات بيعت منذ وقت بعيد وأدخل ثمنها الى خزانة سوق الشيوخ . ولكنني شعرت بأنني يجب ان أفعل الشيء المناسب لأظهر أن دكسان لا يفتقر الى روح الشهامه ، فدفعت لها من جيبي اربعماية روبية وهي قيمة الغرامة الأساسية . فذهبت تغمرها السعادة .

مستشار حكيم

وكانت إحدى الصعوبات الأساسية التي واجهتني في سوق الشيوخ ، حل النزاعات القبلية . واكتشفت ان شهادة الزور هي القاعدة وان الكذب هو الحيز اليومي لأهل المنتفى . وفي أحد الأيام عندما بنيت من حل نزاع صعب طلبت نصيحة كاظم حمداني فأجاب :

لماذا لا ترسل المتنازعين الى النجف الأشرف حيث يقوم السيد كاظم اليزدي باستحلاف الطرفين بالعباس في مسجد علي ؟ انه أمر معروف بين هؤلاء ان الذي يحلف بالعباس كذباً في مسجد علي الكبير في النجف ، فإن قوة الحية تقطع رأسه ويظل معلقاً في القبة الكبرى . ان رأس آخر رجل حلف كذباً لا يزال معلقاً هناك بسلسلة وقد جف وتقلص حتى يراه الآخرون فيهاون .

وكانت هذه مشورة حسنة . فقد أرسلت أهم الشهود في القضية ، تحت الحفظ ، مع رسالة رقيقة مهذبة الى السيد كاظم طالباً مساعدته . وخلال عشرة أيام تلقيت رسالة تقدير من السيد كاظم يخبرني فيها أن القضية قد حلت بأمانة وبروي لي طريقة الحل بالتفصيل ويحدد أصحاب الحق .

ومنذ ذلك اليوم والأمور تسير معي على ما يرام . وزاد عدد القضايا التي كنت أحيلها على السيد كاظم وبذلك أصبح عملي أسهل من السابق بكثير لأن رجال القبائل أصبحوا يعلمون انني على استعداد لإحالة أية قضية صعبة تواجهني على النجف فوراً ، ولذلك أخذوا يتصرفون بحذر خاصة وان الذي يعلن السيد كاظم اليزدي بطل ادعائه يتحمل جميع مصاريف السفر الى النجف وهي رحلة يبلغ مداها ٣٥٠ ميلاً بواسطة الزوارق او على ظهور الخيل .

وقد أصبح السيد كاظم اليزدي المجهد الأكبر للشيعة ، كما يعلم ذلك الشيعة في العراق وإيران ، في سنة ١٩١٠ . وهو رجل له مكانته ضليع وواسع المعرفة بشؤون الدنيا . وكان معجباً بالبريطانيين وخاصة السير بيرسي كوكس . وقد رفض ، وهو الرجل المتفوق بين جميع الزعماء الدينيين في العراق وإيران ، خلال الحرب العالمية الأولى كل المحاولات والمسااعي التي بذلها الأتراك وعلى رأسهم انور

بنا الحلة على تحويل الصراع الى جهاد او حرب مقدسة ضد الحلفاء فيما يتعلق بالطوائف الشيعية التي تمتد نفوذه اليها . ووجد الجيش البريطاني في العراق ان السكان ليسوا معادين له بل على العكس فقد كان أربعة أخماسهم من المؤيدين ، كل ذلك بفضل مهارة السيد كاظم اليزدي في مواجهة الوضع .

المضيف

والذي تمكن من استقبال الضيوف والزائرين ، حصلت على ترخيص رسمي ببناء مضيف أو دار الاستراحة . وقد كلف البناء الضخم الفين وتسعمائة روبية ويبلغ طوله ٧٠ قدماً وعرضه ١٨ قدماً وارتفاعه أيضاً ١٨ قدماً . وقد بناه رجال من أهل الاهوار من قبيلة بني أسد القوا من شوبيش وهي نقطة متوسطة في المستنقعات الكبيرة المحيطة بسوق الشيوخ .

وقد استخدمت ٦٠٠ حصيرة من اوراق البردي التي تكثرت في بحيرة الحمار لبناء سقف المضيف وجدرانه فقط . ووضعت هذه الحصر فوق هيكل من اقواس كبيرة صنعت من حزمات من اوراق البردي ربطت ببعضها البعض بشدة وانصلت عند الرأس . اما اساسات المضيف فقد حفرت في الارض ويبلغ طول قطرها قدمين ونصف ، ويبلغ ارتفاع الباب الضيق خمسة اقدام وهو في مواجهة النهر .

ولأن الضيوف كانوا سيجلسون على الارض ، فان الثموية كان ينبغي ان تكون على مستوى منخفض ، ولذلك فقد تركت فجوات بين الاقواس على ارتفاع قدمين . وفي الايام التي يشتد فيها الحر كانت تنزع الحصر عن جوانب المضيف ويترك مفتوحاً من جميع الجهات . وفي الايام الاخرى كانت الحصر توضع مكانها من الخارج باستثناء فتحة أو فتحتين من الناحية القوقية حيث كان يجلس الزائرون ويشربون القهوة . وكانت تغطي ارض تلك الجهة سجاجيد زاهية الالوان . اما الوجاق الذي كانت تصنع عليه القهوة فقد وضع في الجهة الأخرى بالقرب من المنخل . وكان الخدام والحراس يجلسون حول الوجاق بينما كانت

الزائرون الأكثر أهمية يسبرون الى داخل المضيف ويجلسون في الجهة المخصصة للاستقبال .

ونظراً لموقع المضيف على شاطئ النهر وتحت ظلال عدد من اشجار النخيل ، فقد كان ابرد مكان يمكن المرء ان يتقي فيه حرارة ايام الصيف الشديدة . وبسرعي انتباه الداخل الى المضيف بالإضافة الى كبر حجمه الضوء الخافت الذي يسوده . وهو بذلك اشبه بكاتدرائية .

في ذلك المكان كنت اقوم بأعمالي وادعو ضيوفي العرب الى حفلات غداء أو عشاء . وهناك كنت ادعو شيوخ القبائل ووجهاء المدينة الى مجلسي الاسبوعي . وهناك ايضاً كنت اتناول مع مستشاري الحجي حسن حمداني ، والحجي عباس الصنيث ، والحجي علي الدويس ، والحجي ابراهيم العماري .

وليمة عامرة

وقبل حلول عيد ميلاد الملك بعشرة أيام قررت الاحتفال بهذه المناسبة بإقامة مأدبة غداء فخمة في المضيف على الطريقة العربية . فارسلت دعوات الى ايرز شيوخ عائلة السعدون الذين كان يرثيهم أمير بك السعدون ، وإلى جميع شيوخ الجفرة وبني حيقان وعددهم ٧٠ ، وإلى الشخصيات البارزة في سوق الشيوخ بالإضافة الى مستشاري . وكانت وليمة عامرة : ٣٠ خروفاً مسمناً حمراً ووضع كل منها فوق كومة من الارز على طبق . وحول هذه الاطباق صف ستة صحن رصحن فيها اوز عمر ، ودجاج ، وسمك مقلي ، ومرق ، وكباب ، وفوز ، ومهلبية ، وقطع من البطيخ ، وطبق كبير عليه خبز عربي مرفوق بدونسه لا تكتمل اية وليمة عربية ، وقدرور الدين .

وقد اعددت ايضاً كل شيء لصنع القهوة والبيضان (شراب اللوز) للذين يحبونه . واستعرت عدداً من الجرار والارعية لكي يتمكن ضيوفي من غسل ايديهم . ولهذا الغرض اشتريت دزينة من الواح الصابون وعدداً مائلاً من المناشف .

ويرجع الفضل في شراء الحاجيات والمأكولات واعداد الطبخ لكناظم حداني .
وقد قمت انا باستمارة عدد من التبسط يكفي لتغطية ارض المضيف كلها ، وعدد
كاف من المساند لينكس ، عليها الضيوف .

وقد قبل الجميع دعوتي ما عدا واحداً وهو الحجبي مزبان احد أربعة شيوخ
في قبيلة الحكام اما الثلاثة الآخرون فهم : قاصد الناجي وفرهود القندي والحجبي
ناصر العايل . وهذا الأخير لا يمت بأية صلة الى محمد العايل رئيس الشبان .

وبعت لي الحجبي مزبان برسالة اعتذار يقول فيها انه لا يستطيع القدوم لأن
طريقه يمر في ارض أعدائه . ويقول انه مستعد للحضور اذا اعطته الحكومة
حظ وبحث ويقصد بذلك الحماية والتكريم .

ولهذا الغرض ارسلت للحجبي مزبان وثيقة موقعة مني وممهوره بالخاتم الرسمي
تقول ان الشيخ مزبان قادم بمهمة رسمية ضيفاً على الحكومة ، ولذلك فان أي
تعرض له في الطريق يعتبر اساءة للحكومة البريطانية . وقالت الوثيقة أيضاً ان
قدوم الشيخ مزبان يتعلق بدعوة مناسبة عيد ميلاد الملك وعليه فان الحكومة
ترغب ان يتناسى الجميع بهذه المناسبة نزاعاتهم وخصوماتهم لمدة ثلاثة أيام .

وجاء اليوم الموعود وبدأ ضيوفي يقدون بعضهم على الاقدام وبعضهم على
ظهور الخيل وبعضهم الآخر بواسطة المشايخ (جمع مشحوف وهو زورق
نهرى مطلي بالاسفلت) . وكان يصحب كل منهم عدد من الاتباع والحراس
يختلف عددهم حسب منزلة ومقام الرجل ينظر نفسه . ونظراً لوجود حالة
حرب بين البريطانيين والأتراك ، وبسبب اضطراب الاوضاع ، فقد جاء كل
منهم مسلحاً ببندقية وعلى صدره جناد او اثنان لمينان بالذخيرة .

وكان واحدهم يدخل المضيف ويحييني ثم يجلس في المكان الذي يتناسب مع
مكانته . ففي مثل هذه المناسبات يعرف اعيان عائلة السعدون وشيوخ القبائل
العاديين مكانهم واين يجلسون فلا يحاول أحد ان يحشر نفسه في غير مكانه .
وكان الجميع باحلى حالهم وكان منظرهم رائعاً وقد اسند كل واحد منهم ببندقية
الى جدار المضيف خلفه . وجلس تامر بك السعدون على يميني ويوسف بك المنصور

على يساري . وعلى جهة اليمين ايضاً جلس الحجي مزبان الذي طلب الحماية بين قاصد الناسي الذي كان متقدماً في السن ولم تكن له إلا عين واحدة ، وبين فرهود القندي . وعلى مسافة منهم جلس الشيخ ناصر العايل الى جانب الشيخ فرهود المفتش الرئيس الاسمي لبني حيقان .

وكانت وليمة رائعة شهد لها الجميع . ولا عجب لأنها قيمت بأشراف كاطم حمداني ومجموعة كبيرة من الخدم وامنت على طاول المضيفين صفوف الشيوخ الجالسين . وبعد ان اكمل الضيوف طعامهم وعادوا الى الجلوس بعد ان غسلوا أيديهم جاء دور الخدم والحراس والاتباع وهم مجموعة من الرنوج والبدو ورجال الاهوار كانوا يلتهمون الطعام بطريقة عجيبة .

وبعد ذلك جاءت القهوة ومط احاديث المجاملة التي تسود في مثل هذه المناسبات . وبدأ الضيوف بعد ذلك يغادرون المكان بصمت وعلى رأسهم تمر بك وبوصف بك . فكان كل واحد منهم ينهض بدوره يصافحي ويشكري بعبارات تقال في مثل هذه المناسبات مثل : انعم الله عليك ، وكثر الله خيرك . وكنت أنا أرد عليها بعبارات اعتيادية مثل : حلالكم ، وشرفتوا المخل .

وعندما جاء دور مزبان ليودعني سأله مازحاً عن عدوه الذي يخاف أن يلحق به الأذى فقال : يادكسان ، بين الذين صافحك هو الثالث بعد قاصد الناحي .

وعرفت انه يقصد الحجي ناصر العايل .

فقلت له : لا تخف يا صديقي .

فضحك مزبان وكان رجلاً طويلاً جميل الظلمة يبلغ من العمر ٣٥ عاماً يلبس زبونا أزرق داكن من الحرير المطرز الذي يعرف بالعراق باسم « بشا » ، وقال : لن يصيبني شر ما دام حظ ونحت الحكومة في جيبي .

وكانت تلك آخر كلمات سمعتها منه . فبعد عدة نوان عندما كان مزبان بهم بالخروج من باب المضيف انطلقت خمس رصاصات متتالية فخنز مزبان على الأرض صريعاً .

كان الحجبي ناصر يفتنظره خارج المضيف وكان خادمه يمسك بحصانين تحت ظل شجرة نخيل على بعد عشرة ياردات . وعندما خرجت كانت الحجبي ناصر وخادمه قد امتطيا حصانيهما وتواريا عن الانظار بحاذاة النهر . وحاولت بصورة جنونية ان انظم فوراً فريفاً لمطاردهم ولكن الذين معهم الحبل قد غادروا المكان .

والحنى عبد مزبان مشدوهاً فوق بحنة سيده وهو يتمتم بعبارات مستعربة وأخذ يفتح رداء سيده . وتبين ان مزبان المسكين أصيب برصاصتين قرب القلب ، وبرصاصة في بطنه اما الرابعة والخامسة فقد أخطأه .

وفي هذه الاثناء تجمع ما تبقى من الضيوف أخذ بعضهم يعرّيد بصوت عال وبعضهم الآخر يمتج بصمت وقد حشا الجميع بنادقهم بطريقة تنذر بالشر .

وقام الشيخ قاصد يخاطب المشاعر الملتمة بصوت هائج مضطرب قائلاً انه ما لم اتخذ اجراءات سريعة في الخضاع القاتل للعدالة ، فان أحداً من شيوخ القبائل لن يتمكن بعد اليوم من زيارتي . لو لم اعط مزبان وثيقة الامان هل حدث ذلك ؟ ماذا سأفعل بعد هذا الخرق السافر لقوانين الضيافة ؟ أية ضمانات تمنع قتل أي شيخ يأتي الى سوق الشيوخ ليقابل الحاكم ؟

وبعد ساعة حذرني الحجبي حسن حمداني وعلى وجهه علامات الأسى ان وراء الجريمة اكثر مما تراء العين . وربما كانت الاشارة لانقفاضة تقوم بها قبائل سوق الشيوخ يحاول الاتراك منذ وقت طويل اشغالها . قد يكون ذلك صحيحاً وقد لا يكون ولكن الثابت هو ان القبائل الموالية للاتراك في ذلك الوقت كانت أكثر من تلك الموالية للبريطانيين . والحقيقة هي ان محاولاتي لجمع الضرائب على التمور والقمح والارز والشعير لم تكن مستحبة . ومعنى ذلك ان سلطتي خارج سوق الشيوخ قد انتهت ما لم أقوم بعمل سريع حاسم لأن ابناء الحادث منتشرون في كل المنتقى خلال ساعات معدودات . وكنت أكثر ما أخشى ان يزداد الوضع سوءاً فتقطع المواصلات ويسود الاضطراب على نطاق واسع ، فتذهب خططي لجمع الضرائب ادراج الرياح .

والمشكلة هي انه لم تكن لدي قوة تدعمني باستثناء ٢٠٠ من الشبان وثلاثين من الخيالة بقيادة ثامر بك . فالجيش البريطاني كان بعيداً . ولم تكن القيادة العامة في الناصرية لشكري اذا طلبت مساعدات عسكرية لأنها لم يكن لديها من القوات إلا ما يكفي لتثبيت مركزها في الناصرية .

وبقيت افكر ساعة من الزمن ثم اتخذت قراراً بإصدار نشرات في المدينة وفي كل ناحية من النواحي تقول ان هنالك مكافأة قدرها عشرة آلاف روبية لمن يأتي بالحبي ناصر حياً أو ميتاً . واهربت للسير بيرسي كوكس بذلك فجاءت الموافقة سريعة مما شجعني قليلاً .

عدالة قاسية

وحدث ما كنت أوقعه . فقد ازدادت الحالة سوءاً ولم أعد أستطيع التنقل خارج المدينة بأمان . وقد غامرت وخرجت مرتين وفي المرتين كان رجال القبائل ينصبون لي كمانين ويطلقون علي النار ولكنني نجوت بأعجوبة . ومرة ثالثة ابتعدت ميلين خارج سوق الشيوخ ولولا حكمة الحبي حسن حمداني لكنت قتلت على الفور . فقد أرسل الحبي حسن ورائي أربعة من الشبان برئاسة محمد العايل وأمرهم ان يراقبوني دون ان يدعوني أراهم . وقبلاً انقض علي ثلاثة رجال من وراء الأشجار الكثيفة وأطلقوا النار من بعد ١٠٠ ياردة وقد فوجئت عندما رأيت أربعة من رجالي يبادلونهم إطلاق النار فيصرعون واحداً منهم ويضطرون الآخرين للفرار . وعندما تفحصنا جثة الرجل الميت تبين أنه من قبيلة الحكام التي يرئسها الحبي ناصر .

وتملكني شعور باليأس والانقباض لا سبب وائي كنت أعرف انه من المستحيل ان أطلب النجدة من السير بيرسي كوكس او من الناصرية لأنهم لا يستطيعون التدخل عن رجل واحد . وكنت اعلم اني يجب أن اجد خلاصي بيدي . ولكن كيف ذلك وقد قلص نفوذي واتخذت المقاومة السلبية تتزايد بين القبائل المجاورة . وقد امتد ذلك الى قوة الشبان فأخذ بعضهم يطلب إجازات طويلة

بحجة ان لديهم أعمالاً خاصة وقدم آخرون استقالاتهم .
ومر شهران قاسيان مليان بالقلق . لم أعبد احصل على شيء من الدخل
وأخذ اصدقائي ينفذون من حولي واحداً بعد الآخر . وذات يوم وكان الوقت
ظهراً لحث زورقاً مسلحاً يرفع راية بيضاء ويلقيه زورق آخر يحمل جنوداً ،
على منعطف في النهر قرب سوق الشيوخ . واقترب الزورقان من منزلي وبعدة
دقيقتين كنت أرحب بالضابط قائد الزورقين وأعددت له طعام الغداء . وأبلغني
انه قادم مع فصيلة من الجنود تابعين للواء « كنت » المشهور لشراء المؤن من
سوق الشيوخ ومعهم أربعة مدافع رشاشة .

وفي المساء تناولت طعام العشاء على ظهر الزورق المسلح واخبرت مضيفي
الضابط المشاكل التي تعترضني . وشرحت له انفسه من الضرورات القصوى في
الوقت الحاضر معاقبة الحجي ناصر واستعادة نفوذ الحكومة ونفوذ ذي الشخصي ،
وانني لا املك من القوة إلا عدداً ضئيلاً من الشبان موزعين على مراكز متباعدة
في النهر يبدأ على بعد خمسة أميال من سوق الشيوخ فقط يقف الحجي ناصر
وراءه سيطرة من المسلحين يتحدى الحكومة ان تأتي لمعاقبته .

وانتهت قصتي بأن طلبت من الضابط الشاب ان يخرج في حملة لاستعادة هيبة
الحكومة ونفوذها بين القبائل على أن لا يصل ذلك الى مسع القيادة في
الناصرية .

وكانت خطتي اشغال برج الحجي ناصر الحربي ومضيفه وقريته التي تبعد
نصف ميل عن الضفة النهر وراء حزام من اشجار النخيل ، وبعد ذلك أشعل
النيران في مزروعاته التي تغطي عدة مئات في الأفدنة . وشرحت للضابط انني
ساقوم بالمهمة بنفسي وكل ما اطلبه منه التعاون لتأمين حمايتي في حال تعرضي
لهجوم أثناء اشغال النار وتمكينني من الفرار سالماً من أرض قبيلة الحكام .

ورافق الضابط على الفكرة بحماس وبمدها أخذت اشرح له الخطة بالتفصيل .
وتقضي الخطة بأن تسير بعد يومين في الساعة والنصف صباحاً بالسفينتين على
حامل الضفة اليمنى من النهر وتتوقف قبالة قرية الحجي ناصر بالقرب من شجرة

سدر كبيرة يجتمع تحتها عبادة ٤٣ من رؤساء قريوة قبيلة الحجي . وفي الوقت الذي أفتر فيه أنا إلى الشاطئ تصوب المدافع الرشاشة فوق رؤوس الأشخاص المتجمعين . وكنت أعلم أنه تحت غطاء من ثيران المدافع الرشاشة يستطيع أن أجرد هؤلاء من سلاحهم واقتادهم إلى إحدى السفينتين صكرهائن إلى وقت يستطيع فيه تنفيذ برنامجي .

كنت أعلم أن الخطة قدرة وفيها الكثير من أساليب الأتراك ولكنني لم أقصد نذية أحد وكان مبرري للقيام بتنفيذها النتائج التي أتوخى الحصول عليها . وأكثر من ذلك كنت أعرف طبائع رجال القبائل الدموية فإذا نجحت خطتي فلأنهم سيمتدحونني لأنني أخذتهم بأساليبهم .

وبإضافة طباع الكرم وحسن التبة على العملية اقترحت إقامة مأدبة من الدرجة الأولى على ظهر ناقلة الجنود لتكريم الضيوف القادمين بالرغم منهم ، واقتيادهم بعد ذلك إلى سوق النسيوج وإطلاق سراحهم بعد اتخاذ الإجراءات اللازمة وإعطاء كل واحد منهم عباءة جديدة كهدية .

وفي اليوم التالي أبلغت الخطة لكأظم حمداني وطليت منه أن يحفظ السر وان يحضر غداء فائراً لثلاثة وأربعين رجلاً وان يشترى ٤٣ عباءة جديدة على أن يكون كل شيء جاهزاً على ظهر السفينة في الساعة والنصف من صباح اليوم التالي . وبعد ذلك أرسلت صديقي ذا العين الواحدة الشيخ قاصد الناحي الذي اشترى بقيادة عبدة انتفاضات ناجحة ضد الأتراك في الماضي ، إلى قرية الحجي ناصر وأعطيته تعليمات أن يقول أن حكام المنطقة سيفصل بسفينتين حربيتين في الساعة الساعة والنصف من صباح اليوم التالي ويحيط بالقرب من شجرة السدر الكبيرة . وان هدته من ذلك إقامة هدنة بين قبيلة مزبان المتوفى وقبيلة الحجي ناصر وتحديد المدة التي يتوجب على الحجي ناصر دفعها .

وأبلغت قاصد الناحي أن ينذر جميع رؤساء قبيلة الحكام بالحضور إلى المكان المحدد والذي يتخلف بضع نفسه تحت طائلة العقاب الشديد . وكنت أعرف أن الحجي ناصر لن يحضر . فقد سرت شائعات قوية مفادها أنه انفصل

بالإترك في شطرا ليجتمع منهم المال الكافي لحل قبائل سوق الشيوخ على القسام بشورة ضد البريطانيين .

و كنت واثقا ان قاصد الناحي يؤيدني تأييداً كلياً لوجود ذرات قديمة بينه وبين الحجي ناصر وليس أحب إلى قلبه من اذلال الحجي ناصر وخضوعه لشروط الحكومة . وكانت هناك عقبات كبيرة . فشقيق الحجي ناصر كانت مسيطرأ على القبية ومن المتوقع أن يخرج معه عدد آخر من الشيوخ لمنع تأييد كلام قاصد الناحي في النفوس .

كل ذلك كان نوعاً من المقامرة ومع ذلك قررت تنفيذه بأي ثمن . ولكن الشيء الوحيد الذي كنت أخشاه ان تطلق النار على السفيلتين وهما تسيران في النهر بجاذفة ارض قبيلة الحكام لأن المنطقة كانت تغلي ، وتهددي مطقة الحكومة كان ظاهراً في كل مكان .

وفي الساعة السابعة من صباح اليوم التالي سارت السفينتان حسب الخطة الموضوعه وكان الجنود يتمنعون بروح عالية وكذلك قائدهم الشاب الذي بدا متفانلاً واما اتف بجانبه على دفة القيادة . وأعترف انني لم أكن بمثل ارتياحه لأنني كنت اعرف انه مدي خطورة هذه المقامرة لأنها قد تكون سبباً في اشعال الثورة بين جميع قبائل البحرة القويصة . وعندئذ متظهر الأشياء وتصل المضاعفات والنتائج السيئة الى المقامات العليا . وكذلك لم أكن ارجب توريط الضابط الشاب في مشاكل هو في غنى عنها .

وظهرت الأمور بظهرها المشرق عندما رأينا بعد عشرين دقيقة من السفر مجموعة من العرب نحت شجرة السدر وبينهم قاصد الناحي الذي نجح في اقتناع الرؤساء الثلاثة والاربعة بالقدوم .

ورست السفينتان على الشاطئ بعد أن عكستا الاتجاه وقفزت انا الى الشاطئ ، ومعني أربعة من جنود البحرية بسلحهم الكامل . وحييت الشيوخ الواقفين قائلاً : السلام عليكم ثم دعوتهم للجلوس . وفي الحال أخذت نيران المدافع الرشاشة فتطلق فرق رؤوسنا فصرخت بأعلى صوتي مطعناً الجميع بأنه لن

يصاب احد منهم بأذى اذا سلخوا بنادقهم وساروا معي الى السفينة . وبعد ذلك قام قاصد الناحي واخذ يمتدحني ويمتدح الحكومة ويطمئن الجميع واعدأ الجميع بأن يضع نفسه كفالة لسلامتهم . واضفت على ذلك قائلاً ان غداء سخياً ينتظرهم على ظهر السفينة وانهم سيكونون ضيوفاً حتى صباح اليوم التالي وبعدها أعيدهم الى عائلاتهم معززين مكرمين .

وبإشارة مني قام قاصد الناحي واخذ يجمع البنادق منهم واحداً بعد الآخر ويفرغها من الطلقات ويسلمها لجنود البحرية الذين نقلوا الاملحة الى السفينة ودعوت الجميع ان يتبعوني ففعلوا بعد ان اسقط في يدهم .

وعندما بقيت لوحدي على الضفة مع قاصد الناحي امرت السفن ان تنتقل وترسو في وسط النهر . لأنني كنت اعرف ان عدة مئات من رجال القبائل يختبئون بين الاشجار والاقنية القريبة وشاهدت بعضهم ينتقلون من مكان الى مكان في حالة هياج وربما كانوا يعدون العدة لهجوم مفاجيء . ولكي يسمع هؤلاء ناديت ضيوفاً بصوت عال باللغة العربية قائلاً انني سأحرق قرية الحجي ناصر ومضيفه ، واذا مستي أحد بسوء او اذا لم اعد خلال ثلاث ساعات فإن القائد البريطاني الشرس سيقتلهم جميعهم .

وفي الوقت الذي تحركت فيه السفن اطل الضابط قائد السفينتين من ظهر السفينة وننى لي حظاً سعيداً . ولكي اشجعه قلت له : انتهى الفصل الأول الأكثر خطورة والآن بقي الفصل الثاني .

وبدت على وجه قاصد الناحي علامات الدهشة عندما ابرزت خطتي الى العلن التي حجبتها عنه وبعد ذلك ضحك بصمت ومد يده ليصافحني وقال : ان شاء الله لا خطر علينا الآن يا دكسان ولكن في المستقبل الله كريم . ذاكرة ان عرب طويلة . يا الله قلمضي .

وكان قاصد الناحي رجلاً شجاعاً . فتبعته بعيداً عن النهر في أرض معشوشبة ثم عبر حزام من اشجار النخيل يمتد مسافة ربع ميل . وعلى طرف الحزام وصلنا الى حقول واسعة فيها محاصيل فاضحة تنتظر الحصاد وبعدها بميل واحد

تقع قرية كبيرة مبنية من اوراق البردى والحصر ومحاطة بسور في احدى جهاته
بني برج حربي (مقبول) .

هذه هي قرية الحجي ناصر ، قال قاصد : « وتلك هي قلعة وعلى اليسار
مضيفة » .

وكان المضيف الصغير الجميل الذي يشبه الى حد ما مضيفي في سوق الشيوخ
ولكن اصغر منه ، قريباً منا وراء اشجار السدر على ضفة قناة صغيرة . وبجانب
المضيف الجديد هذا يوجد مضيف قديم أكبر منه قال قاصد ان الحجي ناصر
يستخدمه حالياً مخزناً للحبوب .

وسرنا الى الامام . وبدون أي تأخير اخذت عود ثقاب واشعلت النار في
المضيفين وبعد لحظات ارتفعت السة اللهب عالياً في الفضاء . وبدأ قاصد عندئذ
وكان الرعب قد دب في نفسه ولكنه عاد وابتم واطنه تذكر ان بيته وبين
الحجي ناصر احقاداً قديمة .

وصرخ قاصد بي د تعال ، واخذنا نركض بسرعة نحو القرية .

وفي هذه الاثناء كانت اعمدة الدخان قد ارتفعت عالياً فوق اشجار النخيل
وتطلعت الى الامام فرأيت رجالاً متمسكين في جمع اعنتهم وحوائجهم ويتأدقهم
في ايديهم . وكان هؤلاء يبتعدون على مسافة منا ولم يقترب أحدهم أكثر من ٥٠٠
ياردة منا . وعندما اقتربنا من القرية اشار قاصد الى جماعة من النساء والاطفال
يخلون الجهة الأخرى من القرية . وقال قاصد : ها هم عيال الحجي ناصر يرحلون
لقد علموا ان العقاب لقتل مزبان قد اتى ولذلك فقد هياوا مصاعنهم الذهبية
الثمينة استعداداً للهرب فوراً .

وشعرت بالأسى والانتفاض الاضطرابي الى حرق منازل هؤلاء الناس
المساكين الفقراء لأنني كنت أحبهم . وربما رأني قاصد قد تلكأت فأخذ يركض
بسرعة نحو القرية فوصل اليها قبلي بوقت قصير وهو يصرخ بعبارات والفاظ لم
استطع سماعها بالضبط . وعندما لحقت به كان قد اشعل حزمة من سعف النخل
وبدأ يضرع النار في الاكوخ وفي لحظات كانت القرية تحترق وكأنها اتون من نار .

وكان حرق المفتول في الجهة الأخرى من القرية اصعب بكثير من حرق الاكواش
ولكن قاصد وجد سلباً وصل بواسطة الى حافة البرج العليا واشعل فيها النار .

ولم يكن لدينا وقت نضيقه . فقد مضت ساعتان أو ثلاث وكان علينا بعد
ان نحرق المحاصيل كلها أو نهرب بأمان الى النهر الذي يبعد عنا ميلاً ونصف الميل
وماعدتنا الريح في حرق المحاصيل ، التي اعتقد انها قد دمرت جميعها ولكنني
لست متأكداً من ذلك لأن الريح كانت تهب باتجاه النهر وكان علينا ان
نسير امتداد النار . وعندما اقتربنا من حزام التخيل كانت البلاد وراءنا ملتفة
بالدخان الاسود . وشعرت بهذه المأساة في اعماقي بشدة ولكن قاصد كان يرقص
فرحاً ويصرخ صرخات الحرب كلما اقتربنا من النهر .

والخيراً وصلنا الى شجرة السدر . وبإشارة منا انزل لنا عن ظهر السفينة
قارب صغير وبعد ان صعدنا رفعت المراسي وسرنا الى سوق الشيوخ ببطء ببطء
كانت على ظهر السفينة الأخرى تقام وليعة اعتقد ان رهائني الثلاثة والاربعة
قد استمتعوا بها جداً . وقد أخذ كاظم حمداني مجده في ذلك اليوم .

وبعد الغداء وشرب القهوة اعطي كل منهم عباءة جديدة وسمح لهم بالنزول
الى سوق الشيوخ احراراً . وودعونا بدون كثير من الكلام واطنهم قد ارضعوا
لما آلت اليه الامور .

وظل الناس عدة ايام يتحدثون كيف انتقم دكان لمقتل ضيفه . اما بالنسبة
لي فقد كان الامر مقاومة ضرورية وانتهت . وفي اليوم التالي ودعت الضابط
الشاب الجريء وقد اختلطت المشاعر في نفسي لأن أحداً غيبي لم يكن ليعرف
مدى خطورة هذه المغامرة التي لم تكن لتنفذ وتنجح بدوني .

واعطي قاصد مكافأة مناسبة واتفقنا على عدم ذكر هذه الحادثة . ومع ذلك
اطن ان السير بيرسي كوكس قد علم بالامر لأنه بعد عدة اشهر في صيف سنة
١٩١٧ تلقيت منه وساماً بغير مناسبة .
ولكن القصة لم تنته عند هذا الحد .

قاصد يدفع ضريبة الدم

وساد الأمن والنظام في منطقة سوق الشيوخ . وانتشرت الأنباء بأن مساعد الضابط السياسي له طريقة خاصة في انزال العقاب بالتحالفين . فوجد رجال القبائل ان الطريق الامثل هي دفع الضرائب والحضور عند استدعائهم . اما الحجي ناصر فقد اختفى . منهم من يقول انه هرب الى الصحراء ومات هناك ، ومنهم من يقول انه انضم الى مزهر باشا الضابط السياسي التركي الذي كان مقره الرئيسي في شطرا ، وآخرون يقولون انه على علاقة وثيقة بعجمي بك السعدون الذي كان مع القوة التركية المسيطرة على السماوي .

ومضت اربعة اشهر اخذ بدور خلالها الحمس بأن عملاء تركيا ظهروا بين قبائل بحيرة الحمار ويعملون سرراً من الاهوار لاشعال نار الثورة في منطقة سوق الشيوخ وغرضهم من ذلك قطع خطوط مواصلات البريطانيين مع الناصرية . ولم تتأكد هذه الشائعات إلا انها بدأت بأن الحجي ناصر كانت بين هؤلاء العملاء الذين كانوا يتخفون بشكل رجال الأهوار .

وأخذ الحجي حسن حمداني و ابراهيم العماري هذه الشائعات على محمل الجد وطلبوا مني ان أكون حذراً . وهذان الرجلان يلقيان الغموض بشكل مزعج فلم يعطيا من الاثبات على صدق ما يقولون إلا مثلاً دارجاً بين أهل الأهوار وهو : هب الشمال وبعد قليل سيشتد حتى يصبح عاصفة هوجاء .

وتفسير الرجلين لهذا كله ان رجال القبائل يقصدون به ان الانراك سيتحركون للعمل المضاد ، وان الاضطرابات ستفشأ في منطقة سوق الشيوخ . وفي ذلك الوقت تلقيت دعوة من الشيخ المسن مزعل البشاره رئيس قبيلة الحسن لحضور المأدبة التي أقامها بمناسبة زواج ابنه حموده . وكان مركز القبيلة الرئيسي الى غرب بحيرة الحمار على قناة أم النخلة احد ثلاثة فروع من الفرات تصب في البحيرة . وذلك يعني اني سأسافر مسافة ٢٠ ميلاً في النهر بالزورق وبعدها اقوم برحلة طويلة مضيئة حتى اصل الى المكان . ومع ذلك قبلت الدعوة بالرغم من التحذيرات الخطيرة التي وجهها الحجي حسن حمداني و ابراهيم العماري ،

والحجي علي الديس . حتى ان الحجي حسن جاء إليّ ليلاً وحاول بكل جهده ان يثنيني عن عزمي في الذهاب وقال : هنالك خطر محقق لا يستطيع ان احدد طبيعته وزمان حدوثه . ولكن نحن العرب لدينا طريقة في تحسس الأشياء . اقبل نصيحتي ولا تذهب .

وأجبت على قوله بأنه لم يعد من الممكن إلقاء قبولي لدعوة الشيخ مزعل ، وإذا كان قد كتب ان يحدث لي شيء في اليوم التالي فلن أستطيع ان امنع ذلك سواء ذهبت الى أم النخلة ام لم اذهب . وهنا نصحتني الحجي حسن ان اصطحب معي ثلاثة على الأقل من شيوخ القبائل التي تسكن على ضفاف النهر حيث سأمر بزورقي . لأنه حسب العادات القبلية إذا اصطحب المرء رفيقاً او دليلًا (يدعى في العراق تسيار) في ارض قبيلة ذلك الدليل فإنه يصبح في مأمن من رجال تلك القبيلة فكيف إذا اصطحب معه ثلاثة شيوخ .

واستحسن اقتراح الحجي حسن فطلبت منه ان يهيئ لذهاب كل من الحجي فيصل الياسر من قبيلة الحسن ، وفرهود الفندي من قبيلة الحكام (الضفة اليسرى) ، وقاصد الناحي من قبيلة الحكام (الضفة اليمنى) ، الذين فهموا تماماً لماذا اخترتهم للذهاب معي .

وبالإضافة الى هؤلاء رافقني ثمانية من رجال الشبابة المسلحين . ولم يعكر صفو رحلتنا الى أم النخلة اي حادث وكانت وليمة الزفاف ناجحة للغاية . ومع أن الشيخ مزعل يبلغ أكثر من مئة عام من العمر فقد كان يمثل منتهى اللياقة والظرف والكمياسة وكان ابنه حموده كأحسن ما يكون الشباب .

وعندما انتهت الاحتفالات بدأنا طريقنا في العودة . وكان زورقي كبيراً وقوياً تمتد على سطحه ألواح خشبية مشينة بقوة تستطيع حمل ثقل كبير . فعندما حل المساء واصبح الطقس لطيفاً مددت البسط والمساند فوق سطح غرفة القيادة ودعوت اصدقائي الثلاثة للانضمام إليّ .

وجلسنا نشرب القهوة وندخن السجاير ونقص الحكايات . وعندما قطعنا ارض قبيلة الحسن بالقرب من المكان الذي تفرق فيه أم النخلة عن بحري الفرات

الرئيسي الى البيعين ادركت الزورق الى الضفة ودعوت فيصل الياسر ان ينزل ويذهب إلى منزله . فوجدته معي خارج أرضه لم يكن ليفيد شيئاً في حماسي ، فوافق وشكرني بحرارة لأنني اصطحبته معي الى الوليمة ونزل .

وفعلت نفس الشيء بفرهود الفندي . فبعد ان تخطينا أرضه بسلام انزلناهم على الشاطئ عند الحدود الغربية . وصرفنا بعد ذلك في ارض قاصد الناحي التي تمتد تقريباً الى سوق الشيوخ . وهنا شعرت بالاطمئنان فجلست التجاذب اطراف الحديث مع قاصد على ظهر الزورق . وقبل سوق الشيوخ بأربعة أميال وصل بنا الزورق الى منعطف ضيق في النهر يبلغ عرضه ١٥٠ ياردة فقط يجري فيه تيار قوي مما اضطرنا الى تخفيف السرعة الى خمس عقد فقط . وعلى خفتي النهر هناك قمنا باعشاب كثيرة وكثيفة . قلنا اقتربنا من المنعطف لحت يربق سلاح بين اوراق البردي قرب حافة الماء . ووقف رجل واخذ يلوح بعباءته ببطء وكأنه يعطي اشارة الى شخص او اشخاص محتملين .

وبعد لحظات اطلقت علينا النار من بين الأعشاب الكثيفة على بعد ٨٠ ياردة فقط . وبلح البصر دفعني قاصد الى الوراء لتلا اطل جالساً ولكن ذلك لم يمنع اصابعي يخرج في رجلي وأخبر تحت شفتي السفلى . وقذف قاصد بنده فوقى وغطاني بعباءته حتى لا يراني أحد واخذ يصب الشائم والغمضات على الممتدين الذين يريدون الأذى للشخص الذي يرافقه في أرضه . وصرخ بهم قائلاً : ألا تعرفون من أنا يا كلاب وأولاد الكلاب ! اذ قاصد شيخكم .

وكنيت التحيل قاصد وهو يلوح بهراوته (مفوار) على اعداء غير متظورين . فلما رأوا شيخهم منبطحاً فوقى لم يتجروا ان يطلقوا النار على نازية فصعبوا نيرانهم على النخادة (قائد الزورق) وعلى الذين يدبرون الحرك على أمل أن ينحرف الزورق الى الشاطئ . وسمعت أزيزاً هائلاً إذ بدأ رجالي الثانية من الشبان يردون على النار بالمثل ولكن على اهداف غير منظورة بينما أعطى النخادة أوامره بزيادة السرعة لكي يتخطى المنعطف بأسرع وقت ممكن .

وبعد ان عبرنا المنعطف توقف إطلاق النار مثلاً بدأ . . فجأة . فشكرت

قاصد الذي بدا عليه الانفعال لأنه أنقذ حياتي بهذه الجرأة . أما الزورق فقد أصيب بجوالي ٥٠ طلقة على جوانبه . وعلمت فيما بعد ان الضحية الوحيدة التي قتلها رجالي كانت بقرة قفف على جانب النهر فسقطت فيه ميتة .

وسمع سكان سوق الشيوخ صوت اطلاق النار لأن المدينة لم تكن تبعد عن المكان إلا أربعة أميال كما يطير الغراب ، فتجمع عدد من الرجال والنساء والأطفال ينتظرون وصولنا بالقرب من مرسى الزورق . وكانت شفقي تتراف بشدة وقد تبللت مقدمة قميصي بالدم ، أثار هؤلاء الناس . وأخذت عدة مئات من النسوة تجهرن هناك تولولن . وانقلب العويل الى صرخات وفرح عندما قفزت الى الشاطئ مضمناً الجميع بأني بخير .

وأثرت هذه العواطف التي اظهرها سكان سوق الشيوخ نحوي تأثيراً عميقاً في نفسي لأنني كنت وحيداً بينهم . وألقيت فيهم كلمة قلت فيها أنني ما دمت حياً ان اتسنى استقبالهم لي ومشورهم نحوي . ولا يزال حب هؤلاء الناس يتملكني حتى اليوم .

ولزمت القرائش ثلاثة او أربعة ايام لأن رجلي كانت تؤذي . وخلال هذه المدة جاء قاصد لزيارتي وتبدو على وجهه علامات الغضب لوقوع هذا الحادث . وقال : يا صاحب . أصبح الآن بقي وبينك دم . فقد منك دمك في ارضي وانت تحت حمايتي ورعايتي . انه عار عليّ كبير . ومن الآن وحتى أصبح هذا العار يجب ان يرتفع فوق سطح منزلك علم أسود لكي يعرف الجميع .

وأخذ قاصد يلف غملاً صغيراً اسوداً حول عصا قصيرة ليمسكه فوق المنزل بينما كنت أحاول التخفيف عنه والتقليل من أهمية الحادث فتركتني والدموع في عيني . وكأنه طعن في قلبي ، وراح يبحث عن رجال قبيلته الذين نصّبوا الكمين .

وعاد قاصد بعد خمسة ايام ليضع امامي كيساً فيه ثمانية روبية قال ان اربعماية منها ثمن دمي والاربعماية الاخرى حشم (يدل الشرف) لأن الاعتداء وقع عليّ وأنا تحت رعايته . ولم يصنع قاصد قط إليّ وأنا أحاول ان اقنعه وقال انه بهذه الطريقة فقط يستطيع ان يرفع رأسه عالياً بين قومه .

وخرج قاصد ليستدعي جماعة من النساء اتى بهن معه . فدخلن وبعد حديث قصير قدمن لي ابنة أخ قاصد وهي فتاة صغيرة طيبة تبلغ من العمر اربعة عشر عاماً . وقال قاصد ان الفتاة ستكون زوجتي لأن هذه هي طريقة القبيلة في الفصل . واخذ بشرح لي انه حسب عادات قبيلة الحكام ، إذا اعتدى أحد أفراد القبيلة على رجل من قبيلة أخرى ، واعتبرت القبيلة ان رجلاً غطى ، تعطى فتاة من اقرباء المعتدي ، بالإضافة الى التعويض المالي ، الى المعتدي عليه . فإذا كان المعتدي عليه قد قتل في الحادث فإن الفتاة تعطى الى اقرب الذكور إليه . والفكرة من ذلك هي ان الأطفال الذين سينجبون عن هذا الزواج يكونون وسيلة لإزالة الضغائن والأحقاد بين القبيلتين .

وكان معظم رجال قبائل سوق الشيوخ من أهل الأهوار ويعيشون حياة بدائية جداً . وكنت انا الرجل الانكليزي الوحيد الذي وقع نظرهم عليه ولذلك قلن يفهموا ان عاداتنا تختلف عن عاداتهم . وكان قاصد شرساً حاد الطبع ولكنني كنت أحبه لأنه كان مصلحاً ويرغب في احلال السلام . ولكي ارضيه اخذت منه المال ووزعته على الفقراء واهديته بدلاً منها زبونا وعباءة جديدين من أجود الأنواع التي وجدتها وذلك لكي اطيب خاطره . اما بالنسبة للفتاة فقد ارجعتها الى أهلها بعد ان استشرت الحجي حسن حمداني وبعد ان اهديتها لثوبين جديدين . فقد أشار علي الحجي حسن ان اردوها مع عبارة مجاملة تستعمل في مثل هذه الظروف وهي : قبلناها ورديناها لكم .

ولن انسى منظر اولئك النسوة اللواتي جلبن الفتاة مهن الى منزلي .

وبعد ذلك جئنا في قاصد بنتيجة تحقيقانه في الحادث . فقال ان الاعتداء جاء من ارض البوحميدي وهم فرع من قبيلة الحكام . وقد انكر ياسر الشولان شيخ البوحميدي معرفته بالامر وقال ان غرباء قدموا الى ارض قاصد ليقتروا الجريمة هناك حتى يشينوا قاصد المعروف بصداقته للحكومة .

وقال قاصد ان ياسر يكذب وانه يعرف جيداً ان مديري الحادث هم من قبيلة الحكام ينتمون الى الحجي ناصر الذي وعده الاتراك باعطائه خمسين ليرة

عثمانية مقابل تصفية مساعد الضابط السياسي البريطاني في سوق الشيوخ . (وانا اشك في صحة هذه الرواية) . وقال قاصد ايضا ان الكين كان يتألف من اثني عشر رجلاً برئاسة احد رجال القبائل قتل والده على يد البريطانيين في معركة شعيبة قرب الزبير منذ سنتين ، وقد الحب الحجي ناصر مشاعره ضدي . اما الحجي ناصر فلم يقرب من مكان الحادث بل ظل بعيداً في المستنقعات الشمالية من بحيرة الحمار حيث كان ينتظر انباء مصرعي التي ستكون الشرارة الأولى لاندلاع الثورة بين قبائل الاهوار وحيوانهم قبائل الجرهم . (وهذه رواية معقولة) .

والح قاصد على معاقبة اقرائه ابو حميدي . فارسلت تقريراً بالموضوع الى القيادة العامة في الناصرية فارسلت لي فرقة من المشاة مزودة بزوارق مسلحة . وقطع هؤلاء الجنود حوالي ثلاثماية شجرة من اشجار النخيل اني يملكها ياسر الشولان وعادوا الى الناصرية دون وقوع أي حادث لأن قاصد عمل على ان لا تكون هناك مقاومة لهم . وكان ذلك بنظر أهل المنطقة عقاباً صارماً .

وما ان انتهى هذا الحادث حتى وقع حادث آخر مكل له . فبعد شهرين كنت في مجلسي الاسبوعي وانا اشعر بسعادة مفاجئة . وكنت قبل ان احضر الى المجلس قد شربت رجاجة من البيرة الانكليزية الفاخرة تلقيت صندوقاً منها من البصرة . وكان من بين الرؤساء المجتمعين في المجلس جماعة من شيوخ آل السعدون يرئسهم قمر بك ويوسف بك المنصور ورجل من يدعى راشد الصقر وينتمي الى فرع غامض من آل السعدون . وكانت تظهر في وجه راشد آثار جرح بالغ على طول خده . وكنت انا قد انقذت ابنه الجريح في معركة شعيبة التي كان يقاتل فيها ضدنا . واصبح ابنه صديقي منذ ذلك الوقت .

وقطعت علينا حديثنا ضوضاء من خارج المضيف اندفع بعدها الى الداخل ستة من رجال الشبانه يجرون رجلاً أوثقوا رباطه ورموه على قدمي . وقد استغرب الجميع هذا المشهد وبدأت على وجوههم علامات الفضول والدهشة .

وانفجر محمد العايل رئيس الشبانة قائلاً بانفعال ان هذا الرجل المكتوف

هو رئيس العصابة التي أصبحت في الكمين ، وأنه قد القي عليه القبض في أرض قبيلة الحسن بإشارة من قاصد الناحي . وأخذ الحاضرون في المجلس يتمتعون ويتفرقون ما سأفعله بالرجل .

وأوقف الرجل على قدميه . ويبدو أن رجال الشبان قد اوصعوه ضرباً بحيث أنه لم يستطع الوقوف إلا بصعوبة . واعترف بصراحة بالتهمة الموجهة اليه وقال أنه يشعر بالأسف لأنه اخطأني ولم يستطع قتلي . ولما سألته عن الدافع لقتلي أجاب بشحد أن والده قتل على يد الانكليز في معركة شمييه . ولذلك فقد شعر من واجبه أن يقتل أي رجل انكليزي يصادفه . ولما سألته عما سيفعله إذا أطلقت سراحه فرد بوقاحة متناهية أنه سيحاول قتلي مرة ثانية ، وأنه إن شاء الله سينجح في المرة التالية . وأخيراً اعترف بأن المحبي ناصر قد أدخل له هذه الأفكار في رأسه بعد أن وعده بمكافأة جيدة إذا نجح في مهمته .

وكانت القضية واضحة تماماً ولكنني شعرت بالأسف على هذا الرجل خاصة وأنني كنت أعرف أنني اقتاول شخصاً شرساً وبدائياً للغاية ويشعر في قرارة نفسه أن الحق إلى جانبه . واتخذت قراراً سريعاً وأمرت أن يفك وثاق الرجل ويطلق سراحه . وقلت له : اذهب ولا تفعل مثل هذه الأعمال ثانية لئلا يكون عقابك شديداً .

لا أعرف ماذا دفعني لاتخاذ مثل هذا القرار . ربما كان البصر الانكليزي الفاترة . وقد سمعت عبارات الاحتجاج والاستهجان من جميع الحاضرين وخاصة راشد الصقر الذي احمرت الندبة التي في صدره وازرقت وصرخ في غاضباً : هذا تصرف مجنون يا حضرة الصاحب .

ومع تقديري لرأشد الصقر اصريت على تنفيذ ما أمرت به . ودهشت عندما فك وثاق الرجل فانفجر باكياً وركض نحوني وركع على ركبتيه أمامي وأخذ يقبل قدمي وركبتي . وكان كل ذلك مؤلماً وأكد اعتقادي بأن الرجل التعيس يحمل في نفسه كثيراً من الطيبة .

وجاء هذا الرجل بعد يومين الى منزلي وأخذ يتومل الى ان اعينه سائلاً

عندي لأنه يعرف بشؤون الحيل ولأنه يريد خدمتي . فأعطيته الفرصة وظل الى يوم موته بعد ست سنوات من الحادث أخلص خادماً عرقته في حياتي . وهل يعجب أحد بعد لماذا احببت رجال قبائل المتنقي ؟
وغضب مني فاصد طبعاً . وبعد مقابلة عاصفة بيئي وبينه تركني وذهب الى عشيرته .

الفارس المتنقي

بعد هذه الاحداث التي روينها سارت الامور على ما يرام في سوق الشيوخ . وقد استحدثت نظاماً لاعطاء المساعدات للشيوخ صغارهم وكبارهم مما ساعد على حفظ الهدوء في المنطقة . وبلغني ان الحجبي ناصر التعايل توجه شمالاً ورمى بنفسه نهائياً بين أحضان الأتراك . ويبدو ان ذلك فيه شيء من الصحة لأنه لم تعد هنالك مشاكل وساد السلام بين قبائل الحكام وبني خيشان والجره . وظل فاصد الناحي ينق كالضفدع ان الحجبي ناصر لن ينسى احراق قريته ولا الدور الذي لعبه هو (اي فاصد) في ذلك . وكان حديثه المفضل ان الحجبي ناصر يتقاضي راتباً ضخماً من الاتراك ويقاخر امامهم بأنه يستطيع اشعال الثورة ضد الانكليز في لحظة .

ومرت ثمانية أشهر . وبعد ظهر أحد الايام ركبت حصاني راضطحيث كلسي السلفيين . وسرت في القلاة مسافة ثلاثة أميال وراء سوق الشيوخ ولم أكن مسلحاً . ورأيت على مسافة بعيدة فارساً وحيداً يتجه نحوي وتطلعت الى كل الجهات فلم أجد أثراً لبشر غيره . وظل الفارس يسير ببطء ولم اكنثر له في البداية ولكنه عندما اقترب مني لاحظت على وسط سرج حصانه بتدقية تركية وكان وجهه ملتعاً بما يشير في عالم القبائل ، مكان الشك . وحاولت جهدي ان أظهر عدم اكثراني فبقيت سائراً في اتجاهي . واتجه الفارسي نحوي وتوقف قريباً مني . فتوقفت أنا ايضاً وحينئذ سألته ما يريد . وبدون ان يتكلم ازاح الغطاء عن وجهه فتبينت انف الحجبي ناصر المعروف ووجه الصارخ الجمال .

فبادرنى قائلا : هل عرفتني يا دكسان ؟ فأجبت : نعم ، أهلاً بك يا حجي ناصر
إن الله الذي يدبر كل شيء قد رماك بين يدي . قلت ذلك ولم أكن أعرف لماذا
قهرت به ولكن شعوراً بالهلع تملكني .

ورد عليّ الحجي ناصر قائلاً : على العكس يا دكسان إن الأقدار رمتك أنت
بين يدي . قل لي ماذا ينمني من قتلك انتقاماً ؟ ألم تحرق منزلي ومضيفي وقريتي
ومحاصيلي ؟ ألم تشترك مع قاصد الساحي بإزالة الخراب والمذاب على عائلتي
وقبيلتي ؟

وكان وهو يتكلم ببطء يستل بندقيته من جانب السرج والقمعها طلقة وهو
لا يزال هادئاً على ظهر حصانه . ورفض دماغه أن يعمل كما أريده واستبد في
الخوف ولكنني حاولت قدر المستطاع أن أحافظ على هدوئي ورباطة جأشي
وقلت له : يا حجي ناصر إن الله بالحقيقة أرسلك إليّ وكأنه كتب أن يتم هذا
الامر في هذا اليوم بالذات . فلا تنس أن هنالك مكافأة قدرها عشرة آلاف
روبية ثناً لرأسك حياً أو ميتاً . ماذا يضرك لو دفعت أنت المبلغ وسلمت نفسك
للحكومة ؟ إن ذلك أفضل من أن يقتلك أحد وينال المكافأة .

فضحك الحجي ناصر هازئاً وقال : لا . لا لقد جهت أخذ حقي . لقد جاء
يومك أخيراً .

ويبدو أن كلمتي أصابت هدفاً في نفس الحجي ناصر لأنه بدا عليه الجذ فجأة
والحنى إلى الأمام وسألني :

— ماذا تقصد ؟ انني لا أفهم . أنت تتكلم بالاحاجي يا دكسان .
وقد شجمتني ولا شك فوهة البندقية المصوبة الى معدتي فبدأ دماغي يشتغل
بأقصى سرعته .

فقلت له بهدوء وتأن : يا حجي ناصر قصدي ... أنك لو تدفع أنت العشرة
آلاف روبية وتسلم نفسك دون قيد أو شرط ، فإن ذلك سيرضي الحكومة
ويقنعها ويستميلها الى الاصغاء لتصيحتي . أما انا من جهتي فأنني سأحاول حل
قضيته على الطريقة العشائرية ، فيذهب القسم الأكبر من المال دية لعائلة الشيخ

مزيان . والباقي يكون بمثابة غرامة للحكومة بعد اقتطاع الخشم منه المستحق لي لأنك قتلت ضيفاً تحت سقفى . اعمل بنصيحتي يا حجي ناصر وثق انني سأحصل لك على عفو من الحكومة لكي ينسئ لك العودة الى ارضك وقبيلتك . ونظر إلي نظرة امتزج فيها الشك بالأمل وسألني : كيف سأدفع المال ؟ وأنا لا احمل قبل هذا المبلغ ؟

فأجيبته : انت تعرف أين وكيف تجده . اذهب واجلب المال وسأنتقي بك عند الغروب بعد يومين عند البوابة الجنوبية من المدينة . ويجب ان تخفي وجهك بعناية وسأوافقك الى هناك لأضمن مرورك بسلام بين الحراس . انها كلمة شرف ولن أخدعك .

وصمت الحجي ناصر فترة ثم تنهد وادار وجهه إلي وقال : بالحقيقة ان الله كتب ذلك . سأكون عند البوابة يا دكسان بعد غد عند الغروب انت شاء الله ولكن قبل ان اذهب أحلف بوجهك انك ستحافظ على كلمتك .

فأكدت له ذلك بقولي : بوجهي يا حجي ناصر تبجي سالم انت شاء الله بعد تسليم الفصل والخشم على موجب قواعد العشائر .

ويبدو ان الحجي ناصر اقتنع بذلك فأدار فرسه وانطلق ، دون ان ينبس ببنت شفة الى الجهة الشمالية الغربية .

وحافظ الحجي ناصر على كلمته فوافيته الى البوابة الجنوبية عند الغروب بعد يومين ومر وسط استهجان الحراس واستغرابهم فاقتدسه الى منزلي رأساً . وهناك سلمني المبلغ المطلوب وكان معظمه اوراق نقدية من إصدار حكومة الهند . اما من ابن حصل عليها فسيظل ذلك لغزاً . ولمقتضيات الأمن ظل الحجي ناصر في منزلي الى ان تمكنت من عقد مجلس عشائري حضره جميع شيوخ قبيلة الحكام بإشراف أمير بك السعدون والسيد عوده .

وهنا يجدر بي ان أعرف صديقي ذو العمامة الزرقاء السيد عوده . انه يعيش في عزلة كالناسك بالقرب من سوق الشيوخ بين قبيلة النواشي الصغيرة . وكنت استخدمه كثيراً في حل النزاعات العشائرية التي تتطلب حلف اليمين لأن أهل

المنطقة كانوا ينظرون إليه كأنه قديس أو ولي بحيث أنهم يمتدحون أن من يقسم عيناً كاذباً أمام السيد عوده فإنه يتعرض لأن يصاب بمرض من الأمراض أو للانتقام أو لفساد محاصيله أو موت ماشيته أو أية مصيبة أخرى ، ليس فقط على الشخص الكاذب نفسه بل على أفراد عائلته أيضاً ، وكان السيد عوده بذلك نافعاً لي أشد النفع .

وبما أن قضية الحجبي ناصر كانت مهمة فقد قررت أن أجعلها عبرة . فأصريت على أن يدفع الفصل مضاعفاً لأقارب مزبان وأن يدفع مبلغ مماثل لي كحشم . وما تبقى من العشرة آلاف روبية يذهب إلى الحكومة كغرامة . وقد ساهم نفوذ تامر بك في قبائل المجرة التي تشكل قبيلة الحكام جزءاً منها ، كثيراً على وضع حل مرض لهذه القضية الشهيرة . ولئن انسأت أخص بالذكر المساعدة القيمة التي أسداها السيد عوده في هذا المضمار ، أما الحشم ومقداره ألفان وأربعمائة روبية فقد انققت قمماً كبيراً منه على مدرسة انشأتها ووزعت الباقي على فقراء المدينة ، ورضي الجميع .

وابلغت السير بيرسي كوكس بالامر في الوقت المناسب فأرسل إليّ برقية فيها بعض الملاحظات عن قبولي عشرة آلاف روبية ثمناً لحياة الحجبي ناصر ولكنه في النهاية وافق على الطريقة التي حلت بها القضية . وازداد بذلك نفوذي في المنطقة . فالعالم دائماً يحب الرجل المخادع وكان الحجبي ناصر شهيراً .

الفصل الثامن

سوق الشيوخ

١٩١٧ - ١٩١٨

انهيار سد المجاشية

واجهتني حالة صعبة أثناء موسم الفيضان سنة ١٩١٧ . فسوق الشيوخ تقع في وسط الدلتا التي يشكلها الفرات حيث يجري الى الناحية الغربية من بحيرة الحمار . وفوق المدينة وتحتها مباشرة ينقسم النهر الى قناة الحكيكة وقناة ام النخلة وقناة المزلق ، بينما تتفرع أربع أو خمس أقبية منه على الجانبين ، وبعد ان تروي مساحات شاسعة من الأرض تجود طريقها الى بحيرة الحمار عن طريق المستنقعات . واكبر هذه الأقبية الجانبية تدعى قناة المجاشية . وفي الوقت الذي كتبت فيه هذا الكلام كانت هذه القناة تتسع يوماً بعد يوم لأنها تتفرع من النهر وسط منعطف واسع على شكل هلال . وقد فصيح في يوم من الأيام المجرى الرئيسي للفرات .

لم تكن لدينا دائرة لري في ذلك الوقت وكانت القبائل تفعل ما تشاء بالنسبة لاقامة السدود في الأماكن المناسبة لري أراضيها . وخطه القبائل هي جني موسمين من الارض : موسم قمح أو شعير وموسم أرز . أما الموسم الأول فيهرع

في الحريف ويحصد في أيار حين يرتفع نهر الفرات بسبب ذوبان الثلوج في تركيا وتغطي الأرض التي كانت مزروعة قمحاً بالماء عن قصد وذلك لأجل زرعها بالأرز الذي يحتاج الى كثير من الماء من وقت زراعته الى وقت نضوجه .

ويعتبر موسم الأرز الموسم الأفضل والأغلى وكانت طريقة القبائل كما يلي : يزرع القمح او الشعير اعتماداً على مياه الامطار . وعندما ينضج الزرع يروي بحجر المياه اليه في وقت يكون النهر في أقصى انخفاض . لذلك كانت تبذل الجهود في كل مكان ، أما بالتعاون او بقتلاع المصالح ، لبناء السدود عبر القنوات الكبيرة المنفرجة من مجرى الرئيسي ، وذلك لرفع مستوى المياه فيها ليصبح ري حقول القمح ممكنًا بطريقة الجبر .

ومع حصاد الموسم الاول يأتي الفيضان السنوي وتهدم معظم تلك السدود للتخفيف عن النهر الرئيسي . واذا لم يفعل ذلك فان مياه الفيضان لا تمنع زراعة الأرز فحسب ، بل تفرق القرى والأماكن المأهولة بين فيها .

والوقت بين حصاد المواسم الشتوية وموسم الفيضان ضيق ويمكن حسابه بدقة في السنوات العادية . ولكن هذه الحسابات تخطئ أحياناً . فاذا تساقطت الثلوج على الجبال الشمالية البعيدة بكثرة وذابت بسرعة في وقت مبكر ، فان الفرات سيرتفع ، قبل حصاد القمح او الشعير ، الى درجة غير طبيعية . وتنتسج السدود القائمة المياه من الانحدار الى بحيرة الحمار عبر القنوات الفرعية فتتعرض بذلك الى الخطر جميع المساحات الشاسعة المزروعة . ويتأثر بذلك اكثر من غيرهم القبائل القريبة من بحيرة الحمار ويشعرون بالحاجة الى الانقضاء والغوث اكثر من أولئك الذين يعيشون قرب مدينة سوق الشيوخ حيث تعلو ضفاف الفرات .

ان الطريقة الوحيدة لانتقاذ المحاصيل الزراعية في حالة طارئة كهذه هي فتح المجال للنهر ان يجري الى بحيرة الحمار بسرعة . ولتحقيق ذلك يتوجب هدم واحد أو اكثر من سدود القبائل . وهنا نشأ المشكلة . فكل قبيلة لا تريد هدم سدودها وترغب ان ترى سدود جاراتها تهدم أولاً . ونتيجة لذلك في مثل هذه الظروف ، كانت القبائل تحاول هدم سدود بعضها البعض لاسيما واذا كانت

الحكومة المحلية ضعيفة او لا وجود لها كما كانت الحال في السنوات الحس عشرة التي سبقت دخول الانكليز . وغالباً ما كانت يدفع ذلك القبائل الى الاقتتال ويكون النصر عادة حليف الأقوى .

وشهدت سنة ١٩١٧ فيضاناً غير عادي . ففي نهاية شهر نيسان ارتفع الفرات الى درجة خفيفة . ولم يكن القمح قد نضج في كثير من المناطق ويحتاج الى سقاية بعد ، ولذلك كانت جميع السدود سليمة . وأسرع رجال القبائل وأصحاب البساتين من قريب ومن بعيد الى ضفاف النهر وبدأوا بتعليق الأتربة عليها على أمل انهم قد ينجحون في منع الماء من التدفق قبل قدوم الفيضان الرئيسي .

وكانت كل ساعة أتلقى في سوق الشيوخ طلباً باتخاذ اجراءات رمحية لمنع الكارثة . فإذا لم يفعل شيء ولم استخدم سلطتي فمعنى ذلك ان محاصيل المنطقة كلها ستلف وستغرق معها مدينة سوق الشيوخ . اما نصائح مستشاري فكانت متناقضة . كل يبدي الرأي الذي يلائم اغراضه لأنهم جميعهم لديهم اصدقاء بين مختلف القبائل ووجدوا في ذلك فرصة لزيادة نفوذهم عن طريق اقناع الحاكم بهدم ذلك السد بدلاً من السد الذي قد تكون لهم فيه مصلحة . فوجدت اني سأتحمل اللوم مهما كانت النتيجة . وكان الوقت حرجاً وليس من يساعدي والمنطقة بأسوأ أحوالها .

وظلّت مياه النهر الصفراء المحملة بالأتربة ترتفع في دلتا سوق الشيوخ حتى أصبحت أعلى من الأرض المحيطة بها بعشرة أقدام ، وبدأت تتدفق من فوق الحافة الترابية على الضفتين . وكان أي تصدع في أي مكان يعني اغراق المنطقة جميعها بالماء وتلف المحاصيل الزراعية . ومما زاد الامور سوءاً ظهور روح المقاومة العربية بأجلى صورها . فتهدم اء سد من السد سينتج عنه اغراق مئات الألفدنة المزروعة بالقمح وراء السد وعلى جانبيه . ولذلك كان اصحاب السدود على استعداد ان يدافعوا عن سدودهم الى الرمي الأخير . وكان هنالك حراس مسلحون يقومون بحراسة هذه السدود في الليل والنهار ، وكانت الرأي السائد هو : فليتحمل الجميع النكبة افضل من ان تتحملها قبيلة واحدة .

وكان علي ان افعل شيئاً حاسماً وبصورة سرية للغاية . وفي حالة من اليأس قررت هدم سد الجاشيه الكبير الذي يبعد عن المدينة خمسة أميال . وكنت أعرف انه ليس عليّ إلا فتح ثغرة صغيرة في اعلى السد ، ومياه النهر المتدفقة كغلبة بالباقي . اما المشكلة هي كيف استطيع القيام بذلك وحراس مسلحون يحرسون السد . فكرت زورقي البخاري ورحت استكشف المكان وعرجت على عدة سدود اخرى حتى لا ألفت إلى الانظار ، فوجدت ان أربعة حراس فقط يقومون بحراسة سد الجاشيه وكلهم من الجهة الشرقية ولم تكن حراستهم بقطعة .

وعدت الى سوق الشيوخ متفانلاً لأضع خططتي . وكنت على يقين انني إذا عرضت الفكرة على أصحاب السد سيعارضون ويقاومون ولذلك صرفت النظر عن محاولة هدم السد بالقوة في رضح النهار وقررت اللجوء إلى خطط سرية تنفذ تحت جنح الظلام .

وفي الليل ركبت مشحوناً مع محمد العايل واثنين من الشبان وأخذت معي معولاً ، واتجهنا إلى مدخل قناة الجاشيه من الجهة اليمنى . وكان السد يبعد عن مدخل القناة حوالي ثلاثمائة ياردة . وكان الظلام شديداً عندما اسرعنا الى السد من الجهة الغربية للقناة ويبدو أن الحراس على الجهة الشرقية كانوا يغطون في النوم .

وتسلقت أنا ومحمد العايل الى ظهر السد الذي تبلغ سماكته ١٢ قدماً وبدأنا نحفر على طوله خندقاً عرضه قدمين . ولم يكن العمل صعباً وكان بالامكان حفر الخندق باليد لأن تلك السدود مصنوعة من الطين المجهول بالنش . والعمل الاصعب كان فتح الثغرة في القسم الاعلى من السد وهو القسم المصنوع من الطوب المشوي . ولذلك استخدمنا المعول بحذر دون ان تتمكن من الضرب بشدة للثلاثي . ولذلك استيقظ الحراس على الصوت .

واستمرينا في العمل بصمت مدة ساعة كاملة حتى لم يبق أمامنا إلا ثلاثة أقدام تقف في وجه ضغط الماء . وعندما فتحنا فجوة عميقة في السد حفرنا الاقدام

الثلاثة المتبقية بسرعة البرق واسرعنا الى المشحوف وهربنا فيه بأقصى سرعة
ممكنة الى نقطة تبعد منه ياردة عن السد ووقفنا هناك نرقب النتيجة .

وسار كل شيء حسب الخطة المرسومة . فبعد ان تدفقت الماء في الثغرة التي
فتحنها سمعنا هدير مياه نهر وهي تشق السد لتنفذ منه . وعرفنا عندئذ ان
الخطة نجحت اذ ان شيئاً لن يستطيع منع المياه من شق السد وجرفه في طريقها .
وعدها الى المدينة قبل ان يشتد التيار الناتج عن تدفق المياه عبر السد لنلا نعيم
عن التجديف .

وطرح الحراس الصوت ولكن بعد فوات الأوان . وسمعنا عن بعد أصوات
رجال القبيلة وصراخ النساء في القرية المجاورة وهم يحاولون عبثاً منع المياه
المتدفقة .

ووصلنا الى المدينة في الساعة الثالثة صباحاً وهناك طلبت من محمد والرجلين
ان يكتعوا السر .

وانقذت مدينة سوق الشيوخ من الغرق . ففي الصباح كانت مياه النهر قد
انخفضت قدمين كاملين . وقد جاء الحجي حسن حمداني باكراً في الصباح ليبلغني
ان سد الجاشيه قد تصدع أثناء الليل وجرفته المياه ، وقال : انه لطف الله ...
رحمة الله هي التي قررت اي سد يجب ان ينهار . . شكراً لله .

وكنت لا أزال في فراشي في ذلك الوقت اغالب النعاس ومع ذلك نهضت
لأستقبل وجهاء المدينة وأتقبل منهم التهاني والاحبار مع قبوة الصباح في المجلس .
وظل الأمر مرراً . فلم يعرف احد الدور الذي قمت به في تهديم السد حتى
بعد ان غادرت مدينة السوق . وظل رجال الشبانة الثلاثة عند كلامهم فكتعوا
السر أيضاً . ومع اني بذلك انقذت المدينة وعدة آلاف من الافدنة المزروعة
قحاً على مسافة عشرات الاميال من الضفة اليمنى للفرات ، فقد غرقت كل المنطقة
الواقعة وراء سد الجاشيه على الضفة اليسرى من النهر وتلفت المزروعات فيها حتى
بحيرة الحمار . ولم استطع تقدير الاضرار التي نجمت عن ذلك ولكن بما لا شك
فيه انها كانت جسيمة للغاية . ولم أحاول ان احصل على تعويض عن ذلك من

الحكومة لانها سابقة لم يكن قد سمع بها أحد في تلك المنطقة .
وكرهت نفسي مدة من الزمن لأنني قمت بذلك الدور ولم أقدر ان انسى
أولئك المساكين الذين حل بهم الدمار والحرب نتيجة لذلك العمل ولكنني
اضطرت الى التضحية بالأقلية لأنقاذ الاكثرية . فهل هذا مبرر ؟ القبائل تقول
« لا ، حتماً ! »

وتلقى مساعد الضباط السياسيين على الفرات ، بما فيهم أنا ، دعوة الى العشاء
ليلة عيد الميلاد سنة ١٩١٧ من الميجر يونغ (توفي سنة ١٩٥٠) مساعد الضابط
السياسي في الناصرية .

وحتى ذلك الوقت كان كل منا يحكم منطقة ، منفصلة ويتعامل مباشرة مع السير
بيرسي كوكس في البصرة . ولكن الميجر يونغ كان طموحاً ، فأبلغنا ، بعد ان
تناولنا طعاماً شهيئاً وشربنا كثيراً من الشبانيا ، انه من أجل ان تكون الإدارة
أكثر فعالية ومن أجل الضرورات المالية ، سيقتراح على السير بيرسي كوكس
تعيينه (اي الميجر يونغ) ضابطاً سياسياً على الفرات وان نكون نحن تابعين له .
فرحبنا بالفكرة دون أن نفهم ما وراءها ودون ان تهتم بمعرفة ابعادها وقد طمأن
علينا لسان مضيفنا الناعم وسخاؤه المنقطع النظير .

وإنصافاً للميجر يونغ أقول انه في زمن الأتراك كانت الناصرية هي المركز
الإداري للواء المنتفق كله . وليس امراً سيئاً ان نحدد حدود الأتراك في مثل
هذه القضايا لأنهم كانوا دائماً يحاولون ضم جميع القبائل التي تشكل اتحاداً واحداً ،
تحت إدارة واحدة . ولم يكن الخطأ في طريقة الأتراك هذه ، بل في اساليب
الموظفين الذين كانوا يتولون شؤون الإدارة .

وكانت القيادة العامة للفرات في الناصرية . وربما كان الميجر يونغ قد فكر ،
وليس بدون أسباب موجبة ، انه من الاسهل إدارة منطقة سينة منقطعة تماماً
عن البصرة ، من المكان الذي توجد فيه القيادة العامة لاسيما وان تلك القيادة
كانت مسؤولة عن المنطقة كلها وعن خطوط المواصلات حتى القرنة .

ولم نظن بعد حفلة عيد الميلاد العامرة أن الميجر يونغ كان جاداً في الموضوع

او انه سيقوم فعلاً بتقديم اقتراحه الى السير بيرسي بصورة رسمية . ولكنه فعل
ودفعنا نحن الثمن .

وغضب السير بيرسي عندما تلقى الاقتراح وبعد اسبوع امر بنقلنا جميعاً .
وكننا ستة بما في ذلك الميجر يونغ الذي نقل مكاني الى سوق الشيوخ . وتلقيت
برقية من السير بيرسي يبلغني فيها دون إعطاء الأسباب انه قرر اعادتي الى الجيش
وامرني بالالتحاق بدائرة المشتريات في العمارة . وكنت أحب عملي في سوق
الشيوخ والناس الذين كنت اعامل معهم ولكنني لم أكف عن التفكير بأنني
اعتبرت غير كفء وغير جدير بتحمل المسؤوليات . ولم أعرف حقيقة ما
حدث إلا عندما وصل الميجر يونغ الى سوق الشيوخ وكيف ان تصرفه الأحمق
سبب كل هذه المشاكل وهدم كل ما بنيت طيلة السنوات الماضية . وقد ملت
الميجر يونغ لأنه هدم مستقبلي في الدائرة السياسية .

ولكن الأوامر هي الأوامر . فبعد ان سلمت اعمالي ، وأنا منكسر القلب ،
الى الميجر يونغ ، جمعت حوائجي ونقلتها الى زورق صغير وودعت جميع الشيوخ
وسرت في طريقي الى البصرة حيث كان علي ان اثبت وجودي قبل الانتقال الى
العمارة .

واستغرقت رحلتي الى البصرة خمسة أيام اذ اعاقت سيدي في بحيرة الحمار
الأمطار الغزيرة والرياح الشديدة ، فبقي زورقي غارقاً في الوحل يومين ولبلتين
خارج قناة المزلق . ولم يستطع صديقي حاتم المزان شيخ الجوابر الذين يقطنون
على ضفتي المزلق ، ان يحركني خطوة واحدة من مكاني بكل ما لديه من خيول
ورجال . ولم أستطع استئناف السفر إلا عندما هبت ربح جنوبية فارقت
مياه البحيرة قليلاً .

وقور وصولي الى البصرة توجهت الى الدائرة السياسية لاثبات الوجود وتلقي
الأوامر . ولشد ما كانت دهشتي عندما وجدت هناك جميع شيوخ سوق الشيوخ
تقريباً وقد جلسوا في باحة مبنى الدائرة السياسية ومعهام امتعتهم . ولقد
تضايقت من ذلك لانني سأتهم بأنني دبرت الأمر . والحقيقة ان هؤلاء سبقوني الى

البصرة دون ان يخبروني . وقد جاء بعضهم على الخيل وبعضهم الآخر بالمشاحيف عن طريق ام النخلة والفبيشية ، اي مسافة مئة ميل تقريباً . وكان عددهم حوالي ٥٠ شيخاً بينهم ثامر بك وعجيل بك ويوسف بك وعبد العزيز الراشد (وكلهم من عائلة السعدون) ، وجميع شيوخ بني خيقان والمجره تقريباً يرثيهم قاصد الناحي . وكانوا مجتمعين كلهم في الباحة عندما دخلت فهرعوا لتحيي ، منهم من صافحني بالأيدي ومنهم من قبلني على الوجنتين . وعندما سألتهم عن سبب قدومهم ، أجاب قاصد الناحي بانهم أتوا ليرجعوني الى سوق الشيوخ وقال : ان شالله كوكس ما يقصر . ويقصد بذلك انهم يأملون ان لا يجيب كوكس طلبهم . وتركهم ونزلت الى مكتب جبر ترود بل فأبلغتني ان الشيوخ أتوا في اليوم السابق وقدموا عريضة تطالب بإعادتي ، كما انهم رفضوا العودة او الخروج من الدائرة السياسية إلا اذا حصلوا على جواب مرضي . ولم تنفع في اقتناعهم اية حجة ، رذيت عبثاً كل المحاولات لملمهم على الانتقال الى فسادق العشار او مقاهيها .

وأخبرتني الآتية بل ان السير بيرسي اهدى التزعاجه لكل ما حدث ويعتقد اني انا الذي دبرت كل شيء ، ولذلك طلب ان اقبله فور وصولي . ووجدت السير بيرسي بأسوأ حالا قد . فسألني يبرود ماذا أقصد بالساح لجميع شيوخ السوق بالقدوم الى البصرة دون استئذانه ، وأمرني بإعادتهم من حيث أتوا فوراً ، وقال انه يرفض مقابلتهم أو مناقشتهم حول العريضة التي قدموها ، وأنه من الأفضل ان اطيع الأوامر .

وعندما تمكنت من الكلام اقسمت له بشر في اني لم أكن اعرف بقدومهم وانني تأخرت على الطريق ، وأبلغته انني سلمت أعمالي الى الميجر يونغ الذي كان من واجبه ان يمنع الشيوخ من المجيء الى البصرة . وقلت له انني جندي مخلص وأعرف كيف اطيع الأوامر ، ولكنني أود أن اعرف اي خطأ ارتكبته أو ذنب جنيته في سوق الشيوخ استدعى نقلي بهذه السرعة من الدائرة السياسية الى الجيش بدون اي تفسير ، وأنه يجب ان يعرف ان هذا العمل قد يقضي على جميع

آمالي ومطامحي . وأخيراً توصلت اليه ان لا يصب غضبه على الشيوخ لأنهم قوم طيبون ويسرون على سجنهم ، وأن تصرفهم هذا نابع عن جهلهم لعادات البريطانيين وعن شعورهم بالولاء والاختلاص لي ، وطلبت منه أن يقابلهم ويصغي الى ما يقولونه .

وأخيراً اقتنع السير بيرسي وأمرني ان ادعو الشيوخ اليه وان اطلب اعداد القهوة لهم . ودخل الشيوخ جميعهم الى الغرفة وقدمت كرامي لشيوخ آل السعدون بينما جلس الباقون على الأرض يحتسون القهوة التي قدمت لهم على الفور . وكان موقعي صعباً اذ انني كنت سأقوم بالترجمة ونقل وجهة نظر السير بيرسي الذي كان لا يزال متوتراً . وعندما بدأت الامور تتعقد نهض قاصد الناحي فجأة والدموع تنساب على خديه وخلع كوفيته وعقاله واتدفع نحو السير بيرسي وطوق بها عنقه وقال له : نحن داخلين على الله وعليك . اعطينا دكان . وكان منظرأ غريباً ان يشاهد المرء كبير الضباط السياسيين في العراق وقد تجمع حوله عدد من رجال القبائل يطوقون بكوفياتهم رأسه ويديه وحتى رجله . وانكسر الحليد وبدأ السير بيرسي يضحك وهو يحاول التملص من قبضتهم فاستنجد بي . وبعد جهد ليس بقليل اقنعت قاصد والآخرين ان يعودوا للجلوس في أماكنهم . كان منظرأ مضحكاً بالفعل ولكن علامات الأمل والاستبشار كانت بادية على الوجوه .

وطلب السير بيرسي ان تحضر القهوة والسجائر وأبلغ الجمع بهدوء انه سيفكر بالأمر وانه مستعد للنظر بعطف على عريضتهم وسيعمل جهده لتحقيق رغباتهم ، ولكن هنالك بعض الصعوبات . وطلب منهم ان يذهبوا الى المدينة ويعودوا في اليوم التالي فيجتمع بهم ويعطيهم الجواب . وعندما رأى السير بيرسي التلطف في نظراتهم قال لهم انه يأمل ان يكون الجواب على خاطرهم .

وانتهت المقابلة وكلفت ان ابعد الشيوخ عن باحة الدائرة ففعلت وعدت الى مكتب السير بيرسي فواجهني بنظرة تأمل وقال : الى هنا كل شيء على ما يرام يا ديكسون ولكن كيف سأراجع عن أوامري الى يونس ؟ إنه الآن مسؤول عن

سوق الشيوخ .

فألمحت اليه بكياسة بأنني أعرف أن يونغ بككرة فكرة البقاء في سوق الشيوخ واعتقد أنه يقبل أن يبادلني المنصب فيأتي هو الى دائرة المشتريات في العمارة وأعود أنا الى سوق الشيوخ .

« حسن جداً ، قال السير بيرسي . « إذا كنت تستطيع أن تنهي الموضوع بهذا الشكل فبأصدر أمراً بالتبادل بينكما ، ولكن عليك انت ان تقترح ذلك على يونغ ، فأنا لا أقدر ان اراجع عن أوامري فقد أبلغت قائد الجيش بها . » واستأذنتني دقيقة وأخذ ورقة وكُتب عليها شيئاً ثم سلمها إليّ قائلاً : أظن أن هذه ستسوي الأمور .

وكانت تلك الورقة مسودة برفقة الى يونغ مكتوبة عن لساني تقول انني قد وصلت الى البصرة وقابلت كبير الضباط السياسيين ، وانني أعقد انني نتيجة لذلك سينظر السير بيرسي بعين العطف إذا تقدم يونغ بطلب للتبادل المناصب معي ، وتتطلب البرقية في النهاية جواباً على جناح السرعة .

وفي اليوم التالي عندما تجمع الشيوخ في غرفة السير بيرسي ليستمعوا الى قراره ، أبرز لي السير بيرسي برفقة كُتب عليها « مستعجل » وبطلب فيها الميجر يونغ السماح له بالانتقال الى دائرة المشتريات في الجيش مكان ديكسون الذي فهم انه يرغب في العودة الى سوق الشيوخ . وأعطاني السير بيرسي ايضاً جوابه بالموافقة لأقرأه .

وابنسم السير بيرسي والتفت نحو الشيوخ وبعد أن سأهم عن صحتهم وعما إذا كانوا قد قضوا ليلة مريحة في فنادق المدينة ، أبلغهم انه فكر ملماً في طلبهم المتعلق بالكابتن ديكسون وقرر إعادته الى سوق الشيوخ . ولا يمكنني وصف الحماس الذي استقبل الشيوخ به القرار .

لقد كان السير بيرسي زكريا كوكس رجلاً عظيماً . ومن السهل ان يفهم المرء أسباب تمتعه بشعبية كبيرة بين أهل العراق ، والاحترام الكبير المُنْدى لا يزالون يكتفون له حتى اليوم . واستمر سنوات كثيرة قبل أن يمحي اسمه من

أذهان هؤلاء الناس .

وكانت عودتي الى سوق الشيوخ نصراً لا ينسى . وحاولت ان تتميز بالهدوء وعدم التظاهر ولكن ذلك لم يكن بيدي . فقد كان ذلك يوماً عظيماً عند قاصد الناحي .

ومقيت في سوق الشيوخ بعد ذلك سنة واحدة أصبحت بعدها ضابطاً سياسياً على كل المشتق وكان مقرري الرئيسي في الناصرية على بعد ٢٠ ميلاً فقط من سوق الشيوخ .

حسين القبيح والبرج الحوري

حسين القبيح رجل مسن وهو شيخ الجوارين . والجوارين قوم شبه رحل من رعادة الأغنام في منطقة سوق الشيوخ يقيمون في الصيف بجوار أم البطوش . ويتوجهون في فصل الحريف إلى الصحراء الجنوبية بين العراق والكويت حيث يقيمون لمدة ستة أشهر . وهم عرب أقحاح يفاخرون دائماً بأنهم من فرع أجود في المشتق . ولكنهم كانوا فقراء . وكان حسين القبيح يزرع بعض الأرض عند تأمر بك السعدون بين أم البطوش ومدينة السوق . ومع أنه محب للنفس . لكنه كان شرس الطبع ولم يكن يتورع عن اغتصاب املاك غيره إذا منحت له الفرصة ووجد في ذلك فائدة له . اما أتباعه فكثيرون ومسلحون جيداً .

وفي يوم من أيام صيف سنة ١٩١٨ جاء تأمر بك مسرعاً ليغالبني ومعه كاتبة الكردي الملا أحمد . وشكالي وهو هائج متوتر ان حسين القبيح استولى على أحد الابراج الحربية التي تغطي ارضه . ويشرف هذا البرج على مساحة من الأرض كان قد زرعها حسين أرزاً لحساب تأمر بك .

ورفض حسين أن يخلي المقتول واكد نوابه واضرارته على ان يصلي مسالماً للأرض كما فعل غيره في الايام الأولى حين لم يكن احمد يقيم في تلك المناطق . وجواباً على احتجاجات تأمر بك اعلن حسين نفسه في خدمة الإنزال . وأبلغ رسل تأمر الذين ذهبوا لإقتاعه بأنه لا يتعرف على تأمر بك ولا على دكسون ولا

على حكومة الانكليز ، وانه يتحدى أي شخص ان يزجرحه من مكانه ، او يجبره على إخلاء المكان .

وأعترف انه عندما كنت أصغر لتأمر بك وهو يصب غضبه على « سر كاله » السابق ، كنت مشاعري وعواظي مسع حسين الفبيح ، لأن تأمر نفسه سرق الارض التي لم تكن ملكه في فترة الفوضى بين مفاخرة الانراك وقُدوم الانكليز . وأخذت أهدى تأمر بك وأطيب خاطر الملا أحمد وأعداً ان أقبل كل ما أستطيع .

وبعد افتول المستوى عليه ثلاثة أميال فقط عن مدينة السوق على الطريق الى الحبيسة ، ويمكن رؤيته بالعين المجردة من منطج منزلي .

وأرسلت في طلب حسين الفبيح رشحياً فحضر الى مكنتي في الوقت المحدد . وكان في حوالي السبعين من العمر رث الثياب ، وقد لفحته الشمس وتطايرو الشرر من عينيه . ويبدو انه لم يتعمل حذاء قط في حياته ، فكان قدماذ شبه بقدمي جمل . وبدل ذلك على انه رجل من الصحراء قبل كل شيء قضى معظم حياته يسير حافياً على الرمال الساخنة .

وكان يضحك ضحكة فيها الكثير من التمرد فلم افدر إلا ان احبه . وقال ان والده من قبله كان يزرع الارض التي استولى عليها ، وان تأمر بك السعدون حاول ان يطرده ويسلم الارض الى سر كاله آخر . ونظراً لوجود حالة حرب فإن الكثيرين يستولون على املكك ليست لهم ، ولذلك فكر حسين أن الفرصة مواتية ليحذو حذوهم . وبما ان المفتول كان يشرف على كل الارض التي يزرعها لذلك كان لا بد من الاستيلاء عليه لتأمين حمايته .

وبعد ان أصغيت الى كل ما قاله حسين ذكرته بهدوء أن هنالك حكومة لها سلطة أمثلها اذا ، وانه من واجبي ان امتع الافراد من اخذ حقوقهم بأيديهم . وعليه ، يجب ان يخلي البرج بدون تأخير ويقدم بعدها الى محكمتي أبية شكوى ضد تأمر بك .

وبفجرة حبيشة من طرف عينه شكرني حسين لتصيحتي ووعدي ان يفعل كما

طلبت منه ، ولكنه طلب مهلة ثلاثة ايام ليفتح رجال قبيلته بالأمر .
وبعد ان تركني حسين فرمت ان القضية قد حلت . وبعد ثلاثة ايام تلقت
من حسين رسالة شديدة اللوعة يقول فيها ان رجاله لم يوافقوا على قراري .
ويقول ايضا انه نظرا لفقدان النظام عموماً فإنه لم يستطع ان يفرض سيطرته
عليهم ، ولذلك ، اذا كان بإمكانى ان اثبت لهم هيبة الحكومة وسلطانها ، فان
الجوارين سيسلمون المقتول ، دون شك ، بدون اية مشاكل . واقترح في رسالة
شفوية ان اسير على رأس جنودي ومدافعي الثقيلة واهدد قبيلته بنسف البرج ،
وبعد ذلك يستتب الأمن . وكان الشعب العجوز يعرف جيداً انه ليس لدى
جنود ولا مدافع ، مما يعني انه سيظل مسئولاً على المكان الى الوقت الذي تمكن
فيه من عمل شيء .

وفي تلك الاثناء جاءني قمر بك ثانية وسألني عما اتوني عمله ، واكد لي انه
في اليوم السابق اطلق النار على رجاله من المقتول وقتل اثنين منهم . وقال انه
ما لم اتخذ موقفاً حازماً لإثبات سلطتي فان الامور ستسير من سيئ الى أسوأ ،
وان جميع سكان المنطقة يرقبون الاحداث باهتمام وسيفترضون انه ليست هنالك
حكومة تدعني ، الأمر الذي سيشجعهم على الاقتداء بحسين والجوارين .

ووضعتي الحاج تامر في موضع حرج يستوجب التفكير الشديد . فقد جعل
من القضية امتحاناً لي وأراد ان يدفعني لعمل غير مأمون العواقب مما افقده
احترامي وحيي . فقد كان بإمكانه الانتظار الى وقت تكون فيه الظروف أكثر
ملاءمة . اذا انه كان من الواضح انني لا استطيع ان افعل شيئاً بدون مدفعية
ضد برج محصن مؤلف من ثلاث طبقات . فاذا حاولت حصاره فلن ينتج عن
ذلك إلا تعرض رجال الشبان الذين سيقومون بالمهمة الى الهجوم من الخارج .
وفي الوقت نفسه لا استطيع ان اراجع كما انني لا استطيع الحصول على قوات
من الناصرية في الوقت الذي كانت فيه تلك القوات تعمل على مراقبة قبائل
الغراف باتجاه شطرا .

وحاولت المأطلة فكتبت الى حسين القبيح طالباً اليه الحضور لمواجهة

فرفض مدعياً ان جماعته لا يسمحون له بزيارتي لئلا انتقم منه وامسجنه . وكانت تلك حجة واهية لأن جميع سكان المنطقة يعرفون تماماً ان أحداً من الجوارين لا يتجرأ على الانتفاص من سلطة حسين في القبيلة لكونه في الواقع من أقوى شخصيات المنطقة .

وكتبت رسالة أخرى وأرسلت الحجي حسن حمداني يقنع الرجل المعجوز بأن ينوب الى رشده ويأتي عليه الأمان (حظ ونجت الحكومة) لبحث القضية ، ولكن دون جدوى . وعسااد الحجي حسن ليبلغني ان حسين كان في اثرس طباعه ورفض كل حجة ، وانه (اي الحجي حسن) تعرض لمخاطر كثيرة في ارض الجوارين وكاد يلاقي حتفه .

وبذلك تطورت القضية فاصبحت امتحاناً عسيراً من اشد ما قد يتعرض له انسان . وكنت في حيرة من امري احاول يانساً ان اجسد مخرجاً للقضية . وجاءني الحل من البحرية الملكية في دجلة والفرات على غير موعد كالعادة . ففي زحمة مشاغي و مشاغلي برزت سفينتان مسلحتان بالمدايع كانتا متجهتين من الناصرية الى البصرة ورسنا بالقرب من مضيقي في مدينة السوق ومدافعها القوية تصعد زفرات القوة والعزم .

ولعبت ورقتي الأخيرة فأرسلت كتاباً مستعجلاً الى حسين الفبيح قلت فيه ان الحكومة أرسلت سفناً حربية افرض سلطتي وان رجاله وبرجسه الحربي سيخضعون للقصف في مدة قصيرة . وأبلغته ان الحكومة ، وفقاً منها ، ستعطيه فرصة أخيرة فاذا حضر خلال أربع ساعات واعلن تسليم البرج فعلاً ، وأعلن خضوع ر.باله ايضاً لسلطة الحكومة ، فان السفن ستحجب نيرانها عنهم .
التي أشك فيما اذا كانت السفينتان قادرتين على القصف في مثل ذلك المدى البعيد . ولكن خدعتي ، على كل حال ، نجحت . فبعد ثلاث ساعات فقط ارغى حسين على اعتابي طالباً الرحمة . وعندما وقع نظره علي لف كوفيته حول عنقي طالباً الأمان والغفران وقال : يكفي .. يكفي .. لقد أثبتت ان هنالك حكومة في هذه البلاد .. لقد اقتنعت .

والبغني حسين ان رجاله قد أخذوا المقتول وطلب مني أرسل رجال الشبان لاستلامه ، ففعلت ، واحتل رجالي الشجعان المكان خلال ساعة بينما بقي حسين في مكنتي تحت الحراسة .

وانتهى كل شيء . ولكن الطريف في الموضوع هو ان سفين صاحب الجلالة لم تعرف شيئاً عما حدث . وقد ابطلت قائدي السفينتين بالخدمة الجلي التي اسديها لي عن غير قصد او معرفة ، عندما كانا يهان بمغادرة سوق الشيوخ بعد حفلة الغداء العامة التي اقمناها على شرفها .

اما حسين القبيح فقد اطلق سراحه بعد ان قبل يد تامر بك في مجلس عام وطلب منه الصفيح ، وبعد ان انذرت به بأن لا يعود الى سوء السلوك . وقد زارني بعد ذلك عدة مرات واصبح أحد أخلص اصدقائي عندما انتقلت الى الناصرية . وتوفي حسين بعد ثمان سنوات وخلفه ابنه ناصر في رئاسة قبيلة الجوارين . وأثبت ناصر انه عضو محترم في المجتمع القبلي أيام الحكومة العربية بقيادة فيصل . وكان يزورني في الكويت كلما انتقل رعاة المتنق الى هناك في الحريف .

حرز ميرزا عنايه

ميرزا عنايه رجل متدين من اتقياء الشيعة كان يعيش بين قناة أم النخلة وقناة المزلق . وكان يتمتع بنفوذ كبير بين قبائل الحسون والجوابر وبنو سعيد وغيرهم ممن يدينون بمذهب الاخبارية وهم أقلية اذا ما قيسوا بالقسم الأكبر من الشيعة وهم الاصولية . ويقطن ميرزا مع اثني عشر آخرين من العلماء على مرفق من الارض بين القناتين المذكورتين وبعيداً عنهما ، حيث كانوا يؤلفون ما يشبه كلية قبائلية يلجأ اليها كثيرون طلباً للنصح فيما يتعلق بقضايا الشريعة .

وقد ساعدني ميرزا عنايه في حل عدد غير قليل من القضايا العشائرية المعقدة في كثير من الاحيان تتعلق بالنزاع على الحدود ، والطلاق ، والارث وما شابه ذلك . وكان اتصالي به عن طريق المراسلة .

ولم اطلب منه أن يزورني لأن مثل هذه الزيارات يقوم بها عالم ديني كبير

ضابط سياسي أجنبي تعني فقدان هيبته وجلاله في أعين إقطاعه .
وفي خريف سنة ١٩١٨ قررت أن أتوجه لزيارة ميرزا عنايه لأنني كنت
بأمر الحاجة إليه لهدف نجائي في قضية هامة . فقد قررت الحكومة شق قناة
للملاحة عبر بحيرة الحمار وعبر مساحة من الأرض تقع الى جنوب المزلق . وكانت
هذه القناة ستصل بالفرات بالقرب من قرية بني سعيد على بعد مسافة قصيرة من
المكان الذي يقم فيه ميرزا عنايه أي حيث تنفصل أم النخلة عن المزلق .

وقد ألقى هذا المشروع قبائل الجوار وبني سعيد والحسن ظناً منهم ان قناة
عسقة كهذه تجر معظم مياه النهر وتجفف أم النخلة والمزلق مما يجعل زراعة
الأرز في أرضهم غير ممكنة . ولم يكونوا يريدون قناة للملاحة هناك لأنهم
يعتقدون ان قناة مفتوحة دائمة تمنعهم من إقامة السدود المؤقتة عبر أم النخلة
والمزلق لرفع مستوى المياه وتسهيل عملية زراعة الأرز . وفي رأيهم ان عمل
« طائشاً » كهذا تقوم به الحكومة يعتبر انتهاكاً لأساليبهم وطرقهم التي درجوا
عليها منذ أقدم الأزمان .

ونتيجة لذلك انتشرت الشائعات والهمس واللفظ وعقدت اجتماعات معادية
يومية في مقر ميرزا عنايه . ومما زاد الأمور تعقيداً أن جرافة حكومية أنهت
شق القناة في بحيرة الحمار وانتقلت لتشتق الأرض في منطقة قبيلة الجوار بانجسار
قرية بني سعيد . وأخذت المرائض والاحتجاجات تنهال عليّ يومياً في سوق
الشيوخ تبعثها بعثات غاضبة من رجال الأهوار . فخشيت انتشار هذا القلق
وانقلابه الى اضطرابات وما ينتج عنها من مضاعفات ، فقررت القيام بعمل ما .
وأشد ما كان يقلقني ان يتحرك المهووسون من رجال القبائل فيطلقوا النار على
عمال وموظفي الجرافة إظهاراً لعدم موافقتهم على العمل .

وكان من البديهي ان ينظر ميرزا عنايه بعين العطف الى وجهة نظر القبائل .
وكان من الواضح ان الطريقة الوحيدة لاستعادة الثقة ومنع نشوء وضع خطير في
المنطقة هي إقناع ميرزا ان القناة الجديدة من شأنها ان تسهل انتقال العرب عبر
بحيرة الحمار الى سوق الشيوخ والناصرية ، وأنه يمكن إقامة سدود مؤقتة عليها عندما

تأتي مواسم زراعة الأرز كل سنة .

ركتبت الى ميرزا عنايه طالباً مقابلته في يوم محدد ، فرد بأن دعائي الى الغداء . ووجدته رجلاً ذكياً متقدماً في السن ويتمتع بشخصية منبئة . وتبين لي انه ذو عقل راجح وذو نفوذ كبير بين السكان المحليين ، فشعرت انه بهذا النفوذ الكبير الى جانب الحكومة بصورة دائمة في منطقة من الاديوار لم تعرف الانضباط ، يساعدني كثيراً في العمل . فحاولت جهدي ان أكتسب صداقته وثقتي .

وشرحت له في حديث طويل قبل الغداء وجهة نظر الحكومة وسبب إقدامها على شق هذا المعبر المائي . وأكدت للعالم المحترم انه ليس لدى الحكومة أي اعتراض على إقامة سد لحصر الماء في موسم زراعة الأرز بشرط ان يزال السد بعد انتهاء الحاجة إليه . وفي تلك الفترة يتحول سبيل السفن الى طريق المزلق القديم الى ان يعاد فتح القناة . واقتنع ميرزا بوجهة نظري وأخبرني انه سينعمل بغيره لدى القبائل لإقناعهم ووعدي بأن كل شيء سيسير حسب الأصول . وكنت أعرف تماماً انه سيظل عند كلامه .

وقعدنا بعد ذلك على مائدة الغداء ، وكان مزيجاً فاخراً من الطعام العربي والفارسي ، لأن ميرزا عنايه إيراني الأصل ، كما يستدل من اسمه .

وبعد الغداء ، وأحاديث المجاملة ، نهضت لأودعه ولكنه استوقفني وربط حول ذراعي حرزاً هو عبارة عن اسطوانة فضية صغيرة طولها يوصتان ، قال انها تضم كتابات من القرآن الكريم كتبها بنفسه ، وانها تجعل من المستحيل على حاملها ان يتعرض للأذى أثناء سفره في النهر او في البحر .

ومما لا شك فيه انه عرف بالكمين الذي نصب لي في النهر سنة ١٩١٦ عندما أنقذ قاصد الناحي حياتي ، فأراد بدافع من عطفه ان يؤمن سلامة الضابط السياسي من وحشية القبائل في المستقبل .

وشكرته على حفاوته واهتمامه وأقلعت بزورقي عائداً الى المدينة حاملاً الحرز ، مما ادخل السرور الى نفوس اتباع ميرزا ورجال القبائل الذين تجمعوا

على ضفاف النهر لوداعي .

وبعد شهرين بالضبط قررت زيارة قنّاة بني سعيد التي انتهى العمل فيها والتحدث الى المسؤول عن الجرافة قبل ان يغادر الى البصرة . وكانت الجرافة راسية على الجهة اليمنى من القنّاة عند نهاية بحيرة الحار ، وكان القائد ينتظرنى . كان الطقس بارداً عندما أقلعت بزورقى في الصباح الباكر ، وكنت مرئدياً مسفرة من جلد الخروف التي لم أنس ان أضع في جيبها الخرز الذي أعطانيه ميرزا عثايه ، إذ كنت أحمله دائماً معي منذ اللحظة التي سلمه إليّ العالم المحترم . وربما كان ذلك إيماناً مني فطرياً بالخرافات ، ولكن السبب الأهم هو انه يرضي اتباعي من العرب . حملته معي ولم أعره بعد ذلك أي انتباه .

وكان الزورق مغطى ويجلس البحارة في غرفة المحرك ، بينما احتفظت لنفسى بغرفة خاصة فيه ذات نافذة مربعة .

ولم أكد انهي فطوري حتى دخلنا قنّاة بني سعيد الجديدة ولاحظت ان التيار كان شديداً بما دفع الزورق الى السير بأقصى سرعته . وكنت أعرف اننا سنصل إلى الجرافة بعد دقائق معدودات .

وقبّاءة ، وبدون تخفيف السرعة ، انقلب الزورق بعنف . فقد ربط قائد الجرافة أسلاكاً عبر النهر على ارتفاع خمسة أقدام فوقه . ولم يشاهد سائق الزورق الهندي الأسلاك إلا عندما وصل إليها ، فاصطدم بها وانقلبت عائدة الطعام في غرفتي وتحطمت بشكل مخيف . فقفزت من مكاني ولحقت الجرافة من النافذة . وفي تلك اللحظة انقلب زورقي الصغير واخذ يتدحرج في النهر عبر الأسلاك . ووصلت الى النافذة بصعوبة ومنها خرجت الى النهر وتملقت بالأسلاك وبعد لحظة اختفى الزورق وبقيت معلقاً بالأسلاك نصفي في الماء والنصف الآخر في الهواء . ونظراً لشدة التيار كانت رجلاي تتأرجحان مع التيار في زاوية مقدارها ٥٠ درجة . وكان تمكي بالأسلاك بؤلمي ، فقد أحسنت أن يديّ تجمداً وان جسمي أصبح ثقيلاً كالرصاص .

وبعد فترة قصيرة خلتها ساعات أنقذني بحارة الجرافة وأنا على وشك الهلاك .

فقد بلغ مني الاعياء مبلغاً عظيماً بحيث انني كدت أسقط في النهر في اللحظة التي وصل البحارة لإنقاذي .

وبعد ان اعطيت جرعة من البراندي استعدت وعيي فسألت أول ما سألت عن زورقي فأبلغت انه غرق بسائقه وبجارثه الاربعة وخادمي . فقد قدحرج الزورق وغرق كالبحر دون أن يعطي البحارة المساكين فرصة للنجاة . ولم ينبج من الغرق إلا قبعتي وعليها شريط أبيض وشارقي السيامية .

وقلق قائد الجرافسة وأبدى انزعاجه من الحادث ، وتقدير امر عودتي إلى سوق الشيوخ في زورقه الخاص . وكان عذره انه ربط الاسلاك عبر القناة لأنه أراد ان يدير مفيئته . وهو عمل لا يغتفر نظراً لكثرة الزوارق التي تسير في المنطقة .

وعلم ميرزا عنايه بالحادث فأرسل بعد يومين ابنه ليستفسر عن صحي . وأرسل لي معه كتاباً قصيراً يشكر فيه الله لأنني كنت أحمل حرزه في تلك اللحظة . ولكن كيف عرف انني كنت أحمل الحرز .. لست أدري ، لأنني لم أخبر أحداً بذلك .

ومنذ ذلك الوقت لم أعد اهزأ بأي حرز او تعويذة يعطيها أي سيد .

في ربيع سنة ١٩٥٤ جاء ابن ميرزا عناية المذكور الى الكويت ليقابلني وطلب مني أن أحصل له من الحاكم على تبرع لإعادة بناء مسجد والده الذي لحقت به أضرار من جراء الفيضانات في تلك السنة . وقد تمكنت من الحصول له على مبلغ متواضع . وأخبرني حينذاك ان والده توفي قبل خمس عشرة سنة .

الفصل التاسع

الناصرية

١٩١٨ - ١٩١٩

عبدالله بك الفالح باشا السعدون يقدم خضوعه

انتقلت من سوق الشيوخ الى الناصرية في شتاء سنة ١٩١٨ بعد وقت قصير من توقيع الهدنة . وقد اصبحت ضابطاً سياسياً على كل لواء المتفق ومؤولاً عن اتحاد القبائل الذي يحمل نفس الاسم . وخلفني في سوق الشيوخ الكاتب ديتشورن .

والقصة التي سأرويها الآن بدأت عندما كنت لا ازال في سوق الشيوخ . فقد مضت أربع سنوات تقريباً من الحرب العالمية الأولى ولم يقبل عبدالله بك الفالح باشا السعدون ولا عجمي بك السعدون وهما من زعماء شيوخ المتفق ان يعلنوا خضوعها للبريطانيين . وكان عبدالله بك رئيساً على أهل الجزيرة بينما كان عجمي بك رئيساً على أهل الشامية .

وكانا كلاماً يقفان الى جانب الاتراك . ولما تحولت وجهة الحرب وانضحت معادئها لغير صالح الاتراك أخذ عبدالله بك وعجمي بك يفكران في تقرير ما

إذا كانا يستسلمان للبريطانيين أو يتراجعان إلى الفرات مع فلول الجيش التركي ويتركان له تدبير أمرهما بعد أن تضع الحرب أوزارها. وكان الرجلان يملكان مساحات شاسعة من الأرض على الفرات وفي منطقة البصرة مما يعني أن تخليهما عن الصراع واستسلامهما للبريطانيين يرجح كفة الميزان . وقرر عجمي بك أن يبقى إلى جانب الأتراك وظل على موقفه إلى نهاية الحرب . وبعد أن عقدت هدنة مادروس في ٣٠ تشرين الأول سنة ١٩١٨ ، كافأه الأتراك بتعويض كبير وروبوته أراضي في ماردين وبتروكيا .

أما عبدالله بك فكان متردداً بطبيعته وحاول التوصل إلى اتفاق مع السير بيرسي كوكس . وجرت بينهما مراسلات سرية طلب فيها عبدالله إعطاءه ضمانات وغيرها . ولم يجلب له ذلك سوى الضرر لأن السير بيرسي فقد صبره ورفض استئناف الحوار معه . وأخيراً أبلغه السير بيرسي بصورة نهائية قطعية أن يستلم دون قيد أو شرط أو أن يذهب مع الأتراك إلى غير رجعة . ولم يناسب ذلك ما يصبوا إليه عبدالله بك . فاخترق فترة يفكر في خطوته المقبلة موقناً أن البداية كانت سيئة لأنه اغضب السير بيرسي وقائد الجيش دون أن يحصل على شيء .

هكذا كان الوضع في كانون الثاني سنة ١٩١٩ بعد انتقاله إلى الناصرية بوقت قصير وبعد أن احتليت شطرا بحركة سريعة قت بها على رأس أربعماية جندي جمعهم من السكان المحليين وسرت بهم عبر أراضي الأزارج وخفاجه وعبوده . ولم أكن في ذلك الوقت على علم بالمفاوضات السرية التي جرت بين عبدالله بك والسير بيرسي خلال السنة السابقة . وكان كل ما أعرفه هو أن عبدالله بك وعجمي بك اختارا أن يتنصبا إلى صفوف الأتراك ، وهو أمر مؤسف ، لأنه كان باستطاعتها تحويل ولاء قبائل المنتفق التي كنت مسؤولاً عنها والتي كانت على استعداد لاثارة المشاكل في أية لحظة . ولكنني كنت أعرف أنه ليست لي في الأمر حيلة .

و ذات يوم فاجأني ضاري بك الفهد السعدون برسالة يقول فيها أنه يريد

مقابلتي لبحث قضية مهمة وأنه يفضل أن تتم المقابلة ليلاً حتى لا يرانا أحد .
وكان ضاري بك نموذجاً للدبلوماسيين من مدرسة السعدون القديمة . وكانت
معرفة بواطن الأمور خارقة . وكان يحلم بأحياء عائلة السعدون تحت رعاية
الانكليز وإقامة دولة لآل السعدون بحماية بريطانيا على الفرات الأسفل ، على
غرار دولة الكويت والبحرين ، وإن يكون هو رئيسها أو صاحب النفوذ فيها .
فوافقت على طلبه لأنني كنت دائماً اشتاق الى لحاديث ضاري بك المبطنة للاذعة
والى معرفة رأيه في آخر التطورات السياسية والعسكرية .

وبعد الأحاديث والمقدمات التقليدية أبلغني ضاري بك أن عبدالله بك الذي
هو أمل عائلة السعدون مختبئ في ضواحي الناصرية ويريد أن يبحث معي في
مقابلة سرية أمر استسلامه . وقد ألهبت هذه السانحة حساسة ضاري بك بحيث
أخذ بشرح لي كيف أنها عطية من الله لانتزاع هذا الزعيم من أيدي الأتراك ،
وكيف أنها ستكون هزيمة لهم ، ثم أنه إذا تم التسليم على يدي كيف سأزال
حظوة وشهرة وشرفاً عند السير بيرسي كوكس .

وأعربت لضاري بك عن سروري واعتباطي وترحيبي باستقبال عبدالله بك
وأخبرته أنه إذا كان قلقاً على سلامته فأنا على استعداد أن أعطيه الأمان لكي
يتمكن من التجول . وقلت له أيضاً أن نصف ساعة من الكلام تساوي كل كتابة
الرسائل في العالم ، وأنني إذا استطعت اقتاع عبدالله بك بالانضمام الى البريطانيين
فيكون ذلك خير على خير . وفي الحقيقة إن عبدالله بك لم يقاتل البريطانيين
واكتفى من موالاته للاتراك بالوقوف عند طرف السياج .

وسر ضاري بك كثيراً ووعدني أن يأتي بعبدالله بك في تمام الساعة العاشرة
من الليلة التالية ولكنه ألح عليّ أن يكون الاجتماع سرياً للغاية لكي لا يعلم به
أحد حتى خدامي وموظفي . وكان ذلك سهلاً لأن جميع خدامي يتامون خارج
منزلي باستثناء طباش هندي . ولكن الأمر يمكن تدبيره بحيث أنني أستطيع
إدخال الزمر الى المنزل بنفسي . وقد اتخذت جميع الاحتياطات لأمنع أي
شخص من الاقتراب من المنزل وبلغ بي ذلك الى حد إلغاء تقديم القهوة للضيوف .

وفي مساء اليوم التالي وصل ضاري بك ومعه رجل طويل أخفى رأسه بدقة . فاستقبلتها بنفسه واقتدتها الى غرفة الاستقبال حيث قدم لي ضاري بك صاحبه عبدالله بك الفالح باشا السعدون . وكان عبدالله بك تحيلاً بهي الطلعة ويبدو واضحاً على وجهه انه من أصل عريق ، وكل شبر منه يدل على انه شيخ عظيم . وأخذت به على الفور فوجدت ان الطريقة التي يجب أن أقنأه بها هي اللعب على كبرياله وتفضيحه . أليس كل آل السعدون كذلك ؟ ولم لا ؟ أليسوا يدعون بأنهم من سلالة الرسول ؟ فمنذ قديم الزمان وهم لا يزوجون بناتهم إلا لأفراد قبيلتهم .

وارتحت عندما تبين لي أن عبدالله بك جاد في عرض استسلامه . ولكنه كان يخشى ان يرسله السير بيرسي ، بسبب حنقه عليه ، سجيناً الى الهند . وأبدي استعداداً لدفع أي مبلغ كغرامة للحكومة إذا كان في ذلك تسهيل للأمور . وبعد مناقشة وجيزة وافقت على التوسط مع السير بيرسي كوكس بشرط ان يسمح لي عبدالله بك بإرسال برقية الى بغداد أعلن فيها استسلامه دون قيد او شرط ، وانه سلمي مبلغ عشرة آلاف روبية كهدية لمستشفى الناصرية الذي تديره الدائرة السياسية ، كدليل على نواياه الحسنة . وعرضت أيضاً أن أختتم برقيتي بالقول ان عبدالله بك يأمل من كبير الضباط السياسيين أن يسمح له بالرجوع الى ممتلكاته ، إذ وعد انه سيخلد هناك الى الراحة والهدوء .

وأيد ضاري بك اقتراحي واستطاع ان يقنع عبدالله بك بالموافقة على ارسال البرقية . أما بالنسبة للعشرة آلاف روبية فقد وعد عبدالله بك أن يرسلها في الصباح مع ضاري بك في الوقت الذي أكون فيه قد رتببت الأمور مع السير بيرسي . وهكذا كان . فقد تلقيت العشرة آلاف روبية في الموعد المحدد ووافق السير بيرسي على قبولها كهدية للمستشفى ووافق أيضاً على اقتراحي بعودة عبدالله بك كبير شيوخ المنتفق الى ممتلكاته في كتيبان التي تبعد عدة أميال عن البصرة على الضفة اليسرى من شط العرب . فالسير بيرسي لم يكن ليرفض أي

اقتراح معقول ومنطقي .

انه من المدهش كم من الأشياء يستطيع أن يحققها سياسي صغير حذر !

رجل الاهوار الشرير

رجل آخر لم يعترف بسلطة الحكومة البريطانية وهو بسدر الرميض شيخ قبيلة البو صالح المشهورة في الاهوار الى الشمال من بحيرة الحمار . وكان بدر أشبه بشخصية اسطورية ، ويبلغ من العمر أكثر من ثمانين عاماً . وعنده حوالي ٢٤ زوجة . واستطاع هذا الرجل ان يكتسب لنفسه نفوذاً كبيراً في مجاهل الاهوار الممتدة من بحيرة الحمار الى شطرا والعمارة . وتروي حكايات كثيرة عن شدة بأسه في الحروب وعن نزعته الاستقلالية وشخصيته المنيعه التي تحدى بها الأتراك سنوات طويلاً قبل سنة ١٩١٤ .

ويقول رجال الاهوار ان ذلك أمر طبيعي إذ ان أحداً لا يستطيع الوصول إليه في الاهوار .

ويقال انه في مناسبات عديدة ردد على مسامع بعض زائريه قوله : لم أعرف الأتراك في حياتي قط لا ولا الانكليز . فإذا أراد كوكس ان يراني فليأت لزيارتي في منزلي على قناة البدعه بين أوراق البردي . أما انا فلن أذهب إليه .

وعندما كنت في سوق الشيوخ قمت بعدة محاولات بواسطة الحجي حسن حمداني لأجتمتع ببدر الرميض ولكن كل تلك المحاولات باءت بالفشل . ومرة واحدة فقط كدت أوفق في مساعي . وعرضت عليه مراراً وتكراراً ان اعطيه الامان ليزورني ويقدم خضوعه . وكان جوابه في كل مرة انه لا يثق بالانكليز الذين قد يخونون الوعد ويسجنونه . وأعتقد ان موقفه هذا ناتج عن خطة ذكية . فقوله لرجال الاهوار المتوحشين ولقبائل المنتفق التي تقطن على حدود البو صالح ، انه لم ير رجلاً انكليزياً في حياته ولم يقابل اي ممثل عن البريطانيين منذ قدومهم الى العراق ، وانه لا يرغب في ذلك ، يظهره أمامهم بظهر الشجاع الذي يتحدى سلطة الأجنبي وبذلك يكتسب شهرة ونفوذاً

ويعظم في أعين أتباعه .

والحقيقة انه أرسل ابنه الأكبر حسن لمقابلتي مرتين في الناصرية بعد ان نقلت إليها ولكنه لم يقتررب أكثر من ذلك . وبلسان ينطلق بالكذب أستد حسن يشرح لي ان لوالده أعداء كثيرين وانه رجل طاعن في السن أحنى ظهره الرومانيزم وإلا لكان ، دون شك ، قام بزيارة الحكومة منذ زمن بعيد . ولم أحارل دفع الأمور لإحراجة اعتقاداً مني بأنني أستطيع كسب الثعلب الكبير عن طريق التردد الى الثعلب الصغير .

وحدث مرة ان جاء حسن الى الناصرية لينقل إحدى رسائل والده المعنادة عن حسن نواياه . وفي الوقت نفسه وصلي تقرير من سوق الشيوخ يقول ان سفينة كانت في طريقها من البصرة الى شطرا محلة بالبضائع هربت في بدعه ، فأطلقت عليها النار من مكان قريب من قرية بدر ، فقتل نصف عسده بجاراتها واستولى بدر على السفينة وعلى البضاعة . وأرسلت في طلب حسين على الفور فتظاهر بأنه لا يعرف شيئاً عن الحادث وأقسم ان قبيلة البوشما هي التي قد تكون ارتكبت هذا الجرم وليس رجال قبيلة البو صالح .

وساورتني ظنون بأن حسن يعرف كل شيء عن الحادث وان والده أرسله إلي من قبيل ذر الرماد في العيون ، ولكي تكون له حجة أن يقول عندما يكتشف الأمر : كيف أتجراً على ارتكاب مثل هذه الجريمة البشعة وولدي حبيبي فلذة كبدي كان في الناصرية وقت الحادث يؤكد النوايا الحسنة لممثل الحكومة البريطانية ؟ كيف يمكنني أن أعرض سلامة ابني الأكبر للخطر بهذا الشكل ؟

الحداغ والاحتياك كانا من الوسائل الشائعة في تلك الأيام فكان على المرء ان يمارسها . لذلك وضعت حسن في السجن . وبعد ان قضى أسبوعاً كاملاً في السجن جاءني تأمر بك السعدون بصحبه الحجي حسن حمداني من سوق الشيوخ وقوسلا إلي أن أطلق سراح حسن على ان يعدني بشرفه ان لا يفادر الناصرية إلا بأذن مني . وأشار الى ان حسن هو ابن شيخ كبير ، وتحقيره بوضعه في

السجن يشبه أساليب الأتراك ، التي لا يمكن ، لا مخرج الله ، انت ثلجاً إليهم
الحكومة المعظمة . واشترك معها في الاحتجاج ضاري بك الفهد السعدون
فأقنعوني بإطلاق سراح حسن .

وأرسلت في طلب حسن ، فبينت ان اصدقاءه فوسطوا لدي بشأنه ، واني
سأطلق سراحه اذا اعطاني كلام شرف انه لا يفادر المدينة بدون اذن مني ، على
ان يقيم في منزل ضاري بك . فوافق حسن دون تردد واسرع ضاري الى كفاله
بمبلغ ٥٠٠ روبية .

وهرب حسن بعد يومين

وأخذت أساءل في نفسي الى أي مدى يقف بدر وراء زيارة اصدقائي
الثلاثة ، وما اذا كان ضاري قد دبر الأمر بأن أخذ المبلغ من حسن قبل ان
يفلت من يده لأن ضاري جاء ودفع المبلغ فوراً وهو يشتم ذلك الكلب القذر ،
الذي كذب عليه . ولن أسوء الظن بضاري لأنه انتقل الى رحمة الله وكان رجلاً
طيباً وحديقاً مخلصاً للإنكليز .

ولم يكن هذا الكحل مرض مع بدر الرميض بشأن الاستيلاء على السفينة
إلا قصف مفاجيء لقريته وبرجه الحربي . فكان لا بد لي من طلب مساعدة
الجيش لأن بدر وقبيلته بلغوا حداً كبيراً من العناد وإيواء كل مجرم فار من وجه
العدالة .

وساعد السير ارنولد ويلسون في بغداد على ترتيب الأمر مع قائد الجيش .
وفي ٢٦ شباط سنة ١٩١٩ هاجمت فرقة من الناصرية قرية بدر واحتلتها
وأحرقت مزرعاته . ولكن المعجوز الشرير أفلت من بين أصابعنا بالرغم من
سد كل الطرقات في وجهه من جهة شطرا ومن جهة العمارة وقد قام بهذه العمليات
جنود من الجيش والشباب بقيادة الكابتن برترام توماس مساعد الضابط السياسي
في شطرا والميجر روبرت مارش الضابط السياسي في العمارة .
وتمكن بدر من الفرار الى داخل الاهوار حيث قيل انه أخذ يستعد لإثارة

المتاعب بشن هجمات باتجاه الغراف حيث الأرض مكشوفة . وكانت لديه ، بالإضافة الى رجال الاهوار ، قوة متحركة قوامها اربعمائة خيال ، يستطيع معها وبنفوذه الذي لا شك فيه ان يشير كثيراً من المتاعب .

وبعد احتلال منزله وقريته وارضه تقرر بناء حصن هناك تقيم فيه كنيبة من المتطوعين . وزيادة في الحذر تقرر الاحتفاظ بقوة عسكرية في المكان ربنا يتم البناء الذي انجز بسرعة باشراف الكابتن ديتشورن مساعد الضابط السياسي في سوق الشيوخ . وبقيت نجماً بجوار قرية بدر مع قائد الجيش الذي استخدم مجلس بدر ذا الاعمدة السبعة كمكتب وكغرفة للاجتماع .

وبعد عشرة أيام من احتلال قريته بعث بدر برسالة شفوية يقول فيها انه على استعداد لأن يستسلم لقائد الجيش ولكنه ، تمهيداً لذلك ، يرغب في مقابلة الضابط السياسي المرافق للجيش - أنا - لكي يستطلع منه رغبات الحكومة ويقف على شروط الاستسلام .

وبعثت له بجواب شفوي أبدت فيه استعدادي لمقابلته في أي وقت يشاء وفي أي مكان يختار ، وأبلغته انه إذا كان بإمكانه الحضور لبحث الأمور فإن قائد الجيش يضمن حياته وعودته سالماً بعد المقابلة . وبعث له الحجي حسن حمداني أيضاً رسالة مقنعة .

وبعد يومين أرسل بدر رسالة باللغة العربية يقول فيها انه يريد مني ان أقيم خيمة في وسط سهل واسع مكشوف يبعد ثلاثة أميال عن قريته بالقرب من شجرة تقف وحدها في ذلك السهل . وقال ان الاجتماع سيتم هناك بشرط أن أصطحب معي رجلين فقط وان نكون نحن الثلاثة غير مسلحين . اما من جهته فقال انه سيحضر مع ولديه وبدون سلاح أيضاً . فإذا وافقت على اقتراحه فإن أنسب وقت للاجتماع هو ظهر اليوم التالي .

ووافقت انا وقائد الجيش على الاقتراح وأمرنا بإقامة الخيمة في المكان المحدد . وفي صباح اليوم التالي بينما كنت أحضر نفسي وأناهب للخروج الى الاجتماع زارني في خيمتي حزام بك المشاري السعدون قائد خيالة المنتفق ، وفهد بك

السلطان السعدون وأخذوا يفنغانني بأن لا أخرج الى الاجتماع بدون قوة ترافقني وقالوا إنها يعرفان بدر وفظاظته أكثر مني . وعندما اصطدما بعنادي لأنني كنت قد أعطيت كلمتي ، ألقا عليّ ان أصحابها معي او على الأقل ان نخشى قوة بجوار مكان الاجتماع لئلا يقدم بدر على اختطافي . وقالوا بالحرف الواحد : ان بدر لا يتورع عن ارتكاب أفظع الجرائم ويعرف كل حيلة .. لا تذهب وحداك .. نرجوك .

وأخبرت هذين الصديقين انه لم يعد بالامكان تغيير الخطة . وتوجهت بمسند ذلك الى مكان الاجتماع برفقة الكابتين ديتشورن وحسن حمداني ، وكنا نحن الثلاثة غير مسلحين . واعترف أنه بعد تحذيرات حزام بك وفهد بك ، وكلاهما مترن يدرك الأمور ، تسرب القلق والخوف إلى نفسي .

ووصلنا الى الحيمة قبل الوقت المحدد بربع ساعة . ولم يكن هناك ، وعلى مد النظر ، أثر لأي مخلوق . ولم نشاهد إلا السراب الذي خدع رؤيتنا فتوهنا أن هناك بركة واسعة من الماء فيها أشجار باسقة من الشمال الشرقي ، وهي الجهة التي كنا نتوقع قدوم بدر الرميض منها . وكنا نعرف طبعاً انه لا وجود للماء وان الأشجار الباسقة ليست إلا شجيرات لا يزيد ارتفاع الواحدة منها على قدمين . وكانت الشمس محرقة فدخلنا الى الحيمة بعد أن ربطنا الخيول بحبالها . وقد أحضرت معي بساطاً فكان لنا ما نجلس عليه . ومر الظهر وأصبحت الساعة الواحدة ولم يظهر بدر .

وبدأ الشك يتسرب الى نفسي وظننت أننا سنذهب ضحية خدعة . ولاحظت ان الحجي حسن حمداني بدا قلقاً مضطرباً ولكنه كان يستجير بالصبر ويعمل نفسه بأن بدر لا يعرف شيئاً عن الوقت وضبط المواعيد . وأخيراً عندما بلغت الساعة الثالثة بعد الظهر رأيت حركة غريبة وسط سراب بعيد . وبدأت تلك الحركة وكأنها تلة مخروطية الشكل تسير نحونا بالقلوب . وأخذت أراقب هذا المشهد بمنظاري فقررت انه عمود من الغبار يسير بسرعة مذهلة ويتجه نحونا . وأخيراً عرفنا الحقيقة ، فقد خرج من وسط السراب حوالي ٢٠٠ خيـال

أطلقوا العنان لحبوسهم باتجاهنا . وأخذنا نراقبهم وهم يفتربون منا حتى وصلوا
وكانوا جميعهم مسلحين . وكان على رأسهم رجل يدعى القوام ذو لحية حمراء
طويلة . ونوقف هؤلاء الرجال على بعد ٢٠ ياردة منا . وبخفة ترجل قائدهم واتجه
نحونا وهو يبشيم .

هذا إذن هو بدر الرميض العجوز المتحني الظهر الذي يبلغ من العمر
٨٠ عاماً !

لقد صعقت عندما وجدته رجلاً أنيقاً يبلغ طوله حوالي ستة أقدام وعلى
رأسه عقال محلي بالذهب وعلى جنبه سيف طويل مذهب الغمد . وفي يده
اليسرى كان يحمل بندقيّة « موزر » وعلى صدره قنطاطح أحزمة الذخيرة .
وكانت مشبته قدل على حيويته وعلى أنه شاب حذر في مستقبل العمر . ولم يكن
شيء يدل على كبر سنه سوى تلك اللحية الطويلة التي تمتد الى خصره . ولم
أعرف عربياً في حياتي له مثل تلك اللحية . وكان لونها أحمر برتقالي مما يدل على
أنها صبغت بالحنة . وكان بدر الوحيد الذي يرتدي عباءة بين رجاله الذين اكتفوا
بلبس الدشاديش التي تزينها أحزمة الذخيرة مما يدل أنهم متجهون للحرب أكثر
منه للسلم .

وبخطى ثابتة ، تقدم بدر نحونا وبصحبه ابنه الأكبر حسن وابنه الأصغر
حميدي الذي يبلغ من العمر ثمان سنوات . وعندما وصل اليّ أخذني بين ذراعيه
وقبلي على الوجنتين وقال بصوت عال وهو يضحك : السلام عليكم . وبعد ذلك
صافح الكابتن ديتشورن والحجي حسن ، بينما ظل رجاله يراقبون ما يجري من
مسافة قليلة .

ويمكن لأي واحد ان يتصور مشاعري في تلك اللحظة فقد كنت متوتراً
لأنني بقيت انتظر كل هذه المدة ، وكنت في نفس الوقت خائفاً من أن اكون قد
وقعت فريسة لخدعة وضعتني تحت رحمة الرجل . ولكن فوق كل ذلك كنت
غاضباً لأن الثعلب المحتال نكث بوعده .

وسألته حائفاً عن السبب الذي دفعه الى المجيء مسلحاً مع هذا العدد الضخم

من الرجال بينما كان الشرط ان يأتي مثلي وحيداً أعزل . واخذت أكيل له الاتهامات . ولا أدري لماذا فعلت ذلك ولكن ربما شعرت بدون وعي ان الهجوم هو الفرصة الأخيرة .

وكان بدر يسمع ما أقول بصبر وطول أناة . وضحك ضحكة عريضة وفعل شيئاً عجباً لم أعهد به أي عربي من قبل .
وسألني : هل انتهيت ؟

وأخذني من يدي وقادني الى الخيمة فأجلسني وجلس قبالي . وفجأة أمسكتي من رقبتي بكلتا يديه وطبع قبلة على فمي وقال : والله انت رجل .. والله أحبك . وبعد ذلك أمر احد رجاله ان يبتعد ببقية الرجال الى مسافة ٢٠٠ ياردة وقال له : دكسان لا يجب ان يرى رجالاً مسلحين ويقول انه كان ينبغي ان احضر بمفردي معه .

أما وقد انكسر الجليد ، فقد بدأ الحجي حسن حمداني الحديث . فأخذ ، بلباقته المعهودة ، يهدي من روعي ويطيب خاطري . وقد حذا بدر حذوه فأضفى على الجلسة طابعا من المرح والانشراح . ولم يمض وقت طويل حتى كنا كلنا نقمقه ونحكي الحكايات ، ولكن ليس قبل ان يضعني بدر مرة أخرى ويقبلني على شفتي ورجنتي ويقسم ألف إيمان انه يحبني . كان اجتماعاً غريباً حقاً .

وشعرت أنني أقوى موقعاً عندما بدأ الحديث الجدي . فشرحت لبدر انه هو كان السبب في المتاعب التي وقعت بينه وبين الحكومة . وذكرته بالجهود التي بذلتها طيلة السنوات الاربع السابقة محاولاً اقناعه بأن يقدم خضوعه ، وبالرسائل الودية الكثيرة التي أرسلتها اليها عارضاً عليه الأمان بشرفي وبوجهي . وأبلغته أن الحكومة لا تريد منه شيئاً سوى القيام بخضوع شكلي ، وأنه اذا كان يود أن يذهب معي ذلك المساء ليسلم على قائد الجيش ويقدم خضوعه له ، فإنني أضمن عودته سالماً الى رجاله ومرافقيه .

لقد نال الرجل جزاءه فأحرق منزله ودمرت محاصيله . وكنت أعرف انه عندما تمرود العلاقات طيبة ، فان الحكومة ستكون سديدة بالتخلص منه ،

الأمر الذي يحقق وعودي .

وفي الواقع كنت على استعداد لأن أفعل أي شيء من شأنه أن يجعل الحكومة على العفو عن بدر ونسيان الماضي ، لأنني كنت اعتقد أنني أعرف الأسباب التي جعلته يتصرف بتلك الطريقة تجاه الانكليز .

وعندما لاحظت أن بدر تردد برهة عرضت عليه ان أبقى مع رجاله كرهينة ، ويذهب هو مع الكابتن ديتشبورن والحجي حسن الى قائد الجيش في النجف ، ولكنه رفض ذلك ووعده انه اذا قابلته في المكان ذاته في صباح اليوم التالي فيذهب معي الى قائد الجيش ويعلن استسلامه له دون قيد او شرط . وحرصاً مني على الفوز بتقدير السيد ارنولد ويلسون ، وافقت على الاقتراح . وافترقنا عند هذا الحد بعد أن تعانقنا فذهب بدر ورجاله في طريقهم وعدت أنا مع ديتشبورن والحجي حسن الى النجف .

وبعد أن ابلغت القائد بكل ما حدث عدت الى خيمتي وأنا واثق بأن كل شيء سينتهي في الصباح التالي . ولكنني في ساعة متأخرة من الليل تلقيت رسالة ودية قصيرة من بدر يقول فيها انه مسرور جداً لأنه قابلني ، وأكد انه سيظل يحبني الى الأبد . وطلب في الرسالة أن أرسل له كتاب الامان فوراً لكي يحضر بوجبه الى الناصرية ويعلن خضوعه هناك . وأرسلت له الوثيقة التي طلبها باكراً في الصباح يوم ١٢ آذار سنة ١٩١٩ .

ولم أر وجه بدر الرميض منذ ذلك الوقت . وعلمت في وقت لاحق انه عندما تسلم رسالتي ركب حصانه وانطلق الى أرض بني سعيد . أما ماذا أفعله في الامر فسيبقى لغزاً من الالغاز . وربما كان ذلك لأنه أحس بتحركات نوماس من شطرا ومناورات مارس ليقطع عليه الطريق من العمارة .

كان بدر الرميض ، بين جميع العرب الذين قابلتهم ، أغربهم واكثرهم لغناً للنظر . واعتقد ان الكابتن ديتشبورن وأنا الانكليزيان الوحيدان اللذان قابلهما بدر في حياته . ولا أظن انه قابل أحداً من أبناء بلادي بعد ذلك . وبعد أربع وعشرين عاماً زارني ابنه الأصغر حميدي في الكويت واخبرني ان والده توفي منذ

ر من بعيد ، وطلب مني أن أساعده في جمع مبلغ من المال ليقدمه مهرأ لفتاة يريد
ان يتزوجها . وساعدته إكراماً للأيام الماضية .

بَيْتُهُ

وفي يوم شديد الحرارة من أيام صيف سنة ١٩١٩ عدت إلى بيت الحكومة
من مهمة قمت بها بإكرأ خارج المنزل . وبعد أن تناولت طعام الافطار في الطابق
العلوي نزلت مكنتي في الطابق السفلي الكائن في الجهة الباردة من الباحة
الرئيسية . وبسبب حرارة الشمس ووجهها كنت احتفظ بغرفة المكتب مظلمة
بواسطة حاجز من الخيزران على الباب . أما النافذتان فكانتا مسدودتين
بشجيرات العقول الخضراء ينساب فوقها الماء بصورة متقطعة لكي يحفظ جو
الغرفة بارداً . ولم يكن قد حضر أحد من الكتاب ساعة وصلت .

ولأنني دخلت من مكان يشتد فيه نور الشمس الى مكان مظلم لم أعد أرى
شيئاً على الاطلاق وجلت وراء مكنتي انتظر فترة يمتد فيها بصري على ضوء
الغرفة الخافت . وبعد مضي ثلاث دقائق أحست بيدين تمسكاني من ركبتي
فقفزت مذهولاً . وتطلعت تحت المنضدة فتبينت شكل امرأة تحاول تغطية
وجهها ورأسها بعباءتها . فأخرجتها من مكانها ورأيت أنها فتاة في مقتبل العمر
ترتعد من الخوف حتى خانها النطق . وظلت ترحف ملتصقة بمقعدي وأنا أحاول
ان أطمئنها بكل العبارات الودية التي أعرفها . وطلبت منها أن لا تخاف شيئاً
وان تخبرني ماذا جاءت تفعل في مكنتي . وأخبرتني بصوت متقطع مرتجف
وهي تبكي ان اسمها بفيته وانها من قبيلة الغزي التي يرأسها الشيخ منشد الحبيب
وهو رجل أعرفه جيداً وكانت له سمعة عظيمة بين شيوخ المنتفق . وقالت لي
انها لجأت الى مكنتي لأنها تخاف ان يقتلوه .

وبمكنت في هذه الاثناء ان أتميز وجهها فوجدتها فتاة جميلة تبلغ من العمر
حوالي ستة عشر ربيعاً . ولاحظت أيضاً ان بشرتها ناعمة البياض نكسوها
آثر خفيفة من الجدري . وعندما تطلعت إليّ برجه عليه علامات الرعب

وبعينين واسمتين تنساب منها الدموع ، تحركت مشاعري وعواطفى بصورة غريبة لأننى كنت أعلم انه لا بد من أن يكون الأمر بالغ الخطورة حتى رمت نفسها على هذه الصورة طالبة الحماية .

وأخذت أفتنها شيئاً فشيئاً ان تقص على قصتها . فعلمت ان أهلها يعيشون في بئنا وهي قرية على الفرات تبعد عشرين ميلاً عن الناصرية . وظلت بنته تعيش سعيدة مع والدها في خيمتهم السوداء الى أن أبلغت أنها ستتزوج ابن عمها ، وان الزفاف سيتم عندما يهل القمر . وتزل عليها هذا النبأ نزول الصاعقة لأنها كانت تحب شاباً آخر من القبيلة وكان يبادلها الحب . وبنفس كثيفة أخبرت فتاها ان والدها سيزوجها الى ابن عمها عندما يهل القمر ولذلك جاءت تطلب نصيحته ومساعدته . وأخبرته أنها تفضل الموت على أن تتزوج أحداً سواه . وتلقى الفتى هذه الأخبار بهدوء ولكنه غضب في قرارة نفسه ووضع الشر نصب عينيه . وأبلغ بنيه انه يجب ان يفكر بخطة ما على أن يفضي إليها بتفاصيلها بعد ثلاثة أيام . واتفقا على أن يلتقيا على ضفة النهر حيث اعتادت بنيه ان تحضر الماء وقت الظهر . . وهناك سيخبرها كل شيء .

وأضت بنيت ثلاثة أيام طويلة في حيرة وياس . ما هي فرص النجاح أمام حبيبها؟ وأي أمل لها أن تنجو من الزواج الذي هياه والدها؟ وفضلاً عن ذلك، ان لابن عمها ، بموجب العادات العربية ، الحق في أن يتزوجها ولا تستطيع ان تتزوج شخصاً آخر إلا إذا صبح هو بذلك . وكانت تعلم أنها إذا تزوجت شخصاً آخر بالرغم من إرادة الجميع ، يهدر دمها ويمحق لابن عمها قتلها مسحاً للعار . فرصتها الوحيدة – ونجاحها ضئيل – هي أن تهرب مع حبيبها الى مكان بعيد عن أهلها وعشيرتها وتقطع كل أمل في رؤيتهم ثانية . وإذا هربا فإنها سيطاردان والويل لها إذا وقعا في أيدي المطاردين. فقوانين العشائر لا ترحم في مثل هذه الحالات .

وبعد ثلاثة أيام حضرت في الموعد المحدد على شاطئ النهر . وكانت هنالك عدة نساء ينقلن الماء ولكن حبيبها تمكن أن يكلها وهي عائدة . كانت لديه

خطة واحدة وهي أن يهربا تلك الليلة بالذات . وقال انه سيأتي إلى وراء خيمتها بعد منتصف الليل ومعه فرس سريعة . وعندما يطلق ثلاثه أصوات تشبه أصوات ابن آوى ، فتسل هي من الخيمة وتنضم إليه على ظهر الفرس ، وينطلقان بها إلى سوق الشيوخ ويلجآن إلى قبائل المجرة حيث يقروجان . وإذا لم يجدا أماذا هناك ينتقلان إلى البصرة .

إنها نفس القصة القديمة قدم الانسان ، فكانت بنيه يواجه اختياراً قاسياً بين الحرب والمطاردة وربما الموت ، وبين التخلي عن حبيبها والقبول بما أعده الوالدان . وبسرعة الرأي الممهودة في الفتيات العربيات ، قررت بنيه أن يهرب تلك الليلة حسب الخطة . إنها مغامرة عقوبتها الموت ونتيجة نجاحها السعادة . كانت تعرف كل شيء ولكن ماذا ؟ إنها كغيرها من بنات القبائل ولدت لتغامر وخاصة إذا كانت سعادتها في الميزان .

وافترقا ليعدا للهروب : هي لتجمع حوانجها وهو ليعد فرسه وسلاحه . وجمعت بنيه ما تحتاج إليه من أمتعة دون ان تلتفت للنظر ، أما الفتي فقد نظف مسدسه وخنجره لأنه لم يكن يريد أن يعرف نفسه ببندقية ، ولم ينس أن يطعم فرسه وجبة إضافية ويحملها كيساً من الحبوب ليطعمها إياه في الطريق . وجاء منتصف الليل فتسلت بنيه من مؤخرة الخيمة عندما سمعت أصوات ابن آوى . وهرب الحبيبان بصمت دون أن يراهما أحد واتجها نحو حزام أشجار النخيل قبالة الناصرية .

ولكن نباح كلب أيقظ أهلها النائمين . ولم يطلع الفجر إلا وكانت فريقي من الحباله بطارد الحبيبين الفارين وأصبح على قارب قوسين أو أدنى منها .

وكانت أمامها مسافة ثلاثة أميال يجب أن يقطعها بسرعة فائقة ، لأن أهلها الوحيد بالنجاة هو الوصول إلى بساتين النخيل قبل مطاردتها . وهناك يتركان الفرس ويكسبان بعض الوقت في الاختفاء بين الأبنية المتشعبة حتى يتمكنوا من الوصول إلى ضفة النهر قبالة الناصرية ، فيعبران النهر بعد حلول الظلام ويلجآن إلى المدينة .

ونجحت الخطة وسار كل شيء على ما يرام الى أن بلغا ضفة النهر . ولاحق
لها فرصة النجاة مع أنها كنا نسمعان أصوات الباحثين عنها ، فأيقنا ان البحث
لا يزال جارياً بكل قوة وإصرار ، فقد اكتشفت آثار أقدامها في الأقبية ،
وأصبحت المسألة مسألة وقت فقط . وكانت فرصتها الوحيدة أن يتجنبها الوقوع
في أيدي مطارديها قبل حلول الظلام ، ولذلك اتجها على شاطئ النهر الى أن
وصلا الى مكان كثيف الأشجار قبالة الحى الصابني من المدينة ، واختبأ هناك .
وغابت الشمس وبدأ الليل يرخي سدوله وشعرت بنيه بسعادة غريبة .
ولكن سرعان ما خاب أملها دفعة واحدة . فقد فكر الشاب أن بنيه تعيقه ،
وأنه معها قد لا يستطيع الفرار والنجاة . فأخبرها فجأة أنه سيمر كذا ويهرب
بفردة قائلاً أنه لا فائدة أن يقتلا كلأما في الوقت الذي يستطيع فيه الهرب إلى
سوق الشيوخ ومن هناك الى البصرة عن طريق بحيرة الحمار . ولم يعط بنيه فرصة
لتناقشه او لتتوسل إليه ، بسبل أدار ظهره واختفى في الظلام تاركاً المسكينة
لحظها التعس . أليست الحياة لذيدة ؟ فلماذا يفقدها من أجل امرأة ؟

وانهارت بنيه عندما ابلغتني هذا القسط من حكايتها وغصت بدموعها وهي
تقلند وكان قلبها قد تمزق . وبعد ان هدأ روعها أخذت تصف لي كيف فضت
الليل بطوله بين الأشجار ، وكيف أنها تمكنت عند الفجر من العبور الى الحى
الصابني من المدينة حيث امتدلت على بيت الحكومة ، لأنه قيل لها ان الانكليز
قوم في غاية اللطف ، وأن دكان يستطيع ان يحميها . وعندما وصلت الى
منزلي سألت عن الحاكم السياسي فأدخلها الحاجب الى الدار . ولما رآها الحاجب
كثيرة عطف عليها وطلب منها أن تجلس وراء الحاجز المخصص للنساء اللواتي
يأتين لتقديم الشكاوى ، وتنتظر حتى يأتي صاحب . وظلت خائفة ان يقدمها
المطاردون الى بيت الحكومة ويختطفوها من هناك . فلما أدار الحاجب ظهره
انسلت من مكانها ودخلت الى مكنتي حيث اختبأت تحت المنضدة .

وعندما طلبت من الحاجب أن يحضر دهش عندما رأى الفتاة في مكنتي ،
لأنه لما بحث عنها فلم يجدها حيث أوصاها ان تنتظر ، ظن أنها ذهبت لتعود فيها

بعد . واخبرته انها فتاة من القبائل لجأت الى غرفتي خوفاً على حياتها ، وانت عليه أن يسكنها مع عائلة السائمين إلى أن أثبت في قضيتها .

ولم أكد انهي كلامي ، ونبيه لا تزال أمامي ، حتى دخل حاجب آخر يعلن وصول الشيخ منشد الحبيب في مهمة عاجلة .

وارتعدت الفتاة من الخوف عندما سمعت ذلك . ولكنني أدخلتها بسرعة غرفة داخلية كنت احتفظ فيها بأوراق السرية واغلق الباب ، وأمرت بالسباح للشيخ منشد بالدخول .

و كنت أحب منشد أكثر من غيره من الشيوخ لأنه ذو اخلاق عالية ، ويتناول القضايا المعقدة بكثير من الكياسة والحكمة والتعقل . وبعد التحقيقات المعتادة وشرب القهوة دخل منشد في الموضوع ، وأخذ يقص علي كيف ان فتاة من قبيلته هربت من منزل ذويها في الليلة السابقة بعد ان خدعها شاب طائش ، وان رجال القبيلة طاردوها فأمسكوا بالشاب بين أشجار النخيل اما الفتاة فتد عبرت النهر وهربت الى المدينة ، ويعتقد انها لجأت الى منزلي . وطلب مني بلطف ان اسلم الفتاة اذا كانت لا تزال عندي بصفته شيخ قبيلة الغزي . وقال إنسه سيحتفظ بها بين نسائه الى ان يستطيع تسليمها بأمان الى والدها . وأكد لي أنه لن يدع ان يلحق بالفتاة اي أذى نظراً لأنها غرر بها ولا تتحمل تبعه هربها . وكان يتكلم بدون أي انفعال وبلهجة تدعو الى الارتياح والاقناع ، ومع ذلك ظلت تساورني الشكوك .

وجواباً على كلامه ، اعرفت له ان بليه جاءت الي في الصباح ، وطلبت منه ان يقسم بشرفه ان الفتاة لن تعاقب اذا ما سلمتها اليه . وقلنا منشد وتردد ، عندئذ اقترحت ان نسأل الفتاة ما اذا كانت ترضى ان تضع نفسها في عهده ، فوافق في الحال . ودخلت الى الغرفة حيث توجد بنيه واغلق الباب وراني . وأمكت الفتاة المسكينة بيدي وشدت عليها . وهمت في أدني وهي تبكي ، انه اذا سلمتها له فمعنى ذلك موت محتم .

وأخذت تتوكل الي قائلة : لا تصدق منشد . . ولا يغرنك لسانه الطلق .

انه يريد ان يأخذني من بين يديك ومن حماية الحكومة وبعدئذ يسلمني الى ابن عمي لينتقم مني .

و كنت أعرف معنى ذلك كله ، فاقننت الفتاة الى مكثي وقلت لها :
- يا بني ، ان شيخك منشد قد جاء ليعيدك الى القبيلة . وقد وعدني انه سيحتفظ بك بين نسائه الى ان يحل القضية مع والدك واخوتك . وأخبرني انه يغار على مصلحتك ، فاقترحت عليه أن يسألك بنفسه لأن الكلمة الاخيرة هي لك وحدك ولن يحريك أحد ان تفعل شيئاً ضد إرادتك .

ولاذت الفتاة المذمورة بالصمت ولكنها قعدت على الأرض بيني وبين منشد الذي أخذ يخاطبها بلهجة رقيقة تم عن كثير من الاحترام . وسألها ما إذا كانت تريد أن ترافقه الى منزله ، وان لا تخشى شيئاً لأن سلامتها مضمونة عنده . وقال لها انها ستعيش سعيدة مع عائلته .. أما في الناصرية ماذا سيحل بها ؟ فالحكومة لن تحميها الى الأبد وحتى دكان لا يستطيع إيواءها الى أبعد الدهر .

ومضت عدة دقائق قبل أن ترد عليه بنده وأخيراً قالت له : لا أقدر .. لا أجرو أن أعود معك يا منشد .

وهناك أجهشت بالبكاء وهي تقول : أنت تعرف قوانين العشائر .. انها لا تغفر لفتاة خاطئة مثلي .. وأنت تعرف جيداً انك ستسلمني عندما يطلبني والدي واخوتي منك .. أخاف أن أموت .. فأنا ما زلت في مستقبل العمر .

وقلت لها عندئذ : يا بني ، لا تخافي أبداً . لن يسلك أحد رغم إرادتك لأنك الآن في ذمة الحكومة ولكن هنالك سؤالاً أود ان أسألك إياه بحضور شيخك . هل حدث شيء مخجل بينك وبين الفتى قبل أو بعد هروبكما ؟ سألتك بالله ان تجيبي بصراحة وتخبريني الحقيقة .

ولم تكذب بنده نسمع هذا الكلام حتى انتفضت ورفعت رأسها ووجهها المبلل بالدموع وأجابت بصراحة قائلة : الست أنا من بنات قبيلة الغزي ؟ كيف أسمح بأن يحدث مثل هذا الشيء ؛ يشهد الله انني لم أرتكب خطأ .

وصدقتها .

وقلت لمنشد : أرايت الحقيقة بعينك . لقد كنت أرغب أن تسمع من فمها أن شرفها وشرف بيتها لم يذنسا . ولكنها لا ترغب في العودة معك . وهز منشد كنتبه واخذ يتم أشياء لم أفهمها عن « عتل الحرمة » . ووعده انني سأرسل في طلبه إذا استطعت أن أقنع بنيه بتغيير رأيها ، وأنها في هذه الأثناء ستكون في عهدة نساء من المدينة . وردعني منشد متردداً وأعتقد أنه لم يكن مرتاحاً . أما بنيه فلم تغير رأيها أبداً . وفي احاديثي معها كانت تردد على مسامعي كل مرة انني إذا اعدتها الى منشد فإنها ستذبح كالنعجة يهدوه . وقالت لي أنها لن تغادر الناصرية أبداً من اليوم فصاعداً لأنها ستكون تحت المراقبة .

ولكي أجد حلاً عادلاً لقضيتها ، أخذت أستشير بعض وجهاء الناصرية ، عما يحدث لفتاة في مثل وضع بنيه ، ولكن دون أن أذكر بنيه بالذات . وأكد لي الجميع أنها تقتل . هذا ، بالإضافة إلى انني لم أستطع الحصول على جواب مقنع من منشد أو من رجال قبيلة الغزي عما حدث للشاب الذي فرت بنيه معه ، مما دفعني الى التمسك بعدم إعادة الفتاة الى شيخ قبيلتها .

وفي بحثي عن حل لقضيتها ، توجهت لاستشارة ضاري بك الفهد السعدون ، وأخبرته القصة كاملة . وأشار ضاري بك أن الأمل الوحيد للفتاة هي أن تزوج من مواطن محترم من أهل المدينة . ورأيه أنها إذا تزوجت واستقرت في المدينة ، فإن أهلها سيكونون عن ملاحظتها وقد يغفرون لها خاصة إذا استرضام زوجها يبلغ من المال كنعويض لابن عمها الذي يعتبر أن شرفه قد طعن .

ووافقت بنيه على هذا الرأي ، وعملت أنا بموجب نصيحة ضاري بك . وبعد عدة أيام وجدت رجلاً محترماً يدير مقهى على مسافة من منزلي ، وافق ان يتزوج بنيه . وتم عقد القران يهدوه وكان زواجاً سعيداً . واحتفاء بهذا الحدث السعيد تبرعت للعريس بمبلغ ٦٠٠ روبية على ان تدفع الى ابن عم العروس . ما أنعب هؤلاء القوم !

فتاة صويج الكردية

وهنا قصة مشابهة ولكن نهايتها مؤسفة .

الصويج قرية صغيرة تقع بين الناصرية وشطرا على بعد ٢٠ ميلاً تقريباً . ولأنها تقع في منتصف الطريق فقد كانت مكاناً ملائماً ليقضي فيه المرء ليلته إذا كان يقوم برحلة طويلة على ظهر الخيل . وقبل أن يصبح بإمكان السيارات أن تصل إلى شطرا ، اعتدت أن أتوجه إلى الصويج بعد الظهر فأقضي الليل عند الحجي شعبان ، وفي الصباح الباكر استأنف السير إلى شطرا .

والحجي شعبان رجل كردي متقدم في السن استقر في الصويج قبل عدة سنوات ويعيش على الاعتناء بالمسافرين وعلى بيع الأرز والسجائر والحاجات الأخرى التي يستحضرها من المدينة ، إلى قبائل عبوده وخفاجه . وبالإضافة إلى ذلك كان يدبر « شاخانه » (أي مقهى يسقى فيه الشاي) وكانت عائلته تقيم وراء الحائوت . وكانوا يستقبلونني وكأنني واحد منهم ، فلم يعاملوني قط كأي مسافر غابر .

وتتألف عائلة الحجي شعبان من ربة بيت أنيقة ، وابنة يافعة جميلة تبلغ من العمر اثنين وعشرين عاماً . وللحجي شعبان ابن آخر في كردستان البعيدة لم أقابله قط .

كنت دائماً أتوق إلى البقاء مع هذه العائلة المتواضعة ، لأنني كنت أعامل كفرد منها حالماً أصل . وكانت الأم والابنة تجلسان معي سافرتين وتشتركان في الأحاديث المتنوعة . وكان الحجي شعبان مضيفاً كريماً بشوشاً ، بحث زوجته دائماً أن تقدم لي أفخر الأكل عندما كنت أمر في جولة تفتيشية مرة كل أسبوعين . ولم أكن أهتم بإحضار فراشي معي لأن زوجة الحجي شعبان كانت تقدم لي أنظف الشراشف في الصيف ، ولطافاً دافئاً في الشتاء . وكانت ذلك يتناسبني لأنه يسهل سفري في أية لحظة .

وكنت أقضي أمسيات ممتعة مع العائلة تشكل أجمل واسعد ذكرياتي في الفترة التي كنت فيها ضابطاً سياسياً في المنتفق .

كان أهل القرية ورجال القبائل المجاورة يكتنون للحجبي شعبان احتراماً كبيراً ممزوجاً بالخوف منه لكونه كردياً . أما الحجبي شعبان فكان يعيش لعمله وللحفاظ على شرفه وسمعته بين جيرانه العرب . وأحياناً كان مملاً لكثرة ما يتحدث عن هذا الموضوع .

وكان حسون يساعد والده في تجارته فكان يذهب من وقت لآخر إلى شطرا والناصرية لابتساع بضائع جديدة . أما الأم وابنتها فكانتا تهتمان بالشؤون المنزلية ، وتخطيط الملابس في أوقات الفراغ كأبي عائلة انكليزية . إن هذا الجو هو الذي اجتذبني إلى هذه العائلة الكردية الرائعة في أرض غريبة .

وأحبهم إليّ كانت الابنة ، لأنها مزيج من المرح والجدية . وكانت تذكرني بفتاة انكليزية أعرفها . وكلما حللت ضيفاً على العائلة كانت تريدني أن أعلمها أسماء الأشياء باللغة الانكليزية وأن أخبرها عن انكلترا أو لندن .

وفجأة نزلت المأساة كالصاعقة . وأية مأساة ؟ لقد غيرت كثيراً من نظرتي إلى الحياة ، وزرعت في نفسي بذوراً من الانتقام وعلمتني كيف يصبح الشرقيون في لحظة من الزمان مخلوقات كاسرة إذا ما تناهى إليهم أي طعن بشرف نساءهم .

وذاث يوم كنت أصرف أعمالاً كثيرة تراكت عليّ في مكنتي بالناصرية عندما دخل الكاتبون هول مساعدني المسؤول عن خيالة المتفق وأبلغني أن أحد رجاله قدم من صوبج وأخبره أن ابن شعبان أطلق النار على شقيقته في اليوم السابق ، وهي لا تزال ملفاة في الشمس على كومة من القمامة والدماء تنزف من جرحها البالغ بفزارة ، وأن أحداً لم يجرؤ على نجاتها .

وبعد أن حصلت على بعض التفاصيل الأخرى أمرت الكاتبون هول أن يتوجه إلى صوبج على جناح السرعة ، وبأخذ معه الجراح الهندي وعدداً من الرجال مع حمالة ، فاذا وجدوا الفتاة على قيد الحياة فلينقلوها إلى المستشفى ، وامرته أيضاً أن يلقي القبض على الفتي فوراً .

حدث ذلك في الساعة التاسعة صباحاً . وفي الساعة الخامسة مساءً جاءني

الكاتبين حول متعباً ليقول ان الفتاة قد نقلت الى المستشفى الصغير الذي نديره الدائرة السيامية ، وان حسون قد اعتقل وأودع السجن . وأكد حول ان الفتاة ألقيت في الشمس على كومة القمامة مدة لا تقل عن خمس عشرة ساعة قبل أن يخف لإنقاذها . وقال إن الرصاصة مزقت فخذهما الأيمن ، ولكنها لا تزال على قيد الحياة في حالة سيئة . وأخبرني ان والديني المفجوعين طلبا منه أن يرافقه وأنها يجلسان بالقرب من ابنتها . وقال ان الجراح الهندي فعل كل ما في وسعه لتخفيف الآلام المبرحة التي تشعر بها الفتاة .

وكتبت رسالة مقتضبة الى الضابط المسؤول عن المستشفى العسكري في الناصرية طالباً منه أن يزودني بتقرير فوري عن حالة الفتاة . وكنت ممنوناً لهذا الضابط لأنه جاء بنفسه عندما تلقى رسالتي . وقال لي ان جرح الفتاة بالغ وان الغرغرين بدأ يتسرب إليها نظراً لإمالتها مدة طويلة . وقال ان الأمل الوحيد هو بتر الساق كلها ، ولكن حالة الفتاة سيئة بحيث ان عملية من هذا النوع ستودي بحياتها . وأضاف ان الفتاة ليست فاقدة الوعي وتلح في أن تراني بأسرع وقت ممكن . ومع انها لا تزال تحت تأثير المخدر لكنها تستطيع أن تفهم الكلام الموجّه إليها .

وبدون إبطاء صحبت الضابط الى المستشفى الصغير السيء التجهيز على ضوء قنديل خافت لأن الكهرباء لم تكن قد وصلتنا في ذلك الوقت . وكانت غرفة الفتاة تقع في الباحة الخلفية . فاقناني مساعد الجراح إليها ، ولا زلت أذكر انه أخذ يشرح لي ان الرائحة الكريهة التي تنبعث من المستشفى ناشئة عن الغرغرين الذي أصيبت به الفتاة .

ولما دخلت عرفتني على الفور . وكان وجهها الجميل قد تغير ونشوه . فأشارت إليّ ان أجلس بجانبها وطلبت من الطبيب أن يعطيها مزيداً من المخدر . وكانت والدتها منكفئة في زاوية من زوايا الغرفة تذرّف دموعها بصمت . وحققها الطبيب بالمخدر وخرج مع مساعده من الغرفة . وأخذت يد الفتاة بين يديّ وسألتها ما إذا كانت تشعر بألم شديد . فقالت

ان الالم ليس شديداً ، ولكنها كانت تعرف انها ستفارق الحياة ولذلك أرادت أن تطلعي على شيء .

وأخبرتني ان امرأة في القرية ظننت ان الشخص الذي تحب انصرف عنها بسببها ، وبمدافع من الغيرة أخذت تنشر الشائعات عن ابنة الحجي شعبان . وكانت كل تلك الشائعات كاذبة ولكنها كافية لتحمل شقيقها على الانتقام لشرف العائلة . فأخذ بشقيقته وأطلق النار على شقيقته وهي جالسة على الأرض تحيط مع والدها بعض الملابس . فأصابته الرصاصة في فخذهما . ولم يكتف شقيقها بذلك بل جرها الى كومة القمامة خارج المنزل وألقاها هناك . وهدد كل من يقترب منها بإطلاق النار عليه . ولم يكن والدها هناك ليقيدها لأنه كان قد سافر الى شطرا في اليوم السابق .

وقصت علي قصتها ببطء وبصورة متقطعة لأن الالم أخذ يشتد عليها . وكنت أقرب وجهها الحزين على ضوء القنديل الخافت . وكانت الرطوبة تفر من أرض الغرفة وجدرانها ، والرائحة التي تنبعث من جرحها مزككة للأنف . وبعد الجهد الذي بذلته في اطلاعي على قصتها ، ارتعت في السرير منهكة القوى وهي لا تزال تشد على يدي .

وبعد قليل عادت تكلمني ولكن بصوت أشبه بالهمس . فطلبت ، في ان أعدها ان افعل شيئاً من أجلها قبل ان تفارق الحياة . وعندما سألتها عن الشيء الذي يجب ان افعله ، تنهدت بعصبية وطلبت مني أن لا أسألهما قبل ان أعدهما بشرفي .

وما أسمعته لها وأكدت انني سأفعل طلبت مني ان أمد يدي تحت وسادتها وأخرج نسخة من القرآن كانت تحتفظ بها هناك . وأمسكت بيدي ووضعتها على القرآن الكريم وقالت : أقسم بهذا الكتاب المقدس انك ستفي بوعدك . ففعلت .

وعادت الى الكلام بصوت لا يكاد يسمع والدموع تنهمر على وجهها ، وقالت : أريد منك يا دكسان ان تطلق سراح أخي ساعة أفارق الحياة ، لأنه فعل

الذي فعله بدافع من حبه لشقيقته وحرصه على شرفها . وعندما تطلق سراحه اخبره انني طلبت ذلك منك ، وان شقيقته كانت فتاة طيبة لم ترتكب خطأ في حياتها ، وانها ساعدته قبل ان تموت .

وعندما انتهت كلامها دخل الطبيب وطلب مني أن ادع الفتاة لتفريح . ولكنه جاء متأخراً . فقد شعرت بقبضة الفتاة على يدي ترتجى شيئاً فشيئاً وأخذت ترتعش ويهتز جسمها وغابت عن الوعي . وأحنى الطبيب فوقها وجس لبضها .. ثم هز رأسه قائلاً : انتهت .

وأحست الأم بما يجري وكان قلبها دليلها فقفزت من مكانها وحضنت ابنتها وأخذت تصرخ وتولول . وكان منظرًا مريعاً لم أستطع ان اتحملة فتسللت من الغرفة دامي القلب . ودفنت الفتاة تلك الليلة ، لأن الامور تتحرك بسرعة في الشرق !

وكان اليوم التالي يوم الخميس وهو اليوم الذي اعقد فيه مجلسي . وتجمع عدد كبير من الشيوخ ومن اعضاء عائلة آل السعدون وفي مقدمتهم ضاري بك و ابراهيم بك ابن مزعل باشا . وحضر المجلس ايضاً الحجي شعبان وكان حزيناً ولكن مرفوع الرأس .. ولم ينس ببنة شفة . وبعد ان تداولنا بالامور العامة طلبت من الجميع ان يعيروني انتباههم . فاخبرتهم بحادث الصويج وبقصة ابنة الحجي شعبان وكيف طلبت مني ان اعفو عن شقيقها . وعندما انتهت قلت للمجتمعين: هل رأيتم أبشع من هذه الجريمة .. وأقبل من طلب كهذا يطلبه انسان على فراش الموت ؟

ولاذ الجميع بالصمت فترة طويلة . وأخيراً تكلم ضاري بك فقال : يا دكسان .. لا يحدث إلا ما كتبه الله . ان الفتي فعل ما ظن انه واجبه . وليس من الحق ان تعاقبه .

وحزنت لدى سماعي ذلك من ضاري بك ولكنني لم افاجأ . واجبته بقولي: لا تخف .. سأطلق سراحه ولكن ليس بالطريقة التي تفكر بها . وبعد ربع ساعة كان الفتي حسون يقف امامنا مكبل اليدين والرجلين .

وكان وجهه شاحباً كالأموات لا يتم عن أية مشاعر . وأخبرته بهدوء ما حدث في الليلة السابقة أثناء مقابلتي لشقيقته ، وعن طلبها الأخير .
وخاطبته بقولي : يا ابن الحجي شعبان ، وعدني ما في به مع أنك حقيير لا تستحق الشفقة . سأطلق سراحك لأنني أقسمت أن أفعل ذلك ، ولكن إذا سمعت ، بعد ثلاثة أيام ، أنك في أي مكان من لواء المنتفق سأطاردك أينما كنت ، وأصطادك كأبي جبان حقيير على شاكلتك .
وفكت الأغلال من يديه ورجليه فيما بدا عليه الذعر والدهشة ، واندفع خارج الغرفة دون أن ينطق بحرف . وخيم السكون على المجلس فترة طويلة وقطعته بأن طلبت القهوة ثم أعلنت انتهاء الاجتماع .
وكان آخر من غادر المجلس ضاري بك الذي توجه إلي وشد على يدي قائلاً : يا دكان ، اعتقد أنك كنت قاسياً على ابن الحجي شعبان وعلى والده . ربما قد تكون فعلت عين الصواب ولكن يجب أن تتذكر يا دكان أنه لا تحدث إلا الأشياء التي يرتضيها الله . ولنا نحن إلا مجرد أدوات . إنها نصيحة رجل عجوز .
مسيكينة أيتها الفتاة الكبردية . لقد انتهيت أشرف نهاية . وسوف أذكرك ما دمت حياً .

انتقام الحجي ناصر

وفي صيف سنة ١٩١٩ عدت إلى أنكلترا . وهناك علمت من السير بيرسي كوكس أن صديقي الشيخ قاصد الناحي قد قتل على يد عدوه الحجي ناصر العايل . ولم استطع معرفة التفاصيل في ذلك الوقت ، ولكنني عندما عينت وكيلًا سياسيًا في البحرين في خريف تلك السنة ، عرفت كل شيء . من شيوخ وأعيان المنتفق الذين قدموا لزيارتي . إنها قصة حزينة أعادت إلى ذهني كلمات قاصد يوم أحرقنا سوية مضيف الحجي ناصر ، وهي أن ذاكرة العرب طويلة . ويبدو أن الحجي ناصر رتب أرضاعه واستكان لمدة سنتين ، ولكنه لم يغفر لقاصد اشتراكه في حرق مضيفه . فكان ينتظر منادرتي المنتفق حتى يشأ من

قاصد . وكانت قاصد من جهته يضرر الكرامة للحجبي ناصر ولكنه لم يكن بينهما خصام مكشوف .

و ذات يوم دعا الحجبي ناصر الشيخ قاصد الى وليمة احتفالاً ببناء مضيفه الجديد . واركب قاصد الذي لم يتطرق الخوف الى قلبه قط خطأ مميتاً عندما قبل الدعوة . واثناء المأدبة ، وعندما كان قاصد يرفع يده بقطعة لحم الى فمه ، اطلق عليه الرصاص من الخلف . وكانت احد عبيد الحجبي ناصر قد صوب بندقيته نحو قاصد من ثقب في جانب المضيف ، واصابه في مؤخرة رأسه .

وتبع ذلك لفظ كثير ، واختفى الرجل الذي ارتكب الجريمة مدة من الزمان . واستاءت قبيلة الحكام كلها من هذا الغدر الرهيب لا سيما وان قاصد كان ضيف الحجبي ناصر مما يشكل انتهاكاً فظيماً للعادات والاعراف العربية . ونشب قتال متقطع بين اتباع قاصد واتباع ناصر ، وانضمت قبيلة المرحوم الشيخ مزبان الى جماعة قاصد .

واستطاع الشيخ فرهود الفندي رئيس قبيلة الحكام على الضفة اليسرى من النهر ان يقيم هدنة بين الطرفين بمساعدة الحكومة . ولكن ناصر أصبح منذ ذلك الوقت محكوماً بالموت ، لأن مزهر وريسان ابني قاصد الصغيرين صمما على قتله وأخذوا يلتقيانه ليلاً نهاراً ، ولم يمض اسبوعان حتى تمكنوا من قتله وهو عائد الى مضيفه في مكان كيف النيات .

واعتبر جميع أهل الجوار الأمر انه جزاء عادل وكانت عطفهم على أولاد قاصد ظاهراً . واعتقد ان الحكومة اعتقلت الشابين وسجنتهما فترة قصيرة . ولكن مزهر في النهاية أصبح شيخاً على القسم الأكبر من قبيلة الحكام على الضفة اليسرى من النهر . وقد قابلته مرة سنة ١٩٤٣ فوجدته رجلاً فريماً . وسرت كثيراً بلفائه لأنه أتاح لي فرصة التحدث عن الايام الماضية وعن صداقتي لوالده . واستطعت ان اكتب له رسالة امتدحت فيها ولاء قاصد لي وللحكومة البريطانية خلال الحرب العالمية الأولى . وذكرته فيها كيف ان والده خاطر بحياته لإنقاذي .

وكتب الرسالة اعتقاداً مني بأنها قد تكون ذات فائدة في المستقبل لمزهر
وشقيقه ريسان . وفي سنة ١٩٥٣ أصبح مزهر نائب منطقة سوق الشيوخ في
البرلمان العراقي .. بينما كان ريسان يدير شؤون القبيلة .

الفصل العاشر

الإخوان يشنون الحرب

على الكويت

١٩١٧ - ١٩٢١

وقبل ان أستمسك في قصصي الشخصية ، يجب ان أسجل بعض الأحداث التي وقعت في الجزيرة العربية أثناء اقامتي في لواء المنتفق .
في الخامس من شباط سنة ١٩١٧ توفي الشيخ جابر ابن مبارك الصباح حاكم الكويت بعد ان حكم مدة تزيد عن سنة بقليل . وخلفه شقيقه سالم والد الحاكم الحالي . وكان سالم ابن مبارك الصباح يختلف كل الاختلاف عن شقيقه الراحل . فقد كان مسلماً متعصباً وعنيفاً . وقبل ان يأتي الى العرش ، قضى حياته في الصغراء ، وكان يكره الاختراعات الحديثة . ولكنه كان فائق الشجاعة ، وعليه وقع اللوم في النزاع الذي نشأ مع ابن سعود .
وفي نهاية سنة ١٩١٧ قاد سان جون فيليبي من الدائرة السياسية في حكومة الهند والذي كان في ذلك الوقت يقوم بمهمة خاصة في بغداد ، بعثة سرية الى نجد بقصد اقناع ابن سعود باستئناف التحركات بابن رشيد . وسبق هذا الاجتماع ، ارسال ضابطين الى الرياض من البصرة هما : الكولونيل هاميلتون ممثل السيد بيرسي كوكس ، والكولونيل كانليف - اوين ممثل الاستخبارات البريطانية في العراق . وقد عاد الضابطان فور وصول فيليبي .

وفي شباط سنة ١٩١٨ فرض الاسطول البريطاني حصاراً على الكويت ،
لأنه تبين ان المؤن والذخائر تهرب الى الاتراك في دمشق من الكويت عبر
الصحراء .

وفي شهر تموز من السنة ذاتها اندر الشيخ سالم بأن التأكيدات الممنوعة له
ولوالده من بريطانيا ، والصداقة والحماية والمساعدات التي كان يتمتع بها والده ،
لن تستمر إلا اذا أخذ على عاتقه شخصياً منع كل الاعمال المضرة بمصالح بريطانيا
في أراضيه ، وسواء ارتكبها رعاياه او غيرهم .

وفي تلك السنة اجبر ابن سعود جميع البدو في نجد ، باستثناء عجمان ، ان
يعتقدوا الإخوانية ، وان يعترفوا به اماماً عليهم . ولكي يضمن ولاء تلك
القبائل وبقائها تحت سيطرته ، استدعى ابن سعود الزعماء الوهابيين الى الرياض
لإصدار فتوى تقضي بأن يقوم المؤمنون من الاخوان ببناء القرى والمدن ، وان
يتعاطوا الزراعة ، لأن ذلك فريضة من الوجهة الدينية ، ولأنه يتيح تقسيم
الاثنياع الى نخبة وجهلة . والجهلة في معظمهم هم البدو الذين اعتنقوا المذهب
الجديد . وفرض على الاخوان ان لا تزيد البيوت التي يبنونها عن طابق واحد .
وربما كان ذلك لضمان عدم استخدامها كحصون في المستقبل .

ونتيجة لزيارة فيلي الى الرياض استأنف ابن سعود مفاوضاته مع ابن رشيد
في خريف سنة ١٩١٨ ، فزحف على جبل ثمر ولكنه فشل في افتتاح حائل مع
انه وصل الى اسوارها . وكان ذلك كافياً لإجهاض حملته .

وفي تلك الاثناء عاد عبدالله ابن الشريف حسين الى التدخل في شؤون نجد ،
فادعى ملكية مدينتين على الحدود هما : ^١ترابه وخرمه . وجهاز عبدالله قوة
كبيرة من المشاة تدعها المدافع وظهر فجأة امام خرمة التي احتلها بعد فترة من
القتال . وبعد ثلاث ليال شن عليه الاخوان بقيادة الامير خالد بن لؤي هجوماً
صاعقاً ودمروا معسكره ، واستولوا على مدافعه وبنادقه وذخائره . ووقعت
في يد ابن سعود غنائم كثيرة . ونجا عبدالله الشريف من الموت باعجوبة . وظلت
بريطانيا بعد ذلك الحادثة بعدة سنوات تعمل جاهدة لحفظ السلام بين الملك

حسين وابن سعود .

وفي ٢٦ كانون الأول سنة ١٩١٩ اتفق ابن سعود مع الحكومة البريطانية حول الاتفاقية الانكليزية - التركية المعقودة سنة ١٩١٣ . وتنص الفقرة الرابعة من الاتفاقية الجديدة على ان قضية الحدود بين الكويت والسعودية يجب تسويتها فيما بعد ،

مستشفى للنساء في الكويت

وكتبت السيدة اليا نور تايلور كالفرلي تقول : ومع مرور الزمن أخذت الثقة تنمو . . . وكذلك عائلة كالفرلي . . . فقد رزقنا ثلاث بنات شاركتنا البيت الجديد الذي بني لتناخلال اجازتنا الأولى . ويقع هذا البيت على شاطئ البحر في الصحراء الممتدة عند طرف المدينة . وكانت نرافذه العديدة وشرقاته الواسعة مريحة وخاصة في أيام الصيف الشديدة الحرارة . وكان هنالك منزل آخر للارسالية يشغل الدكتور ميلري وزوجته اللذان عينا في الكويت لدى نقل الدكتور هاريسون الى مقر آخر . وهنالك ايضاً المستشفى الجديد الذي عملت فيه مع الدكتور ميلري عدة سنوات . واثناء اجازتنا كانت زوجة الدكتور ميلري تعاونه في معالجة النساء المريضات . وفادراً ما كانت اولئك النسوة يسمحن له بفحص اي شيء ما عدا النبض واللسان الذي كان غالباً يمد من ثقب في الحجاب الذي يغطي الوجه .

وفي سنة ١٩١٩ انشأ مستشفى للنساء من طابق واحد ، الى جانب مستشفى الرجال .

واقمنا فيما بعد جناحين للعائلات بين المستفيين . وهناك كنا نحتفظ بالمرضى القادمين من مسافات بعيدة ومعهم عائلاتهم . ولم يكن الا نفر قليل من اهل المدينة يسمحون لنسائهم بالاقامة في المستشفى . وحتى هؤلاء يفضلون ان تتم المعالجة في المنزل إلا في حالات المرض الشديد او العمليات الجراحية الكبرى . وغالباً ما كان الناس يشاهدون « السيدة الطبية » راكبة حمارها الابيض ومط

شوارع المدينة . وكانت بعض العمليات تجري على سطح منزل المرأة المريضة في الصباح الباكر حين يكون ضوء النهار جيداً والحرارة ليست شديدة . وكانت يشارك في العمليات بعض الماعدين الذين يمكن للمستشفى الاستغناء عنهم . واذكر اني اجريت عملية على السطح ، وعملتان في العين في غرفة الطابق العلوي . وفي ليلة شديدة الحر أنقذت حياة امرأة تعسرت ولادتها ، على ضوء قنديل . ولم يكن الطبيب يستدعى في قضايا الولادة إلا عندما تعجز القابلات المحليات عن اداء المهمة .

وبوجود المستشفى قرب المنزل كان يساعدي على تلبية احتياجات العائلة اثناء اوقات العيادة . واحياناً كان يتجمع في الصباح اكثر من عشرة امرأة للعناية . وكان لدينا في المنزل طباع ماهر من غسوا ، وخادم ابراني ، وممرضة عربية . وفي الحالات الطارئة كانت السيدة ميليري والنساء الاخريات في المقر يساعدن على الاعتناء بالأطفال اثناء غياب او انشغال امهاتهم . وكان الدكتور ميليري ، كالدكتور هاريسون من قبله ، على استعداد ان يساعدي كيفما استطاع . ولكن عطف وتعاون زوج السيدة الطيبية ، اكثر من اي شيء آخر هو الذي جعل انسجام الحياة المهنية والحياة العائلية ممكناً .

اما وصول الممرضة رافا موني التي تلقت تدريبها في مستشفى الارسالية مدانا بالي بجنوب الهند ، الى الكويت فقد كان يوماً عظيماً . وبعد ذلك ارسلت لنا سيارة فورده لتحل محل الحمار . وعملت كذلك الآنسة جاين سكاردفيلد لتعيش معنا وتعاوننا في مستشفى النساء . وقد اكتسب العمل الطبي قوة وفعالية بتعيين الآنسة هاري فان بيلت رئيسة ومشرفة على الممرضات .

« ميريلاي »

ولد تشارلز ستانلي غارلاند ميليري في لندن في ١٨ تشرين الثاني سنة ١٨٧٦ . ودرس الطب في اميركا . وبعد ان تخرج من فيلادلفيا انضم الى الارسالية الاميركية وجاء الى البحرين مع زوجته الاميركية يسي اوغوستا سنة ١٩٠٧ .

وقضى في البحرين اربع سنوات تعلم خلالها اللغة العربية ونقل بعدها الى الكويت سنة ١٩١١ .

وكان عرب الخليج بسمونة هـ ميرلاني ، تحبباً . وكان اهل الكويت بصورة خاصة يكتنون له حباً واحتراماً كبيرين . وشاركته زوجته كل تلك السنوات الاولى واكتسبت بذلك حب واحترام العائلات العربية التي كانت تقطن بجوارهم . وغالباً ما كان ميرلي يروي القصة التالية :

بينما كان الشيخ سالم في رحلة صيد سنة ١٩١٦ ، استدعي ميرلي فجأة لمعاينة ابن الشيخ . وركب ميرلي حصانه فوراً وفعل كل ما باستطاعته لمعالجة الفتى المريض ، تاركاً للخدم الذين وقفوا على خدمة الفتى تعاملاً واضحة في كنهه استخدام الدواء الذي وصفه له . وعندما عاد الى القصر في اليوم التالي لمعاينة المريض وجد ان تعاملاً لم تنفذ وانت الفتى لم يعط الدواء الذي وصفه ، فترك القصر غاضباً ورفض ان يعاين الفتى او يعالجه .

والخبر ميرلي زوجته بتصرفه الطائش وعن خوفه من غضب الشيخ سالم عندما يعود من الصيد . وبعد عدة ايام شاهد ميرلي جماعة من الجنود تقترب من منزله فظن انهم قادمون لالانتقام منه ومن عائلته . وتعجب عندما عرف ان الشيخ قدم للاعتذار اليه من سوء تصرف الخدم وابلاغه انهم عوقبوا بالجلد . وقد احضر الشيخ معه بعض الهدايا للحكيم هـ هي عبارة عن سجادة عجمية وعقد من اللؤلؤ لزوجته . ولم يكن في وسع ميرلي ان يرفض الهدية . اما الفتى فقد تماثل للشفاء وعادت العلاقات مع الشيخ الى طبيعتها .

زيارتي للمهفوف

كان اول اتصالي بالاخوان في كانون الثاني سنة ١٩٣٠ ، عندما كلفتني الحكومة البريطانية ان ازور المهفوف واحل ضيفاً على ابن سعود . وكنت يومها وكيلاً سياسياً على البحرين . وكان علي ان اقوم بجمعة صعبة وهي معرفة كل ما يمكن معرفته عن الحركة الجديدة . واذا حاولت ان استفسر عن الحركة كنت اصطدم

يحدار من الصمت والكتمان . واستنتجت من ذلك ان ابن سعود لا بد وان يكون قد اصدر تعليماته بعدم الافصاح عن شيء فيما يتعلق بالحركة امام الغرباء .

ولم تكن اسباب هذا التصرف بعيدة عن التصور . واعتقد ، أولاً ، ان ابن سعود الذي اقترن اسمه بحركة الاخوان ، كانت يخشى الفكرة التي قد ترسم عنه في اذهان العالم الخارجي . وثانياً ، كان قلقاً من الدعايات غير الضرورية عن الحركة ، والتي اطلقتها تقارير مبالغ بها صادرة عن مصادر مغرضة . وثالثاً ، كان يعلم ان بعض الجهات ، وخاصة القاهرة وبغداد ولندن ، تنظر الى الحركة بعين الحوف وعدم الاثبات . ورابعاً ، لم يكن يريد ان يعرف أحد انه يشجع الحركة ويقودها تنفيذاً لغاياته ومآربه الخاصة .

وعندما قابلته في الهفوف اصر على ان حركة الاخوان ليست الا نسخة جديدة عن الوهابية القديمة . وقال لي بالحرف الواحد : ان الوهابية القديمة اليوم ممزوجة باندفاع الاخوان ، هي اصفى وانقى الديانات في العالم . وفي المناسبة ذاتها قال لي : يا ديكسون لا تحف . الاخوان هم انا ولا احد غيري .

ويمكنني الاستنتاج بصورة عامة من كل ما رأيته وسمعته من ابن سعود ومن مساعده الامين فيصل الدويش الشيخ الأعلى في قبيلة مطير ، ان حركة الاخوان ليست في كليتها حركة سيئة كما اريد لها ان تكون في البداية . فهي اولاً احياء ديني حقيقي للوهابية القديمة ، ومحاولة من قبل جماهير اواسط الجزيرة العربية لتحسين اوضاعهم الاخلاقية والدينية . وهي خاصة تبذر وكأنها محاولة جديدة لتطهير الاسلام من الشوائب التي علفت به بفعل النفوذ الاوروبي . وبما لا شك فيه ان الحركة ذات طابع دفاعي قومي لا تنق بكل ما هو اجنبي ، وتحاول باصرار اعادة الجزيرة ونجد الى العرب بأي ثمن .

ومهما تكن المطامح والافكار السياسية التي سبوت رجالاً كابن سعود في البداية ، فالثابت هو ان الجماهير كان يحركها شعور طامح بالعداء للأجانب . ان صفوف الاخوان كانت في الايام الاولى للحركة مؤلفة كما ذكرت سابقاً من

القرابين الجبهة السذج في نجد . وامتدت فيما بعد الى قبائل البدو في داخل الجزيرة العربية والبلدان المجاورة لها .

اما الطبقات المثقفة من اهل المدن والتجار في نجد فقد كانوا وهابيين في الاصل . ومع ان هؤلاء لم يرافقوا على بعض نزعات الاخوان ، وخاصة عدم التسامح ، لكنهم اعتبروا ان الحركة جديرة بالتأييد لأنها تعطي الوهابية المختصرة دافعاً جديداً نحو اسلام اصفى ، ولأنها تعطي ابن سعود السيطرة اللازمة على قبائل نجد التي كان كبح جماحها ضرورياً .

ان احداً من الذين عرفوا ابن سعود معرفة جيدة لا يستطيع ان يتهمه هو شخصياً بالتعصب الوهابي ، او بالهيجان والاندفاع الديني الأعمى الذي كان يحث به اتباعه من الاخوان . فقد كان في المناسبات ، وحسب ما يلائم اغراضه ، يتظاهر امام اتباعه بان له نفس نظرتهم وافكارهم ، لا سيما عندما يتحدث بالجنود عشية غزوة من الغزوات ، او عندما يرغب في ترك انطباع لدى بعثة انكليزية او اجنبية . وعلى كل حال ، فان اوليفر كروموويل كان يتبع نفس الاساليب ! وليس أدل على أن ابن سعود لم يكن متعصباً منهوياً في سريره من الحادثة اللطيفة التي واجهني اثناء زيارتي للنفوف . كانت حركة الاخوان في عز تأجيجها ، وعندما يجتمع شيوخ القبائل في كل المناسبات ، وحتى في حضوري ، كان ابن سعود يندد بالاجانب ويتكلم ضدهم . ومثالاً على ذلك ، قال مرة ان المساعدة الشريفة ومقدارها ٧٥ ألف روبية التي كانت تقدمها له الحكومة البريطانية ، والتي حملت قسماً منها إليه أثناء زيارتي ، هي جزية كان يدفعها المسيحيون الى قادة الاسلام الأوائل بدلاً من الخدمة العسكرية . وقد حذرني في المجلس ان التبغ حرام وخطيئة ممينة ، وان من يدخنه في نجد يكون قد خرق القانون وبذلك يعرض نفسه الى الاذى . ومع ذلك ، وثبناً لقواعد الضيافة العربية والاعتناء براحة الضيوف ، أرسل إلي ابن سعود الموقر بعد حلول الظلام علبتين من أفخير السجائر المصرية بيد الدكتور عبد الله سعيد الدمولوجي ، طالباً مني أن ادخنها ضمن جدران غرفتي .

وكان نجاح حركة الإخوان ودفعها من خطوة إلى خطوة ، يدل على عبقرية ابن سعود ومهارته في وضع خططه . فلم تأت سنة ١٩٢٠ حتى كانت الحامية للمذهب الجديد قد بلغت حداً كبيراً بين البدو بحيث انه لم يبق أحد إلا وانضم إليه .

وتجاوب الجميع بحماسة مع الأمر الذي أصدره ابن سعود ببناء القرى والمدن لتوطين القبائل . وأصبح البدوي يفاخر بأنه سيصبح من أهل الحضر .

وأخبرني ابن سعود ان اثنتين وخمسين حاضرة قد بنيت في نجد نتيجة لهذا الأمر الشهير . وقد اظهرت الطريقة التي لفت بها القبائل وحملت على الاستيطان والعمل في الزراعة دون ان تشعر بأي نفور ، أن ابن سعود ليس قائداً عادياً . فأخذ يفاخر انه أعطى القبائل الرحل حصة في الأرض وجعلها قبائل مقيمة . وفي الوقت ذاته جعل هذا النظام الجديد مرناً لكي يسمح لقسم من كل قبيلة ان يبقى في الصحراء خلال السنة يرعى الجمال والمواشي .

أما اختيار الحاضرة التي كانت ستقطنها هذه القبيلة أو ذلك من الإخوان ، فكان من اختصاص ابن سعود نفسه . فكان يقرهم من الرياض او يبعدهم عنها حسب سهولة او صعوبة مراسهم .

ولم تكن قبيلة عجمان في ذلك الوقت قد انضمت الى الحركة . وليس ذلك لأنهم يعترضون على الإخوان وحركتهم ، بل لأنهم كانوا يعرفون نوايا ابن سعود في اخضاعهم على طريقته الخاصة . وهي ، للذي يعرف رجل الصحراء ، عقوبة صارمة . فقد كان ابن سعود ينوي نقل قبيلة عجمان من منطقة الاحساء الساحلية موطنها الأصلي ، الى داخل نجد ، حيث يقسمها الى الاقسام العشرين التي تتألف منها ، ويضع كل قسم في حاضرة من حواضر الإخوان ، وذلك لكي يشتت شملها . وقد اخبرني ابن سعود بنفسه ان هذا هو مقصده لأن عجمان خائفة مرتين : مرة أثناء القتال مع ابن رشيد في مجمع (جراب) في كانون الثاني سنة ١٩١٥ ، ومرة في تشرين الثاني من نفس السنة عندما هاجمته في الاحساء وكادت تغلب عليه . ومنذ ذلك الوقت ، قال ابن سعود ، وعجمان تلعب عليه بخفة ونجاح . فهي

قارة فقطن في الكويت وقارة في العراق . وفي الوقت الذي كنت فيه ضيفاً على ابن سعود كانت عجمان قد ضربت خيامها في الزبير ، وكانت على وشك الوصول الى مصالحة مع ابن سعود .

ومن أحاديثي المختلفة مع ابن سعود استنتجت انه على استعداد لأن يتساهل مع عجمان ويخفف العقوبة التي ذكرتها ، علماً بأنه ربما يستطيع أن يكون قاسياً الى أبعد حدود القسوة .

مسألة الحدود مرة ثانية

شهدت سنة ١٩٢٠ اضطراباً شديداً في العلاقات بين ابن سعود والشيخ سالم حاكم الكويت .

وكان هذا الأخير قد وضع الحصار البحري البريطاني للكويت على أبواب ابن سعود . وقد فرض ذلك الحصار بشدة حتى تم توقيع الهدنة مع تركيا . وظن الشيخ سالم ان ابن سعود كان أذكى منه مع الحكومة البريطانية التي خدعها ابن سعود بلاء إرادتها ، وان ما قاسته الكويت من خسارة في التجارة والنفوة لا يمكن تفسيره إلا بأن البريطانيين اعتقدوا ان ابن سعود هو صديقهم ، فلما اقترح عليهم ان الشيخ سالم موال للأتراك ، صدقوا الحكاية .

وظن الشيخ سالم انه ليس من غير المحتمل ان يهاجم ابن سعود الكويت ، او على الأقل يحاول ان ينقض الاتفاقية الانكليزية - التركية الموقعة سنة ١٩١٣ . وكانت تلك الاتفاقية قد أعطت الكويت سيطرة إدارية مباشرة على مساحة صغيرة حول مدينة الكويت ، وسيطرة غير مباشرة مع حق فرض الضرائب على القبائل في منطقة واسعة جنوباً ، تمتد من جبل منيف على البحر الى حفر الباطن في الغرب ، وحتى الباطن مقابل جبل صنم في الشمال . وكان من المقصود ان تشمل هذه المساحة الكبيرة نطاً^(١) والجاريين^(٢) والصفاء^(٣) وحجب^(٤) ووبره وغيرها .

واحتياطاً للمستقبل وخوفاً من مطامع عبد العزيز آل سعود ومساعدته

① نطاع
② القرين
③ الصفاء
④ الجاريين

الأحدب فيصل الدويش القائد الروحي للاخوان ، أخذ الشيخ سالم يعد العدة لأسوأ الاحتمالات . فاقترح بناء حصن في دوحة بلبول على الشاطئ شمال جبل منيفه لتكون بمثابة حدود له في أقصى الجنوب . واعترض ابن سعود مدعياً ان دوحة بلبول تقع ضمن أراضيهم ، ورد بأن أمر ابن شقير قائد قبيلة مطير ان يستولي على جاريه عليا التي يدعيها الشيخ سالم .

وبدأ ابن شقير في بناء قرية للاخوان في جاريه عليا الامر الذي دفع الشيخ سالم الى إرسال الشيخ دعيج ابن سليمان ابن صباح الفاضل قائد قوات الكويت الى حمض التي تبعد خمسة عشر ميلاً إلى الشرق من جاريه عليا ، حاملاً راية الحرب بقصد ديب الحرف والدعر في مطير .

وبينما كان دعيج نجيباً في حمض مع قوة لا بأس بها ، ضرب فيصل الدويش ضربته مفاجئاً دعيج بهجوم عنيد المفجر على رأس قوة كبيرة من الاخوان في مطير . وهزم جيش الكويت هزيمة شنيعة واستولى الاخوان على الخيم وعلى عدد كبير من الجمال . وكان عدد القتلى في صفوف جيش الكويت كبيراً ، ولم ينج دعيج ومعه الشيخ عبدالله الجابر الصباح من الأسر والموت إلا بأعجوبة .

ولما عادت فلول جيش دعيج إلى الكويت تحقق الشيخ سالم من خطورة الوضع المهدق به ، فأمر ببناء سور دفاعي حول مدينة الكويت دون ابطاء . واشترك جميع سكان المدينة ببناء السور الذي انتهى العمل به خلال شهرين .

وطلب الشيخ سالم مساعدة الحكومة البريطانية مدعياً بأن فيصل الدويش اقدم على الهجوم في حمض دون ان يستفز . رانكر ابن سعود ذلك في عدة رسائل وجهها الى الحكومة البريطانية ووضع اللوم كله فيها على الشيخ سالم . وعندما طلب منه ان يحدد الأراضي التي يدعي ملكيتها أصر على أن حدوده تمتد الى أسوار مدينة الكويت . وعندئذ أبلغته الحكومة البريطانية انها تعترف فقط بالحدود المتصوص عنها في الاتفاقية الانكليزية - التركية المعودة سنة ١٩١٣ .

وفي أول حزيران أرسل الشيخ سالم بعثة الى الرياض لتبلغ ابن سعود ما

حدث في حمض ، وتطلب منه إعادة الجبال والممتلكات المستولى عليها ، ودفع تعويض عادل الى عائلات الذين قتلوا في المعركة .

وعادت البعثة في الثاني من تموز يصحبها ناصر ابن سعود الفرحان حاملاً رسالة مطولة من ابن سعود الى الشيخ سالم . وتضمنت الرسالة سلسلة من الأخطاء قالت إن الشيخ سالم ارتكبها ضد ابن سعود وشعبه ، وأكدت أن الشيخ سالم ليس له ادنى حق في جاريه عليا أو أي منطقة أخرى يدعيها ابن سعود .
وضمن ابن سعود رسالته وثيقة طلب من الشيخ سالم أن يوقعها ويعيدها إليه متعهداً فيها بالتنازل عن المناطق التي يدعي ملكيتها إلى الشرق وإلى الغرب من جاريه .

وبعد الشيخ سالم أن لا سبيل إلى تفاهم شريف مع ابن سعود إلا عن طريق بريطانيا . فاتفق فوراً بالحكومة البريطانية لاستشارتها بشأن الرد على ابن سعود ، مشدداً على أن المناطق المتنازع عليها هي ملك صريح له بموجب الاتفاقية الانكليزية - التركية المعقودة سنة ١٩١٣ .

وطلبت الحكومة البريطانية من الشيخ سالم في جوابها على طلبه أن لا يوقع وثيقة التنازل التي أرسلها إليه ابن سعود ، وأن يطلب رسمياً التحكيم الودي من قبل الحكومة البريطانية . وفي الوقت ذاته أشارت إلى أن الاتفاقية الانكليزية - التركية المشار إليها لا يمكن للشيخ سالم أن يعتمد عليها لأنه ليس طرفاً فيها ، ولأن الفقرة الرابعة التي اتفقت عليها الحكومة البريطانية مع ابن سعود في ٢٦ كانون الأول سنة ١٩١٩ ، قد حلت محل الاتفاقية ، وأصيب الشيخ سالم بخيبة أمل مريرة .

وبعد مراسلات طويلة بين الكويت وابن سعود والمندوب السامي البريطاني في العراق ، وافقت الحكومة البريطانية على تعيين حكم بشرط أن يتعهد كل من ابن سعود والشيخ سالم خطياً نيابة عن شعبيهما بقبول مسبق لما قد يسفر عنه التحكيم والالتزام به مدى الحياة .

واشترطت الحكومة البريطانية كذلك على الطرفين أن يحافظا على السلام في

تلك الأثناء . وبعد ميل من المراسلات الأخرى قبل الشيخ سالم هذه الشروط في السابع عشر من أيلول مؤكداً ادعاءاته السابقة . وهذا ابن سعود حذوه فبعث بموافقة في الخامس من أيلول معلناً أنه ليس للشيخ سالم أي حق خارج أسوار مدينة الكويت .

وفي تلك الأثناء بعث ابن سعود برسالة إلى ابن شقير في جارية عليها يأمره فيها ببناء حصن هناك . ووقعت الرسالة في يد الشيخ سالم مما أثار الغضب في الكويت ، نظراً لأن الرسالة أرسلت بعد قبول شروط التحكيم التي وضعتها الحكومة البريطانية .

معركة جھرا

وتلقى الشيخ سالم معلومات خاصة تفيد أن فيصل الدويش يتحرك شمالاً إلى صبيحية جنوب غربي قلل برقان بناء لأوامر ابن سعود . وخشي الشيخ سالم أن يكون ذلك مقدمة لهجوم صاعق على جھرا التي يعلق عليها أهمية استراتيجية كبرى ، فصار إليها بما لديه من قوات وبدأ يعد للدفاع عنها .

ووصل فيصل الدويش إلى صبيحية في التاسع من أيلول ، وأمر الشيخ سالم بدوره بتحسين أسوار مدينة الكويت وتجنيب جميع الرجال القادرين جسدياً لهذا الغرض .

وكان السير بيرسي كوكس قد عين مندوباً سامياً على العراق . وفي طريقه إلى الخليج الفارسي التقى بابن سعود في عتير وأجرى معه محادثات حضرتها بنفسه ، ونقل إليه خلالها أوامر الحكومة البريطانية ، ووصل السير بيرسي إلى بغداد في العاشر من تشرين الأول .

وفي الساعة السادسة من صباح ذلك اليوم شن الإخوان بقيادة فيصل الدويش هجوماً على جھرا . وكانت قوات الشيخ سالم تحمي الجهة الجنوبية الغربية من القرية بينما كانت الميمنة من خيالة شمر بقيادة ابن طوالة وكان قائد خيالة الميسرة دعبج الفاضل . وشن الإخوان هجومهم على المواقع الغربية ، وبعد أن شلتوا خيالة

شمر استداروا نحو المواقع الشمالية الغربية . ولم تأت الساعة التاسعة حتى كانت القرية كلها بأيديها . وحاصر الشيخ سالم وغيره من الشيوخ ومعههم سفينة رجل في الحصن الواقع جنوب غربي القرية ، بينما تشتت قوائمه الباقية . وبعد الظهر بعث فيصل الدويش برسالة الى الشيخ سالم بعرض عليه الصلح اذا أخلى الحصن وتنازل عن طلب الجمال التي امتولى عليها الاخوات . ورفض الشيخ سالم . وخلال الليل شن الاخوان ثلاث هجمات مركزة على الحصن ولكنهم فشلوا في امقاطه .

وتوترت الأعصاب في مدينة الكويت على اثر الشائعات الكثيرة المثيرة التي سرت فيها ، وبدأ الجميع يتخوفون من هجوم مفاجيء على المدينة ، فأرسل جميع الرجال الموجودين فيها الى السور لتدعيم الدفاع عنه . وفي صباح الحادي عشر من تشرين الأول أرسل الشيخ أحمد الجابر الصباح آمر مدينة الكويت حينذاك نجدة الى جهرا قوامها ستاية رجل توجهوا الى جهرا بطريق البحر في سفينة الشيخ الخاصة المسماة مشرف . وتوجه ابن طوالة على رأس فرقة من الحباله بطريق البر .

وقبل أن تصل هذه الامدادات أرسل فيصل الدويش الى الشيخ سالم عالماً يدعى ابن سليمان يعرض عليه مقترحات محددة لعقد الصلح . وطلب ابن سليمان من الشيخ سالم منسح الترخين والمشروبات الروحية ولعب القمار والدعارة في الكويت . وأجاب الشيخ سالم انه لا يقر هذه الموبقات وهو على استعداد أن ينسح رعاياه من ممارستها علناً . ولكنه لا يستطيع ان ينسح الناس من ان يفعلوا ما يشاءون داخل بيوتهم ، كما انه لا يستطيع تحمل مسؤولية ما يفعله الاجانب الذين لا يخضعون لسلطته .

وعاد الشيخ سالم الى مسألة الجمال والسلايب الاخرى قائلاً انه اذا كان الاخوان على استعداد لأن يتسحبوا ويتركوا خلفهم كل شيء أخذوه ، فهو لن يعترض سبيلهم . وكان رد ابن سليمان على ذلك ان الاخوان لهم حق الاحتفاظ بغنائم الحرب ، ولا يستطيع الموافقة على التخلي عنها دون الرجوع الى فيصل الدويش . وعاد ابن سليمان الى خيمة فيصل الدويش في الطرف الآخر من القرية .

وبعد هذه المواجهة بوقت قصير انسحب الاخوان دون قتال آخذين معهم كل شيء . وبعد مسيرة ثلاث ساعات ذلك اليوم ، استأنفوا السير نحو صبيحية في الثاني عشر من تشرين الأول .

وكانت خسائر الكويتيين في الأرواح قليلة نسبياً إذ لم يتجاوز مجموع القتلى مائتي رجل . أما الاخوان الذين قاموا بهجوم مكشوف دون أدنى اهتمام بسلامتهم فكانت خسائرهم جسيمة . وقد ابلغني الميجر مور الوكيل السياسي في الكويت آنذاك انهم تركوا ثمانمائة قتيل على ابواب جفرا . ويقال ان عدد الجرحى منهم كان اكثر من ذلك بكثير ، وقد مات منهم حوالي اربعمائة رجل قبل ان يصلوا صبيحية ، واكثر من مائة رجل ماتوا بعد ذلك . وهكذا انتهت معركة جفرا التي يرى فيها العرب انتصاراً مبيناً للكويت في صراعها الطويل مع ابن سعود أيام الشيخ سالم .

تدخل الحكومة البريطانية

وعاد فيصل الدويش فأرسل رسالة الى الشيخ سالم من صبيحية في ١٤ تشرين الأول ، طالباً منه ارسال صديقه هلال المطيري احد كبار تجار الكويت ليجري معه مفاوضات حول حل النزاع . ورفض الشيخ سالم هذا الاقتراح ، وأبلغ الدويش انه اذا كان يرغب في اجراء محادثات معه فليرسل بعثة خاصة الى الكويت لهذا الغرض .

وتنيجة لذلك أرسل الدويش بعثة برئاسة جفران ^① الفقم في ١٨ تشرين الأول . ولكنه بدا واضحاً منذ البداية ان شروطها لن تقبل . وتتلخص هذه الشروط في ان ينضم جميع أهالي الكويت الى حركة الاخوان .

وامتنع الشيخ سالم عن مقابلة الوفد لمدة اسبوع طلب خلاله رسمياً مساعدة بريطانيا . وأخيراً استقبل الوفد في ٢٤ تشرين الاول بحضور الميجر مور الذي نقل اليهم بلاغاً ، كتابة وشفاها ، كانت نسخ منه قد القيت من الطائرات مسبقاً . وينص البلاغ على انه ما دامت النزاعات محصورة في الصحراء وفي جفرا ،

المنضم

فإن الحكومة البريطانية لا تملك ان تفعل اكثر من استخدام الجهود الودية لصالح السلام. ولكنه اذا تعدى الامر ذلك وشملت التهديدات مدينة الكويت والرعايا البريطانيين القاطنين فيها ، وتعرضت تأكيدات بريطانيا الى شيخ الكويت للخطر ، فإن حكومة صاحب الجلالة لا تستطيع ان تبقى مكتوفة الايدي او ان تقف موقف المنفرج .

ومضى البلاغ قائلاً : ان الحكومة البريطانية على ثقة ، كما يستدل من تصرفات ابن سعود المتكررة ، ان اعمال الاخوان العدوانية جاءت خلافاً لرعاياه وأوامره . وبما لا شك فيه انه أوضح ذلك فور مجامع وأنباء الهجوم على جبراً .

واكد البلاغ انه اذا ما حاول الاخوان مهاجمة الكويت ، فان ذلك يعتبر تصرفاً معادياً للسلطات البريطانية ولشيخ الكويت ، الأمر الذي لن يترك امام حكومة صاحب الجلالة خياراً سوى معارضة الاعمال العدوانية بكل الوسائل الممكنة .

ورد جفران التفقم على ذلك بقوله ان تصرفات الاخوان المعادية للشيخ سالم جاءت بناءً لأوامر مباشرة من ابن سعود . وقال الميجر مور انه لا يصدق اقوال جفران. نظراً لأن ابن سعود صديق للبريطانيين وأكد لهم أكثر من مرة انه ليست لديه أية نوايا لاجتياح الكويت ، وان ابن سعود رجل شريف يحافظ على كلامه .

وكرر الميجر مور تحذيراته بأن بريطانيا ستقاوم أي هجوم على الكويت ، والنسحب من الاجتاع .

وغادرت البعثة الكويت في اليوم ذاته وعادت الى صبيحية يصحبها مبعوث من قبل الشيخ سالم . وعاد المبعوث في الثامن والعشرين من الشهر حاملاً رسالة فيصل الدويش يؤكد فيها انه صدق وعود الشيخ سالم التي قطعها لابن سلمان في جبراً ، ولذلك امتنع عن متابعة القتال وحاول إيقاف زحف قوات ابن سعود ، واستطرد قائلاً ان الشيخ سالم خدعه ولم ينفذ وعوده . وبهذا انتهت الهدنة .

وقال الرجل الذي حمل الرسالة انه عندما غادر صبيحيه كان الاخوات يعملون الماء استعداداً للسير نحو الصفاء في صباح السادس والعشرين لانتظار الذخائر والمؤن التي ستصلهم الى هناك . وقد ثبتت صحة هذه الاقوال . ولم يكن منظر الطائرات والسفن البريطانية في خليج الكويت بدون اثر على قرار فيصل الدويش بالانسحاب .

وفي ٣٠ تشرين الأول ابلغ الشيخ سالم ان المستدرب السامي البريطاني السير بيرسي كوكس يعتبر وقف سفك الدماء الى ان تحل القضية بين الكويت وابن سعود بصورة ودية ، مسألة ملحة للغاية . وفضل اليه ايضاً ان آبار صبيحيه يجب ان لا يستولي عليها أحد من الطرفين المتنازعين ، وان أي عمل في غير هذا الاتجاه يعرض مرتكبيه الى قصف الطائرات الملكية البريطانية . وقد ارسلت رسالة مماثلة الى ابن سعود عن طريق البحرين .

على بعد ثلاثين ميلاً الى الشرق فالتحارب الشرقي من البصرة تقع مدينة عمرة الابرانية . وفي كانون الثاني سنة ١٩٣١ عرض خنزعل خان شيخ المحمرة ان يرسل ابنه الاكبر الى نجد برفقة الشيخ أحمد ابن شقيق الشيخ سالم ، لكي يحاول ان يباد صيغة لإقامة هدنة بين الشيخ سالم وابن سعود .

وقبل هذا العرض ، وتوجهت البعثة الى نجد عن طريق البحرين في شهر شباط . وقد وصلت البعثة الى معسكر ابن سعود في الخفص الى الشمال من الرياض في الثاني من آذار . وبعد يومين من ذلك التاريخ بلغتهم انباء وفاة الشيخ سالم . وقد توفي الشيخ سالم في السابع والعشرين من شباط بعد ان فاجأه المرض في جهررا في الثالث والعشرين .

وقد قال ابن سعود لدى سماعه النبأ انه لم يعد هنالك نزاع حله ، ولم تعد هنالك حاجة للاحدود بين بلاده والكويت .

حاكم جديد للكويت

كان من عادة شيوخ الكويت ان يحكموا شخصياً وبصورة اوتوقراطية ،

ويتجنبون دائماً تفويض غيرهم بالسلطة . ومن الأمور التي يباهون بها ان مقابلتهم متوفرة لجميع رعاياهم بدون استثناء . وكان من عاداتهم أيضاً تقبل المظالمات والمطالب شخصياً لمدة ساعتين أو ثلاث في سوق المدينة ، ويقررون حل جميع المشاكل ، صغيرها وكبيرها ، بطريقة الحكم المباشر .

ولما توفي الشيخ سالم ، كان أهل المدينة قد تعبوا من الحرب التي فرضت عليهم ضد إرادتهم ، فقرروا ان تكون لهم في المستقبل كلمة في شؤون الدولة والحكم . فأبلغوا عائلة الصباح انهم لا يقبلون إلا بالحاكم الذي يقبل بإنشاء مجلس استشاري . وقع الاختيار على أحمد الجابر الصباح ، الابن الأكبر للرحوم الشيخ جابر ابن مبارك الصباح . وكان أحمد يتمتع بشعبية كبيرة الى جانب رضا عبد العزيز آل سعود . وقد ارتقى أحمد العرش اثر عودته من نجد في التاسع والعشرين من آذار . وقد تم الاتفاق بين الحاكم الجديد وبين أهالي الكويت على ان يحكم في جميع القضايا الجنائية بموجب الشريعة الاسلامية . وفي حال الامتناع يجب على كل من الطرفين ان يرفع طلباً مرفقاً بصورة عن حكم القاضي إلى العلماء الذين يكون حكمهم نهائياً . أما اذا اتفق الطرفان المتخاصمان مسبقاً على رفع القضية الى فريق ثالث للتحكيم بينها ، فيكون قرار الحكم ساري المفعول .

وعلى الحاكم ان يطلب المشورة في القضايا الداخلية والخارجية التي تهم أهل المدينة . وإذا كانت لأحدهم اقتراح لمصلحة المدينة ، يرفعه الى الحاكم الذي يستشير بشأنه الشعب ، ويتبناه اذا وافقوا عليه .

رغم انتخاب مجلس استشاري من اثني عشر عضواً برئاسة حمد بن عبدالله الصغير احد كبار تجار المدينة . وكان ستة من الاعضاء يمثلون المنطقة الشرقية من المدينة ، والستة الباقون يمثلون المنطقة الغربية . ولكن هذا المجلس لم ينعقد الا نادراً ، وكان الشيخ أحمد يحكم بنفس الطريقة القديمة المتبعة من قبل .

وكان الشيخ أحمد قوياً ، مرحلاً ، وبهي الطلعة ، يشبه والده الى حد بعيد . . وكانت ابتسامته الجذابة المرحمة تجعل منه شخصاً لانفاً بمركزه وخاصة القسم الاحتمالي منه . ويقول عنه النقاد المعاصرون انه لا يملك قوة حقيقية ويتميز

بالعناد أكثر منه بالقوة . أما أنا فأقول عكس ذلك تماماً فظراً لأنني عرفته عن كثب مدة عشرين سنة استطاع خلالها ان يبدد كثيراً من الغيوم التي قلدت في الجو السياسي . وقد عرفت فيه رجلاً هادئاً الطباع حازماً وقادراً على اتخاذ قرارات سريعة خاطفة . وكان طموحه في الحياة ان يسير على خطى جده الشهير وعلى خطى الملك عبد العزيز آل سعود .

لقد كان قطعاً ذا عقل مصيب راجح ، ويعتمد عليه في عمل الشيء الصحيح في المكان الصحيح . ولكنه ككل عربي أصيل ، كان شديد الاعتزاز بنفسه . فبينما كانت يستجيب للمعاملة الطبية الكمية ، لم يكن يستطيع تحمل عدم اللياقة أو نسيان الأذى والتفاضي عنه . وهو صعب المراس إذا تناوله المرء بصورة خاطئة .

وكان دائماً يتمتع بشعبية كبيرة بين أهالي الكويت مع انه اشتهر بالبخل والتقتير ، وخاصة بين البدو ، عندما حاول وضع أمور الدولة المالية في نصايها في الفترة ما بين سنة ١٩٢٣ وسنة ١٩٣٧ ، عندما حظر ابن سعود التجارة بين نجد والكويت . ولكنه في الواقع لم يكن كذلك .

وكان حريصاً على تنفيذ وتطبيق روح الدين الاسلامي ، فتشدد في منع الخمر واتحاد البغاء والدعارة . ولم يكن هو يدخن التبغ اطلاقاً .

وتصرف تجاه البريطانيين بصورة حسنة ، فأعطوه جميع التأكيدات التي أعطيت لأسلافه من قبل . وكان يحب الاستقبال والترفيه على الطريقة البريطانية فخصص جناحاً في قصر دسمان وأثنه على طريقة المنازل الأوروبية . وكان مولعاً بالبنادق والمسدسات والصور السينائية وآلات التصوير والسيارات وغيرها من الخنفرعات الحديثة . وغالباً ما كان يشاهد وهو يقود سيارته بنفسه . وكان قنصاً ماهراً يجيد الرماية . ويمكن التدليل على أفكاره الغربية في الرياضة من تشده ضد صيد الغزلان بواسطة السيارات .

ولد الشيخ أحمد سنة ١٨٨٥ وكان في السادسة والثلاثين عندما ارتقى الى العرش وظل فيه حتى وفاته سنة ١٩٥٠ .

٤٠ حب سعود العرفه لنورا

السيدة نورا امرأة رائعة ، تشبه بشخصيتها و اخلاقها و كرمها و جاذبيتها شقيقها الكبير ابن سعود . وكان شقيقها يقسم وزناً كبيراً لأفكارها وآرائها السياسية . وعندما كانت تتعقد امور الدولة ، كان يجتلي بها ساعات طويلة ليتلقى منها النصيح والرأي .

٤١ سعود بن نورا
٤٢ نورا بنت
سعود بن فيصل

وكانت نورا متزوجة من سعود العرفه آل سعود حفيد سعود بن فيصل آل سعود الامير الثاني عشر في نجد . ويقال ان هذا الزواج كان وليد حب جارف بالنسبة لسعود العرفه ، ولكنه بالنسبة لابن سعود كانت ذا ابعاد سياسية . الم يكن فرع عرفه من آل سعود مصدر خطر دائماً ؟ وأخيراً وليس آخراً ، البست هنالك اواصر قريبي بينهم وبين قبيلة عجمان التي كانت دائماً شوكه في جنب الحاكم ؟

فقد كانت قبائل عجمان ومرة تنظر بعين العطف الى سعود العرفه لأن أمه وضحي تنسب الى بيت الشيوخ الحساكين في عجمان . فهي ابنة الشيخ حزام الهذلان . وكانت هذه القبائل تعتبره شيخها وتتبعه على بكرة أبيها اذا ما نشأ خلاف في العائلة المالكة . وفي حياة ابن سعود كانت القبائل اذكي من ان تظهر كثيراً من الولاء لسعود العرفه ، لأن الملك يعرف كل شيء ولا يخطئ شيئاً . ومع ذلك كانوا يلقبونه بسعود الكبير ولا يزالون الى اليوم . وكان سعود العرفه شديد التعلق بنورا فكان أحياناً يصرح أمام اصدقائه في عجمان بقوله : نورا .. لا استطيع ان أعيش بعيداً عنها . . أنها الضياء في ناظري .

وفي صيف سنة ١٩٢١ جهز ابن سعود نفسه لإخضاع اواسط الجزيرة العربية لسلطانه بالاستيلاء على حاييل وقحطيم سلطة آل الرشيد الى الابد . وفيما يتعلق بذلك اخبرني ظنيفر ابن حويلة من عجمان القصة التالية قال :

عندما خرج عبد العزيز لغزو ابن رشيد في حاييل ، امر القوم ان يتجمعوا على بعد عدة أميال من الرياض تأهباً للسير نحو الحرب الجديدة . ومعه ذهب

سعود العرفه بعد ان ودع زوجته الحبيبة نورا .
وشاء الله أن يتأخر الزحف عدة أسابيع . وقبل المسيرة النهائية ، اشتاق
سعود العرفه لنورا وأراد أن يلقي عليها نظرة أخرى ، فتخلف عن الجيش سرّاً
وامتنطى حصانه عائداً الى الرياض على بعد ثلاثين ميلاً ، فوصل الى المدينة عند
غروب الشمس . وهناك تذكر لثلاث بعرفه الحراس عند الباب ويكتشفوا أنه
تخلف عن الجيش .

ترك سعود حصانه بين أشجار التخليل خارج المدينة ، واقتطع عدة شجيرات
حطبها على رأسه ودخل المدينة بحراة كأنه خطاب . وغطى وجهه جيداً فاستطاع
أن يمر دون أن يشعر به الحرس . ولكنه ممع رجلاً شيخاً يقول لآخر في
الشارع : يا لله . ان مشية هذا الرجل تشبه مشية الامام أو مشية سعود العرفه .
وأسرع سعود نحو قصر زوجته فوصله عند حلول الظلام ، فاستقبل
بصرحات الفرح وسرت نورا بقدومه كثيراً . وقبل أن تستفسر عن سبب
قدومه أمرت بإغلاق جميع النوافذ والأبواب حتى يبقى قدوم زوجها سرّاً .
وأمرت جميع خدامها وعبيدها بعدم التفوه بحرف واحد تحت طائلة الموت ،
ومنعتهم جميعاً من مغادرة القصر مهما كانت الظروف . وعندما سأله عن سبب
حبيته قال : يا نورا لم استطع الذهاب دون أن أقضي ليلة أخيرة معك .

وتفاجعا تلك الليلة . وعند الفجر نهض سعود العرفه ليغادر القصر . ولم
تسمح له نورا بالذهاب إلا بعد أن أتت بخادمين مخلصين ليشهدا أن زوجها عائد
تلك الليلة وضاجعها . ولم تكتف بذلك بل حملته على توقيع ورقة يقول فيها أنه
تخلف عن الجيش تلك الليلة وعاد الى زوجته متذكراً ليقضي الليل معها .
وبررت نورا له ذلك بقولها : ذلك يا سعود يثبت لأخي وللعالم أجمع أنني إذا
حملت ، تكون أنت والد الطفل وحتى لا يظن بي سوء .

وعاد سعود العرفه وانضم الى قوات ابن سعود . وسقطت حابيل في شهر
آب . واغتصب ابن سعود لقب أمير جبل ثمر وأرسل من بقي حياً من آل
الرشيدي الى الأسر في الرياض .

الفصل الحادي عشر

تخطيط الحدود

١٩٢١ - ١٩٢٣

عودتي الى العراق

بعد التيسام بواجبي في البحرين ، أعدت الى العراق ضابطاً سياسياً في لواء الحلة . وكانت معي هذه المرة زوجتي فيوليت بنلوب لوكاس - كالكرافت التي تزوجتها في بمبساى في كانون الاول سنة ١٩٢٠ . ووصلنا الى البصرة في اول كانون الثاني سنة ١٩٢١ ، فوجهنا بعدها الى بغداد حيث قضينا عشرة أيام مع عائلة فيلي قبل أن أسلم مهام منصبي في الحلة .

مهمتان كبيرتان كان علي انجازهما في الحلة : أن اعيد تنظيم الادارة المحلية بعد ان دبت فيها الفوضى على اثر الثورة ضد البريطانيين سنة ١٩٢٠ ، وأن أحاول لأم الجراح واصلاح الامور بين البريطانيين والعرب بعد المعاملة القاسية التي تعرضت لها القبائل العربية حول الحلة على يد الجيش البريطاني .

وبدأت أبحث عن موظفين عرب أكفاء ليشغلوا المناصب الادارية الشاغرة . وكان بين الذين عرضوا خدماتهم ، عبدالله ابن أحمد باشا السنّا الذي كان والده أحمد باشا ، وهو نجدى الاصل ، اول متصرف في البصرة بعد الاحتلال البريطاني

سنة ١٩١٥ . وبرهن انه صديق مخلص للانكليز حتى وفاته . وقد كتب لي أحمد
باشا رسالة يوصيني فيها بابنه ، ذكراً لي الحرية ان أتصرف به كما أشاء .
وأصبح عبدالله ^(١) قائماً على الحلة وأظهر منذ البداية مقدرة فائقة .
وقد قال تقدير المندوب السامي والحكومة المركزية لأني استطاع حل عدة
مشاكل معقدة وخطرة بين القبائل ، أظهر خلالها شجاعة شخصية نادرة . وقد
دفعته الى كل ما يستحق .

قصف مسجد الإمام علي

وحدث مرة أن توجهت الى بغداد لمقابلة المندوب السامي السير بيرسي
كوكس . وفاجأني حال وصولي بسؤال عما اذا كنت أعرف السيد كاظم اليزدي
الذي سمعت الى مشورته كثيراً عندما كنت في سوق الشيوخ . وأجبت المندوب
السامي بأنني لم أقابل الرجل ولكنني كنت أرسله فترة طويلة من الزمن .
« ذلك يكفي » قال السير بيرسي وسلمني على الفور رسالة شخصية منه الى
المجتهد الأكبر ، أمرني ان احملها بأقصى سرعة الى النجف الاشرف وأسلمها
بيدي الى السيد كاظم .

وأبلغني السير بيرسي ان حادثاً مؤسفاً وقع عندما كان احد الطيارين
البريطانيين يقوم بحملة تآديبية على قرع المشخاب من الفرات بالقرب من قرية ابو
صخير . وقد ألقى الطيار المذكور صدفة قنبلة سقطت فوق الكوفة وهي مدينة
على النهر تبعد اثني عشر ميلاً عن النجف . وقد أصابت القنبلة الجدار الخارجي
لمسجد الامام الاعلى ففتحت فيه ثغرة كبيرة . ومع ان هذا الحادث المؤسف كان
خطأ غير مقصود البتة ، لكنه كان كافياً لإشعال نار الثورة بين الشيعة في مقاطعة
أرد الهندية ، وأوشك ان يحرك جميع الشيعة في العالم ضد الانكليز . وقد نشأت
اضطرابات بالفعل في كل مكان ، وكانت إيران ، بصورة خاصة ، تغلي .

وشرح السير بيرسي في رسالته الى السيد كاظم ان القنبلة ألقيت عن غير
قصد ، وان الضابط الطيار قد عوقب لفعله . وخلص الى الاعتذار نيابة عن

حكومة صاحب الجلالة وعن نفسه لما حدث ... الخ

وحلت الرسالة دون ابطاء وقرجعت الى النجف . وهناك ذهبت الى المتصرف حميد خان وطلبت منه ان يأخذني لمقابلة السيد كاظم اليزدي على الفور . ولم تقض نصف ساعة حتى كنا في غرفة الاستقبال عند المجتهد الأكبر . ولم يكن السيد كاظم قد حضر بعد . وكانت الغرفة عبارة عن حجرة صغيرة لا مقاعد فيها ولا مساند باستثناء حصيرة خشنة من أوراق البردي . وقد ترك ذلك انطباعاً رائعاً في نفسي عن الرجل الذي يقود نصف العالم الاسلامي .

وجلسنا نتحدث الى حميد خان والى كاتب شاب لمدة عشر دقائق قبل ان يدخل علينا الرجل الكبير . وكان السيد كاظم صغير الحجم ، طاعناً في السن ، وعلى رأسه عمامة خضراء . وكانت لحيته طويلة صفيها بلون الحنة .

وقد حيانا بأدب جم واستقبلنا بعينين تطفحان بشراً بالرغم من السنوات السبعين المحفورة فيها . وبعد ان تناولنا الشاي المصنوع على الطريقة الفارسية ، استأذنته في الكلام . فقلت اني أحمل اليه رسالة من صديقه المندوب انساني في العراق ، أبلغت ان أسلمها بدأ بيد مع فائق الاحترام والتبجيل . وتناول السيد كاظم الرسالة ووضعها امامه على الأرض دون ان يفتحها وسألني : من أنت ؟ إنك تتكلم العربية جيداً .

وأجبتة بقولي :

— سيدنا، أنا تلميذك ، حافظ جميلك ، في سوق الشيوخ . أنا الانكليزي المسمى بدكان وقد ساعدتني قدامتك مراراً في حل المشاكل المستعصية منذ عدة سنوات .

وعمرني الرجل الشيخ بيديه ونظراته قائلاً :

— يا بني .. يا بني .. انه سرور عظيم .

وانتقل بعدها الى التكلم بلغة فارسية رفيعة وظل لمدة ثلاث دقائق يطرب اذني بالمديح والاطراء الذي بلغ الجوزاء . ولكنني لم أفهم إلا فحوى كلامه لا أكثر . وبعد أن انتهى من الكلام تهرأت وقلت له :

— يا سليل النبي ، أعذرني لأنني لا أفهم الفارسية جيداً فهل تسمح بإعادة ما قلته باللغة العربية ؟

وضحك السيد كاظم طويلاً وغمز بعينه مازحاً ثم أعاد ما قاله من قبل بلغة عربية فصحة من صميم القرآن وهي اللغة الكلاسيكية المعروفة بسين الكتاب والأدباء بالنحو . وبعد نهاية حديثه قلت له وقد لفني الحجل والإجراج :

— أعذرني وساعني يا سيدنا .. لم أفهم ما قلته بعد . فهل تزعج نفسك وتلقي علي مسامعك ما قلته باللغة العربية العادية ؟

وضحك الرجل ثانية وقال :

سأفعل جهدي يا بني .. ولكن يجب أن تتعلم أجمل لفتين في الدنيا: الفارسية والنحو .

وأخذ يخاطبني بأجمل العبارات وألطفها بلغة أهل الأهوار في سوق الشيوخ وبحبرة الحمار ، لقد كان كلامه أشبه بكلام امرأة من الأهوار تخاطب ابنها . وفهمت كل كلمة قالها وعجبت كثيراً . ورأيت أنه أراد أن يختبرني ببلاغته والآن أراد أن يجعلني أشعر أنني من أهل البيت ، ومنذ احساسي بهذا التعلق شعرت براحة كبيرة .

وبعد ذلك أخذ السيد كاظم رسالة السيد بيرسي ففتحها وقرأها . وكنت أذا أراقب تقاطيع وجهه وهو يتأمل الرسالة ويفكر في مضمونها . وأخيراً التفت إلي وقال لي هدهو :

— لم تلق أية قبلة على مسجد الإمام علي في الكوفة . من قال ذلك؟ إنها كذبة يقصد بها الإجحاف بالإنكليز . يجب أن أعرف .

وأكدت له بكل تواضع إن ما ورد في الرسالة صحيح مع الأسف ، وأنت السيد بيرسي لم يكن ليكتب له رسالة بهذا المعنى لو لم يتأكد من صحة الخبر . وانتفض قائلاً :

— لا ، لا إنها أكذوبة شريرة . إن شيئاً من هذا لم يحدث . سأكتب إلى السيد بيرسي كوكس بهذا المعنى .

وعندئذ غامرت وقلت :

- إذن ، لماذا لا تصدر فتوى أيضاً تملن فيها ان القصة معصطة من أروها الى آخرها . . . وانه لا خوف أبداً من ان تكون هنالك نية للتعريض للدين الاسلامي ؟

فضحك ونص على كاتبة الصيغة التي يجب ان تكتب بها الفتوى . والتفت إليّ بعد ذلك وأخذ يشيد بالسير بيرسي كوكس قائلاً انه رجل عظيم جداً يعرف كيف يتصرف في المسائل الشائكة . وخاطبني قائلاً : أبلغه انني أشكره لمعرفته بكلام الله في القرآن الكريم وقوله تعالى مخاطباً بني الانسان : ادخلوا البيوت من أبوابها . . لا تغزوا من السطح . وفي هذه الحالة يكون السير بيرسي قد فهم تماماً ان هو باب هذا البيت . . ولذلك أقول انهم لم تلق أية فتيلة في الكوفة لا صدفة ولا غير صدفة .

وحملت الرسالة والفتوى وعدت مسرعاً الى بغداد . وقد سر السير بيرسي كوكس سروراً عظيماً بالفتوى . فصورها وطبع عنها مئات النسخ وأمر بتوزيعها في لكتو وغيرها من مدن الهند ، وفي طهران ، وفي مدن العراق الرئيسية . وقد كان اسم السيد كاظم اليزدي وخاتمه المعروف في اسفل الفتوى كافيين لإخماد كل اضطراب .

وتبقى حقيقة صارخة وهي ان الفتيلة ألقيت ودمرت الزاوية الشمالية الغربية من جدار مسجد الامام علي في الكوفة . ولكن تلك هي حكمة السير بيرسي كوكس وعظمة صديق بريطانيا السيد كاظم اليزدي .

معاهدة شمره

وفي ربيع سنة ١٩٢٢ قامت قبائل نجد بعدة غزوات على الأرض العراقية . وكذلك قامت قبائل شمر ، التي لم ترض بسيادة ابن سعود فليجأت الى لواء الحلة في العراق ، بغزوات معاكسة ، مما أوجب اتخاذ إجراء لوقفها . وقد تكرررت هذه الغزوات ، والغزوات المعاكسة ، والدعايات المناوئة لابن سعود في العراق .

في خريف وشتاء سنة ١٩٢٧ - ١٩٢٨ .

وأعتقد ان بعض المسؤولين البريطانيين والعرب في العراق لم يعرفوا ان المشكلة في أساسها اقتصادية بحتة ، زادها سوء العداء الشخصي المستحكم بين الملك فيصل الأول وابن سعود .

انه لأمر معروف جيداً ان القبائل الشمالية والشمالية الشرقية في نجد، وخاصة عجمان وحرب ومطير وشمير وعوازم وظافر الأقرب الى العراق ، لا تستطيع أن تكفي نفسها في بلادها . ولذلك ، ومنذ قرون ، ترحل كل سنة في أشهر الخريف نحو الفرات والكويت ، حتى تحصل على ضرورات الحياة ، وهي بالنسبة لها ثلاث : التمر ، والأرز ، ومراعي الجبال . وهناك مراعي غنية تقع إلى الجنوب من الفرات وتمتد من كربلاء الى الخليج الفارسي . وهذا الكلام ينطبق أيضاً على قبائل عنيزة الشرقية - عمارات والدامشاه - . ولكن بعض شيوخ هذه القبائل كانوا يملكون أرضاً في جوار كربلاء ، فلذلك يصنفون ضمن القبائل العراقية ولا حاجة إلى التعرض لهم هنا .

أما الطرق والسبل التي كانت تسلكها قبائل شمير وغيرها في هجرتها السنوية فقد كانت منذ أقدم الازمان كما يلي :

شمير وحرب تنجها نحو الشنافيه (قرب النجف) ونحو السماوي . أما الفروع الشرقية فكانت تنجها نحو الزبير .

ظافر كانت تنجها نحو السماوي والناصرية وسوق الشيوخ .

مطير نحو الكويت والزبير

عجمان وعوازم نحو الكويت .

والطرق المتبعة هي نفسها . يقوم البدو بتقديم الهدايا الى القبائل القوية المسيطرة على المنطقة (كشيوخ آل السعدون في المنتفق مثلاً) ويطلبون السماح لهم بأن يقيموا قرب النهر . ومن تلك المحبات كانوا يندفعون كسيل واحد نحو المدن والقرى المنتشرة على الفرات لشراء حاجياتهم .

ولم يكن يرد مثل هذا الطلب لأن الفريقين يستفيدان : فالبدوي من

الصحراء يجلب معه الجمال والمال ، بينما كان ابن الفرات يبيعه ما لديه من ثمر وشعير وارز ، فيجدد بندقيته وذخيرته .

وكانت مدن الفرات وقبائله - والكوييت ايضاً - ترحب بهذه الهجرات السنوية . وكان البدو من شمال نجد ينظرون الى العراق والكوييت على انها سوقهم الطبيعية في نهاية كل صيف وبداية كل شتاء ، عندما تقل المراعي في اوطانهم ويصبح الرحيل امراً لا بد منه . واذا ما رفضت قبائل النهر السماح للبدو بالمرور الى الفرات للمسابلة فإن ذلك يكون بمثابة اعلان الحرب ، وقتل عنه مشاكل كثيرة . ولكن ذلك لم يحدث إلا نادراً في الاحوال التي يستفحل فيها العداء بين رؤساء الدول كأمراء حايل ، وآل سعود ، وشيوخ آل السعدون في المنتفى وغيرهم .

وقد بدأت سنة ١٩٢٢ تمثل هذا الوضع المشحون بالعداء مما ادى الى قيام تلك الغزوات والغزوات المعاكسة التي اشرنا اليها .

وفي الخامس من ايار وقع ممثلون عن الحكومة البريطانية وممثلون عن نجد معاهدة محرم التي نصت على وجوب معاقبة القبائل التي تبدأ الغزو ، كما نصت على وجوب تأمين سلامة طريق الحج ، وتطرق الى مشكلة الحدود بين العراق ونجد . وظلت تلك المعاهدة خاضعة لقرار المندوب السامي في العراق وابن سعود .

« أميرال » القطيف الاسود

في ايلول سنة ١٩٢٢ ارسلني السير بيرسي كوكس الى البحرين في مهمة خاصة وهي الاتصال بابن سعود واقتناعه بالجمي الى عقير على الساحل للاجتماع بالسير بيرسي وبحث مسألة الحدود . وأبلغني السير بيرسي انه لن يغادر العراق الى عقير الا إذا أبرقت له بأن ابن سعود غادر الرياض فعلاً الى مكان الاجتماع .

وكان الميجر دالي الذي خلفني كوكيل سياسي على البحرين يقضي اجازته وقتئذ في الهند ، فنزلت اذاً وزوجتي في ضيافة عبد العزيز القصبي المثل التجاري

لابن سعود في البحرين . وأحسن عبد العزيز القصبي وقادتنا في منزله الكائن على شاطئ البحر شرقي مبنى الجمارك. وقد ابلغت القصبي اسباب زيارتي للبحرين. واحتلت انا وزوجتي غرفتين واسعتين مريحتين في الطابق العلوي. ولما كنا نفرغ من كتابة التقارير ، كنا نقوم برياضة ركوب الخيل التي صحبناها معنا الى البحرين ، في أرض منامة وبديمة .

وبدأت عملي بمراسلة ابن سعود وأخذت أستقبله شيئاً فشيئاً الى قبول فكرة المؤتمر في عقير . ولكن الصعوبة كانت في استدراجه الى تحديد موعد لعقد المؤتمر .

وأذكر أنني كنت قد تقربت من ابن سعود عن طريق العمل المشاز الذي اذته زوجتي التي كانت تعمل سكرتيرة خاصة لي وقطيع رسالي . فكانت تترجم له الى الفرنسية برقيات رويتر اليومية التي كانت تردني ، وترسلها بأسرع ما يمكن الى الرياض حيث كان يترجمها الى العربية الدكتور عبدالله سعيد الدملاجي الذي كان بمثابة وزير خارجية ابن سعود .

وبعد وصولنا الى البحرين بشهرين قصصني عبد العزيز القصبي وقال ان رجلاً يدعى الميجر فرانك هولمز وهو مهندس تنقيب ، وآخر يدعى الدكتور مارت وكلاهما ينتميان الى الشركة الشرقية العامة المحدودة في لندن ، سيتوجهان قريباً الى خارج البحرين للعمل ، وسيحفظان الفضل لي اذا قبلتهما في منزلي طوال مدة اقامتهما في البحرين . وقد قدم الرجلان الى البحرين بنساء على تعليقات ابن سعود وسيخرجان الى البر حالما يتلقيان كلمة منه .

وقد أثار هذا الكلام شكوكي رأساً. فعندما كنت ركبلاً سياسياً في البحرين قبل سنتين سرت شائعات قربة مفادها ان هنالك منابع للتفط وراء واحدة القطيف على بعد ستة أميال الى الشمال الشرقي من مدينة القطيف . وقت في ذلك الوقت بعدة جولات تفتيشية في المنطقة بحثاً عن تلك المنابع ولكن لم الاق اي نجاح .

وقت بعد ذلك بإذن من ابن سعود بجولة على ظهر الجمال والحير في كل منطقة

جبل الظهران ظناً مني ان الشائعات التي أطلقها البدو قد أخطأت المكان ،
و كنت على يقين ان تلك الشائعات ليست بدون أساس ، لأنني عندما كنت في
القطيف عبرت الى دارين عاصمة جزيرة طاروت حيث اطلعني الشيخ جاسم بن
عبد الوهاب باشا الذي يقسم هناك على نسخة من تقرير تركي يفيد بأن منابع
البترول موجودة فعلاً وراء القطيف . اما التقرير الاصلى فقد ارسله المتصرف
التركي في الاحساء الى استانبول عندما كان الانزالك يحثلون المنطقة قبل عدة
سنوات .

كتارون

وقد بدا واضحاً ان ابن سعود علم بالتقرير التركي فأرسل في طلب الميجر هولمز
للبحث عن البترول ، ولذلك كان يتهرب من تحديد موعد للمؤتمر لأنه يريد ان
يقابل الميجر هولمز أولاً . واتضح لي ايضاً ان الميجر هولمز قد يحاول الحصول على
امتياز للتنقيب عن البترول من ابن سعود اذا كانت البجانه الأولية تبشر بأي
نجاح .

وفي الوقت الذي كنت فيه أفاوض ابن سعود للوصول معه الى موعد محدد
لمؤتمر عقير ، كنت أفضي بعض الوقت في الكتابة الى السير بيرسي عن آرائي في
قضية البترول ، ووصفت له مفصلاً زيارتي الى البئر بحثاً عن المنابع . وكانت زوجتي
تطبع كل تلك الرسائل والتقارير ولذلك كانت مطلعة على القضية من أولها الى
آخرها ، فشاركتني شكوكي عندما علمت بالزيارة المقترحة التي سيقوم بها ممثلاً
الشركة الشرقية العامة الى منزلنا .

وأرسلت برقية بالشفرة الى السير بيرسي اخبرته فيها عن زيارة الميجر هولمز
وضمنتها شكوكي بأن الميجر هولمز قد لم يطلع ابن سعود على امكانيات وجود
البترول في جوار القطيف وجبل الظهران ، وان ابن سعود قد يشتر هذه القضية
اذا جاء الى عقير لحضور المؤتمر الخاص بتخطيط الحدود . وبذلك تكون رسائلي
السابقة أساساً مفيداً للتطورات الجديدة .

وفي اليوم التالي وصل الميجر فرانك هولمز والدكتور مان الى منزلي بصحبة
القسمي ليقبلا معنا . وقد استرعى انتباهي وانتباه زوجتي امران ممليان للغاية

أولها مظهر الميجر هولمز . فقد كان يعمل مظلة كبيرة بيضاء ذات خطوط خضراء ، وعلى رأسه قبعة بيضاء كالتي يلبسها الجنود الفرنسيون في اقربقيا ، وفوق قبعته ووجهه كان يضع قناعاً شفافاً أخضر اللون تماماً كالصور التي يشاهدها المرء للسياح الذين يذهبون لزيارة الاهرام . والشئ الآخر الذي استرعى انتباهنا هو ذلك العدد الضخم من الهدايا التي حملها هولمز الى ابن سعود . فقد حمل معه ما لا يقل عن خمسين حقيبة وصندوق وبندق .

ولم يمض وقت طويل حتى شعر الضيفان وكأنهما في منزلهما . وكانت الميجر هولمز رجلاً لطيفاً ومرحاً للغاية وبروي قصصاً أشبه بالحيال . وكان يضيفي جواً من المرح وخفة الظل ولكنني اكتشفت انه مريض يعاني من ألم في المראה . وظل دائماً يتساءل كيف سينتطيع القيام برحلة على ظهر الجمل الى الهفوف وربما الى أبعد من ذلك . وقد أعطيته بعض المعلومات والملاحظات التي تفيده اذا انني قمت بمثل هذه الرحلة من قبل عندما كنت وكيلاً سياسياً في البحرين .

وبعد اسبوع من الزمان حان موعد رحيلهما فأحضر لهما زورقان بخاريات وربطاً أمام منزلي . وبينما كنا نتناول طعام الافطار سألت الميجر هولمز عن سبب حاجته الى زورقين اثنين فأجاب قائلاً :

— واحد لككتور مان الذي سيذهب عن طريق عقير والآخر لي لأنني سأقوم برحلي عن طريق القطيف . وأبدت دهشتي قائلاً :

— ولكنك مريض ! لماذا تركب مئة ميل على ظهر الجمل في الوقت الذي لا تحتاج فيه الى الركوب أكثر من خمسين ميلاً اذا سافرت عن طريق عقير ؟ وفجأة اعترته الدهشة وبدأ يطلق كلاماً غامضاً وقال :

— يا دكتور انني من هواة جمع الفراشات . وقد أبلغت ان مجموعة من الفراشات السوداء عجيبة لا يوجد نظير لها في العالم يمكن العثور عليها في واحة القطيف ، ولذلك فقد أطلقت عليها اسم « اميرال القطيف الأسود » وسأتوجه للحصول على عينة منها ستكون سبب شهرتي وارتفاع شأني !!

وكان هولمز منهمكاً في أكل قطعة من البيض ولحم الخنزير عندما فجرت زوجتي قنبلتها . فقالت بصوت هاديء :
 — يا ميجر هولمز ، إنها المرة الأولى التي أسمع فيها ان منابع البترول تسمى باسم الفراشات .
 وكان تأثير كلمات زوجتي سريعاً ، فقفز هولمز من مقعده وقال مذعوراً :
 — بربك ماذا تقصدين يا سيده ديكسون ؟
 — الذي قلته تماماً .
 ولرثد هولمز الى الوراء قليلاً ثم اندفع حول المائدة وأمسك زوجتي من يدها وقال متعجباً :
 — يا لله .. انك امرأة رائعة .. سأبرق اليوم إلى مدير حدائق الحيوان في لندن وأطلب منه أن يضمك الى مجلس إدارة الحدائق .
 وقد حافظ هولمز على كلامه ، فبعد فترة قصيرة تلقت زوجتي رسالة لإعلامها بأنها انتخبت عضوة في المجلس .
 وتركنا الرجلان وسافرا في الزورقين على ان نلتقي بالميجر هولمز ثانية .

مؤثر عقيير

في العاشر من تشرين الثاني سنة ١٩٢٢ أبلغني ابن سعود خطياً أنه سيصل الى عقيير في الحادي والعشرين من الشهر نفسه ، فأبرقت إلى السير بيرسي كوكس لإعلامه . وقلقيت من السير بيرسي جواباً يفيد بأنه سيحضر الى البحرين على ظهر إحدى السفن الملكية طالباً مني ان أدبر أمر سفره الى عقيير . وقال إنه سيصحب معه صبيح بك الوزير العراقي للمواصلات والأشغال ، والميجر مور الوكيل السياسي في الكويت الذي سيمثل الشيخ أحمد الجابر حاكم الكويت ، والشيخ فهد بك الهذال رئيس فرع عمارات في قبيلة عنيزة ، ومساعدته الشخصي وهو ضابط سابق في سلاح البحرية البريطانية ، وعدد من الموظفين والكتبة العرب .

وقد وصل هذا الفريق في الموعد المحدد واتجهنا جميعنا إلى عتير في زورق بخاري يملكه عبد العزيز القصبي .

وكان ابن سعود قد وصل قبلنا فأقام خياماً بيضاء من كل حجم على بعد نصف ميل إلى الغرب من الحصن القديم حيث توجد دائرة الجمارك .

واصطحب ابن سعود معه صهره سعود العرفه آل سعود الذي كان في يوم من الأيام ثوراً على سلطته ، وعبد اللطيف باشا المنديل ، وهو تاجر نجدي مرموق له أعمال مصرفية في البصرة ، والشاعر والمؤرخ اللبناني أمين الريحاني ، وعدد من الموظفين بينهم الدكتور عبدالله سعيد الدملاجي ، وحرره الخاص المؤلف من حوالي ثلاثمائة رجل . وكان هناك أيضاً الميجر هولمز الذي التقى ابن سعود في الحفوف وجاء معه .

ونصبنا خياماً مريحة للإقامة فيها ، وخيمة كبيرة على الطراز الأوروبي كما يسميها الهنود لتكون بمثابة غرفة للاجتماع وقاعة للطعام . وقد أقام ابن سعود خيمتين بيضاوين عليها مظاهر الفخامة ، واحدة للاستقبال وأخرى للنوم والراحة .

واستقبلنا ابن سعود جميعنا استقبالا ملكيا رائعا باستثناء فهد بك الهذال الذي أزعج وجوده ابن سعود الذي تصرف بشكل يراد منه اطلاق الحاضرين على أن فهد بك شخص غير مرغوب فيه . فما كان من فهد بك إلا أن انسحب إلى خيمته وظل قابعا فيها طوال فترة انعقاد المؤتمر وهي سبعة أيام بسبب تلك الإساءة .

لقد أخطأ السير بيرسي في إحضار فهد بك معه ، لأن فهد بك ونوري الشعلان زعيم فرع الروال في قبيلة عذيره يعتبران نفسيهما زعمي اتحاد قبائل عذيره كلبا، ويدعيان أنها أعلى منزلة من آل الصباح في الكويت ومن ابن سعود نفسه . إذ أنه أمر طبعي أن يتمتع عبد العزيز آل سعود سيد الجزيرة العربية من وجود أحد أفراد القبيلة معها علا شأنه في خيمته أو في المؤتمر ، ينظر إليه وكأنه أوضع منه نسباً .

كان هم المؤتمر الاساسي تخطيط الحدود بين العراق ونجد . وكان يمثل العراق صبيح بك ويمثل نجد ابن سعود . اما السير بيرسي فكان بشابة الحكم الذي ظل دائماً كآني الهول صامتاً صبوراً رجب الصدر يضي على الجو انقاساً من المرح والهدوء ، ولكنه كان مصمماً ان لا يذهب إلا وقد وضع صيغة للاتفاق في جيبه .

وكانت المحادثات مثلاً رائعاً للمساومات المتبعة عندما يلتقي ممثلو دولتين شرقيتين كبيرتين لحل مشكلة من المشاكل . فلم يكن هنالك أخذ ولا عطاء من اي نوع منذ البداية ، اذ أن كلا الطرفين ظللاً طوال الوقت يعرضان مطالب عجيبة غريبة . ومثلاً على عقم تصرفات المفاوضين الرئيسيين سأذكر حادثة وقعت بعد فترة قصيرة من ابتداء المؤتمر . فبعد ان القى الجانبان خطباً ترحيبية تقليدية ، ألقى السير بيرسي كلمة أعرب فيها عن رغبة حكومة صاحب الجلالة ، صديقة الطرفين ، في الوصول الى حل ودي ، وطلب من صبيح بك ان يعرض وجهة نظر العراق فيما يعتبره خطأ عادلاً للحدود . ونهض صبيح بك وقال :

« منذ ان خلق الله العالم ومنذ بدء تدوين التاريخ وحدود العراق تمتد جنوباً الى بعد اثني عشر ميلاً عن الرياض عاصمة ابن سعود . وتلتف هذه الحدود غرباً الى البحر الاحمر فتشمل حائل والمدينة وينبع ، وشرقاً فتضم الحفوف والقطيف على الخليج الفارسي . ويشهد الله ان هذه وهذه فقط هي الحدود الصحيحة بدون منازع .

« لست أعرف شيئاً عن الخلافة ولكنني أعرف انه منذ أيام ابراهيم ، جدي الأكبر ، واراخي نجد وعالم البادية يمتدان شمالاً الى حلب ونهر العاصي بشمال سورية ويضمان كل البلاد الواقعة على الضفة اليمنى من نهر الفرات حتى البصرة على الخليج الفارسي .

يمثل هذا الكلام بدأت المناقشات واستمرت خمسة أيام كاملة . ومع ان ابن سعود كان يعتبر نفسه حليفاً وصديقاً لبريطانيا ، إلا انه كان يشعر بأنه مطوق من جميع الجهات بعدد من الدويلات الدمي التي خلقها حليفته .

إن عواطف ابن سعود الحقيقية كانت مع شعبه الذي يرغب في طرد الملك حسين من الحجاز في الغرب ، واحتياح شرق الأردن في الشمال الغربي ، والغزو في أرض العراق والكويت شمالاً كما في السابق. ولكنه كان يعرف تماماً أن تحدي بريطانيا سيكون كارثة عليه ، فقد تصرف في مؤتمر عقير على أساس أن مثليه في تمره حملوا بعكس تعليماته في موافقتهم على إمكانية وضع خط ثابت للحدود بين العراق ونجد .

وقد عمل ابن سعود المستحيل لحل المؤتمر على وضع حدود عشائرية بدل خط تحكيمي يرسم على خارطة ، على أساس تصنيف القبائل التي تذهب إلى نجد وتلك التي تذهب إلى العراق والكويت . فهذا بالإصرار على أن ظافر وهي قبيلة من البدو في العراق هي له ، ولذلك فإنه من الضروري أن تمتد حدوده إلى انقرا ، لأنه يرغب في السيطرة على النهر بل لأن ظافر والقبائل البدوية الكبيرة الأخرى تنتقل سنوياً إلى انقرا ولا يمكن أن تحرم هذا الحق لأنه مسألة حياة أو موت بالنسبة لرجال الصحراء .

ولما أشار السير بيرسي أن هذا الادعاء غريب ولا يمكن أن يجري بحته ، نحل ابن سعود عن قبيلة ظافر وتبنى خطاً أكثر تعقلاً على أساس الحدود العشائرية بضمن حقوق القبائل العائدة له ومنع قيام اضطرابات في المستقبل . وقال أنه من التسهيل وضع نظام للآبار والمراعي التي تملكها كل قبيلة لأنه منذ أيام إبراهيم وكل قبيلة تعرف آبارها ومراعيها من تلك التي ليست لها .

واقترح ، على سبيل المثال ، أن تشكل الحدود الآبار الواقعة إلى أقصى الجنوب والتي تدعي ملكيتها عبيزة و ظافر و قبائل الكويت (باستثناء مطير وعوازم وعجمان التي أكد ابن سعود أنها تقع تحت سيطرة حكومته) ، أما الآبار التي عرفت بأنها ملكية مشتركة كتلك التي بين عبيزة و ظافر وبين ظافر و مطير ، فيجب أن تعلن منطقة محايدة .

ولما سئل كيف يستطيع إثبات ملكية هذه الآبار أجاب بأن جميع أهل الصحراء يعرفون ذلك كضرورة النهار ، فضلاً عن أن هنالك وصيات قديمة العهد

موجودة على جدران الآبار الداخلية . وفي حال حدوث نزاع فإن أهل الخبرة يستطيعون تصحيح الأمر .

والى جانب ذلك اصر ابن سعود على حق قبائل نجد في الوصول الى الغرات لشراء حاجياتهم كل سنة .

وأعلن فسيح بك عندما سئل عن رأيه في تلك المرحلة من المحادثات ، ان العراق لن يقبل بأي تخطيط للحدود يعطيه أقل من مائتي ميل الى الجنوب من الغرات .

وفي اليوم السادس للمؤتمر تدخل السير بيرسي في الأمر وأبلغ الطرفين انه اذا استمرت المفاوضات على هذا الشكل فإنها لن يتوصلا الى أي اتفاق قبل سنة من الزمان . ففي اجتماع خاص ضم السير بيرسي وابن سعود وأنا فقط ، فقد السير بيرسي صبره واتهم ابن سعود بأنه تصرف تصرفاً صبيانياً في اقتراح فكرة الحدود العشائية . ولم يكن السير بيرسي يجيد اللغة العربية فقامت أنا بالترجمة . ولقد ادهشني ان ارى سيد نجد يربخ كتليد وقح من قبل المندوب السامي لحكومة صاحب الجلالة الذي ابلغ ابن سعود بلهجة قاطعة انه سيخطط الحدود بنفسه بصرف النظر عن كل اعتبار .

هكذا انتهى هذا الفصل من المسرحية فانهار ابن سعود واخذ يتودد ويتوسل معلناً ان السير بيرسي هو أبوه وأمه ، وأنه هو الذي ضعه ورفع من لا شيء الى المكانة التي يحتلها ، وانه على استعداد لأن يتخلى عن نصف مملكته بل كلها إذا أمر السير بيرسي بذلك .

وحسباً أذكر لم يلعب ابن سعود دوراً يذكر في المحادثات تاركاً الأمر للسير بيرسي ليقرر حل مشكلة الحدود . وفي اجتماع عام للمؤتمر أخذ السير بيرسي قلماً أحمر ورسم بعناية فائقة على خارطة للجزيرة العربية خطاً للحدود من الخليج الفارسي الى جبل عذبان بالقرب من حدود شرق الأردن . وبذلك يكون قد أعطى العراق مساحة كبيرة من الأراضي التي تدعي نجد ملكيتها . وارضاء لابن سعود حرم الكويت بدون شفقة من ثلثي أراضيها تقريباً وأعطاهما لنجد

جبل عذبان
بالقرب من
الحدود العراقية
التي تدعيها
نجد ملكيتها

بحجة ان سلطة ابن صباح في الصحراء أصبحت أقل مما كانت عليه يوم وضعت الاتفاقية الانكليزية - التركية . والى الجنوب والغرب من الكويت رسم منطقتين اعلن انها ستكونان محابدين سميت الأولى منطقة الكويت المحايدة وسميت الأخرى منطقة العراق المحايدة .
وجواباً على اعتراضات عبداللطيف باشا المتدبل على وجود منطقة محايدة للكويت قال السير بيرسي ان قبائل الكويت يجب ان يكون لديها مزيد من المراعي .

وعندما الح الباشا في الاعتراض استشاط السير بيرسي غيظاً وقال له :
- بريك ، لماذا تصر على ان تكون تلك المنطقة لنجد ؟
فأجابه الباشا بقوله :
- بصراحة لأننا نعتقد انه يوجد فقط في تلك المنطقة .
ورد السير بيرسي قائلاً :
- وهذا بالضبط هو سبب جعلها محايدة حتى يكون لكل واحد حصص متساوية .

وحوالي الساعة التاسعة من ذلك المساء حدثت مقابلة مدهشة . فقد طلب ابن سعود مواجهة السير بيرسي على حدة . وصحبني السير بيرسي معه فوجدنا ابن سعود واقفاً وحده ومط خيمة الاستقبال بأدي الاضطراب .
وبادر ابن سعود السير بيرسي قائلاً بصوت كئيب :
- يا صديقي لقد حرمتني من نصف مملكتي . الأفضل ان تأخذها كلها ودعني اذهب للنفي .

وظل ذلك الرجل القوي العظيم واقفاً رانماً في حزنه وانفجر باكياً . وتأثر السير بيرسي كثيراً وامسك بيد ابن سعود وأخذ يبكي هو الآخر والدموع تنحدر على وجنتيه . ولم يكن حاضراً تلك اللحظة سوى نحن الثلاثة . وأنا أقص هنا ما شاهدته بكل امانة .

ولم تدم تلك العاصفة العاطفية طويلاً فقال السير بيرسي وهو لا يزال مسكاً

بيد ابن سعود :

— يا صديقي انني أعرف حقيقة شعورك ، ولهذا السبب اعطيتك نلثي الكويت ولست اعرف كيف سيتلقى ابن صباح هذه الصدمة .

وكما قلت في فصل سابق من هذا الكتاب ، لقد كان السير بيرسي رجلاً عظيماً . وكذلك كان عبد العزيز آل سعود رجلاً عظيماً وممثلاً عظيماً ايضاً وكلاهما الآن في ذمة الله — رحمهما الله . وظل خط الحدود الذي رسمه السير بيرسي قائماً لم يتغير الى اليوم .

واعادة لما ذكرته في الفصل الأول فإن حدود الكويت الجديدة تبدأ في الغرب عند ملتقى وادي العوجا بوادي الباطن . ومن تلك النقطة ، تاركة ربيع في حوزة نجد ، تمتد في خط مستقيم الى ملتقى خط العرض ٢٩ بنصف الدائرة الحمراء المشار اليها في الاتفاقية الانكليزية — التركية ثم تتبع نصف الدائرة الحمراء الى نقطة على الساحل الى جنوب رأس القليعة تماماً .

والى جنوب خط الحدود هذا تقع منطقة الكويت المحايدة التي يحدها من الغرب المنخفض الواسع المسمى الشق ، ويحدها من الشرق البحر ، ومن الجنوب خط يتجه من الشق عبر عين العبد الى نقطة على الساحل شمالي رأس المشعاب . وهذه الحدود مع حدود العراق ونجد ثبتها جميعها السير بيرسي بالانضافة الى بعض المقترحات هنا وهناك قدمتها له والدكتور عبدالله الديمولوجي والميجر مور . وقد أرخت الاتفاقية بيني وبين الكويت باسم الله الرحمن الرحيم في الثاني من كانون الأول سنة ١٩٢٢ ووقعها الدكتور عبدالله الديمولوجي نيابة عن ابن سعود كما وقعها الميجر مور نيابة عن شيخ الكويت . وقد مهر ابن سعود الاتفاقية بخاتمه الرسمي .

وكان الدافع الى مثل هذه الاتفاقية الغربية التي سلمت دولة صغيرة ضعيفة بكل بساطة الى دولة قوية ، المصلحة والرغبة في ارضاء حاكم قوي مشاكس كابن سعود . وبذلك تكون الحدود الجنوبية المعترف بها للكويت قد اقتطعت منها مئة وخمسون ميلاً مما جعل مساحة الكويت تنقلص الى ستة آلاف ميل

مربع فقط .

وما يذكر ان الميجر مور المفروض فيه ان يدافع عن مصالح شيخ الكويت لم ينطق بكلمة واحدة طيلة المحادثات . فقد سيطر السير بيرسي على كل شيء وعلى كل شخص وكسب الجولة . واشك ان أي شخص آخر يستطيع ان يحقق النجاح الذي احرزه ولكن على حساب السمعة العطرة التي اكتسبها بين العرب على مر السنين . فالشيخ الشاب أحمد الجابر الذي لم يكن قد مضى على ارتقائه العرش أكثر من سنة تلقى على يد السير بيرسي ضربة زعزعت ثقته ببريطانيا ولم يشف منها ابداً .

وقد وقع البروتوكول الخاص بين نجد والعراق في الثاني من كانون الاول أيضاً . وقد حدد البروتوكول خط الحدود ومنطقة العراق المحابدة وسمح للقبائل الرحلى بحرية التنقل عبر الحدود كما سمح لقبائل البلدين استخدام الآبار القريبة من الحدود .

وللتغلب على الصعوبات التي كان ابن سعود يعتقد انها ستنشأ في حال وضع خط ثابت للحدود بين البلدين ، فقد حظرت المادة الثالثة من البروتوكول المذكور اقامة الحصون والحشود العسكرية في منطقة الحدود . ولكن الكلمات التي صيغت بها تلك المادة كانت مطاطة بحيث انها قادت الى نزاع كبير بعد خمس سنوات .

ان الحدود الاعتبائية التحكيمية بين العراق ونجد كانت في رأي خطأ كبيراً . اذ ان ابن سعود حصر تنقلات قبائل نجد السنوية ، ربما لأول مرة في التاريخ ، باتجاه الشمال . فكان يشعر ، بدون شك ، ان مندوبي العراق والنسير بيرسي كوكس تغلبوا عليه ، وان المشكلة قد حلت حسب المفاهيم الأوروبية وليس حسب تلك المفاهيم المفهومة في العالم العربي . ولذلك يبدو أنه قرر اتباع سياسة تحويل انظار شعبه ، بصورة بطيئة ولكن محكمة ، عن خط اتصالهم القديم بالعراق والكويت ، محاولاً بدل ذلك دفعهم الى الحصول على ضروريات الحياة اليومية من عقيق والقطف وجبيل ، موافقاً على الخليج

الذاري سي .

وبما لا شك فيه أنه كان يعتقد ، لأسباب سياسية ومنعاً للتآمر ، أنه من الأفضل أن يمنع القبائل التابعة له من الاتصال المباشر بدول يظن أنها معادية . ولكن خطوط التجارة الطبيعية لا يمكن تحويلها بسهولة أو إهمالها ووضعها جانباً . ولذلك لم ينجح عن تلك السياسة سوى المشاكل والمناعب .

فلو أن ابن سعود ترك وشأنه فانه من غير المحتمل أن تقوم ثورة الإخوان في سنة ١٩٢٩ - ١٩٣٠ ، أو الاحتكاك الذي سبقها بين العراق ونجيد ، أو مرارة مقاطعة الكويت الطويلة التي استمرت أربعة عشر عاماً .

وبصرف النظر عن خط واحد طويل مستعري يشكل المنطقة الحايضة بين العراق ونجيد ، فإن الحل الأنسب من ذلك الذي توصل اليه مؤتمر عقير ، هو الحل الذي اقترحه ابن سعود على أساس حدود عشائرية . فعندما كنت ضابطاً سياسياً في المنتفق كانت لي تجربة مريرة بسبب الحدود الاعتبارية التي وضعها لاتراك بين الألوية . ولم أكن أرتاح من اقتتال القبائل بين الألوية إلا عندما كنت اقنع السير بيرسي كوكس بالسماح لي في اتباع الحدود العشائرية . ولكن فعل حسناً لو أنه اتبع نفس الخطة في عقير .

أما الميجر هولمز فلم يلعب أي دور إلا في اليوم الأخير للمؤتمر . ففي محادثات خاصة بين ابن سعود والسير بيرسي حضرتهما أنا فقط ، أثار ابن سعود مسألة منح امتياز للنفط إلى الشركة الشرقية العامة . وأخبر ابن سعود السير بيرسي كل شيء عن زيارة الميجر هولمز للاحساء ، وأبلغه أن الميجر هولمز قدم له تقريراً إيجابياً أعرب له فيه عن رغبته في الحصول على امتياز فوراً . واستوضح ابن سعود ما إذا كان الحكومة صاحب الجلالة أي اعتراض على ذلك .

واجابه السير بيرسي قائلاً :

— لا يوجد أي اعتراض . اعطه الامتياز ولكنني احذرك من أن الشركة الشرقية العامة ليست شركة للنفط وأخشى أن تبسح الامتياز لغيرها . وشكره ابن سعود وقال انه فهم كل شيء . وبعد ذلك استدعي الميجر

هولمز وقدم الى السير بيرسي ثم عرض قضية النفط وآماله فيها . وذكر ايضاً ان هنالك امكانية للعثور على النحاس ، ثم اشار على الخارطة مدى اتساع رقعة الأرض التي يطلب ان يشملها الامتياز الذي يسعى اليه . وكانت تلك المنطقة أشبه بمستطيل طويل تحده من الشمال منطقة الكويت المحايدة ، ومن الجنوب سلوى التي تقع في داخل أراضي قطر ، ومن الغرب خط مستقيم يحاذي البحر ويبعد عنه مئتين ميلاً فيشمل وادي المياه ^{١٠} وضلعة الكبريت في منطقة الجوف على بعد خمسة وعشرين ميلاً الى الجنوب الغربي من منطقة الكويت المحايدة .

اما الميجر هولمز فلم يحظ باعجاب السير بيرسي الذي اعتبر وجوده هناك ضد مصالح حكومة صاحب الجلالة . فقد دخل هولمز ، اذا جاز التعبير ، من الباب الخلفي . وما لا ريب فيه ان السير بيرسي كان يمكن ان يدبته هو واعماله أمام ابن سعود لو استطاع ان يفعل ذلك بصورة سليمة . ولكنه لكونه معجباً اعجاباً شخصياً بابن سعود ورغبة منه في عدم اغاظته بعد قضية الحدود ، طيب خاطره بجره الى الاعتقاد ان حكومة صاحب الجلالة تريد مساعدته على تطوير بلاده وافساح المجال أمامه للحصول على دخل محترم .

وبعد عدة سنوات عرفت كيف انني لم استطع العثور على منابع النفط . فقد كانت مغطاة بكثيب هائل من الرمل هو واحد من عدة كثبان تتحرك باستمرار الى الغرب من حزام النخيل في القطيف . فعندما بدأت شركة النفط العربية الاميركية (ارامكو) وهي فرع من شركة ستاندرد اويل ، العمل واكتشفت حقل النفط الكبير في جبل الظهران ، لم يض وقت طويل قبل اكتشاف حقل أصفر وراء القطيف تماماً في المكان الذي ثمنت العثور فيه على المناسيع من قبل . ويضم هذا الحقل اليوم على ما اعتقد ست آبار .

ردود الفعل في الكويت

وغداً الى البحرين بينا اكمل السير بيرسي والميجر مور طريقهما الى الكويت .

وبعد وقت قصير تبعتهما أنا وزوجتي وبصحبتنا الشيخ فهد بك الهذال والوفد العراقي . وأذكر أننا وجدنا صعوبة فائقة في الصعود إلى ظهر السفينة التي أفلتنا بسبب العواصف الشديدة . وقد عانى أكثر من الجميع الشيخ الحسن فهد بك لأنه كان علينا جميعاً أن نقسّق على سلم من الخيال وعلى خصوصاً أحزمة النجاة .

ولدى وصولنا إلى الكويت ، وكان ذلك بعد يوم واحد فقط من وصول السير بيرسي والميجر مور ، نزلت أنا وزوجتي فيما أكمل فهد بك والوفد العراقي طريقهم إلى البصرة .

كنت أنا والميجر مور حاضرين عندما أفضى السير بيرسي بالنبا إلى حكام الكويت معتذراً لأنه اضطر إلى إعطاء ابن سعود ثلثي ملكة الشيخ أحمد . وسأله الشيخ أحمد وقد بلغ به التأثير حدّاً كبيراً ، لماذا فعل ذلك دون استشارته على الأقل . وأجاب السير بيرسي أنه في تلك المناسبة السيئة كان السيف أقوى من القلم ، وأنه لو لم يسلّم تلك الأراضي لأمين سعود لكان بكل تأكيد أخذها وربما أخذ أكثر منها بقوة السلاح . وكما هي الحال ، فقد أرضى السير بيرسي الجار القوي للشيخ أحمد وزرع في نفسه شعوراً ودياً تجاه الكويت . وسأل الشيخ أحمد ما إذا كانت بريطانيا قد دخلت في حروب دفاعاً عن حقوق الدول الصغيرة ، فأجاب السير بيرسي بالإيجاب معترفاً بأن ما قاله الشيخ أحمد صحيح . وقال الشيخ أحمد :

— إذا توفي ابن سعود في يوم من الأيام وأصبحت انا قوياً كجددي مبارك ، فهل تمانع الحكومة البريطانية إذا رفضت خط الحدود غير العادل واستعدت أراضي التي فقدتها ؟

وضحك السير بيرسي وقال :

— لا .. وليبارك الله جهودك .

ولما وجد الشيخ أحمد نفسه أمام الأمر الواقع وافق على الاتفاقية ووقع عليها . ولكنه ظل إلى يوم وفاته شاعراً بالفن معتقداً أنه عومل معاملة سيئة وكان ينبغي أمام أخصائه بكلام من هذا النوع كأن يقول لهم :

— انني لم أحضر محادثات عقير على بعد ثلاثمائة ميل من هنا كما انني لم أطلع على ما كان يجري هناك . لقد كنت أثق بالسير بيرسي كما أثق بوالدي . ولم أكن لأعترض لو أن بضعة أميال من أروصي اقتطعت مني ، ولكن أن أسلب من ثلثي مملكتي دون أن يكون لي رأي في الأمر وأرى بعيني تلك الأرض تعطى لغيري ، فذلك أمر يصعب عليّ تحمله .

وفي السنوات التالية ظل الشيخ أحمد يقول لي إنه يعتبر كل منطقة الكويت المحايدة جزءاً من أراضيه ولن يوافق مطلقاً على اقتسام امتيازات النفط مع ابن سعود . وكان ابن سعود قد منح فعلاً امتيازاً للشركة الشرقية العامة المحدودة في شهر أيار سنة ١٩٣٤ ، يشعل منطقة الاحساء . ولكنه اعتبر الامتياز لاحقاً لأن الشركة لم تف بتعهداتها في بدء العمليات خلال ثلاث سنوات من توقيع الاتفاق .

وقبل وفاته سنة ١٩٥٠ بوقت قصير وافق الشيخ أحمد مع ابن سعود على منح امتياز لشركة النفط الأميركية المستقلة (امينويل) . وقد فعل ذلك ، على حد قوله ، رغبة منه في المحافظة على صداقة ابن سعود الذي أصبح تأييده للكويت أجدي من تأييد بريطانيا . ذلك لأن استثمار بريطانيا للنفط في أراضيه ، وسياساتها التي كانت تقبل الى إسرائيل أكثر مما تقبل الى العرب ، حملاه على تغيير خطته تجاه بريطانيا نمشياً مع الشعور العام في العالمين العربي والاسلامي .

وفي نيسان سنة ١٩٣٣ أبلغ الشيخ أحمد ابن بريطانيا تعترف بالحدود التي يراها هو صحيحة بين العراق والكويت والتي تعطيه جزر ورثا وبنيان ومسكان وفيلكه وعوخه وكتبر وقارو ومقطع وأم المرادم وغيرها من الجزر المجاورة . وقد كتب السير بيرسي كوكس الى الميجر مور طالباً منه أن ينقل ذلك الى الشيخ أحمد . ويقول السير بيرسي في رسالته الى الميجر مور :

— وكما تعلم ، ينطبق ذلك مع الحدود المشار إليها بالخط الأخضر في الاتفاقية الانكليزية التركية الموقعة في ٢٩ تموز سنة ١٩١٣ ، ولكنه ليس من الضروري ان تذكر ذلك أمام الشيخ أحمد أو أن تشير الى الوثيقة من قريب أو من بعيد في حديثك معه حول الموضوع ...

الفصل الثاني عشر

مقدمة للثورة

١٩٢٣ - ١٩٢٨

كان المتعصبون من الاخوان ما زالوا يشيعون جواً من الرعب عن طريق ضم الناس الى مذهبهم بالقوة . وقد أخبرني ابن سعود بصورة خافتة في عثيرة في شهر تشرين الثاني سنة ١٩٢٢ ، انه لم يزيد أبداً تلك الأعمال ولكنه لم يتمكن من ان تكون له يد في كبح جماحها إلا مؤخراً . وأضاف انه في صيف سنة ١٩٢٢ أصدر أشد الأوامر حول هذا الموضوع وأخذ يعظ يوماً بعد يوم بين الناس شاجباً تلك الأعمال التي قال انها تجلب غضب الله والدول الصديقة . وقد اضطر الى تنفيذ احكام الاعدام في عدد من الاخوان لعدم امتثالهم للأوامر المتعلقة بهذا الشأن . وقال لي ابن سعود ان الشيعة من أهل الأحساء والقطيف منعوا من التدخين حتى في منازلهم ولم يكن يسمح لهم اداء فرائضهم الدينية في حسينياتهم . وكانت تنزل أقصى العقوبات بكل من يخالف ذلك ، وقد قتل الاخوان عدد آمن البحارنة ومن الشيعة في القطيف لمحاولتهم خرق القانون . اما الآن وقد آلت الأمور أكثر فأكثر الى سيطرة ابن سعود فقد امكن التساهل في تطبيق القانون . فقد سمح للشيعة بالعبادة والتدخين في منازلهم الخاصة بشرط ان يحافظوا على القوانين في الأماكن العامة . وأشار ابن سعود الى ان حالة الشيعة اصبحت في عهده أفضل

بكثير مما كانت عليه زمن الاتراك . ففي ذلك الوقت لم يكن الشيعي يستطيع الادعاء بان اي شيء بما في ذلك حياته هي ملك له . أما في عهد ابن سعود فقد أصبحت الطائفة الشيعية آمنة وازدهرت تجارتها وتحسنت أوضاعها كما لم يعرف من قبل . واعتقد ان ابن سعود قصد الدعاية في ابلاغه ذلك ظناً منه انني سأنقل ما قاله للسير بيروسي كوكس لإعطائه فكرة بأن التشكيل ليس من شيم الأخوان كما انه ليس من سياسة ابن سعود .

وقد نقل الأخوان الأمر الخاص ببناء الجواضر للاستيطان فيها تنفيذاً دقيقاً في نجد والاحساء بحيث انه لم تأت سنة ١٩٣٣ إلا وكانت الهجرات التالية قد تمت فعلاً . أما القافمة الواردة أدناه فليست كاملة بشكل من الأشكال وقد وجدت ان الأرقام التي أعطانيها اصدقائي البدو لعدد الرجال المقاتلين في كل حاضرة مبالغ فيها فاقتطعت منها كثيراً - الثلثين في أغلب الأحيان . ويمكن ان أكون قد نظرت بعض الشيء .

| عدد الرجال | الهجرة | اسم القبيلة |
|------------|-----------------------|-------------|
| ١٠٠٠ | ارتوائية الإطهارة | مطير |
| ٦٠٠ | الفريضان خريستان | |
| ٩٠٠ | مقيظ مهابيض | |
| ٧٠٠ | مليح | |
| ٧٠٠ | المعير العامر | |
| ٦٠٠ | العدله الاشك | |
| ١٨٠٠ | جارية عليا فريه لعليا | |
| ١٦٠٠ | جارية سفلى فريه لعليا | |
| ١٢٠٠ | نقيب | |
| ٣٠٠ | الشعب الشعيب | |
| ٦٠٠ | ضريه صريه | |
| ٤٠٠ | مشاع عكه | |

| | | |
|------|------------------------|-------|
| ١٦٠٠ | فاج | عوازم |
| ١٠٠٠ | الحنان الحنان | |
| ٧٠٠ | الحلي الحلي | |
| ٨٠٠ | العنقي طننهم | |
| ٧٠٠ | غطامط ^{١٠١} | عتيه |
| ٨٠٠ | الدمانه الدمانه | |
| ٣٠٠ | الصيح | |
| ٧٠٠ | السج سحر | |
| ١٠٠٠ | عرجه (او العرج) عرجا | |
| ٣٠٠ | أصيله عصيله | |
| ٩٠٠ | نقيع (أو النقع) نقي | |
| ٤٠٠ | هجرة خالد بن لوي | |
| ٧٠٠ | عرمه عروى | |
| ٢٠٠ | انغيا | |
| ٧٠٠ | الروضه | |
| ١٠٠٠ | العرق | |
| ١٠٠٠ | عجبيه قبيات | حرب |
| ٦٠٠ | دخنه | |
| ٩٠٠ | الشبيكيه | |
| ٧٠٠ | الدليميه | |
| ٦٠٠ | الصادقه الساقيه | |
| ٤٠٠ | القرين | |
| ٥٠٠ | حنيطل | |
| ٦٠٠ | البروق البيرد | |

١ - دمرها ابن معروف بعد معركة سبيل سنة ١٩٢٩ .

| | | |
|------|-------------------------------|----------------|
| ٩٠٠ | ابو حليفة حليفه | |
| ١٦٠٠ | صرار | عجبان |
| ٥٠٠ | الشافي شفاف | |
| ٨٠٠ | الحنين حنين | |
| ١٢٠٠ | عويته | |
| ١٠٠٠ | عريزه عريزه | |
| ٥٠٠ | عقير | |
| ١٨٠٠ | الحياضين الحياضين | قحطان |
| ١٠٠ | الجفير | |
| ٧٠٠ | الحساء الحساء | |
| ٥٠٠ | الغل الغل | |
| ٥٠٠ | هجرة ابن غنام | |
| ٤٠٠ | هيف زهران | |
| ٥٠٠ | الصبحه صبحه | |
| ٦٠٠ | العبره ؟ | |
| ١٣٠٠ | رهيان (العيا) الرنم العيا | |
| ١٠٠٠ | رهيان (السفلى) الرنم السفلى | |
| ٩٠٠ | عميق ؟ | آل مره |
| ١٠٠٠ | عبيرق اسيرمه | |
| ٧٠٠ | الظهر | بني هاجر |
| ١٥٠٠ | مشيرم مشيرمه | دواسر |
| ٨٠٠ | الوسيطه الوسطى | |
| ٤٠٠٠ | أهل نجران | بني يم |
| ٢٠٠٠ | الجفر | عمار (عتيبه) |
| ١٠٠٠ | روض العيون | |

| | | |
|------|------------|-------------|
| ١٥٠٠ | بن وان | حطيم |
| ٥٠٠ | المنصفه | منطقة الخرج |
| ٦٠٠ | الضيعة | |
| ٥٠٠ | البدعة | |
| ٥٠٠ | الخنصر | |
| ٤٠٠ | الطبيب اسم | |
| ٤٠٠ | الروضة | |

لقد كنت في الهند من سنة ١٩٢٣ حتى تعييني سكرتيراً للمقيم السياسي في الخليج الفارسي سنة ١٩٢٨ ، وبذلك فقدت الاتصال الشخصي بالاحداث في الجزيرة العربية . وفي تلك الفترة أيضاً رزقت ولدي الاثنين ابني هانغر يورك وارينغتون سعود الذي ولد في ترينيت بـموسيرا في الثاني عشر من حزيران سنة ١٩٢٣ ، وابنتي ايرين زهرة التي ولدت في بـكانسير بالهند في الحادي عشر من كانون الثاني سنة ١٩٢٥ . ولدى عودتنا الى الجزيرة العربية أخذ الـيدو ينادون زوجتي بـم سعود وأصبحت انا معروفاً بـابي سعود .

ان اعتقاد ابن سعود بأن تحدي بريطانيا هو بمثابة كارثة تنزل عليه تأكد عندما قام حوالي الف وخمسمائة رجل من الاخوان بغزوة على بعد خمسة عشر ميلاً من عمان عاصمة شرق الاردن بعد ان ساروا مسافة الف ميل في منتصف شهر آب سنة ١٩٢٤ . وقد تصدى لهم سلاح الجو البريطاني ويقال انهم قتلوا جميعهم باستثناء عدد لا يتجاوز المئة رجل . وقد ساهم رجال قبيلة بني صخر في ازالة الهزيمة والاخوان الفزاة .

وفي تلك الاثناء كان الملك حسين ملك الحجاز ، بعناده وروعته ، يكتب نهايته بيده . فعندما زار شرق الاردن واعلن نفسه هناك خليفة في العالم الاسلامي ، اعلن ابن سعود عليه الحرب . وقد احتلت قوات الاخوان الطائف في ايلول سنة ١٩٢٤ بأسرع مما كان يتوقع ابن سعود . وفي الخامس من تشرين الأول تنازل الملك حسين عن العرش الى ابنه الأكبر علي وذهب ليعيش في العقبة .

وانسحب علي من مكة وتراجع الى جده . واحتلت قوات الوهابيين مكة في كانون الأول وحاصرت جدة والمدينة .

وتوجه جيش سعودي آخر الى ما وراء وادي سرحان قرب الحدود السورية قاطعاً الطريق بين شرق الأردن والعراق . وأوفدت الحكومة البريطانية السير جيلبرت كلايتون الى الحجاز ليلفت نظر ابن سعود الى ان امتداد حدوده التي تقع عبر خط الانابيب المقترح في الصحراء والطرق البرية والجوية الى بغداد والشرق ، لا يمكن ان يتحمل .

وتراجع ابن سعود تحت الضغط البريطاني مظهرأ بذلك بعد نظره وقدرته على ضبط النفس ومما امران يعود اليها نجاحه الى حد كبير . وعقدت بعد ذلك معاهدة جده وبحره . فمعاهدة بحره التي وقعت في أول تشرين الثاني ١٩٢٥ تنص على اقامة محكمة خاصة للنظر في شكاوى قبائل نجد والعراق على بعضهم البعض .

وكان الملك علي بن الحسين يخوض حرباً خاسرة فقد استطاع ان يثبت لخصار جده ولكن سقوط المدينة بأيدي قوات الاخوان بقيادة فيصل الدويش في الخامس والعشرين سنة ١٩٢٥ ، أدى الى تنازله عن العرش . وفي الثامن من كانون الثاني سنة ١٩٢٦ نودي بابن سعود ملكاً على الحجاز في المسجد الكبير بمكة المكرمة . وظل يحمل لقب سلطان نجد الى السنة التالية عندما أصبح يحمل لقب ملك الحجاز ونجد وثوابعها.

وفي سنة ١٩٢٦ ايضاً أصبحت منطقة عسير في غرب الجزيرة العربية والتي يحدها من الشمال والشرق والجنوب على التوالي كل من الحجاز ونجد واليمن ، تحت سيطرة ابن سعود . وحتى سنة ١٩٢٠ كان الادريسي يحكم عسير ، ولكن الاخوان في تلك السنة احتلوا ابيه والاقسام العليا من المنطقة فاركب لسعيد محمد الادريسي ما تبقى منها . وتوفي سعيد محمد سنة ١٩٢٢ وخلفه ابنه الذي طرده عمه حسن سنة ١٩٢٥ . ووجد الحاكم الجديد نفسه ضعيفاً فوضع بلاده سنة ١٩٢٦ تحت سيطرة ابن سعود وعين هو حاكماً مدى الحياة في عسير .

بوادع عدم الارتياح بين الأخوان

عمل ابن سعود كل جهده بين عام ١٩٢٥ وعام ١٩٢٧ في القضاء على العصابات وقطاع الطرق في الحجاز ونجد تأميناً لسلامة طرق الحج وكبحاً لجماع قبائله الهالجة التي بدأ أكثرها يشعر أن سياسته تليها عليه البريطانيون. وكانت قبوله للمخترعات الحديثة كالسيارة والهاتف والراديو دليلاً من وجهة نظرهم ، على عدم إيمانه بتذهب الإخوان . وبدأ واضحاً أن الشعور بعدم الارتياح أخذ يتفاقم . وعندما عاد زعماء الإخوان إلى نجد بعد سقوط جدده كانوا يتبرمون ويشعرون بخيبة أمل لأن حملة الحجاز لم تعطهم الفرصة للنهب والتشكيل . وكانوا أيضاً غير راضين عن فكرة ابن سعود في تنظيم حكومة مدنية في الحجاز وعن منهم من الغزو عبر الحدود .

وقد كتبت في أماكن أخرى عن طبيعة البدو وقلت أن الغزو هو وريث الحياة بالنسبة للبدو ، فإذا منع عن الغزو يصبح أكثر الرجال تقاعساً . وكما أن الرجل العربي المتمدن يحافظ على ممارسة هواياته في الرياضة والصيد كواب لسعادته والابقاء على حيويته ، كذلك البدوي البدائي في الجزيرة العربية لديه رغبة طبيعية في الغزو لأن فيه المجال لإثبات رجولته وفرريته . إن الغزوات في الصحراء لا تحمل معها الكثير من سفك الدماء لأن الدافع أو المحرك الأساسي للغزاة هو نهيم للجمال بالدرجة الأولى .

وكان بين أكثر زعماء الإخوان استياء فيصل الدويش قائد الحملة على المدينة والشيخ الأعلى في قبيلة مطير القوية واحد الذين يشكلون عصب حركة الإخوان. وكان إلى ذلك الوقت لا يزال أقرب صديق إلى ابن سعود وأكثر ضباطه حماسة واندفاعاً .

وقد حدث فيصل الدويش سلطان بن حميد الشيخ الأعلى في قبيلة عتيبة ، وضيدان الهذلان الشيخ الأعلى في عجمان على قسم اليعين لمساندة بعضهم البعض إذا حاول ابن سعود الاقتصاص من أي واحد منهم . هكذا كان الوضع عندما رفضت حكومة إيران السماح للخطوط الجوية

الامبراطورية في إنشاء محطة لخدمة الطائرات المتوجهة إلى الهند ، على ساحل
إيران الجنوبي ، فحمل الاقتراح إلى ابن سعود على أساس إنشاء المحطة المذكورة
على الساحل العربي من الخليج الفارسي . وكما كان متوقعا ، فإن مجرد عرض تلك
الفكرة كان سيصطدم بمعارضة الاخوان وثقورهم . وأعلن ابن سعود أنه لا
يستطيع الموافقة على الاقتراح عملاً بنصيحة عبدالله بن جلوي آل سعود أمير
الاحساء .

وبعد ذلك جساءت قضية إنشاء مخفر للشرطة العراقية في ^(٥) بسوه في صحراء
العراق الجنوبية . وقد ربط الاخوان ذلك في ذهنهم بقضية مشروع الخط
الجوي ظناً منهم أنه سيكون مركزاً ضخماً بتجميع النفط وقاعدة للإدخال
العادات الأوروبية إلى بلادهم .

وكانت معارضتهم لاقامة المخفر المذكور قوية إلى حد حمل ابن سعود على
الاحتجاج على اقامته بحجة انه يشكل خرقاً للمادة الثالثة من بروتوكول عقير .
وكانت حجته واهية يصعب عليه شخصياً تصديقها لان المخفر كان سيقام على بعد
٥٥ ميلاً من أقرب نقطة إلى منطقة العراق المحايدة .

وبالرغم من احتجاجه وموقفه ، فإن وجود المخفر ساعد على ترسيخ شقة
الخلاف بينه وبين زعماء الاخوان . فقد قام فيصل الدويش بحملة دعائية واسعة
النطاق ضد ابن سعود مشيراً إلى أن وجود المخفر دليل على ان ابن سعود قد باع
حقوق بلاده إلى البريطانيين .

وقد فعلت حملة فيصل فعلها فبدأت القبائل تسنح بعضها للجهاد ضد
العراق على اعتبار انه حليف البريطانيين ومتسامح بشأن العادات والاعمال
المغايرة للدين .

ولم ينحصر شعور العداء لابن سعود بالأخوان فقد تعداه إلى بعض أفراد
العائلة السعودية وإلى أهل الحجاز الذين كانوا يعتبرونه محتلاً اجنبياً مخالفاً لإيمانهم .
ففي صيف سنة ١٩٣٧ اكتشفت مؤامرة في حينها لاغتيال ابنه سعود في الرياض
وأخرى لاغتيال عبدالله بن جلوي في الاحساء . وانتشر همس بين الناس بأن

محمد شقيق ابن سعود وخالد بن محمد هما اللذان حرضا على المؤامرة .
وحوالي الساعة الحادية عشرة من ليل الخامس من تشرين الثاني سنة ١٩٢٧
هاجم أربعون رجلاً من قبيلة مطير بقيادة الشيخ مطلق السور أحد اعوان فيصل
الدويش ، مخفر الشرطة في يسوه وهو قيد البناء وفيه ستة من رجال الشرطة
وموظف مدني واحد واثنان عشر عاملاً وامرأة واحدة ، وقد فوجيء هؤلاء
بالهجوم تحت جنح الظلام فقتلوا جميعهم باستثناء شرطي واحد أصيب بجراح .
وتمكن شرطي آخر كان يقوم بواجبه في مركزه من الفرار وأعطى إشارة
التحذير في أبي غار .

وفشلت طائرات الاستكشاف في صباح اليوم التالي في تحديد مواقع المهاجمين
الذين استطاعوا الفرار في الوقت المناسب الى ما وراء حدود نجد . وقد دبر
الهجوم فيصل الدويش مع انه أنكر ذلك في محادثة أجريتها معه سنة ١٩٣٩
ووضع فيها اللوم كله على ابن سعود .

وكان من نتائج هذا الهجوم ارجاء مؤتمر كان من المقرر عقده في الكويت في
٢٠ تشرين الثاني بين وفد من العراق وآخر من نجد برئاسة الميجر مور الوكيل
السياسي في الكويت ، الى أجل غير مسمى .

ونظراً لكثرة الدعاوى المقدمة من قبائل البلدين ضد بعضهم البعض ، وجد
ان المحكمة الخاصة المنصوص عنها في معاهدة بحره ليست عملية . لذلك ، وبما ان
نجد والعراق قد اتفقتا مسبقاً على اسقاط جميع دعاوى قبائلها ، فان مؤتمر
الكويت كان سيحل محل المحكمة الخاصة . وكانت الهدف من المؤتمر التوصل الى
اتفاق حول اسقاط جميع الدعاوى المتبادلة ، وبحث الاجراءات الواجب اتباعها
في معالجة القضايا المشابهة التي قد تنشأ في المستقبل .

وفي ١٨ تشرين الثاني وصل الى الكويت الشيخ حافظ وهبه وهو مصري
قدير وذو مكانة رفيعة أصبح فيما بعد سفيراً للسعودية في لندن ، ليمثل نجد في
المؤتمر . ولكن ابن سعود كان قد أبلغ في تلك الاثناء من قبل بريطانيا ان المؤتمر
قد ارجىء الى أن يعاقب المسؤولون عن مهاجمة الخفر وتدفع التعويضات للقتلى

والحرجي وتعطى تأكيدات بأن إجراءات حاسمة ستتخذ لمنع مثل تلك الغزوات الى داخل الاراضي العراقية .

وقد وصل الى الكويت تقرير في ٢٦ تشرين الثاني يفيد ان محيا لقبيلة عوازم قرب الحدود الجنوبية للكويت قد ابلغ سراً بالابتعاد الى الجنوب لإفساح الطريق امام الاخوان الذين قدروا مهاجمة الأراضي الكويتية . وفور وصول التقرير حذر جميع البدو في المنطقة وسيرت دوريات مسلحة للمراقبة .

وبالرغم من كل تلك الاحتياطات فقد نجح أربعمائة رجل من الاخوان بقيادة تراجيب بن شقير الدويش وأحد أبناء سهود بن لامي في غزو عريدار الكويت في أم رمام قرب زقله على بعد مائة أميال الى الشمال الشرقي من جهره وذلك في الرابع من كانون الأول .

وحالما وصلت الأنباء الى الكويت ، وكان ذلك بعد الظهر ، جمعت قوة قوامها مئة رجل وأرسلت على جناح السرعة بالسيارات للتصدي للمهاجمين ، ولكنها وصلت متأخرة وبعد أن تمكن الفزاة من الاستيلاء على عدد كبير من الجمال والفرار بها .

وأرسل الشيخ أحمد حاكم الكويت رسلاً يحملون رسائل الى ابن سمود يشكرو فيها الاعتداء على رعاياه .

وقد أحدثت الحالة المضطربة في الصحراء والثغرات التي كانت تروج يومياً ، موجة من القلق في مدينة الكويت . فقد أعيد بناء السور في الأماكن اللازمة وشددت عليه الحراسة ليلاً حتى نهاية السنة . وجند عدد من المرتزقة لتدعيم حامية جهره التي زيد عددها حتى بلغ ثلاثمائة رجل ، هذا بالإضافة الى البدو القيمين في الجوار .

وفي صباح الثامن من شهر كانون الأول ، قام الشيخ حافظ وهبه بزيارة الميجر مور وأبلغه أنه تلقى برقية من ابن سمود عن طريق البحرين يطلب منه فيها أن يخبر الميجر مور - لكي ينقل بدوره الى المندوب السامي البريطاني في العراق - أن اضطرابات خطيرة قد وقعت في نجد ، وان ابن سمود علم ، بكل أسف ،

ان قوة من الاخوان بدأت تزحف نحو الشمال خلافا لأوامره . وقد أرسل تحذير مماثل الى شيخ الكويت .

وفي صباح اليوم التالي تعرضت ثلاث طائرات تابعة لسلاح الجو الملكي البريطاني لنيروان بنادق فريق من الهجاعة يبلغ عدده ثلاثمائة رجل بالقرب من أم العبيد ، وقد كالت الطائرات الثلاث تقوم بهام الدورية فوق منطقة العراق المحايدة . وقد جرح نتيجة للحدوث عامل لاسلكي في إحدى الطائرات . وردت الطائرات على القوة المعادية بابل من نيروان مدافعها الرشاشة .

وقد شاهدت الطائرات التي أرسلت من يسوه في اليوم ذاته قوة من حوالي ستائة رجل مسلح جماعهم في الرخيميه وبالقرب من جبلد في منطقة العراق المحايدة . وكانت تلك القوة تتحرك بسرعة نحو الجنوب فقصفتها الطائرات وأوقعت فيها خسائر جسيمة . وكانت تلك القوة ، قبل ساعات من قصفها ، قد هاجمت ضياع فرع الغليظ من الرعاة العراقيين في المنتفق ، وحيات قبيلة ظافر البدوية الى الشمال من شعيب الأمة . وكان هؤلاء الغزاة ، كالمادة ، من قبيلة مطير .

وفي الثاني والعشرين من كانون الأول عبر فيصل الدويش على رأس قوة من رجاله الحدود العراقية وهاجم قبيلة الزباد وقبيلة عبيد شمر في جوسه على بعد ٣٥ ميلا الى الشمال الغربي من بير الساب في الزاوية الغربية من منطقة العراق المحايدة . وقد أعمل الغزاة السيف في رقاب القبيلتين وخاصة في قبيلة الزباد مما أدى الى مقتل عدد كبير من الرجال .

وتحرك فيصل الدويش بعد ذلك الى الشمال الغربي لمهاجمة الداهمشاه الذين فروا أمامه هاربين . ويبدو أنه عاد بعد ذلك بالتحرك جنوباً ، وظلت تحركاته حتى نهاية السنة يلفها الغموض .

إن قيام فيصل الدويش ورجال مطير بتلك الغزوات على نطاق واسع ، ليس فقط بدون إذن ابن سعود بل تحدياً لأوامره أيضاً ، قد أثار الكثير من الشائعات والأقاويل المبالغ فيها حول حقيقة الأوضاع في نجد . ويظهر أن

البعض قد ظنوا أن قبائل أخرى وخاصة عتيبة قد تحدت هي أيضاً سلطة الملك. ولكن المعلومات الموثوقة المتوفرة حتى نهاية عام ١٩٢٧ تشير إلى أن مطير وحدها كانت خارجة عن السيطرة . أما القبائل الأخرى فقد لزمت الهدوء . وكان الرأي السائد بين العرب العارفين ببواطن الأمور هو أن ابن سعود سيتمكن سريعاً من استعادة سلطته في الصحراء ولكنه سيفعل ذلك بالطرق السلمية لأنه ليس من الحكمة معاقبة مطير .

وفي تلك الأثناء وصلت إلى مراغة ، وهي منطقة مشهورة للآبار على بعد ١٦٥ ميلاً جنوب الكويت وفيها يتجمع القسم الأكبر من قبيلة عوازم ، قوة من الاحساء كان ابن سعود قد أمرها بحفظ النظام بين القبائل . وقيل أن كتيبة أخرى قد أرسلت من حائل .

وفي أوائل كانون الثاني سنة ١٩٢٨ عاد رسول الشيخ أحمد حاكم الكويت الذين أوفدهم إلى ابن سعود بعد غزوة تراحيب بن شقير ، حاملين رسالة يعرب فيها ابن سعود عن أسفه للحادث واعداء بإصلاح الخطأ . وقد أبلغ الرسل أن ابن شقير قد ترك أمره لقوة من الاحساء بقيادة فهد بن عبدالله بن جساوي آل سعود ، ولكن هذا الوعد لم ينفذ . فقد أخلى ابن شقير موقفاً قريبة جارية عليها وانسحبت قوة بن جساوي في شهر شباط .

ووصلت أنباء إلى الكويت مساء ٢٧ كانون الثاني تفيد أن علي بن عشان من فخذ أولاد واصل من قبيلة المريخ مطير ، قد هاجم عربدار الكويت في أم رويسات بقوة قوامها ثلاثمائة وخمسون رجلاً من المهاجرة وخمسون من الحبيالة ، وبعد مكان الهجوم ٣٨ ميلاً إلى الشمال الغربي من جهرا . وقد قتل المهاجمون ثلاثة أشخاص وحملوا معهم عدداً لا يستهان به من الجمال والأغنام

وقد استنفرت جميع السيارات في الكويت حالاً ومكنت بالرجال المسلحين وأرسلت إلى جهرا في الليلة ذاتها ومعها أوامر بالتقدم إلى ربيع على بعد ٩٠ ميلاً إلى الغرب فالجنوب الغربي ، عندما يبرز ضوء النهار أملاً في قطع طريق العودة على المهاجمين . ونجح الكويتيون في ذلك . ففي الساعة الرابعة والنصف من بعد

ظهر ٢٨ كانون الثاني وصلت الى رقيب خمس عشرة سيارة من أصل السيارات الخمس والعشرين التي غادرت الكويت . وكان ذلك عملاً خارقاً بالفعل لأنه لا توجد طريق للسير بعد جهرًا ولأن السيارات كانت مكتظة بالركاب إذ أن بعضها كان يحمل تسعة رجال .

ومع ان القوة الكويتية لم تزد عن ٧٥ رجلاً إلا أنها كانت أفضل تسليحاً من الغزاة . هذا بالإضافة الى أنهم أدخلوا السيارة كعامل جديد في الحرب . وكانت النتيجة ان القوة الكويتية كبدت العدو خسائر جسيمة وأجبرته على التخلي عن جزء كبير من عتائمه . وكانت الإصابات في صفوف الكويتيين قليلة ولكن قائدهم الشيخ علي الخليفة الصباح أصيب بجراح بالغة .

وبعد انتهاء الاشتباكات وصل الى أرض المعركة الشيخ علي السالم الصباح ابن المرحوم الشيخ سالم وهو شاب شجاع عنيد . وكان قد تأخر عن القتال بسبب عطل في سيارته الأمر الذي أزعجه جداً . ولكي يعرض عن ذلك أصر على وجوب التقدم متحدياً بذلك الأوامر المباشرة . وكانت النتائج انه حوضر مع جماعته في الباطن حيث قاتلوا حتى نفدت ذخيرتهم فاستسلموا ولكنهم ذبحوا بكل برودة دم . ولولا هذا الحادث المؤسف لكان ما قامت به القوة الكويتية عملاً خارقاً لا يضاهيه نجاح .

وكانت خسائر الكويتيين احد عشر قتيلًا وأحد عشر جريحاً توفي واحد منهم فيما بعد ، بينما تكبد العدو ٣٥ قتيلًا على الأقل . وتخلّى الكويتيون مؤقّتاً عن أربع سيارات عادوا فاحضروها فيما بعد . وتجدد الاشارة هذا الى ان احدي هذه السيارات وقعت في ايدي الاخوان فأرادوا تعطيلها بأن حطموها أبوابها وظل محرك السيارة سليماً إذ انها اعيدت الى الكويت بقوة الخاصة .

وفي ٢٩ من الشهر ذاته حددت الطائرات البريطانية مواقع الغزاة على بعد خمسة عشر ميلاً الى الشمال من حفر الباطن . وقد فتح الغزاة سيران بنادقهم على الطائرات البريطانية التي ردت عليهم بالقنابل والمدافع الرشاشة . وقامت الطائرات بهاجمة الغزاة مرة ثانية على بعد ثمانية أميال من حفر الباطن بعد ظهر الثلاثين

من الشهر وكبدتهم خسائر فادحة في المرقين .
وفي التاسع عشر من شباط تعرض الجوارين من قبائل المنتفق وبعض القبائل
الأخرى قرب جريشان في الباطن على بعد خمسين ميلاً إلى الجنوب الغربي من
الزبير ، لهجوم عنيف شنته قوة من الإخوان بقيادة فيصل الدويش يقدر عددها
بألفي رجل يعمل كل منها رجلين وعدد كبير من الحيلة ربما بلغ ٢٣٠٠ رجل .
وبلغت خسائر القبائل العراقية نتيجة لهذا الهجوم ٢٦ قتيلًا و ١٨ جريحًا ، وفقدت
١٣٠ جملًا وحوالي ١٨٠٠ رأس غنم .

وفي اليوم ذاته شاهدت طائرات الاستكشاف فريقيين من الغزاة أحدهما كبير
على بعد عشرة أميال إلى الجنوب من جريشان والثاني صغير قرب ربيع .
وشاهدت طائرة استكشاف أخرى جماعة من الغزاة منتشرين في منطقة واسعة
قرب جريشان ومعهم الغنائم والأسلحة . وقد هاجمت الطائرات جميع الفرق التي
شاهدتها وتعرضت بدورها إلى نيران شديدة ، فسقطت إحدى الطائرات مشتعلة
وقتل قائدها . وهو البريطاني الوحيد الذي قتل في تلك الحوادث .

وقد هوجم الغزاة وهم يراجعون مرقين من الجو : في العشرين من شباط وفي
الحادي والعشرين منه . وفي المرة الثانية كانت اصوات انفجارات القنابل تسمع
بوضوح في الكويت . وفي صباح الرابع والعشرين توجهت طائرات من منطقة
العراق الحابذة إلى الصفاء عن طريق حفر الباطن . وشاهدت تلك الطائرات على
بعد عشرين ميلاً إلى الشمال فالشمال الغربي من الصفاء عددًا كبيراً من الخيام
البيضاء تحيط بها الجمال والخيول وقطعان الغنم من كل صوب . واسقطت بعض
تلك الطائرات قنابلها على الخيم بينما تقدمت الطائرات الأخرى إلى الصفاء وقصفتها .
وفي كلا المكانين لم تكن النتائج كما كان يرجى . ويبدو ان فيصل الدويش ظل في
الصفاء حتى صباح ذلك اليوم ثم غادرها إلى قريته ارتوائية قبيل وقت قصير من
القصف .

وجاءت تقارير أخرى تفيد ان سلطان بن حميد الشيخ الأعلى في قبيلة عتيبة
القوية دعا زعماء الإخوان الآخرين إلى الاجتماع به في السابع من آذار في شقرا

على بعد ٩٠ ميلاً إلى الجنوب من ارتوائيه وذلك للقيام بغزوة كبرى مشتركة . وقد أكد ذلك أحد الأسرى من فريق من قبيلة مطير أطلقوا النار على سيارات بريطانية مصفحة في حفر الباطن في الثاني عشر من آذار . وقال ذلك الأسير أن فيصل الدويش اقترح أن تكون الغزوة المشتركة بعد رمضان الذي ينتهي في ٢٢ آذار ، ولكن بن حميد أصر أن يكون ذلك فوراً . ويقال أن الغزوة تقرر أن تكون ضخمة للغاية وهدفاً البصرة .

ولم تتحقق تلك الغزوة على كل حال . وعلم فيما بعد أنه بالرغم من أن بن حميد غادر فريقه غطط فعلاً حسب التبرامج ولكنه لم يذهب إلى أبعد من شمس على بعد ٧٠ ميلاً إلى الغرب فالشمال من الرياض حيث لحق به خالد بن لؤي أحد أفراد العائلة الشريفة في الحجاز وقائد من قادة الإخوان هناك . وكان بن لؤي قد قدم إلى الرياض قبل عدة أيام فأرسل ابن سعود لكي يحاول اقناع بن حميد بالعودة . ونجح في مهمته مؤقتاً إذ أن ابن حميد عاد فعلاً إلى غطط فأرسل قواته في شمس .

وقام بن حميد بزيارة فيصل الدويش في ارتوائيه بتاريخ ٢١ آذار واقترح عليه أن تبدأ الغزوة المشتركة من هناك فوراً . ولكن مطير لم تكن راغبة في التعاون لأن القتال كان قد انتهكها في ذلك الوقت .

وفي ٢٤ آذار غادر بن حميد جراب على بعد عدة أميال إلى الشمال الغربي من ارتوائيه بقصد مهاجمة مركز عراقي في سلمان . وفي ذلك الوقت كان ابن سعود قد قبل دعوة بريطانية لبحث المسائل المهمة مع السير جيلبرت كلايتون ، فأرسل سعود العرفه آل سعود والرجل الموقر المعروف الشيخ الانقاري ليشن بن حميد عن عزمه ، ونجحاً في ذلك . ولحق الرجلان بـ بن حميد في عجبته وأقناعه بـ جهد جهيد أن يتوقف ويعود إلى التشاور مع ابن سعود .

وتحقيقاً لهذه الغاية غادر ابن سعود الرياض في العاشر من نيسان قاصداً بريدة ، وفي الرابع عشر انضم فيصل الدويش إلى بن حميد في جاله على بعد ٢٥ ميلاً إلى الشمال من بريدة . وصحب كل من الرجلين معها قوات كبيرة من رجال

قبيلتيها . ودعاهما ابن سعود الى الحضور الى بريدة معا ، ولكنها رفضا وطلبنا
من ابن سعود ان يخرج لمقابلتهما في الصحراء . وخشي ابن سعود بدوره ان
يفعل ذلك فلم يتم الاجتماع ولكن الطرفين توصلا الى اتفاق مؤقت بواسطة سعود
العرفه آل سعود وعبدالمعز بن مسعود الجلوي آل سعود حاكم حائل .

وتعهد زعماء الاخوان بموجب الاتفاق ان يمتنعوا عن القيام باعمال عدوانية
ضد العراق في الوقت الحاضر ، وان يطلقوا يد ابن سعود في التفاوض مع السير
جيلبرت كلايتون . وغادر ابن سعود بريدة الى حائل في طريقه الى الحجاز في
٢٠ نيسان ، ورجع زعماء الاخوان كل الى مقره .

وفي ١٤ نيسان حدثت غزوة صغيرة على بعد عدة اميال الى الجنوب الغربي
من وقره في منطقة الكويت المحايدة وذلك عندما قام فريق من الغزاة من العراق
بمهاجمة غنم للعوازم . ويعتقد ان قائد الغزاة هو مديح بن شوربة الذي ينحدر
من عائلة مرموقة في فرع برزان من قبيلة بريح مطير التي انفصلت عن الاخوان
ولجأت الى العراق وميبت عدة مشاكل بغزواتها المتكررة الى نجد ، الى ان
نقلتها الحكومة العراقية عن الحدود في سنة ١٩٢٥ .

وفرد آخر من افراد تلك العائلة واسمه علي بن شوربة حاول إثارة المشاكل
في الشهر السابق عندما تقرب الى شيخ من شيوخ عجمان يعمل في خدمة شيخ
الكويت ، وأوجه انه ينطسق بلسان الملك فيصل عندما أخذ يحثه على القيام
بغزوات الى داخل نجد . وكان الشيخ أحمد قد أبدى في وقت سابق لقيامه
بنشاط مشابه .

مخادئات جده

وصل ابن سعود الى جده في السابع من أيار لبدأ مخادئاته مع السير
جيلبرت كلايتون .

وقد استمرت تلك المخادئات من التاسع الى العشرين من شهر أيار ، وكانت
القضية الرئيسية في المخادئات حق العراق في بناء مخافر للشرطة في الصحراء على

مسافة من خط الحدود .

ولم يحاول ابن سعود ان يقدم الاعتذار لهجوم فيصل الدويش على مخفر يسوه ولتحريضه على الغزوات الاخرى ، ولكنه أكد أن بناء المخفر كان نقضاً صريحاً للمادة الثالثة من بروتوكول عقير . وقال ان هذا هو السبب الذي حفز مطير على الهجوم . واعتبر ابن سعود غارات سلاح الجو الملكي البريطاني على القبائل داخل حدود نجد خرقاً فاضحاً لتصوص معاهدة بحره وبروتوكول عقير . وأضاف الى ذلك قوله ان البعثة التي أوقدها لكبح جماح مطير ومعاقبتها قد قصفت هي الاخرى من قبل الطائرات البريطانية .

وقد عرض السير جيلبرت كلايتون وجهة النظر البريطانية بكيافة قانقة ، فشرح لابن سعود ان حكومة صاحب الجلالة كان عليها ان تحافظ على المبدأ القائل ان كلا الحكومتين لهما الحرية في اتخاذ أية اجراءات ترى انها مناسبة للسيطرة على الصحراء والدفاع عنها كل داخل حدوده . ولكنه لم يستطع اقناع ابن سعود في تغيير رأيه من ان المادة الثالثة من البروتوكول قد انتهكت .

وطلب ابن سعود ان تدمر مخافر يسوه وسلمان وفي غيرها من مناطق الصحراء . وسواء كان يؤمن بحججه الخاصة أم لا ، فلقد كان من الصعب على ابن سعود أن يقف غير هذا الموقف ، لأن رجال القبائل التابعين له كانوا يشعرون بأن تلك المخافر هي بمثابة حد للأسفين الذي سيخترق نجد نفسها ، فكانت من المستحيل عليه ان يستعيد سلطته لو انه وافق على الاعتقاد بأن العراق له ما يبرر بناء تلك المواقع .

ومكثذا انتهى المؤتمر دون التوصل الى اتفاق حول المسألة الرئيسية . ولكن ابن سعود عاد فأكد استمرار نواياه الحسنة تجاه بريطانيا .

وتجددت المباحثات في مطلع شهر آب - من الثاني حتى التاسع منه - . وعاد ابن سعود فرفض الموافقة على التفسير البريطاني للمادة الثالثة . وقال إنه أعلن نص المادة المذكورة على القبائل التي اعتمدت عليه في وجوب إزالة تلك المواقع ، فاذا تراجع فقد كل سلطته ونفوذه بين شعبه وفي صفوف الاخوات .

وقال أيضا انه روجه بالاختيار بين قطع علاقاته ببريطانيا ، الأمر الذي لا يستطيع ان يفعله ، وبين ابلاغ القبائل أن الاتفاقية التي وقعها وعرضها عليهم هي غير ذات قيمة .

وتبين من تلك المفاوضات ، بالرغم من العقبات المستعصية ، ان موقف ابن سعود من الحكومة البريطانية هو موقف صداقة حقيقية واحترام . ويبدو انه كان يخشى فعلا ان يؤدي عناده الظاهر إلى انقطاع العلاقات الطيبة القائمة بين بلاده وبريطانيا ولكنه كما قال لا يستطيع ان يرى حلا من شأنه ان يضعف سلطته على القبائل .

قرارات الملك

ولم يكن أحد يعرف كالمملك عبدالعزيز آل سعود ان الهزات المختلفة التي تعرض لها البيت السعودي في الماضي تعود الى سببين رئيسيين :

- ١ - قناعة رؤساء الدولة بالبقاء كحكام بدو .
 - ٢ - عدم ضبط التعصب الديني عند أهالي نجد .
- ولذلك قرر تعديل وتصحيح السبب الأول بادخال الامور الآتية :
- أ - شكل حديث للحكومة مع مجلس الدولة وعدد من الوزراء ورؤساء الدوائر والسفراء المنتدبين لدى الدول المجاورة على غرار البلدان الأكثر تقدما .
 - ب - نظام لمخطات اللاملكي مما يسهل السيطرة والاشراف على حكام الأقاليم والبقاء على اتصال دائم معهم .

ج - جيش مدرب وسكة حديد وطائرات وسيارات ونظام واسع للنقل الثقيل في جميع أنحاء الدولة ، الأمر الذي اذا اضيف له افتتاح خطوط جوية وطرق برية يمكنه من تدبير أمر البدو من سكان نجد الذين كانوا في الماضي سبب قوة أو ضعف كل حاكم .

ولكي يعالج السبب الثاني قرر في سنة ١٩٢٨ اضعاف قوة الاخوان ، السلاح الذي صنعه بنفسه ، خلافا لتصانيع أقرب اصدقائه وذلك بقصد ان يصبح سيد

الجزيرة العربية . فعندما كانت هنالك مجالات للفتح كان يستطيع الهاء فرسانه وجعلهم طوع بقاته . فقد أخضع جبل شمر وعسير والحجاز وراحة الجوف . وعندما لم يبق هنالك مجال للفتح واجهته ضرورة اتحاد نار من الصعب اتحادها . لقد كان من الممكن معالجة المسألة بنجاح في وقت مبكر لو لم يعقد حادث بسوء الأمور . فالأخوان بدأوا يتمردون على السلطة أكثر فأكثر وزادت غزواتهم الى داخل العراق والكويت . وحتى هذا اليوم يدعي زعماء الإخوان بأصرار ان ابن سعود نفسه أمر بكل تلك الأعمال العدوانية عندما كان في ذلك الوقت لا يزال رئيسهم الديني والعسكري .

ومهما كان الامر فشاعر قبائل الإخوان في نجد كانت تغلي . وكانت مطير تفت سياسة ابن سعود بفتح الغزوات بين القبائل والغزوات الخارجية عبر حدود الكويت والعراق . وكانت تفت أكثر استخدامه للأسلحة والسيارات وغيرها . وأثار حنقهم قصف الطائرات البريطانية لهم ، وادعوا ان امامهم قد أصبح أداة في أيدي الانكليز ، وانه لم يسمح بالغزو إلا خوفاً من الإخوان ولكنه عندما تلقى احتجاج البريطانيين وقف في طريقهم وأمرهم بإعادة كل الغنائم التي حصلوا عليها .

وكان هنالك خطر حقيقي من ثورة تقوم بها قبائل نجد بقيادة فيصل الدويش وسلطان بن حميد ، لأن كلا القائدين كان يطالب ابن سعود علناً بإثبات إيمانه بالله عن طريق إعلان الجهاد ضد العراق .

وضبط ابن سعود نفسه بحذر شديد . فهو لم يكن يستطيع المجازفة والتعرض لهزيمة تذكره عن هجوم متسرع على مطير وعتيبة وعجمان التي انضمت أخيراً الى الحركة ضده بقيادة ضيدان الهدلان . ولذلك كان يكسب الوقت .

مؤتمر مع الإخوان

ولدى عودة ابن سعود الى الرياض من جده في ٨ أيلول ، أرسل في الحال رسلاً الى زعماء نجد وقادة الإخوان يدعوهم لحضور مؤتمر في الرياض في نهاية

أبداً .

وقد لبس الجميع الدعوة باستثناء فيصل الدويش وسلطان بن حميد وضيئان
هذلان . لكن الدويش أرسل ابنه الأكبر عبد العزيز ممثلاً عنه ، فرفض ابن
سعود مقابله في بادئ الأمر طالباً حضور الدويش شخصياً مع ابن حميد وبن
هذلان .

وتأخر انعقاد المؤتمر زمناً طويلاً أملاً في حمل دولاء على الحضور ولكنه في
النتيجة عقد في غيابهم وعاقبهم بأن عزل كل منهم من رئاسة قبيلته . وكان هذا
الاجراء مجرد تظاهر لم يأخذه أحد في نجد على تحمل الجدة .
وتقدم الاخوان بثلاثة طلبات :

١ - إلغاء جميع الضرائب التي فرضها ابن سعود مجدداً على القبائل بالإضافة
إلى الزكاة الشرعية .

٢ - إلغاء سيارات واللامسكي والبرق ومخترعات الكفار الأخرى .

٣ - تدمير مخافر الحدود العراقية في سامان وبسره .

ووافق ابن سعود على الشرط الأول . اما عن الثاني فقد أجاب بأنه يعتبر
تلك الاشياء منافع حقيقية للمؤمنين وبالرغم من ذلك فإنه على استعداد أن يدمر
جميع السيارات واجهزة التلفون واللامسكي وغيرها ويعمل بدونها في المستقبل ،
بشرط ان يدمر الاخوان جميع اسلحتهم وذخائهم التي هي أيضاً من اختراع
وصنع الكفار . وقد بحث المسألة على صعيد علماء الدين الذين اصدروا فتوى
تقول ان كلا الامرين شرعي يجوز اقتناؤه .

اما الشرط الثالث الذي كان من الصعب او من المستحيل على ابن سعود
الرضوخ له ، فقد سبب معظم المشاكل . وأقصى ما كان يمكن لابن سعود فعله
هو ائتماع الاخوان بالمحافظة على السلام وعدم القيام بأي عمل مضاد لمراكز
الحدود العراقية لمدة شهرين آخرين ، لكي يقوم بمعنى أخير لضمان ازالة تلك
المراكز بالمفاوضات السلمية . ولكنه وعدم انه اذا فشل في محاولته سيكون
معهم قلباً وقالبا في مهاجمة تلك المراكز . وليس هنالك أي شك بأنه لن ينوي

تنفيذ وعده .

وطلب ابن سعود من جهته ان يحصر الاخوان تجارتهم بالاماكن التي يعينها لهم فوافقوا على ذلك . والقصد من هذا الاجراء منع التجارة مع الكويت لأسباب مالية . وكان عبدالله بن جلوي أمير الاحساء قد حصر مؤخراً التجارة بحبيل والقطيف لكي يحث القبائل على الهجر الى الهفوف . ولكن ذلك أعطى نتائج عكسية منها ان القبائل أخذت تقدم بزيارات أكثر للكويت . ولم يأت تشرين الأول حتى كانت مطير والقبائل الأخرى تسذهب إلى الكويت علناً متجاهلة الخطر . وقد توقف ذلك بعد المؤتمر وزيادة في المنع أرسلت فصيحة لهذا الغرض من قبل بن جلوي .

وبعد ان نجح ابن سعود في التغلب على كثير من المعارضة له ، اختتم المؤتمر علماً منه بأن لديه من التأييد ما يكفي لإخضاع ومعاينة قبائل مطير وعتيبة وعجيان الشائرة . وتفرق عبد العزيز الدويش وزعماء الاخوان بعد ان أغدق عليهم ابن سعود هدايا كثيرة مغرية من المال والسلاح والجمال .

وابلغ ابن سعود ، عن طريق وكيله في البحرين ، الكولونل لوك الوكيل السياسي هناك بأنه يريد مقابله في الاحساء ، وقبلت الدعوة ولكن بعد ذلك بوقت قصير ، في كانون الأول ، أرسل ابن سعود الى الكولونل لوك كلمة يقول فيها انه تأخر في الرياض ولا يستطيع القدوم الى الاحساء في الوقت الحاضر . وهكذا لم يتم الاجتماع بين الرجلين .

وفي الوقت ذاته تقريباً تلقى ابن سعود رسالة عن طريق الوكيل البريطاني في جدة تتعلق بمناوضاته مع السير جيلبرت كلايتون ، وتقول الرسالة ان الحكومة البريطانية وافقت من حيث المبدأ على اقتراحه بأن تعرض النقاط المتنازع عليها للحكيم . وربما كان ذلك هو الذي حمّله على تأجيل اجتماعه بالكولونل لوك - وربما كان السبب أعراض الفلج والاضطراب التي بدأت تظهر بوضوح بين القبائل القوية .

وفي اوانسل كانون الأول وصلت شائعات الى الكويت تقول ان سعود بن

لامى أحد زعماء مطير الذي أُلح إلى عدم ولائه بمشادته مؤتمر الرياض دون استئذان ، هبى غزوة ولكن فيصل الدويش منعه من تنفيذها ضمن مهلة الشهرين المتفق عليها . وجاء إلى الكويت رجل غادر الرياض في ٩ كانون الأول وقال انه سمع بعد ذلك بعدة أيام ان الدويش بعث يبلغ ابن سعود انه سيستأنف الغزو فور انتهاء المهلة . وفي ٣٠ كانون الأول وصلت معلومات إلى الكويت تفيد ان الاخوان يخططون لغزوة كبرى ، فقد انضم بن هذلان إلى جفران الفقم في جاريه ، وبدأ الدويش يتقدم من ارتوائيه ، وابن لامي بدأ التحرك فعلا . وأرسل الشيخ أحمد حاكم الكويت دوريات إلى الحدود مع انه كان يعتقد ان لا خوف من الهجوم على قبائله - إلا ربما من ابن هذلان اذا تصرف بصورة فردية - ويعتبر ان الهجوم على المراكز العراقية هو الاحتمال الأقرب إلى العقل . وقد قام ابن لامي بغزوة صغيرة على جزء من شمر في منطقة هجرة إلى الغرب من منطقة العراق المحايدة ، لكنها لم تترك أية ذيول سياسية . وقصير ذلك يمكن معرفته من رجل موثوق غادر الرياض في ٢١ كانون الأول ، قال الرجل ان هنالك أحاديث جرت منذ زمن عن غزوات مقبلة ، ويقول الرجل أيضاً ان ابن سعود أرسل إلى ابن حميد يبلغه انه اذا كان لا يريد ان يأتي لزيارته في الرياض ، فانه سيذهب هو لمواجهة في غطط . ورد ابن حميد بانه لا يوافق على ذلك ولكنه اذا رغب يمكنه ملاقاته في الصحراء . وتم الاتفاق على ان يتم الاجتماع في شوقي على بعد ٩٣ ميلاً إلى الشمال فالغرب من الرياض . وقد دعا ابن حميد فيصل الدويش وابن هذلان لحضور الاجتماع . ولم يكن من المنتظر ان يحدث شيء قبل ان يتم الاجتماع ويعرف ما اذا كان ابن سعود يستطيع حمل الاخوان على المحافظة على السلام . وكان المرجح ان سيحاول اقناعهم بذلك الى ان ينتهي التحكيم .

الفصل الثالث عشر

شَوْرَةُ الْإِخْوَانِ

١٩٢٩ - ١٩٣٠

كان الوضع في نجد غامضاً للغاية في أوائل كانون الثاني سنة ١٩٢٩ . فقد تعددت الشائعات واختلفت بحيث انه كان من الصعب معرفة الصحيح من الخطأ . ولكن مما لا شك فيه ان العلاقات بين ابن سعود وزعماء الإخوان أخذت تزداد توتراً ، وصارت مهمته في منعهم من مهاجمة المراكز العراقية في الصحراء أصعب . وبلغ به الحذر حداً انه وجد معه من الضروري اصدار الأوامر لجلبيل والقطيف وغيرهما من المدن بباشرة بناء التحصينات . ومن جهة أخرى كانت هنالك دلالات تشير الى ان الفتور قد دب بين ابن حميد وابن ربيعان أقوى شيوخين في قبيلة عتيبه . وليس أخطر من ابن سعود في استغلال مثل هذا الوضع .

وفي ٢١ كانون الثاني تحرك فهدان الهذلان زعيم قبيلة عجمان على رأس قوة منخلطة باتجاه الأراضي الكويتية عن طريق الباطن مستهدفاً غزو قبائل المنتفق المتجمعة في الجزء الشمالي من الكويت . وكان يصحبه في هذه الغزوة سهود بن لامي وعدد من فروع مطير ورشايده . وضرب هؤلاء ضربتهم في اليوم التالي فقتلوا ستة رعاة واستولوا على عدة مئات من الاغنام والحمر وغيرها . ومن المؤسف جداً انه في صباح ذلك اليوم بالذات كان هنري بيلكرت المبعوث الاميركي في

البصرة متوجهاً الى الكويت بالسيارة برفقة تشارلز كراين سفير الولايات المتحدة السابق في الصين، والتقى الرجلان بعدد من الغزاة اطلقوا النار على السيارة فقتل بيلكرت .

وفي أوائل شهر شباط علم ان فيصل الدويش توجه ليقوم بمصالحة ابن حميد وابن ربيعان ، ووصلت تقارير في ١٢ شباط تفيد انه نجح في مهمته . وعلم بعد ذلك انه توجه الى جراب حيث ترك قوائمه بانتظار ان ينضم اليه ابن هذلات والفقم وغيرهما .

وقد جعل غموض الاحداث وارتفاع وقوع أشياء كبيرة من جهة نجد حياة سكان مناطق الكويت المتاخمة لنجد غير مأمونة؛ اذ انتشر الاشقياء والنصوص الذين أخذوا ينهبون كل ما وصلت اليه أيديهم . ونظراً لاضطراب الاحوال في البلاد فقد أقفل طريق البصرة - الكويت وصار البريد يرسل بطريق البحر .

وفي ليل ١٥ - ١٦ شباط سرق جماعة من قبيلة ظافر كانت تحجم على مسافة قصيرة من جهرأ أربعة عشر رجلاً وعدد من الاغنام ، فأمر الشيخ عبدالله الجابر الصباح بتنظيم فريق لمطاردة من أربع سيارات . وفي صباح السادس عشر لحق المطاردون بالغزاة وأسروهم وأعادوا البهائم المسروقة .

واستفاقت الكويت في ٣ آذار على صوت اطلاق النار على بعد عدة أميال من أسوار المدينة من جهة طريق جهرأ . واتضح ان جماعة من بني مالك بقمين في أربعين خيمة هناك قد خرجت عند الفجر من قبل جماعة من مطير يبلغ عددها ٦٠٠ رجل بقيادة تراحيب بن شقير الفقم . وبنو مالك هؤلاء قبيلة من الرعاة العراقيين ينتقلون في الصيف على خط يمتد الى جوار البصرة والزيبر ، وكانوا حينئذ قد خيموا قرب جالب الشيوخ على بعد سبعة أميال من الكويت . وقد قاوم الرعاة مقاومة مستميتة وحاولوا التراجع الى المدينة فقتل منهم ٣٧ رجلاً وجرح خمسة آخرون جروحاً بالغة . وباستثناء ألف رأس غنم وعدد من الحمير ، فقد بنو مالك كل بهائمهم أي حوالي ستة آلاف رأس غنم وستائة وخمسين حميراً . وقد حرمت ثلاثون عائلة من كل ممتلكاتها .

وكانت خسائر الغزاة في الأرواح مساوية لخسائر بني مالك ان لم تكن أكثر.
وقد قتل عدد آخر منهم عندما طاردتهم الطائرات البريطانية .
وقد عامل أهالي الكويت رجال القبيلة المنكوبة بالحسنى فأمدوهم بالطعام
وجمعوا لهم الأموال . راعى ١٥٠ من الذين ظلوا على قيد الحياة الى خير
بالزوارق في ١٣ آذار وأرسل الباقون بطريق البر في اليوم التالي ترافقهم سيارات
البوليس .

وفي ٩ آذار هاجم حوالي ٤٠ خيلاً دورية من سيارات البوليس العراقية
كانت تقترب من حدود الكويت - نجد في ربيع . وقد هزمت سيارات البوليس
المهاجرين وكبدتهم خسائر جسيمة . وتراجعت السيارات العراقية الى الشمال
فتبعها خيالة الأعداء .

وفي ١٤ آذار سرق فريق من الخيالة التابعين لقبيلة الزباد في العراق قطيعين
من الغنم يبلغ عدد الواحد منها ٥٠٠ رأس يملكها رجال القبائل الكويتية المقيمين
في ممر مطلع بالقرب من جهر . وقد استعيد القطيعان بعد وساطة الكاتبين جون
غلوب^(٥) ضابط التفيتش البريطاني في صحراء العراق الجعربية ، وبعد معاينة
زعماء العصابة .

والأمثلة التي قدمناها دليل على حالة انعدام الأمن والثقلان قبا وراء الكويت
في تلك الفترة . ولم نذكر هنا سوى الحوادث المهمة .

معركة سبيل الغامضة

وبدا واضحاً في ذلك الوقت ان ابن سعود انتقل الى قسم عاجزاً على الدخول
في جولة حاسمة مع ابن حميد والدويش . فقد صدرت الأوامر لابن حميد بإعادة
عدد كبير من الجبال كان قد استولى عليها في عقيل^(٦) . ورفض ابن حميد ذلك
صروحة مع ان الدويش لم يكن يؤيده بجرارة لأنه لم يوافق على فعلته بالاستيلاء

٥ - المعروف بغلوب إشا في الاردن

على الجمال . ولما أُلح الملك طلب ابن حميد الذي صار الآن يتمتع بتأييد الدويش المطلق ، ان تحل القضية حسب الشريعة المقدسة .

وكانت خطتها وضع ابن سعود في مأزق لكي يقسئ لها إخراجها حسب الحجة الآتية :

يا عبد العزيز ، أنت كإمام كنت تدعو الى الجهاد ضد الكفار والمشركين . ولطالما دعوت وكررت الدعوة الى أن العراق كدولة شيعية يجب ان يدمر، وأن كل ما يؤخذ من أهل حلال . ولطالما رددت قول القرآن الكريم لإثبات ان كل الأعمال التي يقوم بها المؤمنون ضد الكفار والمشركين يجب أن يكافأوا عليها . والآن ، وبأمر من الانكليز الكفار أنفسهم ، تدعونا نحن فرسانك المختارين سيف الاسلام ، الى إعادة ما أخذناه لأنك تعتبر ما فعلناه خطأ . فاما أن تكون انت دجال منافق تحب ذاك وتبحث عن منفعتك ، واما أن يكون القرآن كتاباً غير صحيح ، فليحكم علماء نجد بيننا .

وقرر الملك ان يقابلهم في عقر دارهم فدعا الى مؤتمر يعقد خارج مدينة زلفي في شمال نجد الوسطي . ومما لا شك فيه ان الرعب دب في قلبه بحيث انه لم يفكر قط في عرض القضية على أية هيئة من علماء الدين الوهابيين . وبدلاً ان يقرر القطيعة مع البريطانيين ، قرر ضرب الاخوان بسرعة مرة واحدة والى الأبد . وربما كان في اعتقاده أن البريطانيين سيساعدونه لبلوغ هذا الارب ،

وأقام ابن سعود معسكراً لجيشه في زلفي . ثم جاء فيصل الدويش ومعه فرقة صغيرة وخيم في سهل ^١مبيل المكشوف قرب زلفي حيث انضم إليه بعد ثلاثة أيام ابن حميد الذي احضر معه قوة كبيرة وخيم بالقرب من الدويش .

وبموجب ترتيب سابق ظل زعيم الاخوان الثالث خيدان الهذلان يحرس مسيرة الاخوان من أي هجوم طارئ . يشنه فهد بن جلوي ابن أمير الاحساء الذي يملك قوة كبيرة في شمال تلك المقاطعة . وقد خيم بن هذلان مع بن شقير وبن لامي قرب جاريه في الطرف الجنوبي من منخفض الشق على بعد ١٣٠ ميلاً الى الجنوب من مدينة الكويت . وقد استخدم ابن سعود كل مهارته الدبلوماسية

في منع ضيّدان الهذلان من ان يرمي بشقه مع الزعيمين الشائرين ، وفي الحقيقة أن الهذلان رفض الاشتراك في المؤامرة لأنه اعتبره تحدياً لسلطة الملك ، وظلت قبيلة الموازم القوية في الاحساء موالية لابن سعود .

أما فيصل الدويش فقد تناول طعام الغداء مرتين على الأقل على مائدة ابن سعود قبل وصول ابن حميد الذي رفض أن يفعل ذلك ، وفي نيسان وصلت الى الكويت تقارير تفيد أنه بعد اجتماع أخير مع الدويش وبعد محاولة غير ناجحة لحل ابن حميد على القدوم الى زلفي ، تحرك جيش ابن سعود فجر ٢٩ آذار وهاجم قائندي الاخوان في مبيله بدون سابق إنذار وأزّل بها هزيمة شكره . فالدويش الذي كان يعتقد أن مفاوضات أخرى ستجري ، أخذ مع فرقته الصغيرة على حين غرة وهم يبيتون طعام الافطار ، فأصيب بجراح خطيرة في معدته دون قتال . أما ابن حميد الذي كان أكثر تهيباً فقد تمكن من الفرار بعد ان شق طريقه الى التراجع بمؤامرة فائقة في القتال .

وقد أظهرت وقائع هذه المعركة الغامضة التي فقد فيها الثوار حوالي ٢٥٠ رجلاً ، ابن سعود على غير ما كان يبدو به ، فانه من المؤكد ان ابن سعود قبل ان يشن هذا الهجوم المفاجيء على الدويش وابن حميد ، أعطى تأكيدات جازمة بأنه سيجتمع بالدويش مرة ثانية لبحث الأمور بموجب الشريعة .

ونقل فيصل الدويش الجريح الى قريته ارتوانية بأمر من ابن سعود ، وعاد ابن حميد الى غطفط حيث تبعه عبدالله بن عبيد الرحمن شقيق الملك فاستلم بدون قتال . ودخل ابن حميد سجيناً الى الرياض ودمرت غطفط .

وبعد ان اطمأن ابن سعود الى أن الثورة قد سحقت وان الدويش يحضر متأنراً بجراحه ، ذهب لأداء فريضة الحج في مكة . ويقال إنه قبل ذهابه بعث برسالة الى ضيّدان الهذلان يشكره لعدم انضمامه الى الدويش وابن حميد في سبيته ، وأرسل له طيباً كتاب أمان لكي يتسنى له التنقل أينما شاء .

قتل ضيّدان الهذلان

أخذ ابن سعود ثورة الشيوخ وشقت اتباعهم بعمل وصفه أصدقاؤه بأنه

عقاب حتى ووصفه أعداؤه بأنه الغدر بعينه . ويمكن إرجاع ثورة الدويش التالية التي كلفت ابن سعود كثيراً إلى هذه الحيلة غير الملكية ، لأن العربي لا ينسى . إن تلك الانتفاضة كان يمكن أن لا تكون خطيرة لو لم تستفز قبيلة عجمان القوية للوقوف ضد الملك بسبب تصرفات فهد بن جلوي المحقاه الذي اشتهر بالغدر والقسوة .

ونتيجة لمساند الأمير بن جلوي والد فهد ، فقد ابن هذلان مؤثقتاً كثيراً من نفوذه في عجمان ولكنه استعاد زعامته على القبيلة كلها بعد موقعة سيبله . لقد كانت لابن جلوي قوة ضخمة في عواينه على بعد سبعة عشر ميلاً من انصرار حيث كان ابن هذلان ورجاله . ودعا فهد بن جلوي قائد القوة المذكورة ابن هذلان ليأتي اليه لبحث رسالة تلقاها من ابن سعود . ولم ينس فهد ان يرسل له كتاب أمان بخط يده . وعقد ضيضان مجلساً لقبيلته وعرض عليهم الرسالة فنصحوه بعدم الذهاب إلى عواينه لأن رائحة الغدر كما قالوا تفح من الرسالة . وذهب ضيضان ومعه اثنا عشر رجلاً فاستقبله فهد بحفاوة بالغة ولكنه عندما نهض ليفادر المكان القى القبض عليه وكبل بالأصفاد . ولكن احد مرافقيه تمكن من الفرار لينذر القبيلة فتحركت قوة من عجمان قوامها ألف وخمسة مائة رجل نحو معسكر فهد بقيادة حزام الهذلان في ساعات النهار الاولى . وكان ذلك في اليوم الاول من أيار .

ولما شعر فهد انه سيخسر المعركة أمر عبده ابن منصور وهو جلال زنجي ان يقطع رقبة ضيضان ، وقتل هو نفسه على يد شاب من عجمان يدعى عبدالله بن العبد الخيال الذي أمسك بعنق فرسه عندما كان يحاول الهرب وأطلق عليه النار في رأسه .

كانت الخسائر في قوة ابن جلوي جسيمة فجميع رجاله كانوا من أهل مدينة الخفوف الذين أعمل السيف في رقابهم جميعاً . أما بعض البدو الذين اذهلهم ما صاب ضيضان فقد تركوا وشأنهم . واعترف بمحمد الهذلان ابن عم ضيضان المعروف بابي الكلاب زعيماً على عجمان .

وانتشرت انباء الاغتيال المحجل كالنار وحركت المشاعر في شمال شرق الجزيرة العربية وانقلب الكثيرون على ابن سعود مع ان المسؤولية لا تقع عليه بل على عبدالله بن جلوي الذي كان ابنه فهد ينفذ اوامره .

وفي الثاني من أيار وصل فرحان بن مشهور من عائلة الشعلان الحاكمة في فرع الردى من قبيلة عذينة وأحد زعماء الاخوان البارزين ومؤيد سابق لابن سعود ، الى أيار ضاربة في الجهة الجنوبية للكويت ومعه عدد كبير من الجمال اغتصبها من ابن مسعود أمير حائل ومن شمر والداهمشاه في غزوات قريبة العهد . وفي الرابع من أيار تحرك شجاعاً الى جهرا حيث قابل الشيخ أحمد . وصرح بأنه تلقى كتاب أمان من ابن سعود وأنه أرسل اليه رسلاً ليستعلم عن الشروط التي يسمح له بالدخول بموجبها .

ونوجب تعليمات الحكومة البريطانية أمر الشيخ أحمد فرحان بن مشهور ان يغادر جهرا في الثاني عشر من أيار بعد ان تزود ورجاله بسنن تكفيهم حتى الوصول الى الرياض . وعبر الحدود من قرين صباح الرابع عشر من أيار ولكنه بدل ان يتوجه الى عاصمة ابن سعود كما كان مقترضاً انضم الى قبيلة عجمان في اواسط الاحساء . وهذاك قليل من الشك بأن يكون قد غير رأيه نتيجة لحادثة عواينه .

عجمان ترفع مستوى الثورة

كان فيصل الدويش الذي تركه ابن سعود في ارفوانية ظناً منه أنه سيموت بين لحظة وأخرى ، يتأمل الى الشفاء ويتظاهر أمام الملاء بأن لا أمل من شفائه وان وفاته هي مسألة وقت . لما ابن حميد فكان لا يزال اسيراً في الرياض .

وفور مقتل زعيمها رفعت عجمان القوية مستوى الثورة بدعمها فرحان ابن مشهور وغيره من زعماء الاخوان . ولم يمض زمن طويل حتى كان شمال نجد كله من جبل شمر الى الخليج الفارسي في يدهم .

وفي اوائل أيار تحركت عجمان بقيادة نايف الهدلانت وخيمت في وفره في

منطقة الكويت المحايدة ومعها فرحان بن مشهور . وقلقى الشيخ أحمد تعليمات من الحكومة البريطانية ان لا يسمح لعجمان وغبرهم من الثائرين بالحصول على المؤن من الكويت ، أو ان يأتي أحدهم اليها . وابلغ ابن سعود بذلك .

في تلك الفترة الحرجة وبعد سنة من الخدمة كسكرتير للمقيم السياسي في الخليج الفارسي ، عينت وكيلا سياسياً في الكويت ، فتسلت مهام عملي في الثاني والعشرين من أيار . وفي الثاني من حزيران أرسل ابن سعود احتجاجاً شديد اللمجة انهم قبه الكويت بتزويد قوات عجمان وفرحان بن مشهور بالمؤن والذخائر خلافاً لتعليمات الحكومة البريطانية . وبعد تحقيقات دقيقة تمت بها بنفسي تبين لي ان اتهامات ابن سعود لا أساس لها بالرغم من ان بعض التهربات كانت تتم سرا عن طريق الاقرباء والمؤيدين المقيمين في الكويت . وقد اثبت بالدليل القاطع ان الشيخ أحمد ينفذ تعليمات حكومة صاحب الجلالة بهذا الصدد بكل امانة .

وفي ٤ حزيران تمكن غزاة من قبيلة ظافر من الاستيلاء على مئة رجل بملكوها رعاة من الكويت والقرب من جبراً . وقد التقى القبض على أحد الغزاة وأدلى بأسماء شركائه فتبين انهم جميعهم من الرعايا العراقيين . ونتيجة للاتصالات مع الحكومة العراقية أعيدت الجبال وعوقب الغزاة .

وفي ١٠ حزيران احتج الشيخ أحمد رسمياً على دخول سيارات الشرطة العراقية اراضيهِ دون ابلاغه . وكان العراقيون يفعلون ذلك منذ ان اندلعت ثورة الاخوان ولكن الامر اعتبر غير مرغوب فيه من عدة نواحي . وتم الاتفاق ان الشرطة العراقية لن تعبر الحدود قبل ان تحصل عن طريقني على موافقة الشيخ أحمد .

وفي ١٤ حزيران غادرت قرية كبيرة من نوار عجمان معسكرها في وفرة الى جهة مجهولة في الجنوب . وبعد خمسة ايام كشف فيصل للدويش القناع عن وجهه مستغلاً غياب ابن سعود في مكة ، وانضم الي عجمان . فبعد ان جمع حوالي خمسة آلاف رجل ومئة الف رجل من مطير وعجمان وابن حميد في قبيلة

عتيبه ، وصل الى بازية عليا على بعد ثمانين ميلا من حدود الكويت في اليوم ذاته أي في التاسع عشر من حزيران . اما انتقاله الى هذه المنطقة الصالحة للمراعي الى جنوب الكويت يفسر حاجته الى الابقاء على قوة كبيرة .

وقد رفعت عودة الفارس الجريح معثويات الثوار وزادت في قوتهم . ولما علم ابن سعود بذلك جمع السيارات الموجودة في مكة وأسرع بالعودة الى الرياض . وجمع قوة قوامها ثمانية آلاف رجل معظمهم من منطقة قصيم . ولم يهاجم ابن سعود القبائل الثائرة فوراً اعتقاداً منه ان كل يوم يمر سيخلق صعوبات في التعرّين فيصل الدويش ورفاقه من الصعب التغلب عليها . وحرض ابن سعود على ان يحصل على تأكيدات من الحكومة البريطانية للتعاون في منع فرار الثوار الى العراق والكويت في حالة هجومه عليهم . وكان ذلك يحتاج الى وقت .

وكان أول عمل قام به فيصل الدويش لدى وصوله الى شمال الاحساء هو دعوة الشيخ أحمد للانضمام الى الثوار واعيداً بإعادة الأراضي التي اقتطعت من الكويت في عهد الشيخ سالم . وبعث له برسالة أخرى يطلب فيها السماح له بإقامة مخيم في صبيحية وبالقدوم الى الكويت لشرح خططه والحصول على مؤن . وابلغت الحكومة البريطانية الشيخ أحمد فوراً ان يضع مطير في نفس منزلة عجمان وان يمنع الدويش أو أيّاً من اتباعه من عبور الحدود ، وإذا ما حاولوا ذلك فانه سيخضعون للقصف .

اما القوات المشتركة لعجمان وابن مشهور التي اتجهت جنوباً من وفرة فقد هاجمت العوازم في رضا بالقرب من جبيل في ٢٣ حزيران . وكان العوازم على استعداد لأن أمير الاحساء قد امددهم بالجنود ، فصدوا الثوار وكبدوهم خسائر فادحة بلغت ٤٥ قتيلاً بينما لم يفقدوا هم سوى ١٥ قتيلاً بينهم عدد من النساء . ولم يقتل في الاشتباك أي من زعماء الطرفين لكن عجمان فقدت بعض رايات الحرب . اما تفاصيل المعركة المبالغ فيها والتي اذيعت في كل مكان في الاحساء والحجاز على انها نصر مبین إنما تدل على سير الامور في الجزيرة العربية . ولما تلقى فيصل الدويش انباء هزيمة عجمان انتقل الى حض في الاحساء ليؤيخ ابن

مشهور وزعماء عجمان على سوء استعدادهم وطريقتهم ويبلغهم انهم يستحقون ذلك .

وحاول الدويش مرة أخرى في ٢٨ حزيران ان يحمل الشيخ أحمد على الانضمام الى الثوار ، فقد بعث له برسائل مع عدد من كبار زعماء الاخوان بمن فيهم ابنه الأكبر عبدالعزيز وذلك لاقتناع الشيخ أحمد بالتخاذل نهج قوي . وقد صيغت تلك الرسائل بلغة فصيحة وببيان بليغ تركت أثراً عميقاً في نفس حاكم الكويت وشعبه . لقد حفز الشيخ أحمد لكي يلعب دور رجل الموقف ويتصرف كما كانت مبارك يمكن ان يتصرف بدون شك . وقال الدويش ان كل ما يطلبه الثوار هو المؤن والذخائر ، واذا ما اشتركت الكويت معهم فهو يتعهد بالباقي .

ومن حسن حظ جميع المعنيين بالأمر بقي الشيخ أحمد أميناً لوعوده التي قطعها لي بصفتي وكبيراً سياسياً لحكومة صاحب الجلالة بالرغم من الاغراء للقيام بهجوم ضد العائلة السعودية واستعادة المناطق الجنوبية وخاصة القبائل التي عليها كالعوازم وعجمان ومطير ، كان شديداً لا يقاوم . فلو انه انضم الى الثوار واتخذت الحكومة البريطانية موقفاً محايداً ، لكان من المحتمل جداً خلع ابن سعود لأن القوات المقاتلة في نجد كانت الى جانب الثائرين .

ونقلت قطاعات عجمان ومطير وابن مشهور عائلاتها وجمالها الى الجنوب من وفرة في ١٥ تموز بسبب الجهود القوية التي بذلها الشيخ أحمد الذي كان همه الوحيد لعدة أسابيع ان يبعد الثوار عن حدوده ويبعد معهم الاغراء الذي تناديه اليه صيحيه والمراعي الجميلة بجوارها .

⑤ ابو جيفان

ووصلت انباء في ١٨ تموز تفيد ان فرقة من عجمان توغلت حتى ابو جيفان بالقرب من الرياض وقطعت طريق الرياض - الهفوف .

وفي تلك الفترة اخذ اللاجئين النجديون البارزون المقيمون في العراق - وكان بعضهم يتلقى مرتبات من الحكومة العراقية - يتدفقون الى الكويت في طريقتهم للانضمام الى الثوار . وتعرض الشيخ أحمد وتعرضت أمه معه لقضية اخراج في كيفية التصرف مع هؤلاء السادة . والقصة التي كان يرويها كل واحد منهم (وربما

كانت قصة مختلفة) هي ان الملك فيصل سمح لهم بالانضمام الى الثوار ليحاربوا
 حظهم . ولكن لابن سعود عملاءه في الكويت . وكان هؤلاء يبلغونه عن كل
 دفعة جديدة تصل وعن تحركاتهم ، وتعقدت القضية بالنسبة لكل من يهده الأمر
 في الكويت . وأخيراً ، وبعد استطلاع رأي المقيم السياسي في الخليج الفارسي ،
 حصلنا على إذن باعتقال وارجاع كل شخص يصل من العراق ويشك في أنه يرغب
 بالانضمام الى جيش الثوار .

وكان من بين أولئك الأشخاص البارزين علي بن شويرية ^(١) أحد زعماء بربر ^(٢)
 مطير ، الذي زادت في مكانته زيارته السرية المتعددة بين بغداد ومعسكر ^(٣)
 الثوار . وهناك قليل من الشك في أنه كان يحمل معه مساعدات مادية ومعنوية ،
 وأنه كان يشجع الثوار على الاستمرار في المقاومة . وبين أولئك الأشخاص أيضاً ^(٤)
 عبيد بن حميد من قبيلة عتيبة الذي كان يقوم بدور الرسول بين فيصل الدويش ^(٥)
 وبين نايف المهدي بن حميد زعيم عتيبة السابق الذي فر من نجد قبل ثلاثة أعوام ^(٦)
 وأقام في بغداد .

كان فيصل الدويش في ذلك الوقت يعسكر مع قوات الشوار الرئيسية في
 الطوال الجنوبي وهو مكان مستطيل في الوسط تشكل آبار الصفا ^(٧) ووبرد وقرعه
 وجبه . ومن ذلك المكان كان بإمكانه ان يضرب نجد والاحساء متى شاء . وفي
 ٢ آب شن غزوة صاعقة على قباية بالقرب من ارتوائيه ^(٨) ودمر قوة من رجال مبيع
 وسهل تدعيمهم قوة صغيرة لابن سعود .

وبالرغم من أن الدويش لم يستول على الجمال في هذه الغزوة ، لكن الالباء
 انتشرت فانارت الرعب في كل مكان مما حمل قوات ابن سعود المتقدمة على
 الانسحاب الى الرياض من معسكرها في حفر الأثر ^(٩) .

ان ما يميز هذه الغزوة سلوك الثوار تجاه الأسرى والمساكين . فقد عاملهم
 اطيب معاملة ورحبوا بهم خلافاً لأساليبهم السابقة .

وفي ١٠ آب تلقى الشيخ أحمد وتلقيت معه رسائل مطولة من ابن سعود
 يشكرها فيها على جهودنا في قطع المؤن عن الثوار .

وفي اليوم ذاته ضرب محمد بن خالد الهذلان وهو قائد شاب في عجمان ، قوة نجديسة بالقرب من نطا في اواسط الاحساء . وفي ١٥ آب وصلت انباء الى الكويت تفيد ان قافلة تحمل امنتعة الأمير سعود الابن الأكبر للملك ، كانت في طريقها من الرياض الى المهفوف ، تعرضت في الخامس من شهر آب لهجوم شنته عجمان بقيادة محمد الهذلان مما ادى الى تدمير ١٤ سيارة شاحنة .

ويقصد ايهام القبائل الأخرى بقوة الثوار واقناع المتشككين بانهم يفعلون حسناً اذا انضموا الى المعسكر المناوئ لابن سعود ، أرسل فيصل الدويش ابنه عبد العزيز وهو شاب في الخامسة والعشرين من عمره على رأس غزوة طويلة الأجل الى بلاد حرب وشمر وعنيزة الجنوبية . وسار عبد العزيز في ١٥ آب على رأس قوة مختارة قوامها ٦٥٠ شاباً من الهجانة يلتحقون الى مطير وعجمان ومعهم فيصل الشبلان الذي يأتي في القيادة بعد الدويش مباشرة ، وغيره من رجال الخبرة ليكونوا بمثابة مستشارين لعبد العزيز الشاب النشيط المتسرع .

وقد استولت هذه الغزوة على قطعان كبيرة من الجمال تعود لشمر ولعبارات ، واستولت أيضاً على قافلة سعودية تحمل زكاة من حاييل قدرها عشرة آلاف ريال . وعاد الغزاة بعد ذلك من حيث اتوا ليحققوا غرضهم الأول وهو الاستيلاء على آبار ام الرضمة جنوب غرب منطقة العراق المحايدة حيث يستطيعون سقاية جمالهم . وقبل ان نصف هذه الاحداث يجب ان نذكر اموراً أخرى .

وشهد شهر آب انتصارات للثوار في كل مكان بينما كان ابن سعود في موقف المدافع وكانت سياسته في تلك الفترة الاحتفاظ بالمدن الى ان يأتي فصل البرد . تلك كانت استراتيجية صحيحة ولكنها تعني انه سيخسر أكثر فأكثر من اتباعه البدو . وكان سيد الموقف في ذلك الوقت فرع الروقة من قبيلة عتيبة الكبيرة بقيادة الشيخ ابن ربيعان الذي كان الملك والثوار يتنافسان على خطب رده وكسب رضاه . فالروقة والحيد يعتبران اقوى اتحاد للقبائل في قلب الجزيرة العربية . اما الحيد فقد انحازوا الى جانب الثوار وأصبح واضحاً ان الغلبة بالنتيجة ستكون للجانب الذي تنضم اليه الروقة .

وفي ٢٠ آب وصل الى الكويت الرابعي العميل السري المؤتمن لابن سعود .
وبعد يومين جاء الى الكويت ايضا ابن مشهور يرافقه محمد العثين . ولم يسمح للحيا
بالبقاء في المدينة فخرجت انا لمقابلتهم على بعد أربعة أميال من المدينة . ونومل
ابن مشهور ان يسمح للثوار في نصب خيامهم في صبيحهم فرفض طلبه وأمر
بمغادرة الكويت فوراً . وطلب ان يسمح له بزيارة بغداد ورفض هذا الطلب
ايضاً .

وفي تلك المقابلة أكد محمد العثين القصير القامة ان بعض المكين الدائم
الابتسامة صاحب الانف المستقيم واللحية السوداء المعقوفة ، التقارير القائلة انه
هو الذي هاجم قافلة الأمير سعود . وابلغني ان جميع الشاحنات قد احترقت
وان أحداً من ركابها لم ينج من الموت . ويبدو ان اعادة ذكر وقائع هذه الحادثة
كان تسلية كبرى له .

وفي اليوم ذاته ، ٢٢ آب ، انتقل فيصل الدويش الى حفر الباطن واستطاع
ان يستعمل الى جانبه فرع البريج الكبير من قبيلة مطير ، الذين حملوا خيامهم
البالغ عددها ثمانمائة خيمة وساروا نحو الاحساء وانضموا الى قوات الثوار .
وبعد عدة اسابيع دخل قسم من البريج الاراضي الكويتية وخيموا في جهرا .
وقد تسببت انا في طردهم من هناك .

فيصل الدويش يعطيني كالمته

ان اجتماعي الأول بفيصل الدويش الذي يعتبر أكبر مخطط عسكري بدوي
بعد ابن سعود شهدته الجزيرة العربية في هذا القرن ، ذكرت وقائعه في مكان
آخر . ولكنني شعرت بضرورة اعادة هنا لأنه يشكل جزءاً مهماً من الصراع
من أجل السلطة بين خصمين لدودين كانا صديقين حميمين .

دفعت ضرورة إيجاد مراع جديدة للاعداء الضخمة من الجمال والأغنام فيصل
الدويش واتباعه الى غزو الاراضي الكويتية من جهة الجنوب بصورة مفاجئة في
الثلاثين من شهر آب ، وأقاموا لأنفسهم معسكراً ضخماً حول صبيحيه والآبار

الملاصقة لها . ولقد قدرت قوتهم بحوالي خمسة آلاف مقاتل والفي خيمة ومشة
الف جمل . وكان ذلك منظرأ رائعا .

وبعد ان أبلغت الحادث طلب مني ان احذر فيصل الدويش من انه اذا لم
يفسح غير الحدود خلال يومين فان طائرات سلاح الجو البريطاني المقيمة في
شعبه بالبصرة ، ستقصه مع رجاله وممتلكاته .

وقد استقبل الرسول الأول الذي أرسلته الى صبيحية باستهزاء . ولكي
انجنب وقوع كارثة مقيتة لاسيما وان هنالك عدة آلاف من النساء والاطفال
مختلطون بالرجال المقاتلين ، دعوت فيصل الدويش ليقابلني في ملح في اليوم التالي
على بعد خمسة عشر ميلا الى الجنوب من مدينة الكويت وثلاثة اميال الى الجنوب
من المستشفى القانم الآن والتابع لشركة نفط الكويت مع مدرسة التدريب في
مقرى . وتوجهت الى ملح لرحلتي اقود ميارتي بنفسي بالرغم من نصيحة الشيخ
أحمد الذي كان يخشى علي من الغدر . ووصلت الى ملح مساء الواحد والثلاثين من
شهر آب . وفي اللحظة الأخيرة تبعني الشيخ أحمد ومعه أربعة عبيد مسلحين
ودأ منه في مشاركتي نفس المصير اذا ما لحقني أي اذى . وسأذكر له ذلك بكل
امتنان ما دمت حيا .

وقابلنا فيصل الدويش في الموعد المحدد على رأس تلة تشرف على الآبار
الواقعة الى الشرق من المكان الذي ينزلون فيه ومعه أبرز زعماء الاخوان وعددهم
أربعون من الرجال المتعصبين الاشداء . ذلك الرجل الذي فعل أكثر من أي
عربي آخر ليساعد ابن سعود الارتقاء الى اعلى مراتب السلطة والشهرة ، كان
قصير القامة عريض المنكبين له رأس وأنف كبيران . وكان يسير بعزم وثقة
وكان محدودب الظهر قليلا ، عبوسا صامتا بطبيعته ولكنه لم يكن يرى الاشياء
بوضوح كابن سعود من وجهة نظر السياسي .

وقلت له ما جئت لأقوله واضفت انني استطعت الحصول على موافقة
حكومة صاحب الجلالة في ارجاء عملية القصف لمدة يومين ضما مني بأرواح
النساء والاطفال ، ورجوت فيصل من أجلهم ان يعدني بالتراجع عبر الحدود

ضمن المهمة المحددة . وتردد ان يفعل ذلك لمدة ساعة كاملة قال خلالها انه ليس على خصام مع البريطانيين ، وانه وقبيلته كانوا في السابق من رعايا شيخ الكويت ويريدون العودة الى ولائهم القديم ، وانهم يعانون نقصاً رهيباً في الاغذية والمأوى . وكان جيشه جائعاً ولذلك كان يأمل بالساح له ان يشتري الطعام من الكويت . ومع انني تأثرت كثيراً بكلامه نصرفت بقساوة قلب واقنعتة أخيراً بأن يعطيني كلمته ففعل بينما كانت كتلة الشمس الحمراء تتحدر وراء قلال منافيش فقال فيحصل انه يريد الصلاة . فدعا الى الصلاة بنفسه وقاد رجاله ومرافقيه الى صلاة المغرب واضعين ينادقهم امامهم على طريقة الاخوان . وبعد ان انتهت تلك الصلاة الحادثة استدار الزعيم الصحراوي الكبير نحو مرافقيه وهو لا يزال على ركبته وأدى السلام الذي يتلو الصلاة . وقبل ان ينهض واجهني وقال : اعدك بشرفي انني سأفعل ما طلبته مني . اذهب بسلام . وحافظ فيصل على كلمته .

وفي ٤ أيلول وقع حادث غريب . وسأذكره هنا لأظهر مدى اضطراب حبل الأمن والقانون في كل مكان . هاجم فريق من بني حسين والعرايف من قبيلة ظافر في العراق بقيادة شويلح بن شريف مكاناً بالقرب من جهرا واستولوا على بعض الاغنام . وعلى الفور اطلق فدائية الشيخ المفيد في جهرا النذير وطاردوا الغزاة فلاحقوا بهم في القضي واستعادوا منهم الاسلاب بعد ان قتلوا منهم رجلاً واحداً وأسروا ثلاثة آخرين . وفقدت الدورية المطاردة ستة خيول وجمالاً واحداً واصيب احدهم بجراح . وبموجب اقادة الاسرى الثلاثة تمكنت السلطات العراقية فيما بعد من القاء القبض على بقية الغزاة . وقد استحق فدائية الشيخ والشرطة العراقية الشكر والتوثنة على توليهم هذا الحادث بنجاح .

قتال حتى الموت من أجل الماء

ونعود الآن الى عبدالعزير الدويش وقوته الضاربة في طريق عودتها . فلما اقتربوا من لبناً شمالي حايل تناهى اليهم ان ابن مصمداً الجالوي أمير حايل يحاول

قطع الطريق عليهم بالاستيلاء على آبار الماء، وأنه قد تحرك فعلاً عبر خط تراجعهم بقصد قطع الماء، الذي هم يأمن الحاجة إليه، عنهم. وكانت تلك الأنباء خطيرة للغاية، لأن حرارة آب كانت شديدة وجهاهم لم تذوق طعم الماء منذ أربعة أيام، والمديرة كانت طويلة بحيث إن الجمال التي استولوا عليها كانت تسقط مينة من الإعياء في الطريق.

واقترح فيصل الشبلان تغييراً فورياً في الاتجاه نحو الشمال الشرقي وكانت عبد العزيز يحذركم إكمال السير نحو أم الرضمة. وأنهى أربعة من الكشافات بأنباء مفادها أن آبار أم الرضمة وقعت في يد قوة أكبر من قوتهم بثلاث مرات على الأقل. وأعلن فيصل الشبلان في الحال أنه سيتوجه إلى الشمال الشرقي ودعا كل رجل ذي عقل أن يتبعه. أما عزيز* العنيد فقد رفض العمل بهذه النصيحة فافترق فيصل الشبلان عنه ومعه حوالي مئة وخمسين رجلاً وعدة مئات من الجمال. واندفع عزيز إلى الامام بسرعة ومعه حوالي خمسمائة رجل فقط بالرغم من أن جماله كانت تموت من المشقة والاعياء، فوصل إلى جوار آبار أم الرضمة عند منتصف النهار. وتبين له أن أنباء الكشافات كانت صحيحة جداً لأن الآبار كانت محاطة بحوالي ألف وخمسمائة رجل نشيط من شمر وحرب والبندو الحضر حفروا خنادق على مدار المنطقة بأكملها. لقد كانت حالة يائسة فالرجال والجمال بحاجة ماسة إلى الماء. وقد أبلغني أحد الناجين فيما بعد بأن قرب الماء التي يحملها الرجال للطواريء كانت قد فرغت كلها منذ زمن، وإن أحداً من رجال عزيز لم يذوق طعم الماء لمدة ثماني ساعات. وكانت حرارة الشمس قوازي تقريباً ١٧٠ درجة فهر نهايت. وأمر عزيز رجاله بالتوقف على مرأى من العدو الذي كان يعرف قوته فأخذ يراقب بامتهجان خطواته التالية. وبعد ذلك دعا عزيز رجاله الذين انهكهم الشعب إلى الصلاة فركعوا جميعهم، ولم يشتمهم الجوع والعطش والحرمات واحتمال وقوع معركة رهيبة، عن عزيمتهم لحظة واحدة. وصرخ قائدهم بأعلى صوته قائلاً:

— اسم للتحبيب يطلق على عبدالعزيز الدريش.

— ألسنا نحن أخوة اختارنا الله ؟ يجب ان نتقدم ونحصل على المساء . ان الكلي القدرة سيساعدنا .

وكان آخر أمر أصدره الى عبده ان يقود فرسه وينقذها اذا امكن ذلك ، وبدأ هجوم رهيب قام به خمسية رجل اصابوا بجحون العطش . وتلقى المدافعون عن المكان الهجوم بشجاعة . وقد ساعد السراب المهاجمين لأنه منع المدافعين من التسلل الجيد في الرماية ، فنشبت معركة ضارية رهيبة . وكادت شجاعة الاخوان الفائقة لمدة من الزمن ان تريح المعركة ولكن الاعداد كانت متفاوتة ، وكان ابن مسعود يأتي بفرق جديدة واحدة بعد الاخرى . ودنت النهاية عندما كانت الشمس تنوارى عن الانظار . ولما فقد عزيز ثلاثة ارباع رجاله ووجد ان المعركة انقلبت لغير صالحه اقتاده خمسة من خدامه الخصوصيين الامناء من الميدان وقاموا بجحود أخير لانتقاذ قائدهم المحبوب . ولكنهم لم يشاهدوا بعد ذلك على قيد الحياة فقد عثر على جثثهم بأربعة بعد شهرين في قلب صحراء هجرا وقد حلكوا من العطش .

وقتل اربعةماية وخمسون رجلا من الاخوان على أرض المعركة . ومن بين الحسين الذين تمكنوا من الفرار وصل ثمانية وثلاثون على قيد الحياة كان من سوء حظ ثمانية منهم ان يقتلوا في نقيز بعد شهر عندما هاجم فيصل الدويش العوازم . اما ابن مسعود فقد فقد في معركة آبار ام الرضخه اكثر من خمسية رجل .

وقد احضرت لي فرس عزيز الاصيل الى الكويت بعد اسبوع من تاريخ المعركة وهي جلد وعظم وفي ظهرها جرح ينزف بجحهم راحة الكف . وآويتها سرا في منزل بالقرب من منزلي حيث كنت وزوجتي نطعمها ونعتني بها حتى اصبحت على احسن حال بعد مضي ثلاثة أشهر . وبعد ذلك ارسلتها الى مكان أمين في البصرة حيث توقيت بعد أربع سنوات . لقد كانت من اجمل الحيوانات التي وقع عليها نظري .

الملك يهاجم

وأخيراً في ايلول بدأت الحياة تدب في قوات ابن سعود . وعززت العوازم

برجال من المدن وأمرُوا بالتحرك شمالاً لضرب الثوار عند حدود الكويت الجنوبية . وشكل تجمع قبلي آخر في حفر الأثر وجمع ابن مسعود قوة من حرب قوامها ثلاثة آلاف رجل في عجيبة^(١٤) إلى الجنوب الغربي من منطقة بشوك . ووضعت عدة طائرات مقاتلة حصل عليها من الحكومة البريطانية وكان يقودها طيارون سابقون في سلاح الجو الملكي ، في جزيرة فاروت بمحاذاة القطيف في جنوب الأحساء . ووجه ابن سعود كل اهتمامه إلى قبيلة عتيبة التي رفعت مستوى الثورة^(١٥) أخيراً . وقد عالج الأمور بمهارة فسانقة في الغرب بحيث أنه نجح في غرس بذور الخلاف بين أعدائه هناك .

وفي الخامس من تشرين الأول هاجم فيصل الدويش العوازم في تقيير باواسط الأحساء وأحرز عليهم نصراً كاملاً . وفقد الثوار في المعركة ٤٨ رجلاً وفقد العوازم ٢٥٠ وكلاهما رقم كبير بالنسبة للمعارك العربية . واستولى الدويش نتيجة للمعركة على ثمانية آلاف جمل وغيرها من الأسلاب . وهرب عبد السيل^(١٦) أحد قادة ابن سعود من المعركة مع خسة من مرافقيه . وطلبت العوازم شروط الصلح فأعطيت لها في ١٠ تشرين الأول .

وقد وافق الدويش بموجب تلك الشروط أن يسمح للعوازم أن تنتقل إلى الأراضي الكويتية وتبقى هناك . وقد انكر ابن سعود ذلك فيما بعد بشدة . لقد أعطت معركة تقيير الثوار ثلاثة أرباع مقاطعة الأحساء . ولكن هذا النصر طغت عليه الأنباء القائلة أن ابن سعود قد أحرز نصراً ساحقاً في غرب نجد وأبعد عتيبة نهائياً عن المعركة . كان ذلك نكسة سيئة للثوار الذين لم يخافهم أدنى شك بأن عتيبة ستنتصر في النهاية . وفي ٣٠ تشرين الأول أرسل الدويش يطلب مقابلة الشيخ أحمد ومقابلي . وأتبع هذا الطلب بأن عبر الحدود بنفسه مع عدد من مرافقيه وخيموا بالقرب من جهرأ . وعملاً بتعليمات الحكومة البريطانية أبلغته أن ينسحب فوراً . واتضح أنه كان يرغب في أن يوجه الأسئلة الثلاثة الآتية التي عاد فأرسلها برسالة خطية :

١ - إذا تحرك جنوباً إلى نجد وترك نسائه وجماله في شمال الأحساء ، فهل

تعد الحكومة البريطانية بأن لا تقصدهم وان لا تسمح للقبائل العراقية بهاجتهم؟

٢ - اذا هاجم ابن مسعود نساءه من الغرب اثناء غيابه فهل تسمح الحكومة البريطانية لمن باللجوء الى الكويت والبقاء هناك بحماية الشيخ ؟

٣ - اذا ما اسقط رجاله طائرة من طائرات ابن سعود التي يقودها بريطانيون فهل تعتبر الحكومة البريطانية الشوار مسؤولين عن ذلك ؟

وبعد ان اسليت هذه الامثلة على حكومة صاحب الجلالة ابلغت ان اعطي جواباً غامضاً بالنفي على السؤالين الاولين وجواباً قاطعاً بالإيجاب على السؤال الأخير . واصيب الدويش تبعاً لذلك بخيبة أمل مريرة .

وبعث الدويش برسالة جوابية يقول فيها انه طالما ان الحكومة البريطانية تقف الى جانب ابن سعود ، وطالما انه لا يستطيع الهجوم على نجد لحسم الموقف مع الملك في الوقت الذي تكون فيه نساؤه ومؤنه وجهاله تحت رحمة القبائل العراقية بموافقة الحكومة البريطانية ، فلا خيار لديه إلا ان يتوصل الى شروط مرضية مع ابن سعود .

ان مما لا شك فيه ان اجوبة الحكومة البريطانية على الاسئلة الثلاثة كانت تعني نهاية الثورة . فمنذ ذلك اليوم لم يعد فيصل الدويش يبذل اي جهد لمقاومة ابن سعود بل كان ينصح علناً كل من يرغب في القتال في الانفصال عنه وعقد صلح منفصل مع الملك .

لقد كانت لدى الشوار كميات من الذخائر والمؤن تكفي للاستمرار في حروب طويلة الأمد . وكانت هزيمة عتبية تحتم مهاجمة نجد وانزال الهزيمة بابن سعود في الميدان . ولكن جواب الحكومة البريطانية بأنها لا تأخذ على عاتقها منع القبائل العراقية من مهاجمة النساء والاستيلاء على المؤن في غياب الدويش ، حمل على انه يعني ان الحكومة البريطانية ستشجع على مثل تلك الأعمال ولذلك وجد الدويش انه من المستحيل عليه ان يقوم بأي عمل ضد نجد .

ولم يأت العاشر من تشرين الثاني حتى كانت فلول الشوار فتراجع الى وسط هضبة قرعة على بعد سبعين او ثمانين ميلاً من الحدود الكويتية وعددهم يتقلص

تدريجياً .

وفي ١٩ تشرين الثاني وصل الشيخ حافظ وهبه ممثل الملك ابن سعود في لندن الى الكويت وبدأت حملة دعائية واسعة النطاق ضد الثوار . وفي ٢٣ تشرين الثاني وبعد ان بدأت مستنقعات الماء تجف في الصحراء اخذت جبال الثوار تنفذ الى الاراضي الكويتية للحصول على الماء من جهرًا . ولكن خطوات حاسمة اتخذت لمنع ذلك في المستقبل . وفي الخامس والعشرين من الشهر نفسه حاول نايف بن محمد الهذلان ان يعبر الحدود لمقابلة الشيخ أحمد ، ولكن الشيخ أحمد رده بنفسه . وفي التاسع والعشرين بعث ابن سعود بسبل من رسائل التهديد الى الكويت تفيد انه يقترب على رأس جيش قوي ، فاذا سمح شيخ الكويت لواحد من الثوار ان يعبر حدوده ، فإنه يحمله المسؤولية شخصياً . وقد وزع الشيخ حافظ وهبه رسائل مماثلة على زعماء ووجهاء الكويت . وفي السادس والعشرين اشتكى الشيخ أحمد رسمياً من ان الشيخ حافظ وهبه يمارس صلاحيات قنصلية بصورة غير صحيحة وطلب من الحكومة البريطانية ان توقف نشاطه فوراً . وصدر له تحذير في الوقت المناسب وتحسنت الأمور .

وعلم ان مقدمة جيش ابن سعود وصلت في ١٨ كانون الاول الى الصفا ، وقد تأكد ذلك في اليوم نفسه بعد ان وصلت خمس من سياراته الى الكويت حاملة رسائل بهذا المعنى . وفي الوقت ذاته كانت قوات الثوار تنتقل على طول الباطن ، وقد تقلص عددها واخذ المزيد من زعمائها ينتقلون الى معسكر ابن سعود او يجدون طريقهم بهدوء الى الجنوب ، بينما بدأ فيصل الدويش مفاوضات رسمية مع ابن سعود . وقد أرسل الدويش رسلاً الى المعسكر الملكي لطلب السماح له بالتسليم ومعرفة الشروط التي سيتم على اساسها .

كان الثوار يقيمون على جانبي منخفض الباطن من حفر الباطن الى ربيع حيث تلتقي الحدود الكويتية - العراقية في اقصى الجنوب . وعند الغروب في الثامن والعشرين من كانون الاول تقدم محسن القرم شيخ قبيلة حرب التي كانت تشكل القوة الغربية او الجناح الايسر لابن سعود ، من شعيب فليج بقوة كبيرة

مختلطة من حرب وشتم وظافر وهاجم الثوار عند الفجر .
وقد أخذ فيصل الدويش بهذا الهجوم على حين غرة فيما كان ينتظر شروط
الصلح من ابن سعود . وعلى كل حال ، لم تحدث خسائر كبيرة . فقد تجمع الثوار
بسرعة وصدوا المهاجمين ولكن ليس قبل ان يفقدوا خمسين قتيلًا وأربعة آلاف
جمل .

لقد شن محسن الفرم هجومه بدون ان يتلقى اوامر من الملك ، ورد على
اعتقابه ، ومع ذلك صور مؤرخو مكة الحادث بأنه معركة عظيمة ونصر حاسم
للحكمة وذلك ليس صحيحاً على الاطلاق .

نهاية الثورة

تجمعت القوات الارضية لسلاح الجو الملكي والسيارات المسلحة وغيرها من
العراق بالقرب من ربيع لتتبع عبور الثوار الى العراق او الكويت . وفي ٣٠
كانون الاول انضمت مطير التي تحملت اذى هجوم محسن الفرم ، الى عجمان في
أم عمارة المهزول حيث قابلهم قائد القوة الجوية الملكية في العراق المرحوم
السير تشارلز ستوارت بيرفيت الذي خيّرهم بين الاستسلام او العودة عبر
الحدود . وبينما كانت المفاوضات جارية حاول الشيخ علي بن عثوان وبمجموعة
بريج في قبيلة مطير ان يهربوا في ٣١ كانون الاول الى الجنوب الشرقي من وراء
ميسرة ابن سعود . وتصدت لهم قوة الى الجنوب من سلسلة المسناة وقتلوا جميعهم
باستثناء علي بن شويرية تمكن من الدخول الى خيمة الملك ليلاً وطلب حمايته .
وبعد محادثات طويلة في أم عمارة المهزول رفض الثوار شروط السير تشارلز
للاستسلام وعادوا جنوباً عبر الحدود دون ان يعرفوا مدى قرب جيش ابن
سعود . وفي هذه المرحلة تمت زيارة لمسكر عجمان في وادي الباطن بالأراضي
الكويتية وألححت على فايف الهذلان ان يرمي بنفسه تحت رحمة ابن سعود ،
وقلت له بالحرف الواحد :

— اذ كانت لديك القوة الكافية للقتال . . قاتل . اما اذا لم تكن لديك

القوة فتدخل عن القتال من اجل تسائك واطفالك .
ولم يصغ الكلامي .

وبانت قوات ابن سعود في ربيع في الخامس من كانون الثاني فعاد الثوار
وغيروا اتجاههم ثانية نحو الشمال الشرقي وشقوا طريقهم بصورة اضطرارية الى
واحة جهرا تاركين عدة آلاف من الاغنام والجمال غوت في الطريق .
وتخفيت انا وعدد من رجال الشيخ أحمد بشباب البدو وسرنا معهم في الليل
وكنت أبلغ سلاح الجو الملكي تباعاً واتجاه سيرهم . وفي اليوم التالي فاجأتهم قوة
مشتركة من الطائرات والسيارات المسلحة قرب الاطراف على بعد عشرة اميال
الى الغرب من جهرا فوجدتهم بحالة من الفوضى يهربون في كل اتجاه . رخصي الثوار
وهم في هذه الحالة هجوماً من جيش ابن سعود ، ولم يكن لديهم علم بأنه محظور
عليهم عبور الحدود . وفي السابع من كانون الثاني انتقلوا الى جهرا حيث قامت
الطائرات بالقاء قنابلها حول القرية في فترات منتظمة لتجسيمهم .

هناك توجهت لزيارة فيصل الدويش معرضاً لسيارتي لثيران الطائرات الملكية
البريطانية عندما اقتربت من المكان . وتوسلت الى الدويش مدة ساعتين كاملتين
ان يستلم سلاح الجو الملكي وان لا يحاول شق طريقه كما يريد ان يفعل لئلا
يدخل في معركة حاسمة مع قوات ابن سعود التي تنتظره عند حدود الكويت
الجنوبية . ومرتكتة دون ان أستطيع اقتاعه .

وفي اليوم ذاته - ٨ كانون الثاني - حاول فريق من جبلان ورشايدة ومعهم
عدد من عجمان ان يعبر جنوباً الى جاريه في مؤخرة قوات الملك . وتصدت
لهم في الشق ، جنوبي منقاش ، قوة من السيارات يقودها ابن سعود بنفسه واقتنهم
عن بكرة ايهم .

وتمكن واحد او اثنان من كبار زعماء الاخوان من الفرار من جهرا في غمرة
الفوضى التي أحدثتها القصف الجوي . ومن الذين فروا فيصل الشيلان رئيس
عشيرة الشيلان في مطير والذي يلي الدويش منزلة في القيادة . وعلم انه توجه الى
مدينة الكويت حيث كان يأمل في الاختباء عند بعض المؤيدين . وذكر في هذا

الجدال انه قد يحاول الدخول على حاكم الكويت والاستيلاء به الامر الذي يعرض الشيخ أحمد الإخراج لأنه سيرفض في هذه الحالة تسليمه الى ابن سعود عملاً بالمعاداة العربية . وفي تلك الفترة اختفى فيصل الشبلان .

وبعد عدة مراسلات سرية مع نائب المندلان اقدمته ان يستلم في التاسع من كانون الثاني الى فرقة السيارات المسلحة التابعة لسلح الجو الملكي ، الأمر الذي دفع فيصل الدويش الى تغيير رأيه في شق طريقه عبر قوات ابن سعود للاستيلاء على نجد . واستلم الدويش ومعه سعود بن لامي في العاشر من كانون الثاني . وركب معي فيصل الدويش ، بصورة احتفالية مؤثرة ، الى معسكر القيادة الجوية حيث سلم سيفه . وارسل الزعماء الثلاثة الى البصرة بطريق الجو وهناك نقلوا الى سفينة حربية بريطانية في شط العرب .

⑤ الدويش

وبلغ قنول الثوار من مطير ومعظمهم من الدوشان والدياهين ، والقسم الأكبر من عجمان انت ينتقلوا شمالاً الى منطقة جريشان - روضتين في دولة الكويت على بعد خمسة عشر ميلاً الى الجنوب من مركز الحدود في صفوان حيث بقوا بحراسة السيارات المسلحة التابعة لسلح الجو الملكي الى ان يصبح بالإمكان تسليمهم الى ابن سعود .

وعندت الى مقر في الكويت ووضعت تقريراً مفصلاً للشيخ أحمد عن استسلام زعماء الاخوان وعن التجمع المقترح لقطعان الجبال في شمال البلاد . وبدأت العمل فوراً في تأمين الطعام والملابس لنساء واطفال الثوار الذين تركوا في حالة يائسة من الجوع والحرمان بين يساقين النجبل في جهر . وكانت بين اولئك نساء فيصل الدويش : زوجته عمشا وشقيقاته الثلاث وابنتان صغيرتان وسبع وعشرون من قريباته ، وكلهم من الدوشان ومن ذوات المولد الرفيع . ومع الحاديات كان عدد هذا الفريق من النسوة سبعاً وثلاثين امرأة . وقبل ان ينقل الى البصرة ترك الدويش نساءه في عهدي وكانت كلماته الاخيرة لي :

— اسلم حريمي لك يا ديكسون ومن ذممي الى ذمتك .

ونقل اولئك النسوة الى قصر الاحمر في جهر حيث اعتنت بهن زوجتي

وقد تمت لمن المأكل والملبس الى ان يتم نقلهم الى الكويت في ضيافتي . وبالإضافة الى كل تلك الترتيبات كان علي ان اكتب تقارير لإطلاع حكومة صاحب الجلالة والملك عبر الحدود على الاحداث بصورة عامة . لقد كنت اعرف ان ابن سعود سيطلب فوراً تسليمه الثوار وجماعهم ، فكانت هنالك جهود كثيرة يجب ان تبذل قبل ان توافق الحكومة البريطانية على مثل هذا الامر .

فصل الشبلان يشرب القهوة معي

كنت مستمراً في العمل بهذه المشاكل في مكنتي لمدة يومين بعد الاستسلام عندما أعلن رئيس القراشين وحول شيخ غريب قال انه يريد ان يقدم احترامه لي . وذهبت عندما رأيت رجلاً طويلاً متناسب القوام على رأسه كوفية كالتي يرتديها الاخوان . وقد كنت اعتد بانني اعرف معظم شيوخ الجزء الشمالي الشرقي من الجزيرة العربية ، ولكنني لم أعرف هذا الشيخ الزائر . كان وجهه وأنفه قد أحرقتهما الشمس فأصبحت بشرته حمراء اللون متشققة عند الأنف والشفين ، خلافاً للبدر الذين اذا لفحتهم الشمس تصبح بشرتهم سوداء .

ودعوت الزائر للجلوس وطلبت له القهوة وانتظرت له لبدا الكلام . رفض ان يدخن قائلاً وهو يتنسم انه وهايي . وبعد ان تناول القهوة قال زائري هنيوء بان اسمه فيصل الشبلان وانه جاء يطلب نصيحتي حول بعض الامور . لقد كان يعلم كل شيء عن الاستسلام الذي تم في جهرا واعترف انه قدم الى الكويت ليتخلص من الوقوع في أيدي سلاح الجو الملكي . وأراد ان يعرف مني ما اذا كان الشيخ أحمد يقاوم ضغط البريطانيين ويرفض تسليمه اذا وضع نفسه تحت رحمته . اما اذا كنت اعتقد ان الشيخ احمد لا يستطيع حمايته ، فقد اقترح ان يغادر المدينة ويهرب بطرق جانبية الى سورية .

لقد احببت الرجل لوفوقه بي واعجبت بشجاعته لأنه جاء من تلقاء نفسه الى ما كان يمكن ان يكون عرين الاسد بالنسبة له . وشعرت بميل لانتقاذه وقررت ان أقوم بخطوة جريئة .

ونصحتني ان لا يدخل علي الشيخ أحمد لأنه بذلك يضعه في موقف صعب .
ولكنني عرضت عليه ان يشجع ويذهب رأساً الى مليكه الشرعي ابن سعود ،
على ان يفعل ذلك تحت جناح الظلام ويدخل الى خيمة الملك ويضع نفسه تحت
رحمته . وقلت له ان جميع الناس يعرفون ان الملك وهو نفسه رجل شجاع يحب
الشجعان ، ولذلك فانه سيعفو عنه مئة بالمئة .

وفكر ابن شبلان لحظة ثم شكرني على نصيحتي التي قال انها تبدو حسنة .
وطلبت له مزيداً من القهوة لأعطيه فرصة أكبر للتفكير ، آملاً ضد الأمل انه
سيفعل كما قلت له . وفي تلك اللحظة بالذات دخل الفرّاش حاملاً برفية من قائد
القوة الجوية الموجود حالياً في جبراً يقول فيها انه تأكد له ان فيصل الشبلان قد
هرب الى الكويت ولذلك يتوجب القبض عليه وارساله الى البصرة . وتذول
البرقية انه يجب ان اطلب من الشيخ أحمد اجراء تفنيس دقيق في المدينة بحثاً عن
الشبلان لاعتقاله وارساله مكبلاً بالأصفاد الى مقر القيادة الجوية في جبراً التي
ترسل من يرافقه في حالة وصول انباء العثور عليه .

فكان ذلك موقفاً مؤسفاً ، وبعد تفكير قلت له :

— يا فيصل سأقرأ عليك برقية تلقيتها الآن من قائد القوات البريطانية التي

تسلمت الدريش .

فكان جوابه :

— اقرأ باسم الله .

ولم تتحرك عضلة من عضلات وجه ابن شبلان وانا أقرأ كما انه لم تبدر منه أية
بادرة تدل على خوف او عصبية . إن ذلك يدل على مجهود رائع في ضبط النفس .
وسألته :

— ماذا تعتقد انني سأفعل ؟

وجاء جوابه سريعاً :

— والله انت احسن العارفين .

ان أمامي رجلاً تعلق به قلبي . وقلت له :

— لا تخف يا فيصل ، انت في مأمن . لقد تنازلت القهوة في منزلي وبوجب قواعد الضيافة العربية ، فان ذلك يعطيك حصانة . ستغادر منزلي بأمان لأنني أعرف عاداتكم .

فابتسم وقال :

— يا أبا سعود ، كنت اعرف انك ستقول ذلك لأنك لم تكن لتوافق على الاعتناء ببناء الدوشان كما فعلت لو لم تكن على علم بعاداتنا وآرائنا في الفروسية والشهامة . لقد فعلت حسناً وأظهرت مشاعرك النبيلة . وقد جعلني عملك هذا اقرر ان أضع نفسي تحت رحمة الملك كما اقترحت انت . واذا قدر الله ان اكسب عفوه ورضاه فسأخبره بما فعلته من أجلي هذا النهار .

وبينا كان ابن شبلان لا يزال في مكنتي ابرقت الى القائد البريطاني لأبلغه انني تلقيت اشارته في الوقت الذي كان فيه فيصل يشرب القهوة في مكنتي . وفنجان القهوة بموجب العادات العربية يوازي بأهميته وليمة كبيرة ويعطي الضيف حق الحماية وهو تحت سقف مضيفه . وتمنيت ان يفهم القائد البريطاني وجهة نظري وعدم قدرتي على تنفيذ ما طلبه مني . وارسلت نسخة من البرقية الى المقيم السياسي في بوشير وأخري الى السفير في بغداد .

وعملاً بنصيحتي قضى فيصل الشبلان الهزيع الأول من الليل في منزل فرحان بن خطير وهو تاجر لؤلؤ مطيري في المدينة . واعتمدت على فرحان ان يقدم لضيفه ذلولاً سريعاً في مكان معين خارج اسوار المدينة حتى يهرب عليه بعد منتصف الليل كما فعل القديس بولس مرة .

وعندما افترقنا قلت له :

— مع السلامة وحظاً سعيداً يا فيصل . وارجو ان تتمكن من اللقاء مرة ثانية في ظروف أفضل .

وأبلغني فرحان فيما بعد ان كل شيء تم حسب الخطة .

اما القائد البريطاني فقد كان رجلاً طيباً وتفهم موقفني والامباب التي دفعتني الى التصرف بهذه الطريقة ولم يفاتحني بالفضية ثانية .

شروط الاستسلام

وتقرر انقاد بعثة الى ابن سعود الذي كان مخيماً في خباري روضاً على بعد ٩٣ ميلاً الى الجنوب الغربي من الكويت ويبلغ طول الطريق بالسيارة ١٣٠ ميلاً . وتألفت البعثة من السير هيوبيسكو المقيم السياسي في الخليج منذ سنة ١٩٢٩ ، ونائب ماريشال الجو بيريت ، والا . وغادرا الكويت بطريق الجو في ٢٠ كانون الثاني وذلك لبحث وسائل وطرق تسليم الزعماء الثائرين واتباعهم . ولحق بنا في ٢٢ كانون الثاني بطريق الجو ايضاً الشيخ أحمد و افراد عائلته . الصباح وذلك لكي يقدموا احتراماتهم للملك ، ثم عادوا في اليوم التالي . كانت لهجة ابن سعود أثناء المحادثات ودية وتم عن روح المصالحة ، كما انه أبدى أسفه للهجة التي صيغت بها رسائل وزير خارجيته . وجرت مساومات عديدة قبل ان يتمكن السير هيو في ٢٦ كانون الثاني ان يتفزع من ابن سعود الشروط التالية لقاء تسليم فيصل الدويش ونايف الهدلان وسهول بن لامي الذين اعيدوا الى الكويت وجمع اتباعهم في شمال دولة الكويت : -

- ١ - يحفظ ابن سعود ارواح الزعماء واتباعهم .
- ٢ - اذا شاء ان ينزل بهم اية عقوبة فيجب ان تكون مرفقة بالرحمة واللين مع الاحتفاظ بحقه في استعادة الغنائم والاسلاب التي أخذها الثوار من الغير .
- ٣ - يتعهد ابن سعود بمنع الغزوات في المستقبل التي قد تقوم بها عجمان ومطير وغيرها من قبائل نجد الى الاراضي العراقية والكويتية . واذا ما حدث مثل تلك الغزوات فانه يتعهد بوضع حل عاجل لاعادة الاشياء المسلوقة الى أهلها . ففي حالة الغزو الى العراق تنفذ بنود اتفاقية بحرا ، وبالنسبة للكويت يجري العمل بموجب العادات المتبعة بين بلاده وبلاد الشيخ أحمد . واعرب ابن سعود عن استعدادة للتفاوض حول معاهدة على غرار اتفاقية بحرا اذا رغب الشيخ أحمد في ذلك .

- ٤ - تعهد ابن سعود بحل القضايا السابقة المقدمة من العراق والكويت على هذا النمط بشرط ان يعاد رجال قبيلتي عجمان ومطير الموجودين في قبضة سلاح

الجو الملكي الى نجد مع كل اتباعهم وممتلكاتهم .

٥ - وافق ابن سعود على دفع عشرة آلاف جنيه استرليني كتمويض للقبائل المراقبة والكويتية أملاً في الوصول الى حل نهائي .

٦ - بعين ابن سعود ممثلين عنه في أي وقت في المحكمة المنصوص عنها في اتفاقية محراً بعد ان يتلقى طلباً بأن يفعل ذلك .

وبعد ان وقع ابن سعود والسير هيويسكو على شروط الاستسلام ، عادت البعثة الى الكويت في ٢٧ كانون الثاني . وفي اليوم الثاني انزل الزعماء الثائرين الثلاثة من السفينة البريطانية « لوبين » بعد ان خلعت عليهم زوجتي ملابس جديدة ونقلوا الى مخيم ابن سعود بطريق الجو تحت اشراف شخصياً .

ووجدت ابن سعود جالساً داخل خيمة مقفلة محاطاً بأقاربه وزعماء القبائل . وكان اجتماع الثوار بسيدهم مؤثراً . فقد سمع لكل منهم والدموع تنهمر من عينيه ان يقبله في انفه على طريقة البدو . ثم اجلسني بجانبه وشكرني على جهودي وخاصة على عنايتي بنساء الزعيم الثائر السابق وقال : -

- في الحقيقة يا ديكسون نحن نقدر اعمالك الطيبة . ومع ان الدويش قد ضد ملكه وقاتلنا لكن نساء ذوات دم نقي نبيل وجدبرات بكل احترام وتقدير . انه واجب خاص علينا ان نستمّر في العناية بهن الى ان تتمكن من ارسال سيارات الى الكويت لنقلهن من عندك .

وبينا هو يتكلم لحت بين قادته ومستشاريه صديقي فيصل الشبلان . وبينما ان الملك كان يقتبّع نظراتي فابتسم ابتسامة عريضة وقال :

- نعم .. لقد عفونا عنه . لقد اتى ودخل علينا وابلغنا كل شيء ويسعدنا اننا مدينون لك بذلك ايضاً يا كولونيل ديكسون .

واغتنمت الفرصة لأنقل الي ابن سعود رسالة من زوجتي تتوسل اليه فيها كأن ان يرأف بأولاده المخطئين . وقد استجاب الملك لهذا الطلب بشهامة . فبدل أن يعدم زعماء الثورة كما كانت اتياعه يتوقعون بالرغم من تأكيدات الحكومة البريطانية ، فقد فرح عليهم الاقامة الجبرية ، وذلك أمر ضروري للحفاظ على

نفوذ ومكانته . وكانت معاملته لقائهم مثلاً آخر في الشجاعة والكرم .
وتعرضت قوات الثوار أثناء إبعادها في شمال دولة الكويت لغزوات ليلية
قاسية قامت بها قبائل ظافر العرافية انتقاماً لغزوات سابقة ، وسلبتهم جواهرهم
واغنامهم على مرأى من سلاح الجو الملكي . وفي ٢٩ كانون الثاني ابلغ الثوار ان
يستأنفوا مسيرة العودة الى نجد حسب شروط الاتفاق .

وقد اقتادتهم السيارات المسلحة التابعة لسلاح الجو الملكي البريطاني عبر
طريق معين باتجاه مناقيش على الحدود حيث تسلمهم مبعوثو ابن سعود في الرابع
من شهر شباط .

ومع ان الجبال لا يتسع هنا لذكر تفاصيل العقوبات التي فرضت على مطير إلا
ان ملخصاً لها لا بد من ذكره :

١ - أخذت من فيصل الدويش جميع الجبال العائدة اليه شخصياً بما فيها
الشروف الشهيرة وهي قطيع مطير الاسود المقدس . وأخذت منه ايضاً جميع
خبوله .

٢ - أخذت من الدوشان العشيرة الحاكمة في مطير كل الاسلاب التي حصلت
عليها من الغير وتوازي ثلثي ما شيتهم . أما ممتلكاتهم الشخصية فلم تس .

٣ - أخذت من الرجال العاديين كل جمال الركوب والخيول والممتلكات
الآخري التي سلبت من الغير .

٤ - لم يؤخذ أي شيء من فيصل الشبلان ومن عبد العزيز الجعيل ^① الدويش
وهو زعيم معروف لأنها استسلموا طوعاً وليس عن طريق سلاح الجو الملكي .

٥ - لم تصدر أية بنادق من أي كان .
وعوملت عجيان بنفس الطريقة تماماً .

لقد سررت لان ابن شبلان نجح بنفسه . وسرعان ما قال حظوة عند الملك
فعين مسؤولاً عن جمال الملك بما فيها الشروف . وبلغ عدد تلك الجبال ٧٠ رعية
والرعية ٧٠ جملاً فيكون المجموع اربعة آلاف وتسماية جمل . وكانت عمسا ابنته
الجميلة تأتي لزيارتي كلما قدمت الى الكويت وقد كرتني وهي تبسم بفمجان القهوة

الذي انقذ حياة والدها . وتزوجت عمشا شاباً لطيفاً اسمه هزاع بن بدر الدويش الذي قابلته لأول مرة عندما حمل الى الكويت اثر اصابته برصاصة في رقبته . وكنا نعتبر عمشا حفظها الله واحدة من اعز اصدقائنا المطيريين .

وبعد ان رتب نقل الزعماء الثلاثة الى الرياض ومصادرة مواشي الثوار كما ذكرنا سابقاً ، توجه ابن سعود الى خميدة القطا قرب جارية في ١٢ شباط . وبعد اربعة ايام انتقل الى راس كنسورة قرب القطيف ومن هناك انتقل في الثاني والعشرين ليقابل الملك فيصل ملك العراق على ظهر الباخرة البريطانية هـ لوبين ، ^{لكنه} خارج ميناء الفاو . وصدق الملكان على مسودة اتفاقية صداقة بين البلدين .

لقد حضرت زوجتي نساء فيصل الدويش لمدة ستة اسابيع في مدينة الكويت قبل ان يرسل ابن سعود سيارات لتقلهم . وفي تلك الفترة لم نكون نقدم لهم المأكل والملبس على حساب الحكومة فحسب بل اتبحت لنا الفرصة ان نجتمع بهم يومياً ونحدث اليهن . فبعد المصاعب الكثيرة والمشاق المرهقة التي تعرضن لها في المراحل الأخيرة من الثورة ، وجدت زوجتي امامها عملاً صعباً في اعادتهن الى حالتهم الصحية الطبيعية . فكنا نعاملهن كضيوف واصدقاء لا كلاجئين . ولا زلت اذكر كيف ان ابنتي شقيق فيصل الصغيرتين عمشا وفيجا كانتا اكثرهن تودداً راقلهن خجلاً . فقد جاءت الينا نحيلتين تكادان تموتان جوعاً وعلى جسديهما اممال بالية ، ثم اصبحتا فتاتين رائعتين قدر لنا ان نجتمع بهما عدة مرات فحياً بعد .

وقد برأ لحياده ورفضه مساعدة الثوار تلقى الشيخ أحمد سنة ١٩٣٠ وماماً ربيعاً مع تقدير الحكومة البريطانية . ووعدته حكومة صاحب الجلالة ايضاً انها ستعمل قصارى جهدها لحمل ابن سعود على الغاء القيود على التجارة بين نجد والكويت . وكان الخطر قد فرض منذ سبع سنوات ومضت سبع سنوات اخرى قبل ان يرفع نهائياً .

وفاة فارس عظيم

توفي فيصل الدويش في الرياض في الثالث من تشرين الأول سنة ١٩٣١ .

وجاءت الانباء الاولى الى الكويت في ٢٥ تشرين الاول مع ابراهيم المزين الذي عمل مدة طويلة في خدمة شيوخ الكويت ثم انتقل قبل ثلاث سنوات ليعمل في خدمة ابن سعود في الرياض . وقد جاء يومها الى الكويت ليشكري بزة الصيد لمحمد آل سعود شقيق الملك .

وقص علي ابراهيم بالتفصيل كيف ان الدويش ظل يشكو لمدة شهر من ألم بسبب تورم في حنجرته . وفيما كان يتمشى مع ابن هذلان يوم ٣ تشرين الاول في باحة السجن سقط الى الأرض والدم ينزف من فمه بسبب انفجار التورم . وظل فاقد الوعي حتى المساء وعندما استعاد وعيه لمدة قصيرة طلب ان يرى الملك ولكن ابن سعود رفض ان يأتي اليه . وارسل له الدويش تحية الوداع غافراً له الاخطاء التي ارتكبها بحقه قائلاً ان الحكم الاخير لن يصدر قبل ان يقفأ كلاهما امام الخالق . ثم فارق الحياة فغسل ودفن في الليلة ذاتها .

وابلغني ابراهيم كيف ان الملك ، بعد ان شعر بتوبيخ الضمير ، ارسل الى عمها ارملة الدويش والى شقيقته غالية ووضحي طالباً ان يعتبرن شقيقتين مدى الحياة ، وكيف انه منح عمها وغالية الشقيقة الكبرى مكافأة سنوية قدرها اربعماية ريال ، ومكافأة قدرها ثلاثماية ريال لوضحي والأخت الثالثة التي كانت وقتذاك في الكويت . وبعد ان اعطى كل واحدة منهن اربعة جمال منح لهن بالعودة الى الرتوانية . وقالت مصادر اخرى ان ابن سعود اعطى كل واحدة من السيدات الثلاث بيتاً بجانباً في الرياض .

وقد نقلت اخبار الوفاة بالتفصيل بحيث انه لم يعد هنالك شك بأن فيصل الدويش قد توفي فعلاً . وبعد فترة قصيرة اعلن هلال المطيري تاجر اللؤلؤ الشهير في الكويت وصديق الدويش انه يصدق القصة وكذلك فعل الشيخ أحمد .

لقد أحس جميع البدو بأمر عميق لوفاة ذلك الزعيم الصحراوي الكبير الذي كان ملكاً بين شيوخ الغرب ، والذي كان الزعيم القبلي الوحيد في الجزيرة العربية من حقه ان يقتل رجالاً من قبيلته دون محاكمة اذا وجد ذلك ضرورياً . فهو وشيوخ الدوشان في مطير من قبله يمكن مقارنتهم بصانعي الملوك في انكلترا

في القرون الوسطى . وخلال تاريخهم تَجَرَّأُوا وحاولوا ان يصنعوا وان يكسروا ،
واحياناً بنجاح ، الحكام السعوديين في نجد . ان مساعدة مطير وحدها بقيادة
جد فيصل الذي كان يحمل نفس الاسم ، هي التي مكنت القائد المصري ابراهيم
باشا من مهاجمة واحتلال المملكة الوهابية في اوائل القرن الماضي .

ان الجزيرة العربية لم تنجب فارساً او مقاتلاً اعظم من فيصل الدويش الذي
لم يكن لابن سعود من اقباعه واحد اكثر اخلاصاً الى ان دفعت السياسة ، او
بالأحرى نكران الجميل ، فيصل الى الثورة . كانت مطير تعبده ولا يذكر رجل
اسمه حتى اليوم إلا والدموع في عينيه . ويقال ان وفاة ابنه عزيز هي التي حطمت
معنوياته وأقنعتته بأنه لن يستطيع الانتصار .

اما ارملة عمها فلم تعيش بعده طويلاً . فقد توفيت بهدوء في ارتوائيه بعد
خمس سنوات وحزن عليها رهط كبير من الاصدقاء .

وظل زعماء الثورة الآخرون في السجن بالرياض حتى سنة ١٩٣٤ حين أتهموا
بمحاولة الفرار عندما كان ابن سعود يقاتل يحيى امام اليمن . ونقلوا الى الحفوف
حيث سجنوا في الدبابير التركية المظلمة تحت الأرض . وانقطعت أخبارهم منذ
ذلك الوقت .

نهاية الاخوانية

أخذت الثورة بعد ان كلفت مبالغ طائلة من المال والعتاد . ويعود الفضل
في انتشار ابن سعود من الوضع السيئ الذي كان فيه الى الحكومة البريطانية .
فلولا جهودها في ابقاء الكويت والعراق على الحياد ، ووضعها قوة كبيرة
على حدود الكويت الجنوبية اجبرت الثوار على الاستسلام ، لما تمكن ابن سعود
من سحق الثورة ، ولكان تعرض هو والبيت السعودي الى أخطر النتائج .

وبإنهاء الثورة ووفاء فيصل الدويش يمكن القول إن مذهب الإخوان الحماسي
قد ولى الى غير رجعة . وكان ابن سعود يعرف ذلك فلم يكن يرغب في إشعال
النار مرة أخرى . فمذهب الإخوان القائل على الدين والتعصب ، اخطر من ان

يكون لعبة في يديه . لقد أخطأ مرة ولن يعيدها . فقد فضل في المستقبل أن يستخدم السيارات المسلحة واللاسلكي والمدافع الرشاشة للإبقاء على سلطته ، وربما كان بذلك يفعل عين الحكمة .

استخدم ابن سعود النقل بالسيارات لأول مرة أثناء العمليات ضد الثوار وقد زاد ذلك في قدرته على التحرك وساعده على الإسراع في تموين قواته . وكثير من نجاحه يعود الى هذه الحقيقة التي استطاع بها أن يفرض نفوذه على القبائل المترددة قبل أن تقرر الانضمام الى الثوار ، ربما استطاع ان يأخذ قوات الثوار على غفلة في كثير من الأحيان قبل أن تكون مستعدة للقتال .

كان ابن سعود يعلم حتى أعلم مدى المساعدة التي يمكن للمواصلات الصحيحة أن تقدمها له لحفظ النظام في مملكته الواسعة المتفرقة . فعندما دار عليه ابن رفاده سنة ١٩٣٢ بحوالي ستة آلاف رجل من قبيلة بيللي في شمالي الحجاز ، استطاع ان يجمع عشرة آلاف رجل في الطائف ويشن هجوماً مفاجئاً على الثوار فحاصم عن بكثرة أبيهم في دبحه وسار مظفراً عبر الحجاز . ولم يكن ليستطيع ذلك لولا استخدام السيارات .

وفهم عامة الاخوان الآن أن ابن سعود أطلق صرخة الدين سنة ١٩١٤ لأغراضه الخاصة . ولذلك شعروا بالألم والندم لأنهم استخدموا كمطية ، فلم تعد لديهم رغبة في الولاء أو في الاندفاع . كان كل منهم أن يتركوا وشأنهم . ولم يعد انكسار بالنسبة لهم بطلاً أو أباً لشعبه . وكان المرء يحسد حتى بين القبائل الموالية كشمع وحرب وسليح وسهول وعوازم ، دع جانباً القبائل التي فشلت في الثورة ، شعوراً أشبه بخيبة أمل مريرة . وإذا سئلوا عن ذلك فإنهم لا يستطيعون اعطاء جواب محدد واضح ولكن عدم الثقة وخيبة الأمل هما ، كما يبدو ، السبب الجوهري . ولا ريب ان هذه الظاهرة ترجع الى واحد أو أكثر من الأمور التالية :

١ - كان الشعور السائد ان ابن سعود لم يلعب لعبته بواسطة الاخوات ولم يوفق الى جانبهم كما كان مفضلاً فيه أن يفعل . فهم على كل حال ، الذين رفعوه

الى المكانة التي احتلها وكانوا أيضاً مسلمين صالحين .

٢ - طلب مساعدة البريطانيين وبمساعدهتهم تمكن من سحق رعاياه المسلمين .

٣ - لقد عامل فيصل الدويش وقايف الهذلان وسلطان بن حميد العنيديه وهم ثلاثة من أعظم زعماء الجزيرة العربية ، بقساوة لا داعي لها في الوقت الذي كانت طرق الشهامة كافية لمواجهة القضية .

ومع مرور الزمن لم يعد البدو يطلقون على ابن سعود لقب الامام لاسيما في الشمال والشمال الشرقي من صحراء الدهانه في شمال شرق الجزيرة العربية . وأصبح يعرف بعد ذلك بالوهابي وخاصة بين أولئك الذين فاروا ضده ، كصفة للتحقير أكثر من أي شيء آخر . وبرزت ظاهرة أخرى مهمة وهي أن الكوفية البيضاء التي كانت رمزاً للأخ ، الصالح لم تعد ترمى إلا نادراً . فقد عاد معظم مطير ورشايده وعوازم وعجمان وشمر الى العقال القديم . أما الذين ظلوا يمتدحون الكوفية البيضاء فقد كانوا يفعلون ذلك وألسنتهم في وجنتهم أو للحصول على خدمة من الملك .

ليس معنى ذلك أن مذهب الإخوان قد انقضى ، فقد بقي في الوجود ولكن عن شكل احساس به . وما إن أتت سنة ١٩٣١ حتى كان قد تخطى عن كل تعصباته غير المعقولة . وظلت القبائل الكبرى في الجزيرة تحب أن تدعو نفسها بالاخوان او بالوهابيين ، وحفاظاً على الماضي ، لم تمنع التمدخين أو لعب القمار أو شرب الخمر . أما عن نفهم الجنوني فقد زال تماماً إلا ربما في جنوب نجد وفي بعض الأماكن الأخرى كحوطه الى جنوب الرياض وفي وادي دواسر . وانصرف الانفس النقية الى الصلاة والى تحمين الأوضاع ، بينما لم تفكر في السابق إلا في جر الآخرين الى الخطيئة والتدخل في شؤونهم بالقوة . لقد حصلت على هذه المعلومات من عدد من زعماء الاخوان ومن ممثلين عن كل قبيلة . ولست أعتقد أن مذهب الاخوان سينتشر ويعود للحياة مرة أخرى ، مع إنه من غير الحكمة التنبؤ في بلاد أعاد التاريخ فيها نفسه مرات ومرات .

ابن سعود يقوي مركزه

أصبح ابن سعود يريد السلام لأن القتال المتواصل كلفه كثيراً . وكان بحاجة إلى المال فمنح امتيازاً للنفط في الاحساء لشركة ستاندر د أويل اوف كاليفورنيا ، وهي اليوم شركة أرامكو ، وطلب منها أن تبني خطاً لنكة الحديد من الدمام إلى الهفوف والرياض عن طريق الخرج . وبعد أن أقنع العلماء بأن الاسلام لم يمنع هذه التطورات بل يشجع كل ما من شأنه أن يساعد على التقدم ، لم يأل جهداً في وصل المراكز المهمة بعضها ببعض بواسطة شبكة من الطرقات ، كما نظم مواصلات لاسلكية نشيطة ، وأعطى شركة هندية امتيازاً بشق طريق من الأسفلت يصل مكة بمكة ، وشجع شركات النقل بالسيارات ، وأقسام محطات للبرق في جميع أنحاء البلاد ، وشجع زراعة الأرض في كل مكان .

وفي أيلول سنة ١٩٣٢ أصبحت مملكة الحجاز ونجد وقوايعها تعرف باسم المملكة العربية السعودية .

وخلال سنة ١٩٣٣ كانت تلوح في الافق بوادر مشاكل حول نزاع الحدود في عسير . وقد بدأ ذلك بانتفاضة ضد ابن سعود كان من نتائجها أن سكان عسير طردوا حسن الادريسي الحاكم الذي عينه ابن سعود ، الى اليمن . وأرسل يحيى إمام اليمن جنوده الى عسير ، كما ان الملك عبدالعزيز أرسل ابنه الأمير سعود على رأس قوة لإجراء مفاوضات . وفي آذار سنة ١٩٣٤ فشلت المفاوضات ولكن ابن سعود كان في تلك الفترة قد جمع جيشاً لا يسهان به قرب المنطقة المتنازع عليها .

وبدأت الاشتباكات في نيسان مع أنه لم يكن هنالك إعلان رسمي للحرب . واستطاعت قوة بقيادة الأمير سعود ان تحتل نجران ، واحتل الأمير فيصل للشقيق الأصغر لسعود ، حديدة في أوائل أيار بدعمه الآليات .

ومع اقتراب الصيف وجد الإمام يحيى ان أفضل طريقة هي إطالة أمد القتال مستفيداً من فرصة للهدنة . ومع أن القوات السعودية كانت تشعر بثقة بالنفس بعد انتصاراتها الأولى ، إلا أنها كانت في الواقع تتفخ وتنهار . فقد دب فيها

المرض دون أن تكون هنالك وسائل للعلاج ، كما انها كانت تعاني من نقص في الذخيرة . . وفي الرواتب . . وهذه الأسباب فقدت القوات السعودية انضباطها . وتبين لابن سعود ان استمرار القتال قد يلحق به هزيمة نكراء فمدد الهدنة وعدل شروطه . وكان له ما أراد فقد وافق الإمام على الشروط المبدئية ، وفي أواسط حزيران وقعت معاهدة بين اليمن والمملكة السعودية .

حققت هذه الحملة لابن سعود الكثير . فقد زادت في نفوذه وأعادت اليه واحة نجران الحصينة وأكدت سيطرته على عسير التي ضمت الى مملكته في السنة ذاتها . وانتهى ابن سعود من الحملة المذكورة بجيش منتصر ولكن قليل الراتب منهوك القوى من القتال . ولم يحدث أي غزو كما كان متوقعا كنتيجة طبيعية لعودة الجيش نحالي الرقاص ، مما يدل على مدى السيطرة التي توصل اليها هذا القائد الكبير على قبائله الكثيرة المتوحشة .

ولم تعد علاقات الصداقة بين الكويت والمملكة السعودية إلا في نهاية سنة ١٩٣٧ عندما رفع ابن سعود الحظر على التجارة مع الكويت . وتجدر الإشارة هنا الى أن الخطأ في ذلك يقع على ابن سعود لا على الحكومة البريطانية التي لم تكف عن المحاولة منذ سنة ١٩٣٠ للبر بوعدها للشيخ أحمد في وجه مخططات ابن سعود الدكيّة .

فهرست

| | |
|-----|---|
| ٧ | الفصل الأول : اماره عربيه |
| ٢٩ | الفصل الثاني : المناطق والقرى حول الكويت وشرق الجزيرة العربيه |
| ٦٩ | الفصل الثالث : قبائل وعائلات الجزيرة العربيه |
| ١٠١ | الفصل الرابع : نشوء وانهار الوهابيه ١٧٤٢ - ١٨٩٣ |
| ١٢٢ | الفصل الخامس : قصص وروايات جدتي |
| ١٢٩ | الفصل السادس : نجد والكويت ١٨٩٦ - ١٩١٧ |
| ١٥٥ | الفصل السابع : سوق الشيوخ ١٩١٥ - ١٩١٦ |
| ١٩٩ | الفصل الثامن : سوق الشيوخ ١٩١٧ - ١٩١٨ |
| ٢١٩ | الفصل التاسع : الناصريه ١٩١٨ - ١٩١٩ |
| ٢٤٢ | الفصل العاشر : الاخوان يشنون الحرب على الكويت ١٩١٧ - ١٩٢١ |
| ٢٦٢ | الفصل الحادي عشر : تخطيط الحدود ١٩٢١ - ١٩٢٣ |
| ٢٨٩ | الفصل الثاني عشر : مقدمه للثورة ١٩٢٣ - ١٩٢٨ |
| ٣١١ | الفصل الثالث عشر : ثورة الاخوان ١٩٢٩ - ١٩٣٠ |